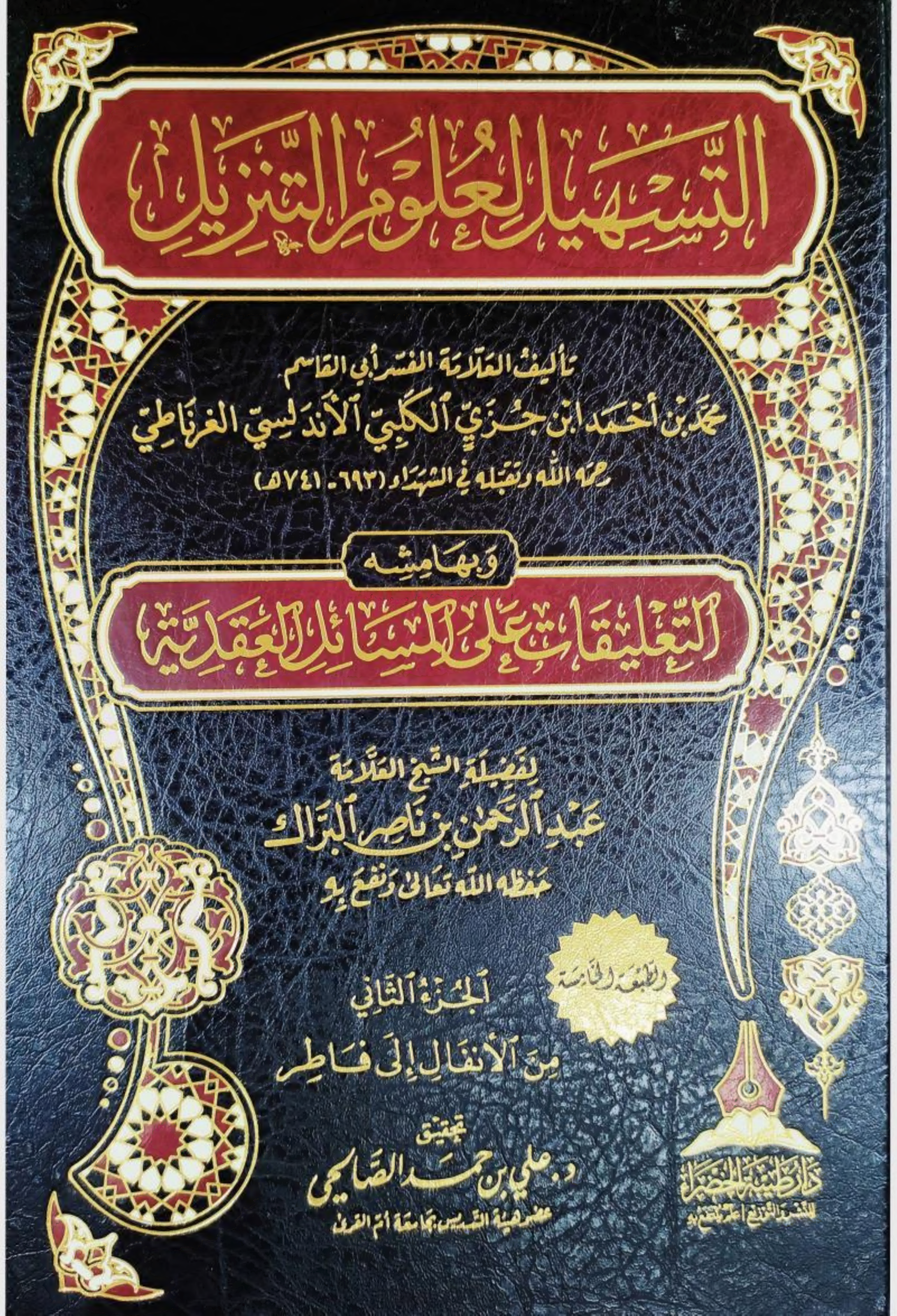
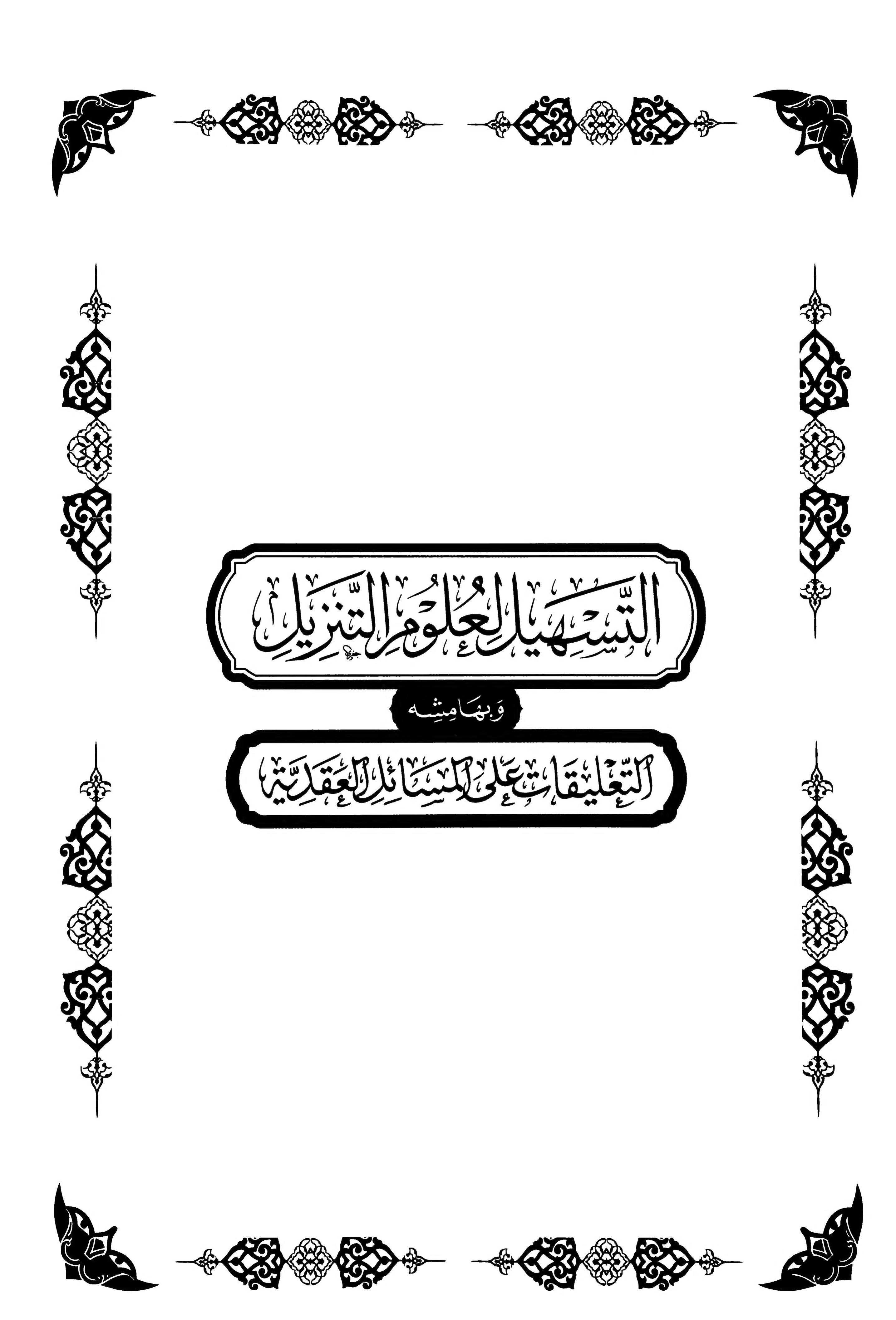

التسهيل لعلوم التنزيل
تأليف العلامة المفسر أبي القاسم
محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي
رحمه الله وتقبله في الشهداء (٦٩٣ - ٧٤١هـ)
وبهامشه
التعليقات على المسائل العقدية
لفضيلة الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر البراك
حفظه الله تعالى ونفع به
الطبعة الخامسة
الجزء الثاني
من الأنفال إلى فاطر
تحقيق
د. علي بن حمد الصالحي
عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى
دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع


التسهيل لعلوم التنزيل
جزء
وبهامشه
التعليقات على المسائل العقدية



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغرناطي ، محمد أحمد ابن جزي الكلبي

التسهيل لعلوم التنزيل

وبهامشه التعليقات على المسائل العقدية 1 ❖ 3

محمد أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي ؛ علي بن محمد الصالحي ـ ط 2 ـ مكة المكرمة، 1443 هـ

1 مج 770 ص؛ 17×24 سم

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

ردمك: 978-603-8310-72-4 (ج2)

1- القرآن – تفسير أ. الصالحي، علي بن محمد (محقق) ب. العنوان

ديوي 227,3 1442/8517

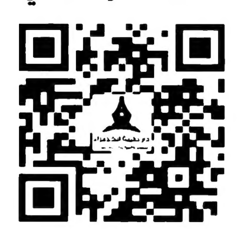
رقم الإيداع: 1442/8517

ردمك: 978-603-8310-70-0 (مجموعة)

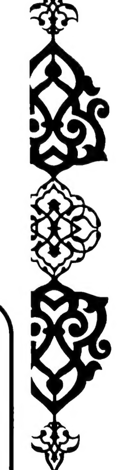
ردمك: 978-603-8310-72-4 (ج2)

الطبعة الخامسة (1444هـ – 2023م)











dar.taiba

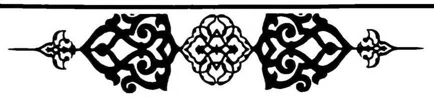
dar.taibagreen123

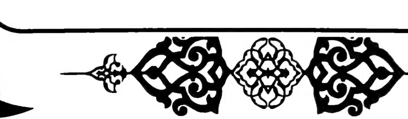
dar_tg

@dar_tg

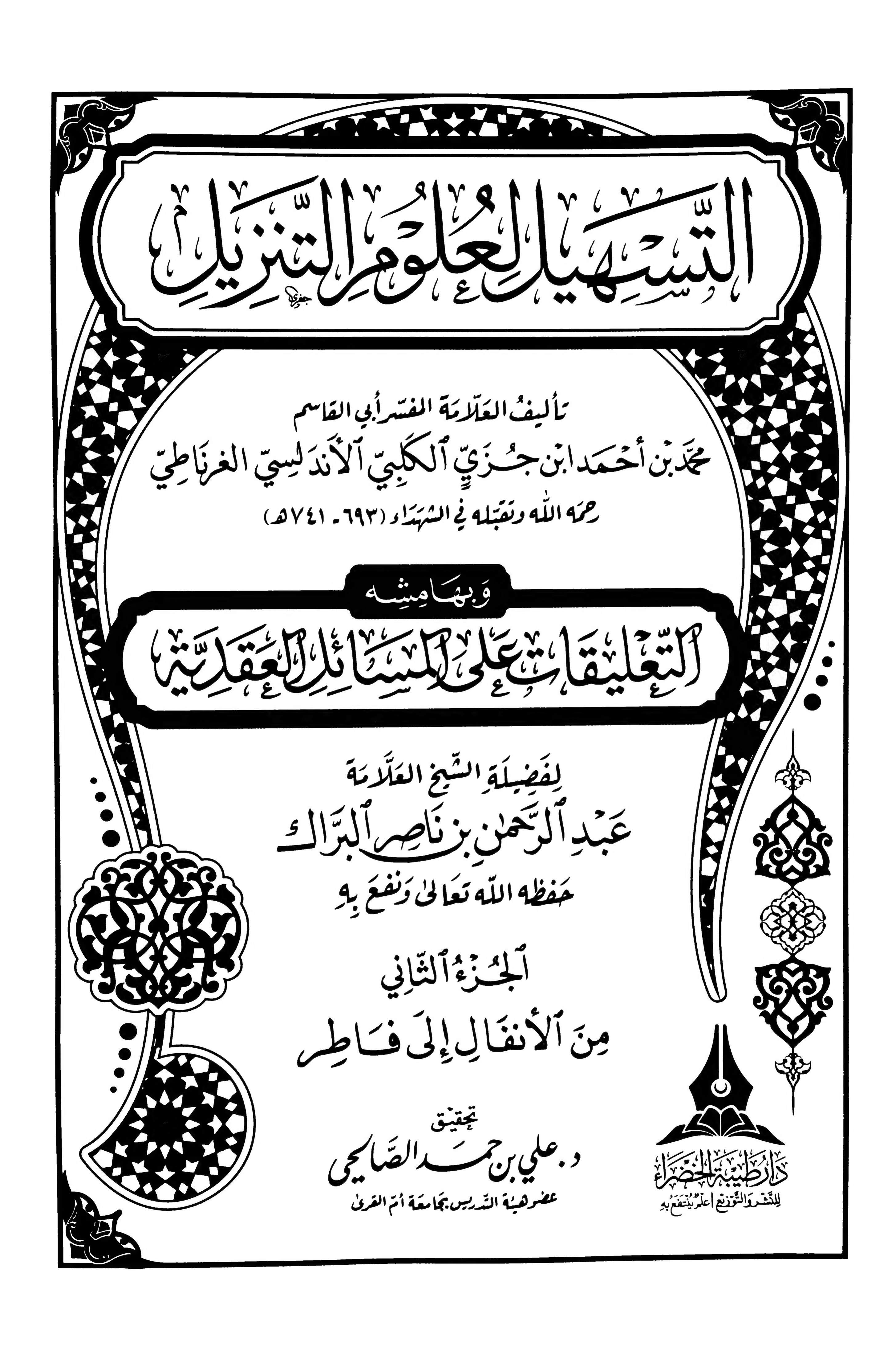
yyy.01@hotmail.com







مكـة الـمكرمـة - العزيزيـــة - خلف مسجد فقيــه



التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف العلامة المفسر أبي القاسم

محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي

رحمه الله وتقبله في الشهداء (٦٩٣ - ٧٤١هـ)

وبهامشه

التعليقات على المسائل العقدية

لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر البراك

حفظه الله تعالى ونفع به

الجزء الثاني

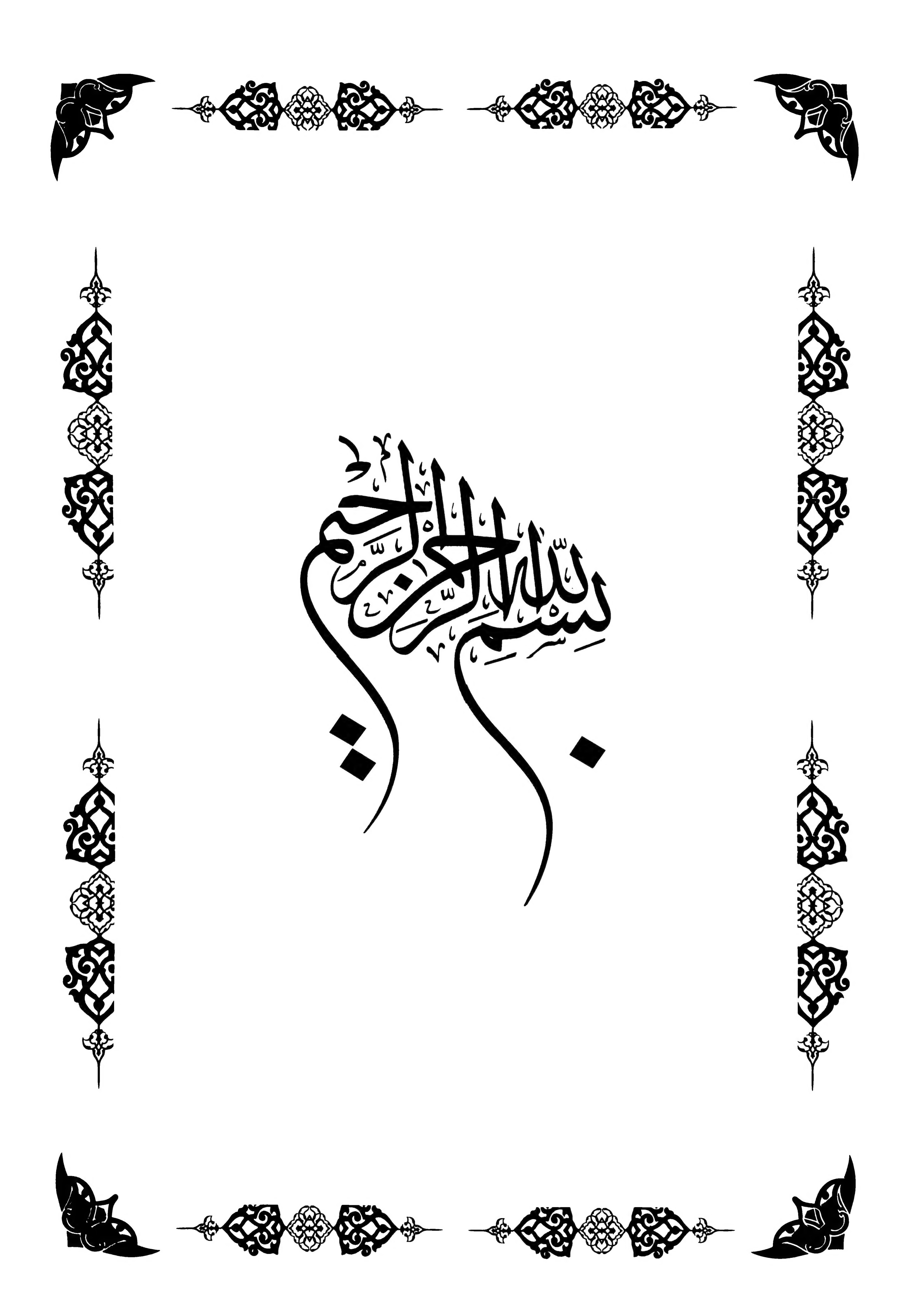
من الأنفال إلى فاطر

تحقيق

د. علي بن حمد الصالحي

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع
أعلم ينتفع به


بسم الله الرحمن الرحيم



نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ *كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والسَّائلون: هم الصحابة. و﴿ٱلْأَنفَالِ﴾: هي الغنائم. وذلك أن الصحابة ﷺ كانوا يوم بدر ثلاثَ فرقٍ: فرقة مع النبي ﷺ في العريش تحرسه وتؤنسه. وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم. وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا. فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كلُّ فرقة أنها أحقُّ بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية، ومعناها: يسألونك عن حكم الغنيمة ومَن يستحقُّها.

وقيل: الأنفال هنا: ما ينفِّله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادةً علىٰ حظِّه.

وقد اختلف الفقهاء هل يكون هذا التَّنفيل[١] من الخمس -وهو قول مالك-؟ أو من الأربعة الأخماس[٢]؟ أو من رأس الغنيمة قبل إخراج الخمس؟

﴿قُلِ اِ۬لَانفَالُ لِلهِ وَالرَّسُولِۖ﴾ أي: الحكم فيها لله وللرسول، لا لكم.

﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ﴾ أي: اتَّفِقوا وائتلِفوا، ولا تنازعوا. و﴿ذَاتَ﴾ هنا بمعنىٰ: الأحوال؛ **قاله الزمخشري**[٣]. **وقال ابن عطية**: يراد بها في هذا الموضع: نفسُ الشيء وحقيقته[٤]. **وقال الزُّبيدي**[٥]: إن إطلاق الذات علىٰ نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب[٦].

﴿وَأَطِيعُواْ اُ۬للَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ يريد: في الحكم في الغنائم. **قال عبادة بن الصامت** ﷺ: نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسوله ﷺ فقسَمها علىٰ السَّواء، فكان في ذلك تقوىٰ الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين[٧].

﴿إِنَّمَا اَ۬لْمُومِنُونَ﴾ الآيَةَ؛ أي: الكاملون الإيمان، فـ﴿إِنَّمَا﴾ هنا للتأكيد والمبالغة، لا للحصر[٨].

﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت، وقرأ أبي بن كعب: «فَزِعَتْ»[٩].

---

(١) في أ، ب، هـ: «المتنفَّل».
(٢) وهو قول أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/ ١٤١).
(٣) انظر: الكشاف (٧/ ١٠).
(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ١٣٣).
(٥) هو أبو بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي الأندلسي الإشبيلي النحوي، صاحب «مختصر العين» و«طبقات النحويين»، و«لحن العوام» وغيرها من المصنفات، توفي سنة (٣٧٩هـ). انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (١/ ٢٥١٨)، وبغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٨٤).
(٦) انظر: لحن العوام (ص: ١٢).
(٧) أخرجه الطبري (١١/ ١٤)، وأحمد (٢٢٧٤٧)، والحاكم (٣٢٥٩)، وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر في الفتح (٦/ ١٩٩).
(٨) في أ، ب، هـ: «والحصر»، والمثبت الصواب كما في المحرر الوجيز (٤/ ١٣٥).
(٩) ذكرها ابن عطية في تفسيره (٤/ ١٣٦).

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ أي: قَوِي تصديقهم ويقينهم، خلافًا لمن قال: إن الإيمان لا يزيد، وإن زيادته إنما هي بالعمل(١).

﴿٤﴾ ﴿لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ﴾ يعني: في الجنة.

﴿٥﴾ ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ فيه ثلاث تأويلات(٢):

أحدها: أن تكون الكاف في موضع رفع؛ على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره: هذه الحالُ كحال إخراجِك؛ يعني: أن حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في كراهة(٣) خروجك للحرب.

والثاني: أن يكون موضعُ الكاف نصْبًا؛ على أنه صفة لمصدر الفعل المقدَّر في قوله: ﴿الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: استقرَّت الأنفال لله والرسول استقرارًا مثلَ استقرار خروجك.

والثالث: أن تتعلَّق الكاف بقوله: ﴿يُجَـٰدِلُونَكَ﴾(٤).

﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾ يعني: مَسْكنَهُ بالمدينة إذ أخرجه الله منه لغزوة(٥) بدر.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ﴾ أي: كرهوا قتال العدو، وذلك أن عِيرَ قريش أقبلت من الشام فيها أموالٌ عظيمة، ومعها أربعون راكبًا، فأَخبر بذلك جبريلُ النبيَّ ﷺ، فخرج بالمسلمين، فسمع بذلك أهل مكة، فاجتمعوا وخرجوا في عدد كثير؛ ليمنعوا عِيرهم،

---

(١) **[التعليق ٥٩] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك:** قوله: «قَوِي تصديقهم ويقينهم» إلخ، ما اختار المؤلف من إثبات زيادة الإيمان ومتعلَّقها، وهو إيمان القلب ويقينه هو الصواب، وقوله: «خلافًا لمن قال: إن الإيمان لا يزيد، وإن زيادته إنما هي بالعمل»، وهم المرجئة، ومنهم الأشاعرة، ويخصون زيادته بزيادة العمل، وما اختار المؤلف هو مذهب أهل السنة، فمن أصولهم أن الإيمان يزيد وينقص ويقوىٰ ويضعف، ودلائل ذلك من الكتاب والسنة كثيرة معلومة، كقوله تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾، وقوله: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾، وقوله سبحانه: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾، وقوله ﷺ: «**وذلك أضعف الإيمان**» [أخرجه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد ﷺ].

(٢) كذا في أ، ب، هـ وهو لغة، وانظر التعليق علىٰ نظيره عند تفسير المؤلف للآية رقم (٥٥) من سورة الأعراف، وفي ج، د: «ثلاثة أوجه».

(٣) في أ، ب، هـ: «حالة».

(٤) والتقدير: يجادلونك في الحق مجادلةً ككراهتهم إخراج ربِّك إياك من بيتك. المحرر الوجيز (٤/ ١٣٨).

(٥) في أ، ب، هـ: «بغزوة».

فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين: إما العيرَ وإما قريشًا، فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقالوا: العير أحبُّ إلينا من لقاء العدو، فقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل، فقال له سعد بن عبادة رضي الله عنه: امض لما شئت فإنَّا متبعوك، وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: والذي بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك؛ فسِرْ بنا على بركة الله[1].

(٦) ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ كان جدالهم في لقاء قريش؛ لإيثارهم لقاءَ العِير؛ إذ كانت أكثرَ أموالًا وأقلَّ رجالًا. وتبيُّنُ الحق: هو إعلام رسول الله ﷺ بأنهم يُنصَرون.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ تشبيهٌ لحالهم في إفراط جزَعِهم من لقاء قريش.

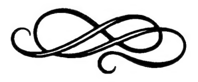
(٧) ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ يعني: قريشًا أو عِيرَهم. والعامل في «إذ» محذوف تقديره: اذكروا.

﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدلٌ من ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ .

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الشَّوكة: عبارة عن السلاح، سمِّيت بذلك لحِدَّتها، والمعنى: تحبون أن تلْقَوا الطائفة التي لا سلاح لها؛ وهي العِير.

﴿أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ يعني: يُظهِر الإسلام؛ بقتل الكفار وهَلاكهم يوم بدر.

(٨) ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ متعلِّق بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعَل ذلك، وليس تكرارًا للأول؛ لأن الأول مفعولُ ﴿يُرِيدُ﴾ ، وهذا تعليلٌ لفعل الله تعالى. ويَحتمل أن يريد بـ ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الأول: الوعدَ بالنصرة، وبـ ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الثاني: الإسلام؛ فيكون المعنى: أنه نصَرهم؛ ليظهر الإسلام، ويؤيِّد هذا قولُه: ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: يبطل الكفر.



(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١-٣٥) من حديث ابن إسحاق.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

﴿٩﴾ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ ﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ﴾ ، وقيل: تتعلَّق بقوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾، أو بفعل مضمر. واستغاثتُهم: دعاؤهم بالغوث والنصر.

﴿مُمِدُّكُم﴾ أي: مُكثِّركم.

﴿مُرْدِفِينَ﴾ من قولك: رَدِفه: إذا تَبِعه، وأردفتُه إياه: إذا أَتبعتَه إياه، والمعنىٰ: يتبع بعضُهم بعضًا. فمن قرأه بفتح الدال[1]: فهو اسم مفعول، ومن قرأه بالكسر: فهو اسم فاعل. وصحَّ معنىٰ القراءتين؛ لأن الملائكة المنزلين تَبِعَ بعضُهم بعضًا، فمنهم تابعون ومتبوعون.

﴿١٠﴾ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ الضمير عائد علىٰ الوعد، أو علىٰ الإمداد بالملائكة.

﴿١١﴾ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ ﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ﴾، أو منصوبٌ: بـ﴿النَّصْرُ﴾[2]، أو بما في ﴿عِندِ اللَّهِ﴾ من معنىٰ النصر[3]، أو بإضمار فعل تقديره: اذكر. ومن قرأ ﴿يُغْشِيكُمُ﴾ -بضم الياء والتخفيف-[4]: فهو من أَغْشَىٰ، ومن قرأ بالضم والتشديد: فهو

(١) قرأ نافع بفتح الدال، وقرأ الباقون بالكسر.

(٢) التقدير: وما النصر إذ يغشيكم النعاس إلا من عند الله. البحر المحيط (١١/ ٣١).

(٣) كذا! وفي الكشاف (٧/ ٣٨): «من معنىٰ الفعل» الذي هو: استقرَّ، فيكون التقدير: استقرار النصر من عند الله وقتَ غَشْيِ النعاس. البحر المحيط (١١/ ٣١).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿يَغْشَاكم﴾ بفتح الياء والشين وألف بعدها و﴿النعاسُ﴾ بالرفع، وقرأ نافع ﴿يُغْشِيكُم﴾ بضم الياء وكسر الشين وياء بعدها ونصب ﴿النعاسَ﴾، وقرأ الباقون ﴿يُغَشِّيكم﴾ بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين ونصب ﴿النعاسَ﴾.

من غشَّىٰ المشدَّد، وكلاهما يتعدَّىٰ إلىٰ مفعولين؛ فنَصْبُ ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ علىٰ أنه المفعول الثاني، والمعنىٰ: يغطِّيكم به؛ فهو استعارةٌ من الغِشاء. ومن قرأ بفتح الياء والشين: فهو من غَشِي المتعدي إلىٰ واحد؛ أي: يَنزِل عليكم النعاسُ.

﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي: أمنًا، والضمير المجرور يعود علىٰ الله تعالىٰ، وانتصاب ﴿أَمَنَةً﴾ علىٰ أنه مفعول من أجله. قال ابن مسعود رضي الله عنه: النعاس عند حضور القتال علامة أمْنٍ من العدو[1].

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ تعديدٌ لنعمة أخرىٰ؛ وذلك أنهم عَدِموا الماءَ في غزوة بدر قبل وصولهم إلىٰ بدر -وقيل: بعد وصولهم-، فأنزل الله لهم المطر حتىٰ سالت الأودية.

﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ كان منهم من أصابته جنابة فتطهَّر بماء المطر، وتوضأ به سائرُهم، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطُّهور[2] ولا للوُضوء.

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ كان الشيطان قد ألقىٰ في نفوس بعضهم وسوسةً بسبب عدمهم الماء، فقالوا: نحن أولياء الله وفينا رسوله فكيف نبقىٰ بلا ماء؟ فأنزل الله المطر، وأزال عنهم وسوسة الشيطان.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يثبِّتها بزوال ما وسوس لها الشيطان، وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ الضمير في ﴿بِهِ﴾ عائدٌ علىٰ الماء؛ وذلك أنهم كانوا في رَمْلَةٍ دَهْسةٍ[3] لا يثبت بها قدم، فلما نزل المطر تلبَّدت وتَدَمَّثَ الطريق، وسهل للمشي والوقوف. وروي: أن ذلك المطر بعينه صعَّب الطريق علىٰ المشركين؛ فتبيَّن أن ذلك من لطف الله.

(١٢) ﴿إِذْ يُوحِي﴾ يَحتمل أن يكون بدلًا من «إذ» المتقدمة، كما أنها بدل من التي قبلها، أو يكون العامل فيه ﴿وَيُثَبِّتَ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٣)، وابن المنذر في تفسيره (٢/ ٤٥٤) بلفظ: «النعاس في القتال أمنة، والنعاس في الصلاة من الشيطان».

(٢) في أ، ب: «للطهر».

(٣) الدَّهْسة: الأرض السهلة اللينة التي يثقل فيها المشي، وتغيب فيها القوائم. لسان العرب (٧/ ٣٩٢).

﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ (**يَحتمل أن يكون هذا**)[1] **التَّثبيت**: بقتال الملائكة مع المؤمنين، أو بأقوال مُؤَنِّسةٍ مقوِّية للقلب قالوها إذ تصوَّروا في صور بني آدم، أو بإلقاءٍ في نفوس المؤمنين.

﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ **يَحتمل أن يكون** من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر؛ تكميلًا لتثبيت المؤمنين، أو استئنافَ إخبارٍ عما يفعله الله في المستقبل.

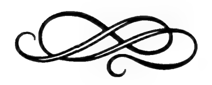
﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ **يَحتمل -أيضًا- أن يكون**: خطابًا للملائكة، أو للمؤمنين. **ومعنىٰ** ﴿فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾: أَعاليَ الأعناق؛ حيث المَفصِل بين الرأس والعُنق؛ لأنه مَذْبَحٌ، والضرب فيها يطيِّر الرأس. **وقيل**: المراد الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق، **وقيل**: المراد الأعناق، و﴿فَوۡقَ﴾ زائدةٌ.

﴿كُلَّ بَنَانٖ﴾ **قيل**: هي المفاصل، **وقيل**: الأصابع؛ وهو أشهر في اللغة، **وفائدة ذلك**: أن الـمُقاتِل إذا ضُرِبت أصابعه تعطَّل من القتال فأمكن أَسْرُه وقتله.

(١٣) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ الإشارةُ إلىٰ ما أصاب الكفارَ يوم بدر، والباء للتعليل، و﴿شَآقُّواْ﴾: من الشِّقاق؛ وهو العداوة والمقاطعة.

(١٤) ﴿ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ﴾ الخطاب -هنا- للكفار. و﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ مرفوع تقديره: ذلكم العقاب أو العذاب، ويَحتمل أن يكون منصوبًا بقوله: ﴿فَذُوقُوهُ﴾، كقولك: زيدًا فاضربه.

﴿وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ **عطفٌ** علىٰ ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ علىٰ تقدير رفعه، أو نصبه، **أو** مفعولٌ معه، والواو بمعنىٰ «مع».



(١) سقط من ب، ج، هـ.

*﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٦ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٧ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ۝١٨ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٩﴾

۝١٥ ﴿زَحْفًا﴾ حالٌ من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أو من الفاعل في ﴿لَقِيتُمُ﴾. ومعناه: متقابلي الصفوف والأشخاص، وأصل الزحف: الاندفاع.

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ نهيٌ عن الفرار، مقيَّدٌ بأن لا يكون[1] الكفارُ أكثرَ من مِثْلَي المسلمين حسَبما يُذكَر في موضعه.

۝١٦ ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ اللقاء، في أي عصرٍ كان.

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ هو الكرُّ بعد الفر؛ ليُرِيَ عدوَّه أنه منهزم، ثم يَعطِف عليه، وذلك من الخِداع في الحرب.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أي: منحازًا إلىٰ جماعة من المسلمين. فإن كانت الجماعة حاضرةً في الحرب: فالتحيُّز إليها جائز باتفاقٍ. واختُلف في التحيز إلىٰ المدينة والإمام والجماعة إذا لم يكن شيءٌ من ذلك حاضرًا، ويروىٰ عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال: «أنا فئةٌ لكل مسلم»[2]، وهذا إباحة لذلك. والفرار من الذنوب الكبائر.

وانتصب قوله: ﴿مُتَحَرِّفًا﴾ علىٰ الاستثناء من قوله: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ﴾، وقال الزمخشري:

(١) في أ، ب، د: «بأن يكون».
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٨٠-٨١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٣٧٦)، وعبد الرزاق (٩٥٢٤)، والبيهقي (١٨٠٨٤) من طريق الشافعي، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٩/ ١٤٢).

انتصب على الحال، و«إلَّا» لغوٌ[1].

ووزن «متحيِّز»: مُتَفَيْعِل، ولو كان على متفعِّل لقال: «متحوِّز»، لأنه من حاز يحوز.

(١٧) ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي: لم يكن قتْلهم في قدرتكم؛ لأنهم أكثر منكم وأقوى، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بتأييدكم عليهم وبالملائكة.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ كان رسول الله ﷺ قد أخذ يوم بدر قبضةً من تراب أو حصى ورمى بها وجوه الكفار فانهزموا[2]. فمعنى الآية: أن ذلك من الله في الحقيقة.

﴿بَلَآءً حَسَنًا﴾ يعني: الأجر والنصر والغنيمة.

(١٨) ﴿مُوهِنُ﴾ من الوَهْن؛ وهو الضَّعف، وقرئ بالتشديد والتخفيف[3]؛ والمعنى واحدٌ.

(١٩) ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ الآيةَ؛ خطاب لكفار قريش، وذلك أنهم كانوا قد دعوا إلى الله أن ينصر أحبَّ الطائفتين إليه -وروي أن الذي دعا بذلك أبو جهل[4]-، فنصر الله المؤمنين، وفتَح لهم. ومعنى ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾: تطلبوا الفتح. ويَحتمل الفتح الذي طلبوه أن يكون بمعنى النصر، أو بمعنى الحُكْم. وقيل: إن الخطاب للمؤمنين.

﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إن كان الخطاب للكفار: فالفتح هنا بمعنى الحكم؛ أي: قد جاءكم الحكم الذي حكَم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر.

---

(١) انظر: الكشاف (٧/ ٥١)، وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٢٩٣): «ولا يريد الزمخشري بقوله «و(إلا) لغو» أنها زائدة، إنما يريد أن العامل الذي هو ﴿يولهم﴾ وصَل إلى العمل فيما بعدها، كما قالوا في «لا» من قولهم: «جئتُ بلا زاد» إنها لغو، وفي الحقيقة هو استثناء من حالة محذوفة والتقدير: ومن يولهم ملتبسًا بأية حالة إلا في حال كذا».

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٨٥-٨٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٣) عن ابن زيد، وأخرجه الطبري أيضا عن محمد بن كعب القرظي.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿مُوَهِّنٌ كيدَ﴾ بتشديد الهاء والتنوين ونصب ﴿كيدَ﴾، وروى حفص عن عاصم: ﴿مُوهِنُ كَيْدِ﴾ بالتخفيف من غير تنوين وخفض ﴿كيدِ﴾، وقرأ الباقون: ﴿مُوهِنٌ كيدَ﴾ بالتخفيف والتنوين والنصب.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٩٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٥) والنسائي في الكبرى (١١١٣٧)، وأحمد (٢٣٦٦١)، والحاكم (٣٢٦٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير.

وإن كان الخطاب للمؤمنين: فالفتح هنا يَحتمل أن يكون: بمعنىٰ الحكم؛ لأن الله حكم لهم، أو بمعنىٰ النصر.

﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ أي: ترجعوا عن الكفر، وهذا يدلُّ علىٰ أن الخطاب للكفار.

﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ﴾ أي: إن تعودوا للاستفتاح أو للقتال نعدْ لقتلكم والنصر عليكم.



يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ **الضمير للرسول ﷺ، أو للأمر بالطاعة.**

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ **أي: تسمعون القرآن والمواعظ.**

﴿٢١﴾ ﴿كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ **هم الكفار؛ أي: سمعوا بآذانهم دون قلوبهم، فسماعهم كلا سماعٍ.**

﴿٢٢﴾ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ **أي: كل مَن يَدِبُّ، والمقصود: أن الكفار شرُّ الخلق. قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار[1]؛ فإنهم جدُّوا في القتال مع المشركين.**

﴿٢٤﴾ ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ **أي: للطاعة، وقيل: للجهاد؛ لأنه يُحيي[2] بالنصر.**

﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ **قيل: يُميته، وقيل: يُصرِّف قلبه كيف يشاء؛ فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان، وشبه ذلك.**

﴿٢٥﴾ ﴿فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ **أي: لا تصيب الظالمين وحدهم، بل تصيب معهم مَن لم يغيِّر المنكر ولم ينهَ عن الظلم؛ وإن كان لم يَظلِم.**

---

(١) عزاه إلى ابن قتيبة! وهو ثابت في البخاري (٤٦٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في د: «يجيء».

وحكىٰ الطبري أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وطلحة والزبير رضي الله عنهم، وأن الفتنة: ما جرىٰ لهم يوم الجمل[1].

ودخلت النون في ﴿تُصِيبَنَّ﴾ ؛ لأنه بمعنىٰ النهي.

(٢٦) ﴿إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٌ﴾ الآيةَ؛ أي: حين كانوا بمكة، و﴿ءَاوَىٰكُمۡ﴾ بالمدينة، و﴿أَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ في بدر وغيرها.

(٢٧) ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾ نزلت في قصة أبي لُبَابة رضي الله عنه، حين أشار إلىٰ بني قريظة أن ليس عند رسول الله ﷺ إلَّا الذَّبح[2]. وقيل: المعنىٰ: لا تخونوا بغُلول الغنائم. ولفظها عامٌّ.

﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿لَا تَخُونُواْ﴾[3]، أو منصوب[4].



(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١١٣).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٤) عن عبد الله بن أبي قتادة، وأخرجه الطبري أيضا عن الزهري.

(٣) فمكانه علىٰ هذا جزمٌ. المحرر الوجيز (٤/ ١٧٠).

(٤) بإضمار أن، تقديره: «وأن تخونوا أماناتكم». المحرر الوجيز (٤/ ١٧٠).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ *وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٢٩﴾ ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي: تَفْرِقةً بين الحق والباطل؛ وذلك دليلٌ على أن التقوى تنوِّر القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة.

﴿٣٠﴾ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عطفٌ على ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾، أو استئنافٌ. وهي إشارةٌ إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدي.. الحديثَ بطوله[1].

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي: يَسجُنوك.

﴿٣١﴾ ﴿قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث؛ كان قد تعلم من أخبار فارس والروم، فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال: لو شئت لقلت مثل هذا[2]، وقيل: هي في سائر قريش.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣٤) من طريق ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٩) عن سعيد بن جبير والسدي، وأخرجه الطبري أيضا عن ابن جريج.

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: أخبارهم المسطورة.

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ﴾ الآيةَ؛ **قائلها**[١]: النضر بن الحارث، أو سائر قريش؛ لـمَّا كذَّبوا النبي ﷺ **دعوا على أنفسهم** إن كان أمرُه هو الحق. **والصَّحيح** أن الذي دعا بذلك أبو جهل. رواه البخاري ومسلم في كتابيهما[٢]. وانتصب ﴿ٱلْحَقَّ﴾؛ لأنه خبر كان.

وقال الزمخشري: معنى كلامهم جحودٌ؛ أي: إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابًا، **وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم**، إنما مرادهم نفيُ العقوبة عن أنفسهم[٣].

﴿٣٣﴾ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ إكرامٌ للنبي ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمانٌ من العذاب. **قال بعض السلف**: كان لنا أمانان من العذاب؛ وهما: وجود النبي ﷺ، والاستغفار، فلما مات النبي ﷺ ذهب الأمان الواحد، وبقي الآخر[٤]. **وقيل**: الضمير في ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾ للكفار، وفي ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم.

﴿٣٤﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ **المعنى**: أيُّ شيءٍ يَمنع من عذابهم.

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يَمنعون المؤمنين من المسجد الحرام، والجملة في موضع الحال، وذلك هو[٥] الموجِب لعذابهم.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ **الضمير**: للمسجد الحرام، أو لله تعالى.

﴿٣٥﴾ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ **المكاء**: التَّصفير بالفم، **والتصدية**: التَّصفيق باليد، وكانوا يفعلونهما إذا صلى المسلمون؛ ليَخلِطوا عليهم صلاتَهم.

---

(١) في د: «قالها».

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٢٧٩٦) عن أنس ﵁.

(٣) انظر: الكشاف (٧/ ٨٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٥١-١٥٣) من قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وأبي العلاء ﵃.

(٥) في أ، ب: «من».

﴿٣٦﴾ ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ الآيةَ؛ نزلت في إنفاق قريش في غزوة أحد[1]. وقيل: إنها نزلت في أبي سفيان بن حرب؛ فإنه استأجر ألفين من الأحابيش[2] فقاتل بهم النبي ﷺ يوم أحد[3].

﴿تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: يتأسَّفون على إنفاقها من غير فائدة، أو يتأسفون في الآخرة.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ إخبارٌ بالغيب.

﴿٣٧﴾ ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ معنى ﴿يَمِيزَ﴾ : يفرِّق بين الخبيث والطيب. **والخبيث هنا**: الكفار، **والطيب**: المؤمنون، **وقيل: الخبيث**: ما أنفقه الكفار، **والطيب**: ما أنفقه المؤمنون، واللام في ﴿لِيَمِيزَ﴾ -على هذا- تتعلَّق بـ﴿يُغْلَبُونَ﴾ ، وعلى الأول: بـ﴿يُحْشَرُونَ﴾ .

﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾ أي: يضمَّه ويجعلَ بعضه فوق بعض.



---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٧٣) وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٨) عن ابن إسحاق.

(٢) في أ: «الأحباش»، وفي ب، ج، هـ: «الأحابش»، وفي سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٣): «قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهُوْن ابن خزيمة بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة. قال ابن هشام: تحالفوا جميعا، فسموا الأحابيش؛ لأنهم تحالفوا بوادٍ يقال له الأَحْبَش بأسفل مكة».

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٧٠) وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٧) عن سعيد بن جبير وغيره.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣٩ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤١ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۝٤٢ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٤٣ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤٤ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤٥﴾

﴿٣٨﴾ ﴿إِن يَنتَهُوا۟﴾ يعني: عن الكفر؛ لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، ولا تصحُّ المغفرة إلَّا به.

﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾ يعني: إلىٰ القتال.

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تهديدٌ بما جرىٰ لهم يوم بدر، أو بما جرىٰ للأمم السالفة.

﴿٣٩﴾ ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الفتنة هنا: الكفر؛ فالمعنىٰ: قاتلوهم حتىٰ لا يبقىٰ كفرٌ، فهو كقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله»[1].

﴿٤١﴾ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ لفظه عامٌّ يراد به الخصوص؛ لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار: منها ما يخمَّس؛ وهو ما أُخِذ علىٰ وجه الغلَبة بعد القتال. ومنها ما لا يخمس، بل يكون جميعه لمن أخَذه؛ وهو ما أخَذه مَن كان ببلاد الحرب من غير إيجافٍ، وما طرحه العدو خوف الغرق.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠) عن أبي هريرة ﷺ.

ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته، ويصرِف سائرَه في مصالح المسلمين؛ وهو الفيءُ الذي لم يُوجَف عليه بخيل ولا ركاب.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآيَةَ؛ اختُلف في قَسْم الخُمس على هذه الأصناف: فقال قوم: يصرف على ستة أسهم: سهم الله[1] في عمارة الكعبة، وسهم النبي[2] ﷺ في مصالح المسلمين - وقيل: للوالي[3] بعده-، وسهمٌ لذوي القربى الذين لا تحلُّ لهم الصدقة، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل.

وقال الشافعي[4]: على خمسة أسهم، ولا يَجعل لله سهمًا مختصًّا، وإنما بدأ -عنده- بالله؛ لأن الكلَّ مُلكه.

وقال أبو حنيفة: على ثلاثة أسهم: لليتامى، والمساكين، وابن السبيل خاصة.

وقال مالك: الخمس إلى اجتهاد الإمام، يأخذ منه كفايته، ويصرف الباقيَ في المصالح.

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ﴾ راجعٌ إلى ما تقدم، والمعنى: إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذَكر الله لكم من قسمة الخمس، واعملوا بحسَب ذلك ولا تخالفوه.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني: النبي ﷺ. والذي أنزل عليه: القرآن أو النصر.

﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أي: التَّفرقة بين الحق والباطل، وهو يوم بدر.

﴿ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ يعني: المسلمين والكفار.

﴿٤٢﴾ ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿ٱلْتَقَى﴾ . والعُدْوة: شَفِير الوادي، وقرئ بالضم والكسر[5]؛ وهما لغتان. و﴿ٱلدُّنْيَا﴾: القريبة من المدينة، و﴿ٱلْقُصْوَىٰ﴾: البعيدة.

---

(١) في أ، ب: «لله».

(٢) في أ، ب: «للنبي».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «للموالي».

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/ ٢٢٧).

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر العين، وقرأ الباقون بضمها.

﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني: العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكَب عن الطريق؛ خوفًا من النبي ﷺ، وكان جمْعُ قريشٍ المشركين قد حال بين المسلمين وبين العِير.

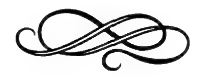
﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي: لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتَهم وقلَّتكَم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم، أو: لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه.

﴿٤٢﴾ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي: يموت من مات ببدر عن إعذار وإقامة حجة عليه، ويعيش من عاش بعد البيان له، وقيل: ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ : يكفر، ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ : يؤمن. وقرئ ﴿مَنْ حَيِيَ﴾ بالإظهار والإدغام[1]؛ وهما لغتان.

﴿٤٣﴾ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ الآيَةَ؛ كان رسول الله ﷺ قد رأىٰ الكفار في نومه قليلًا، فأَخبر بذلك أصحابه فقويت نفوسهم.

﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ أي: جبنتم عن اللقاء.

﴿٤٤﴾ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الآيَةَ؛ معناها: أن الله أظهر كل طائفة قليلةً في عين الأخرىٰ؛ ليقع التجاسر علىٰ القتال.



(١) قرأ نافع والبَزي عن ابن كثير وشعبة عن عاصم: ﴿مَن حَيِيَ﴾ بالإظهار، وقرأ الباقون ﴿مَن حيَّ﴾ بالإدغام.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

﴿٤٦﴾ ﴿رِيحُكُمْ﴾ أي: قوتكم ونشاطكم؛ وذلك استعارةٌ.

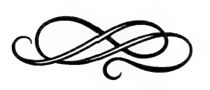
﴿٤٧﴾ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ يعني: قريشًا الكفار حين خرجوا لبدرٍ.

﴿بَطَرًا﴾ أي: اعتداءً(١) وتكبرًا.

﴿٤٨﴾ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الآيةَ؛ لما خرجت قريش إلىٰ بدر تصوَّر لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، فقال لهم: إني جارٌ لكم من قومي -وكانوا قد خافوا من قومه-، ووعدهم النصر(٢).

﴿نَكَصَ﴾ أي: رجع إلىٰ وراءَ.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ رأىٰ(٣) الملائكةَ تقاتل.



(١) في هامش أ: «عتوًّا».

(٢) في أ، ب: «بالنصر».

(٣) في أ، ب، ج: «أي».

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾

﴿٤٩﴾ ﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الذين كانوا بالمدينة. وقيل: الذين كانوا مع الكفار، وهم نفرٌ من قريش؛ منهم: قيس[1] بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زَمَعة[2] بن الأسود، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن منبِّه بن الحجاج؛ وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة[3].

﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ أي: اغترَّ المسلمون بدينهم، فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به.

﴿٥٠﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ ذلك فيمن قُتِل يوم بدر.

﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أي: أَسْتاهَهُم، وقيل: ظهورَهم.

---

(١) كذا في النسخ الخطية! وفي تفسير الطبري وسيرة ابن هشام (١/ ٦٤١): «أبو قيس».

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «ربيعة»! والمثبت هو الصواب كما في تفسير الطبري، وسيرة ابن هشام (١/ ٦٤١).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٢٧) عن مجاهد.

﴿وَذُوقُواْ﴾ هذا من قول الملائكة لهم؛ تقديره: ويقولون لهم: ذوقوا. والقول المحذوف ومعموله معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾. ويَحتمل أن يكون ما بعده من قول الملائكة، أو يكون مستأنفًا.

(٥٤) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ تقديره عند سيبويه: الأمر ذلك، والباء سببية. والمعنى: أن الله لا يغيِّرُ نعمةً على عبيده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي.

(٥٥) ﴿كَدَأْبِ﴾ ذُكِر في «آل عمران»[1].

(٥٧) ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ يريد: بني قريظة.

(٥٨) ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: افعل بهم من النِّقمة ما يَزجُر غيرَهم.

(٥٩) ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي: نقضًا للعهد.

﴿فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: ردَّ العهد الذي بينك وبينهم، والمفعول محذوف؛ تقديره: فانبذ إليهم عهدَهم.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: على مَعْدلة، وقيل: معناه: أن تستوي معهم في العلم بنقض العهد.



(١) انظر تفسير الآية (١١).

وَلَا تَحْسِبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٦٠﴾ *وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾

﴿٦٠﴾ ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ أي: لا تظنَّ أنهم فاتُوا ونجَوا بأنفسهم.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: لا يفوتون في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿٦١﴾ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ **الضمير** للذين يُنبَذ إليهم العهد، أو للذين لا يُعجِزون. وحكمه عامٌّ في جميع الكفار.

﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**ألا إن القوة الرمي**»[1].

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ **الزمخشري**: الرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله[2]. **ابن عطية**: رباط الخيل: جمع رَبْط، أو مصدر[3].

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ **يعني**: الكفارَ.

﴿وَءَاخَرِينَ﴾ **يعني**: المنافقين، **وقيل**: بني قريظة، **وقيل**: الجن؛ لأنها تنفر من صهيل الخيل، **وقيل**: فارس.

والأول أرجح؛ لقوله: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[التوبة: ١٠١].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٧) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) انظر: الكشاف (٧/ ١٤١).

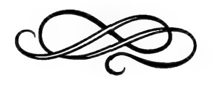
(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٢٢٧).

قال السهيلي: لا ينبغي أن يقال فيهم شيءٌ؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾، فكيف يعلمهم أحد![1] وهذا لا يلزم؛ لأن معنىٰ قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾: لا تعرفونهم؛ أي: لا تعرفون آحادهم وأعيانهم، وقد يُعرَف صنفهم من الناس، ألَا ترىٰ أنه قال مثل ذلك في المنافقين.

(٦١) ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ السَّلْم هنا: المهادنة. والآية منسوخة بآية[2] القتال في «براءة»؛ لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز.

(٦٣) ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قيل: المراد: بين قلوب الأوس والخزرج؛ إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام. واللفظ عام.

(٦٤) ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفٌ علىٰ اسم الله. وقال الزمخشري: مفعول معه، والواو بمعنىٰ «مع»؛ أي: حسبك وحسب من اتبعك الله[3].



(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص:١٢٠).
(٢) في ب، ج، هـ: «بآيات».
(٣) انظر: الكشاف (٧/ ١٤٦).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيٓءُ حَرِّضِ ٱلْمُومِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۖ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۖ وَإِن تَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفاً مِّنَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَۖ ﴿٦٦﴾ أَلَٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفاًۖ فَإِن تَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۖ وَإِن يَكُن مِّنكُمُۥٓ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَۖ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٓءٍ اَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۖ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۖ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌۖ ﴿٦٨﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذتُّمْ عَذَابٌ عَظِيمٌۖ ﴿٦٩﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلاً طَيِّباًۖ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۖ ﴿٧٠﴾

﴿٦٦﴾ **﴿إِنْ يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ الآيَةَ؛ إخبارٌ يتضمَّن وعدًا بشرط الصبر، ووجوبَ ثبوت الواحد للعشرة، ثم نُسِخ بوجوب ثبوت[1] الواحد للاثنين.**

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: يقاتلون على غير دين ولا بصيرة؛ فلا يثبتون.

﴿٦٨﴾ **﴿مَا كَانَ لِنَبِيٓءٍ اَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر رضي الله عنه بحياتهم، وأشار عمر رضي الله عنه بقتلهم، فنزلت الآية؛ عتابًا على استبقائهم[2].**

﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يبالغَ في القتل.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ عتابٌ لمن رغب في فداء الأسارى.

﴿٦٩﴾ **﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الكتاب: ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم، وقيل: ما قضاه من تحليل الغنائم لهم.**

﴿فِيمَآ أَخَذتُّمْ﴾ يراد به: الأُسارى، أو فداؤهم. ولما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر»[3].

﴿٧٠﴾ **﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ إباحةٌ للغنائم، ولفداء الأسارى.**

---

(١) في أ، ب: «بثبوت».

(٢) أخرجه مسلم (١٧٦٣) عن عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٣) وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٣٥) عن ابن زيد، وأخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما كما في الدر المنثور (٧/ ٢٠٣).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

﴿٧٠﴾ ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ أي: إن علم في قلوبكم إيمانًا جَبر عليكم ما أُخذ منكم من الفدية. قال العباس رضي الله عنه: فيَّ نزلت؛ وكان افتدىٰ يوم بدر، ثم أعطاه رسول الله ﷺ من المال ما لم يقدر أن يحمله، فقال: قد أعطاني الله خيرًا مما أُخِذ مني، وأنا أرجو أن يغفر لي(١).

﴿٧١﴾ ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ الآيةَ؛ تهديدٌ لهم.

﴿٧٢﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلىٰ آخر السورة؛ **مَقصِدها: بيان منازل المهاجرين، والأنصار، والذين آمنوا ولم يهاجروا، والذين هاجروا بعد الحديبية**. فبدأ أولًا بالمهاجرين، ثم ذكر الأنصار -وهم الذين آووا ونصروا-، وأثبت الولاية بينهم، وهي ولاية التعاون والتناصر. **وقيل**: هي ولاية الميراث، ثم نُسِخت بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ .

﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ﴾ لما نفَىٰ الولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا: أمر بنصرهم إذا استنصروا بالمؤمنين، إلَّا إذا استنصروا علىٰ قوم بينهم وبين المؤمنين عهد، فلا ينصروهم عليهم.

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٥).

(٧٤) ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿إِلَّا﴾ هنا مركَّبة من «إنْ» الشرطية و«لا» النافية. والضمير في ﴿تَفْعَلُوهُ﴾ : لولاية المؤمنين ومعاونتهم، أو لحفظ الميثاق الذي في قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾، أو للنصر الذي في قوله: ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ . والمعنىٰ: إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة.

(٧٥) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾ الآيةَ؛ ثناءٌ علىٰ المهاجرين والأنصار، ووعد لهم. والرزق الكريم: في الجنة.

(٧٦) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾ يعني: الذين هاجروا من بعد الحديبية وبيعة الرضوان.

﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ قيل: هي ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار. وقال مالك[1]: ليست في الميراث. وقال أبو حنيفة[2]: هي في الميراث؛ وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوي الأرحام.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في القرآن، وقيل: في اللوح المحفوظ.

---

(١) والشافعي.

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٨/ ١٥٩).



سُورَةُ بَرَاءَة

وتسمَّىٰ: سورة التوبة، وتسمىٰ -أيضًا- الفاضحة؛ لأنها كشَفت أسرار المنافقين.

واتفقت المصاحف والقرَّاء علىٰ إسقاط البسملة من أولها.

واختُلف في سبب ذلك:

فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: أشبهت معانيها معانيَ «الأنفال»، وكانت تدعىٰ[1] القرينتين في زمان رسول الله ﷺ؛ فلذلك قَرنتُ بينهما ووضعتُها[2] في السبع الطِّوال[3].

وكان الصحابة قد اختلفوا: هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ فتُرِكتَ البسملةُ بينهما لذلك.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: البسملة أمان، و«براءة» نزلت بالسيف، فلذلك لم تبدأ بالأمان[4].



(١) في هامش أ: «تدعيان».

(٢) في أ، د: «ووضعتهما» والمثبت موافق لما في الرواية.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٩)، وأبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦) وحسنه، والنسائي في الكبرىٰ (٧٩٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٣)، والحاكم (٢٨٧٥) وصححه، وحسنه ابن حجر في موافقة الخُبْر الخَبَر (١/ ٤٥).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٢٧٣).

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

﴿١﴾ ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ المراد بالبراءة: التبرِّي من المشركين. وارتفاع ﴿بَرَآءَةٌ﴾ على أنه: خبر ابتداء، أو مبتدأٌ[1].

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تقدير الكلام: براءة واصلةٌ من الله ورسوله إلىٰ الذين عاهدتم من المشركين ، فـ«مِن» و«إلىٰ» يتعلَّقان بالمحذوف، لا بـ﴿بَرَآءَةٌ﴾. وإنما أسند العهد إلىٰ المسلمين في قوله: ﴿عَٰهَدتُّم﴾ ؛ لأن فِعْل الرسول ﷺ لازمٌ للمسلمين، فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين.

وكان النبي ﷺ قد عاهد المشركين إلىٰ آجالٍ محدودة، فمنهم من وفَّىٰ، فأمر الله أن يُتَمَّ عهدُه إلىٰ مدته، ومنهم من نقَض، أو قارب النقْض، فجُعل له أجلٌ أربعة أشهر، وبعدها لا يكون له عهدٌ.

﴿٢﴾ ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سيروا آمنين أربعةَ أشهر، وهي الأجل الذي جعل لهم. واختُلف في وقتها: فقيل: هي شوال وذو قَعدة وذو حِجة والمحرَّم؛ لأن السورة نزلت حينئذ، وذلك عام تسعة. وقيل: هي من عيد الأضحىٰ إلىٰ تمام العَشر الأوَّل من ربيع

(١) والخبر: ﴿إلىٰ الذين﴾. المحرر الوجيز (٤/ ٢٥٣).

الآخر؛ لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث تلك السنة أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحجَّ بالناس، ثم بعث بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة، وقيل: يوم النحر.

﴿غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي: لا تَفوتونه.

(٣) ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ أي: إعلام بتبرُّؤ الله تعالىٰ ورسولِه ﷺ من المشركين.

﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ جعَل البراءة مختصَّةً بالمعاهدين من المشركين[1]، وجعل الإعلام بالبراءة عامًّا لجميع الناس؛ من عاهد، ومن لم يُعاهِد، وللمشركين وغيرهم.

﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ هو يوم عرفة، أو يوم النحر. وقيل: أيام الموسم كلها؛ وعبر عنها بيوم؛ كقولك: يوم صفين والجمل وكانت أيامًا كثيرة.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ﴾ تقديره: أذان بأن الله بريء، وحذفت الباء تخفيفًا. وقرئ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ بالكسر[2]؛ لأن الأذان في معنىٰ القول.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ ارتفع بالعطف علىٰ الضمير في ﴿بَرِيٓءٌ﴾ ، أو بالعطف علىٰ موضع اسم ﴿أَنَّ﴾ ، أو بالابتداء، وخبره محذوف. وقرئ بالنصب[3]؛ عطفًا علىٰ اسم ﴿أَنَّ﴾ . وأما الخفض[4] فلا يجوز فيه العطف علىٰ ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ؛ لأنه معنىٰ فاسد، ويجوز علىٰ الجوار، أو علىٰ القسَم، وهو -مع ذلك- بعيدٌ، والقراءة به شاذَّة.

﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ يعني: التوبة من الكفر.

(٤) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ يريد: الذين لم ينقضوا.

(٥) ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ يعني: الأشهر الأربعة التي جعلت لهم: فمن قال: إنها شوال وذو قَعدة وذو حِجة والمحرم: فهي الحُرُم المعروفة، زاد فيها شوال، ونقص

(١) من قوله: ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ إلىٰ هنا سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٢) هي قراءة الحسن البصري والأعرج. المحرر الوجيز (٤/ ٢٥٨).

(٣) هي قراءة ابن أبي إسحاق، وعيسىٰ بن عمر، وهي من القراءات الشاذة. المحرر الوجيز (٤/ ٢٥٩).

(٤) ذكر في الكشاف (٧/ ١٧٤) أنه قرئ بالجر، ولم ينسبها لأحد، وفي البحر المحيط (١١/ ١٨٥): «ورويت عن الحسن».

رجب، وسمِّيت حُرمًا؛ تغليبًا للأكثر. **ومن قال:** إنها إلىٰ ربيع الثاني: فسمِّيت حرمًا؛ لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ.

﴿فَاقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ ناسخةٌ لكل موادَعة في القرآن، **وقيل:** إنها نَسخت أيضًا: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

وقيل: بل نَسختْها هي؛ فيجوز المنُّ والفداء.

﴿وَخُذُوهُمْ﴾ معناه: الأَسر، والأَخِيذ: هو الأسير.

﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كلَّ طريق، ونصْبُه علىٰ الظرفية.

﴿فَإِن تَابُواْ﴾ يريد: مِن الكفر، ثم قرن بالإيمان الصلاةَ والزكاة؛ فذلك دليل علىٰ قتال تارك الصلاة والزكاة، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه. والآية في معنىٰ قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**»[1].

﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ تأمينٌ لهم.

(٦) ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ هو من الجوار؛ أي: استأمنك فأمِّنه حتىٰ يسمع القرآن؛ ليَرىٰ هل يُسلِم أم لا.

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي: إن لم يُسلِم فرُدَّه إلىٰ موضعه. وهذا الحُكْم ثابت عند قوم، **وقال قوم:** نُسِخ بالقتال، **وقيل:** بقي مدة الأربعة الأشهر.



(١) تقدم تخريجه.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اِسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَّظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلّاً وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَابَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اِشْتَرَوْاْ بِـَٔايَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُومِنٍ اِلّاً وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الاَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ *وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَيِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّومِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَّشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ اَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُومِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

﴿٧﴾ ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ لفظه[1] استفهام، ومعناه: إنكار واستبعاد.

﴿إِلاَّ الذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ **قيل**: المراد قريش، **وقيل**: قبائل بني بكر.

﴿فَمَا اِسْتَقَامُواْ﴾ «ما» ظرفية.

﴿٨﴾ ﴿كَيْفَ﴾ تأكيدٌ للأولىٰ، وحذف الفعل بعدها؛ للعلم به، تقديره: كيف يكون لهم عهد؟

﴿لاَ يَرْقُبُواْ﴾ أي: لا يُراعوا.

﴿إِلّاً وَلاَ ذِمَّةً﴾ **الإِلُّ**: القرابة، **وقيل**: الحِلْف. **والذمة**: العهد.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ استثنىٰ[2] من قضىٰ له منهم بالإيمان.

(١) في أ، ب، ج، هـ: «لفظ».

(٢) في ب، ج، د: «استثناء».

﴿١٢﴾ ﴿أَيِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ أي: رؤساءَ أهلِه؛ **قيل**: إنهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو. **حكىٰ ذلك الطبري**[١]، **وهو ضعيف؛ لأن أكثر** هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة.

والأحسن أنها علىٰ العموم.

﴿لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ أي: لا أَيمان لهم يوفُّون بها. **وقرئ**: ﴿لَآ إِيْمَٰنَ﴾ بكسر الهمزة[٢].

﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ يتعلَّق بـ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ **قيل**: يعني: إخراجه من المدينة حين قاتلوه بأحد والخندق، **وقيل**: يعني إخراجه من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة، ثم خرج هو بنفسه.

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: إذايَتَهم للنبي ﷺ والمسلمين بمكة.

﴿١٤﴾ ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يريد[٣]: بالقتل والأسر، وفي ذلك وعدٌ للمسلمين بالظَّفَر.

﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ **قيل**: إنهم خزاعة. **والإطلاق أحسن.**

﴿١٥﴾ ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ استئنافُ إخبارٍ بأن الله يتوب علىٰ بعض هؤلاء الكفار فيُسلِم.

﴿١٦﴾ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الله لا يتركُهم دون تمحيصٍ يظهر به الطيب من الخبيث. و﴿أَمْ﴾ هنا بمعنىٰ: بل والهمزة. و﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ أي: يعلم ذلك موجودًا؛ لتقوم به الحجة.

﴿وَلِيجَةً﴾ أي: بطانةً.



---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٦٣).

(٢) قرأ ابن عامر بكسر الهمزة، والباقون بفتحها.

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «الله».

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ *أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

﴿١٧﴾ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس لهم ذلك بالحق والواجب، وإن كانوا قد عمروها تغلُّبًا[1] وظلمًا. ومن قرأ ﴿مَسَٰجِدَ﴾ بالجمع[2]: أراد جميع المساجد، ومن قرأ بالتوحيد: أراد المسجد الحرام.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ أي: أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر. وقيل: الإشارةُ إلىٰ قولهم في التلبية: «لا شريك لك، إلَّا شريكًا هو لك».

﴿١٩﴾ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ الآيةَ؛ سببها: أن قومًا من قريش افتخروا بسقاية الحاج، وبعمارة المسجد الحرام؛ فبيَّن الله أن الجهاد أفضل من ذلك[3]. ونزلت الآية في علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن شيبة رضي الله عنهم، افتخروا؛ فقال طلحة:

---

(١) في أ، ب، هـ: «تغليبًا».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿مسجدَ الله﴾ بالتوحيد، وقرأ الباقون بالجمع.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٧٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

أنا صاحب البيت وعندي مفاتحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية، وقال علي: لقد أسلمت قبل الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ[1].

(٢٣) ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ﴾ الآيةَ؛ قيل: نزلت فيمن تثبَّط عن الهجرة[2]. ولفظها عامٌّ، وكذلك حكمها.

(٢٤) ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ وعيدٌ لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه علىٰ الهجرة والجهاد.

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ قيل: يعني: فتح مكة، وقيل: هو إشارةٌ إلىٰ عذاب أو عقوبة.



(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٨٠) عن القرظي والسدي.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٨٤) وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٧٠) عن مجاهد.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾

﴿٢٥﴾ ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ عطفٌ على ﴿مَوَاطِنَ﴾ . أو منصوبٌ بفعل مضمر، وهذا أحسن؛ لوجهين: أحدهما: أن قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ مختصٌّ بحنين، ولا يصح في غيره من المواطن؛ فيَضعُف عطف (يوم حنين على المواطن؛ للاختلاف الذي بينهما في ذلك. والآخر: أن ﴿مَوَاطِنَ﴾ ظرف مكان، و﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ ظرف زمان؛ فيضعف عطف)[1] أحدهما على الآخر، إلَّا أن يريد بالمواطن الأوقات. وحُنين: اسم علمٍ لموضعٍ عُرِف برجل اسمه حنين، وانصرف لأنه مذكَّر.

﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كانوا يومئذ اثني عشر ألفًا، فقال بعضهم: لن نُغلَب اليوم من قلَّة، فأراد الله إظهار عجزهم، ففرَّ الناس عن رسول الله ﷺ، حتى بقي على بغلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله، وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار وقال: «شاهت الوجوه»[2]، ونادى بأصحابه[3] فرجعوا إليه، وهزم الله الكفار.

وقصة حنين مذكورة في السِّيَر.

﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: ضاقت على كثرة اتساعها، و«ما» هنا: مصدرية.

---

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٧) عن سلمة بن الأكوع ﷺ.

(٣) في أ، ب، هـ: «أصحابه».

(٢٦) ﴿وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكةَ.

(٢٧) ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اُ۬للَّهُ﴾ إشارةٌ إلىٰ إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين.

(٢٨) ﴿إِنَّمَا اَ۬لْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قيل: إن نجاستهم بكفرهم، وقيل: بالجنابة.

﴿فَلَا يَقْرَبُواْ اُ۬لْمَسْجِدَ اَ۬لْحَرَامَ﴾ نصٌّ علىٰ منع المشركين -وهم عبَدة الأوثان- من المسجد الحرام، فأجمع العلماء علىٰ ذلك. وقاس مالك علىٰ المشركين: سائرَ الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وقاس علىٰ المسجد الحرام: سائرَ المساجد، فمنع جميعَ الكفار من جميع المساجد.

وجعلها الشافعي[(١)] عامة في الكفار، خاصةً بالمسجد الحرام، (فمَنع جميعَ الكفار من دخول المسجد الحرام خاصة)[(٢)]، وأباح لهم دخول غيره[(٣)].

وقصَرها أبو حنيفة علىٰ موضع النصِّ؛ فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة، وأباح لهم دخول سائر المساجد، وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۖ﴾ يريد: عامَ تسعة من الهجرة؛ حين حج أبو بكر ﵁ بالناس، وقرأ عليهم عليٌّ ﵁ سورة «براءة».

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي: فقرًا. كان المشركون يجلبون الأطعمة إلىٰ مكة، فخاف الناس قلة القوت بها إذ مُنِعَ المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها، وتمادىٰ جلب الأطعمة إلىٰ مكة ثم فتح الله للمسلمين[(٤)] سائرَ الأمصار.

---

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/ ٤٦٦).

(٢) سقط من ب، ج، هـ.

(٣) ومذهب أحمد أنه لا يجوز لهم دخول مساجد الحل بغير إذن المسلمين، فإن أذن لهم مسلم ففي جواز دخولها روايتان، قال ابن قدامة وابن أبي عمر: «جاز في الصحيح من المذهب». المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٠/ ٤٧٣).

(٤) في أ، ب، هـ: «ثم فتح المسلمون».

(٢٩) ﴿قَٰتِلُواْ ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ اِلاَخِرِ﴾ أمرٌ بقتال أهل الكتاب. ونفَىٰ عنهم الإيمان بالله؛ لقول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارىٰ: المسيح ابن الله، ونفىٰ عنهم الإيمان باليوم الآخر؛ لأن اعتقادهم فيه فاسد، فإنهم لا يقولون بالمعاد الجِسْماني[١].

﴿وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك.

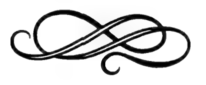
﴿وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: لا يدخلون في الإسلام.

﴿مِنَ ٱلذِينَ اُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بيان للذين أُمِر بقتالهم، وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله ﷺ إلىٰ غزوة تبوك؛ لقتال النصارىٰ[٢].

﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ اتفق العلماء علىٰ قَبول الجزية من اليهود والنصارىٰ، ويُلحَق[٣] بهم المجوس؛ لقوله ﷺ: «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب»[٤]. واختلفوا في قَبولها من عبَدة الأوثان والصابئين. ولا تؤخذ من النساء والصِّبيان والمجانين. وقَدْرها عند مالك: أربعة دنانير علىٰ أهل الذهب، وأربعون درهمًا علىٰ أهل الوَرِق، ويؤخذ ذلك من كل رأس.

﴿عَنْ يَدٍ﴾ فيه تأويلان: أحدهما: دفْع الذميِّ لها بيده، لا يبعثها مع أحد ولا يَمْطُل بها؛ كقولك: يدًا بيد. الثاني: عن استسلام وانقياد؛ كقولك: ألقىٰ فلان بيده.

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أي: أذلَّاء.



---

(١) في أ، ج، هـ: «الحسابي».

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٧) وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٧٨) عن مجاهد.

(٣) في أ: «ويلتحق».

(٤) أخرجه مالك في الموطإ (٧٥٩)، وابن أبي شيبة (٣٣٣١٩)، وعبد الرزاق (١٠٠٢٥) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وفي إسناده انقطاع. البدر المنير لابن الملقن (٧/ ٦١٧)، وقال ابن كثير (٣/ ٤١): «لم يثبت بهذا اللفظ، وإنما الذي في صحيح البخاري (٣١٥٧): عن عبد الرحمن بن عوف، أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر».

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿٣٠﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ **قال ابن عباس** ﷺ: إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود؛ وهم: سلَّام بن مِشْكَم، ونعمان بن أوفى، وشأس بن قيس، ومالك بن الصَّيف[1]. **وقيل**: لم يقلها إلا فِنْحَاص، ونَسب ذلك إلىٰ جميعهم؛ لأنهم متبعون لمن قالها. **والظاهر** أن جماعتهم قالوها؛ إذ لم ينكروها حين نُسِبت إليهم. وكان سبب قولهم ذلك: أنهم فقدوا التوراة، فحفظها عُزير وحده، فعلَّمها لهم، فقالوا: ما علَّم الله عزيرَ التوراة إلا أنه ابنه[2]. و﴿عُزَيْرٌ﴾ مبتدأ، و﴿ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ خبره. ومُنع ﴿عُزَيْرٌ﴾ التنوين[3]؛ لأنه أعجمي لا ينصرف،

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٩) وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٨١).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٨١) من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ.
(٣) قرأ عاصم والكسائي بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين.

وقيل: بل هو منصرف، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وهذا ضعيف. وأما من نوَّنه فجعله عربيًّا.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ قال أبو المعالي: «أطبقت النصارىٰ علىٰ أن المسيح إله وابن إله»[1]، وذلك كفرٌ شنيع.

﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ يتضمَّن معنيين: أحدهما: إلزامهم هذه المقالة، والتأكيد في ذلك. والثاني: أنهم لا حجة لهم عليه، وإنما هو مجرَّد[2] دعوىٰ؛ كقولك لمن تكذِّبه: هذا قولك بلسانك.

﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ معنىٰ ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: يشابهون. فإن كان الضمير لليهود والنصارىٰ فالإشارة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾: للمشركين من العرب؛ إذ قالوا: الملائكة بنات الله، وهم أول كافر، أو للصابئين، أو لأمم متقدمة. وإن كان الضمير للمعاصرين للنبي ﷺ من اليهود والنصارىٰ؛ فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾: هم أسلافهم المتقدمون.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ دعاءٌ عليهم، وقيل: معناه: لعنهم الله.

﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ تعجُّبٌ كيف يُصرَفون عن الحق والصواب!

(٣١) ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا﴾ أي: أطاعوهم كما يطاع الربُّ، وإن كانوا لم يعبدوهم.

﴿وَٱلۡمَسِيحَ﴾ معطوفٌ علىٰ الأحبار والرهبان.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ أي: أمرهم بذلك عيسىٰ عليه السلام ومحمد ﷺ.

(٣٢) ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يطفئوا نبوة محمد ﷺ وما جاء به من عبادة الله وتوحيده.

﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ إشارةٌ إلىٰ أقوالهم، كقولهم: ساحر وشاعر[3]، وفيه أيضًا إشارةٌ إلىٰ ضعف حيلتهم فيما أرادوا.

---

(١) الإرشاد، لأبي المعالي الجويني (ص: ٥١).

(٢) في ج، د: «عن».

(٣) في ب، هـ: «سحر وشعر».

﴿٣٣﴾ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ **الضمير**: للرسول ﷺ، أو للدين. **وإظهاره**: جعْلُه أعلىٰ الأديان وأقواها حتىٰ[1] عمَّ المشارق والمغارب. **وقيل**: ذلك عند نزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام حين[2] لا يبقىٰ دين إلَّا دين الإسلام.

﴿٣٤﴾ ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ هي[3]: الرُّشا علىٰ الأحكام وغير ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ ورد في الحديث أن: «كل ما أُدِّيتْ زكاته فليس بكنز، وما لم تؤدَّ زكاته فهو كنز»[4]. وقال أبو ذرٍّ وجماعة من الزهاد: كلُّ ما فضَل عن حاجة الإنسان فهو كنز[5].

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ **الضمير** للأموال والكنوز التي يتضمَّنها المعنىٰ. **وقيل**: هو للفضة، واكتفىٰ بذلك عن الذهب؛ إذ الحكم فيهما واحد.

﴿٣٥﴾ ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾ **العامل في الظرف**: ﴿أَلِيمٍ﴾، أو محذوفٌ.

﴿عَلَيْهَا﴾ الضمير يعود علىٰ ما يعود عليه ضمير ﴿يُنفِقُونَهَا﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ هي الأشهر المعروفة؛ أولها: المحرم، وآخرها: ذو الحجة.

وكان الذي جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رضي الله عنه[6].

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، **وقيل**: في القرآن. **والأوَّل أرجح**؛ لقوله: ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

---

(١) في أ، ب، هـ: «حين».

(٢) في ج، د: «حتىٰ».

(٣) في أ، ب: «هنا».

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٢٧٩)، والبيهقي (٧٢٣٣) عن ابن عمر مرفوعًا، وضعفه البيهقي والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠١)، وروي موقوفًا علىٰ ابن عمر، أخرجه عبد الرزاق (٧١٤٠)، والبيهقي (٧٢٣٠)، قال البيهقي: «هذا هو الصحيح موقوف».

(٥) قال ابن عبد البر في الاستذكار (٩/ ١٢٣): «فأما أبو ذر، فروي عنه في ذلك آثار كثيرة في بعضها شدة، كلها تدل علىٰ أنه كان يذهب إلىٰ أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك»، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٤٢).

(٦) أخرجه الحاكم (٤٢٨٧) وصححه ووافقه الذهبي.

﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ هي: رجب وذو قَعدة وذو حِجة والمحرم.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ﴾ يعني: أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم، دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام[1]، وكانت العرب قد تمسَّكت به حتىٰ غيَّره بعضهم.

﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾ الضمير في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ للأشهر الحُرُم؛ تعظيمًا لأمرها، وتغليظًا للذنوب فيها، وإن كان الظلم ممنوعًا في غيرها. وقيل: الضمير للاثني عشَر شهرًا، وهي الزمان كلُّه. والأوَّل أظهر.

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ أي: قاتلوهم في الأشهر الحرم؛ فهذا نسخٌ لتحريم القتال فيها. و﴿كَآفَّةً﴾ حال من الفاعل، أو المفعول.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ هو تأخير حرمة الشهر إلىٰ الشهر الآخر، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات، وكانت محرَّمةً عليهم في الأشهر الحرم، فيشقُّ عليهم تركها، فيجعلونها في شهر حرام ويحرِّمون شهرًا آخر بدلًا منه، وربما أحلوا المحرَّم وحرموا صفرًا حتىٰ يُكمِلوا في العام أربعة أشهر محرمة.

﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ أي: تارة يحلُّون وتارة يحرِّمون، ولم يُرِد العام حقيقةً.

﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا عدد الأشهر الحرم؛ وهو أربعة.

﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾ يعني: إحلالهم القتالَ في الأشهر الحرم.



(١) لم يرد «وإسماعيل» في أ، ب، هـ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ * إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾

﴿٣٨﴾ ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا﴾ عتابٌ[1] لمن تخلَّف عن غزوة تبوك.

﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ عبارةٌ عن تخلفهم، وأصل ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾: تَثاقلتم.

﴿٣٩﴾ ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ﴾ شرط وجزاء، وهذا العذاب: في الدنيا أو في الآخرة.

﴿٤٠﴾ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ شرط وجواب، والضمير لرسول الله ﷺ. **فإن قيل**: كيف ارتباط هذا الشرط مع جوابه[2]؟ **فالجواب**: أن المعنىٰ: إن لم تنصروه أنتم فسينصره الله الذي نصره حين كان ثاني اثنين، فدلَّ بقوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ علىٰ نصْرِه في المستقبل.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: خروجَه من مكة مهاجرًا إلىٰ المدينة، وأسند إخراجه إلىٰ الكفار؛ لأنهم فعلوا معه من الأذىٰ ما اقتضىٰ خروجه.

﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ هو ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ يعني: أبا بكر ﷺ.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يعني: بالنصر واللُّطف.

---

(١) في هـ: «خطاب».

(٢) في أ، ب، هـ: «و».

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ **الضمير**: للرسول ﷺ، **وقيل**: **لأبي بكر** رضي الله عنه؛ **لأن النبي** ﷺ **لم تزل معه السكينة**، **ويَضعف ذلك**: بأن الضمائر بعدها للرسول ﷺ.

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ **يعني**: الملائكةَ يوم بدر وغيره.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ **يريد**: **بإذلالها** ودَحْضها.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ **قيل**: **هي**: **لا إله إلا الله**، **وقيل**: الدين كله.

(٤١) ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ **أمرٌ** بالنَّفير إلىٰ الغزو. **والخفَّة**: استعارةٌ لمن يمكنه السفر بسهولة، **والثِّقَل**: مَن يمكنه بصعوبة. **وقال بعض العلماء**: **الخفيف**: الغني، **والثقيل**: الفقير. **وقيل**: **الخفيف**: الشاب، **والثقيل**: الشيخ. **وقيل**: **الخفيف**: النشيط، **والثقيل**: الكسلان. **وهذه الأقوال أمثلة** في الثقل والخفة. **وقيل**: إن هذه الآية منسوخةٌ بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلاَ عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة: ٩٢] الآية.

(٤٢) ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً﴾ الآيةَ؛ **نزلت هي وكثيرٌ مما بعدها في هذه السورة في المنافقين** الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك؛ وذلك أنها كانت إلىٰ أرض بعيدة، وكانت في شدَّة الحر وطيب الثمار والظِّلال، فثقلت عليهم، فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لعَرَضٍ من الدنيا، أو إلىٰ مسافة قريبة لفعلوه.

﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ **أي**: الطريقُ والمسافة.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ **إخبارٌ** بغيب؛ وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ **أي**: يُوقِعونها في الهلاك: بحَلِفهم الكاذب، أو بتخلُّفهم عن الغزو.



عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٣﴾ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ الآيَةَ؛ كان بعض المنافقين قد استأذن النبي ﷺ في التخلُّف عن غزوة تبوك فأذن لهم، فعاتبه الله تعالىٰ علىٰ إذنه لهم. وقدَّم العفو علىٰ العتاب؛ إكرامًا له ﷺ. وقيل: إن قوله ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ ليس لذنب ولا عتاب، ولكنه استفتاح كلام؛ كما تقول: أصلحك الله.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ كانوا قد قالوا: نستأذنه في القعود، فإن أَذِن لنا قعدنا، (وإن لم يأذن لنا قعدنا)[1]. وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم؛ فحينئذ كان يقعد العاصي والمنافق، ويسافر المطيع.

﴿٤٤﴾ ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآيَةَ؛ أي: لا يستأذنك في التخلُّف عن الغزو لغير عذرٍ مَن يؤمن بالله واليوم الآخر.

---

(١) سقط من ب، ج، هـ.

﴿٤٥﴾ ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: شكَّت. ونزلت الآية في عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلول والجدِّ بن قيس.

﴿٤٦﴾ ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ﴾ الآيةَ؛ أي: لو كانت لهم نيةٌ في الغزو لاستعدوا له قبل أوانه.

﴿انْبِعَاثَهُمْ﴾ أي: خروجَهم.

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي: كسَر عزْمَهم، وجعل في قلوبهم الكسل.

﴿وَقِيلَ اقْعُدُواْ﴾ يَحتمل أن يكون القائل لهم ﴿اقْعُدُواْ﴾ هو الله تعالىٰ؛ وذلك عبارةٌ عن قضائه عليهم بالقعود[1]، ويَحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض.

﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ أي: مع النساء والصبيان وأهل الأعذار، وفي ذلك ذمٌّ لهم لاختلاطهم في القعود مع هؤلاء.

﴿٤٧﴾ ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالًا﴾ أي: شرًّا وفسادًا.

﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ أي: أسرعوا السير، والإيضاع: سرعة السير، والمعنىٰ: أنهم يسرعون بالفساد والنميمة.

﴿خِلَالَكُمْ﴾ أي: بينكم.

﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي: يحاولون أن يَفتِنوكم.

﴿سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: يسمعون كلامهم، وقيل: يسمعون أخباركم وينقلونها إليهم.

﴿٤٨﴾ ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي: طلبوا الفساد، (وروي أنها نزلت في عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه من المنافقين[2])[3].

﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي: دبَّروها من كل وجه، فأبطل الله سعيَهم.

﴿٤٩﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ لما دعا النبي ﷺ إلىٰ غزوة تبوك قال الجدُّ بن قيس -وكان من المنافقين-: ائذن لي في القعود ولا تفتنِّي برؤية بنات الأصفر[4]؛ فإني

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٤).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٩) عن الحسن.
(٣) سقط من أ، ب، ج، هـ.
(٤) في أ، ب، هـ: «بني الأصفر».

لا أصبر عن النساء[1].

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: وقعوا في الفتنة التي فرُّوا منها.

(٥٠) ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ **الحسنة هنا**: النصر والغنيمة وشبه ذلك.

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أي: قد حَذِرْنا وتأهَّبْنا من قبل.

(٥١) ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي: ما قدَّر وقضىٰ، وهذا ردٌّ علىٰ المنافقين.

(٥٢) ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ أي: هل تنتظرون بنا إلَّا أحد أمرين: إما الظفَر والنصر، وإما الموت في سبيل الله، وكل واحدة من الخَصلتين حسنىٰ.

﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ المصائبُ وما ينزل من السماء، أو عذابُ الآخرة.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني: القتلَ.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديدٌ.



(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٢) عن ابن إسحاق، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٩) عن جابر ﷺ.

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝٥٣ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۝٥٤ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝٥٥ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ۝٥٩ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾

۝٥٣ ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ تضمَّن الأمر هنا معنى الشرط، فاحتاج إلى جواب. **والمعنى**: لن يتقبلَ منكم سواءٌ أنفقتم طوعًا أو كرهًا، والطَّوع والكَره عموم في الإنفاق؛ أي: لن يتقبل على كل حال.

۝٥٤ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ الآيةَ؛ تعليلٌ لعدم قَبول نفقاتهم بكفرهم. **ويَحتمل أن يكون** ﴿أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾: فاعلَ ﴿مَا مَنَعَهُمْ﴾، أو في موضع المفعول من أجله، والفاعل الله.

۝٥٥ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ **قيل**: عذابهم في الدنيا بالمصائب، **وقيل**: ما أُلزِموا من أداء الزكاة.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ إخبارٌ بأنهم يموتون على الكفر.

۝٥٦ ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: من المؤمنين.

﴿يَفْرَقُونَ﴾ يخافون.

۝٥٧ ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ أي: ما يلجؤون إليه من المواضع.

﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾ هي الغِيران في الجبال.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ وزنه مُفْتَعَل؛ مِن الدخول، ومعناه: نفقٌ أو سَرْبٌ في الأرض.

﴿يَجْمَحُونَ﴾ أي: يُسرِعون .

(٥٨) ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ أي: يَعيبك علىٰ قِسْمتها. والآية في المنافقين؛ كالتي قبلها وبعدها. وقيل: هي في ذي الخويصرة الذي قال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل[1].

(٥٩) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟﴾ الآيَةَ؛ ترغيبٌ لهم فيما هو خير لهم. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ؛ تقديره: لكان ذلك خيرًا لهم.

(٦٠) ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ الآيَةَ؛ ﴿إِنَّمَا﴾ هنا: تقتضي حصر الصدقات - وهي الزكاة[2]- في هذه الأصناف الثمانية، فلا يجوز أن يعطَىٰ منها غيرهم. ومذهب مالك[3]: أن تفريقها في هؤلاء الأصناف إلىٰ اجتهاد الإمام؛ فله أن يجعلها في بعضهم دون بعض. ومذهب الشافعي: أنه يجب أن تقسم علىٰ جميع هذه الأصناف بالسَّواء[4]. واختلف العلماء هل الفقير أشدُّ حاجةً من المسكين أو بالعكس؟

فقيل: هما سواء.

وقيل: الفقير الذي يَسأل ويُعلَم حاله، والمسكين ليس كذلك.

﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: الذين يقبضونها ويفرِّقونها.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ كفارٌ يعطَون ترغيبًا في الإسلام. وقيل: هم مسلمون يعطون ليتمكَّن إيمانهم، واختلف هل بقي حكمهم، أو سقط للاستغناء عنهم؟

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ يعني: العبيد؛ يُشترَون ويُعتَقون.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) في ب، هـ: «الزكوات».

(٣) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٧/ ٢٧٤).

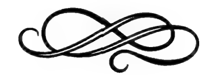
(٤) وهو رواية عن أحمد، اختارها أبو بكر وأبو الخطاب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٧/ ٢٧٥).

﴿وَالْغَٰرِمِينَ﴾ يعني: مَن عليه دين، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد ولا سرَف[1].

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: الجهاد، فيعطَىٰ منها المجاهدون ويشترَىٰ منها آلات الحرب. واختُلف هل تصرف في بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل؟

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هو الغريب المحتاج.

﴿فَرِيضَةً﴾ أي: حقًّا محدودًا، ونصْبُه علىٰ المصدر. **فإن قيل**: لم ذَكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذِكْر المنافقين؟ **فالجواب**: أنه حصَر مصرف الزكاة في تلك الأصناف؛ ليقطعَ طمع المنافقين فيها، فاتَّصلت هذه الآية في المعنىٰ بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ﴾ الآية.



---

(١) في أ، ب: «ولا إسراف».

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦١ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٦٢ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٣ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝٦٤ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٦٦﴾

(٦١) ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ يعني: من المنافقين، وإذايتهم له ﷺ: بالأقوال والأفعال.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يسمع كلَّ ما يقال له ويصدِّقه. وروي: إنَّ قائل هذه المقالة هو نَبْتَل بن الحارث، وكان من مَرَدة المنافقين، وقيل: عتَّاب بن قُشير.

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: هو يسمع الخير والحق.

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يصدِّقهم؛ يقال: آمنت لك؛ إذا صدَّقتك؛ ولذلك تعدَّىٰ هذا الفعل باللام، وتعدَّىٰ ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ بالباء.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع[1]؛ عطفٌ علىٰ ﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾، وبالخفض؛ عطفٌ علىٰ ﴿خَيْرٍ﴾.

(٦٢) ﴿يَحْلِفُونَ﴾ يعني: المنافقين.

﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ تقديره: والله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك؛ فهما جملتان حُذف الضمير من الثانية؛ لدلالة الأُولىٰ عليها.

وقيل: إنما وحَّد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحدٌ.

(٦٣) ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ من يعادي ويخالف.

---

(١) قرأ حمزة بالخفض، والباقون بالرفع.

﴿فَأَنَّ لَهُۥ﴾ «أنّ» هنا مكررة؛ تأكيدًا للأولىٰ، وقيل: هي بدل منها. وقيل: التقدير: فواجب أنَّ له؛ فهي في موضع خبر مبتدإٍ محذوف.

﴿٦٤﴾ ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: تُنزَّل في شأنهم سورة علىٰ النبي ﷺ، والضمائر في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿تُنَبِّئُهُم﴾ و﴿قُلُوبِهِمْ﴾ تعود علىٰ المنافقين. وقال الزمخشري: إن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ و﴿تُنَبِّئُهُم﴾ للمؤمنين، وفي ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ للمنافقين[1]. والأول أظهر.

﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ تهديدٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ صنَع ذلك بهم في هذه السورة؛ لأنها فضحتهم.

﴿٦٥﴾ ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نزلت في وديعة بن ثابت؛ بلغ النبيَّ ﷺ أنه قال: هذا يريد أن يفتتح قصور الشام! هيهات هيهات! فسأله عن ذلك فقال: إنما كنا نخوض ونلعب[2].

﴿٦٦﴾ ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ كان منهم رجل اسمه مُخَشِّن[3]، تاب ومات شهيدًا.



(١) انظر: الكشاف (٧/ ٢٩٢).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٤٢) عن ابن إسحاق.

(٣) قال ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٢٤): «يقال له: مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيِّر، ويقال: مخشيٌّ».

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٦٨ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٦٩ *أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۝٧٠ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٧١ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧٢ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٣﴾

(٦٧) ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ نفيٌ لأن يكونوا من المؤمنين.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ كنايةٌ عن البخل.

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: غفلوا عن ذكره.

﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من رحمته وفضله.

(٦٨) ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ الأصل في الشرِّ أن يقال: «أوعد»، وإنما يقال فيه «وعد» إذا صُرِّح بالشر.

﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ يعني: المجاهرين بالكفر.

(٦٩) ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطابٌ للمنافقين، والكاف: في موضع نصبٍ؛ والتقدير: فعلتم مثلَ فعل الذين من قبلكم. أو في موضع خبر مبتدإ؛ تقديره: أنتم كالذين من قبلكم.

﴿وَخُضْتُمْ﴾ أي: خلَطتم، وهو مستعارٌ من الخوض في الماء، ولا يقال إلَّا في الباطل من الكلام.

﴿كَالَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ تقديره: كالخوض الذي خاضوا. وقيل: كالذين خاضوا؛ فـ«الذي» هنا -علىٰ هذا- بمعنىٰ الجمْع.

(٧٠) ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ الآيةَ؛ تهديدٌ لهم بما أصاب الأمم المتقدمة.

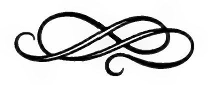
(٧٠) ﴿وَالْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ يعني: مدائنَ قوم لوط.

﴿بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات.

(٧١) ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في مقابلة قوله -في المنافقين-: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، ولكنه خصَّ المؤمنين بالوصف بالولاية.

(٧٢) ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ قيل: عدن: هي مدينة الجنة وأعظمها، وقال الزمخشري: هو اسم علم[1].

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: رضوانٌ من الله أكبر مِن كلِّ ما ذُكِر. وذلك معنىٰ ما ورد في الحديث: «إن الله تعالىٰ يقول لأهل الجنة: أتريدون شيئًا أزيدكم، فيقولون: يا ربَّنا أيَّ شيء تزيدنا؟ فيقول: رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا»[2].



(١) انظر: الكشاف (٧/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيٓءُ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْۖ وَمَأْوِيٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِيسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٤﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْۖ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۖ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنَ اغْنِيٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۖ فَإِنْ يَّتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْۖ وَإِن يَّتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَاباً اَلِيماً فِي ٱلدُّنْيا وَالْأَخِرَةِۖ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٥﴾ *وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنَ ـاتِينَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّآ ءَاتِيٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوِيٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٩﴾ ٱلذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَالذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿٨٠﴾ إِسْتَغْفِرْ لَهُمُۥٓ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمُۥٓ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَّغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِے ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿٧٤﴾ ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ﴾ جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين باللسان ما لم يَظهر ما يدل علىٰ كفرهم، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم حكم الزنديق، وقد اختُلف هل يقتل أم لا؟

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْۖ﴾ الغِلظة ضدُّ الرحمة والرأفة، وقد تكون بالقول والفعل وغير ذلك.

﴿٧٥﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْۖ﴾ نزلت في الجُلَاسِ بن سُويد؛ فإنه قال: إن كان ما يقول محمد حقًّا فنحن شرٌّ من الحُمُر، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقرَّره عليه، فحلف أنه ما قاله[1].

﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ يعني: ما تقدَّم من قول الجُلَاس؛ لأن ذلك يقتضي التكذيب.

﴿وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ لم يقل: «بعد إيمانهم»؛ لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم: آمنا، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم.

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٩) عن عروة بن الزبير، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤٣) عن ابن عباس ﷺ.

﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ همَّ الجُلَاس بقتل مَن بلَّغ تلك المقالة عنه، وقيل: همَّ بقتل النبي ﷺ. وقيل: الآية نزلت في عبد الله بن أبيِّ ابنِ سلول، وكلمةُ الكفر التي قالها قوله: سمِّنْ كلبَك يأكلْك، وهمُّه بما لم ينل: قوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨][(١)].

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ما عابوا إلَّا الغنىٰ الذي كان حقُّه أن يَشكروا عليه، وذلك في الجُلَاس، أو في عبد الله بن أبيٍّ.

﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾ فتح الله لهم باب التوبة، فتاب الجُلَاس وحسن حاله.

(٧٥) ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ الآيةَ؛ نزلت في ثعلبة بن حاطب، وذلك أنه قال: يا رسول الله ادع الله أن يكثر مالي، فقال له رسول الله ﷺ: «قليلٌ تؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه»، فأعاد عليه حتىٰ دعا له، فكثر ماله، فتشاغل به حتىٰ ترك الصلوات، ثم امتنع من أداء الزكاة، فنزلت فيه الآية، فجاء بزكاته إلىٰ النبي ﷺ، فأعرض عنه ولم يأخذها منه، وقال: «إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك»، ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان[(٢)].

(٧٧) ﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ إشارةٌ إلىٰ منعه الزكاة.

(٧٨) ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ ذلك عقوبةٌ علىٰ العصيان بما هو أشدُّ منه.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ حكم بوفاته علىٰ النفاق.

(٨٠) ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ نزلت في المنافقين؛ حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا: ما هذا إلَّا رياء[(٣)]. وأصل ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتطوعين، والمراد به هنا: مَن تصدق بكثير.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤٤) عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٨-٥٨٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٨٧٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٨٩) عن أبي أمامة الباهلي ﷺ، وقال البيهقي: «هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يروىٰ موصولاً بأسانيد ضعاف»، وضعف إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١١٧٩)، والهيثمي في المجمع الزوائد (٧/ ١٠٧)، وابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٧٧)، وغيرهم من الحفاظ.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٥٩٠)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٥٠) عن مجاهد.

﴿وَالذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ هم الذين لا يقدرون إلَّا على القليل فيتصدقون به. نزلت في أبي عقيل؛ تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون: إن الله غني عن صدقة هذا[1].

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخفُّون بهم.

﴿سَخِرَ أَللَّهُ مِنْهُمْۖ﴾ تسميةٌ للعقوبة باسم الذنب[2].

(٨١) ﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون لفظَ أمْرٍ، ومعناه الشرط، بمعنى: إن استغفرت لهم أو لم تستغفرْ لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة «المنافقين».

والآخر: أن يكون تخييرًا؛ كأنه قال: إن شئت فاستغفر، وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أَعْلَمه الله أنه لا يغفر لهم، وهذا أرجح؛ لقول رسول الله ﷺ: «إن الله خيَّرني فاخترت»، وذلك حين قال له عمر: أتصلي على عبد الله بن أبيٍّ وقد نهاك الله عن الصلاة عليه! [3]

﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ذكَرها على وجه التمثيل للعدد الكثير.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦٨)، ومسلم (١٠١٨) عن أبي مسعود ﷺ، وفيه: «فتصدق أبو عقيل بنصف صاع».

(٢) [التعليق٦٠] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ ابنِ جُزَيٍّ ﷺ: «تسميةٌ للعقوبةِ باسمِ الذَّنب»:

أقولُ: معنى كلامِهِ: أنَّ الله لا يَسْخَرُ حقيقةً بالمنافِقِين، بل هذا مِن تسميةِ العقوبةِ باسمِ الذَّنْبِ الذي ارتكَبُوهُ، وهو سُخْرِيَتُهم بالمؤمِنِينَ المتصدِّقين؛ وهذا معنى قولِ بعضهم: هذا مِن قَبِيلِ المشاكَلةِ؛ يَعْنُونَ: المشاكَلَةَ اللفظيَّةَ؛ كما قالوا مثلَ ذلك في المَكْرِ والكَيْدِ والاستهزاءِ والخِدَاع.

وليس هذا صوابًا، بل الصوابُ: أنَّ اللهَ يمكُرُ حقيقةً بالماكِرِينَ مِن الكافِرِينَ والمنافِقِين، ويَخدَعُ المخادِعِين، ويَستهزِئُ بالمستهزِئِين، ويسخَرُ بالساخِرِينَ.

ومِن ذلك: إملاؤُهُ تعالى للكافِرِينَ واستدراجُهم، وإظهارُهُ سبحانه قَبُولَ ما أظهَرَهُ المنافِقُونَ مِن الإيمان، فيَحسَبُونَ أنهم خدَعُوا اللهَ بما أظهَرُوهُ مِن العمل، وهو تعالى محمودٌ على ذلك؛ لأنه عدلٌ.

ومِن مكرِ اللهِ واستهزائِهِ بالمنافِقِينَ يومَ القيامةِ: أنهم يكونون مع المؤمنين، فيُعْطَوْنَ أنوارًا حتى يظنُّوا أنهم ناجُونَ، وليسوا بناجين؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ...﴾ الآياتِ [الحديد: ١٣-١٥].

ومِن مكرِ الله بالكافِرِين: ما ذكَرَهُ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٦) عن عمر ﷺ، وأخرجه البخاري (١٢٦٩)، ومسلم (٢٧٧٤) عن ابن عمر ﷺ.

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

﴿٨١﴾ ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ أي: الذين خلَّفهم الله عن الغزو[1] وأقعدهم عنه، وفي هذا تحقيرٌ وذمٌّ لهم، ولذلك لم يقل: «المتخلِّفون».

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم.

﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعدَه حين خرج إلىٰ تبوك، فـ﴿خِلَٰفَ﴾ علىٰ هذا ظرف. وقيل: هو مصدر مِن خَالَفَ؛ فهو علىٰ هذا مفعول من أجله.

﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ﴾ قال هذه المقالة رجل من بني سَلِمَة ممن صعب عليه السفر إلىٰ تبوكَ في الحرِّ.

﴿٨٢﴾ ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ أمرٌ بمعنى الخبر، فضَحِكُهم القليل: في الدنيا مدة بقائهم فيها، وبكاؤهم الكثير: في الآخرة. وقيل: هو بمعنى الأمر؛ أي: يجب أن يكونوا

(١) في أ، ب، هـ: «عن بدر»!

يضحكون قليلًا ويبكون كثيرًا في الدنيا؛ لما وقعوا فيه.

﴿٨٤﴾ ﴿إِلَىٰ طَآبِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ إنما لم يقل: «إليهم»؛ لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلُّف.

﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَداً﴾ عقوبةٌ لهم فيها خزي وتوبيخ.

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: في غزوة تبوك.

﴿فَاقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَالِفِينَ﴾ أي: مع القاعدين؛ وهم النساء والصبيان.

﴿٨٥﴾ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾ نزلت في شأن عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلول، وصلاةِ رسول الله ﷺ عليه حين مات[1]. فروي أنه صلىٰ عليه فنزلت الآية بعد ذلك. وروي أن رسول الله ﷺ لما تقدَّم ليصليَ عليه جاءه جبريل فجبَذ بثوبه، وتلا عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾ الآيةَ ، فانصرف ﷺ ولم يصل عليه[2].

﴿٨٧﴾ ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ قيل: يعني براءة، والأرجح أنه على الإطلاق.

﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾ «أَنْ» هنا مفسِّرة.

﴿إِسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أي: أولو الغنىٰ والمال الكثير.

﴿٨٨﴾ ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ الآيةَ؛ أي: إن تخلَّف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه.

﴿ٱلْخَيْرَاتُ﴾ تعمُّ منافع الدارين. وقيل: هي الحور العين؛ لقوله: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٩].



(١) تقدم تخريجه قريبا.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦١٢) عن أنس ﷺ، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٩٥).

وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُوذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿٩١﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ اِذَا نَصَحُواْ لِلهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٢﴾ وَلَا عَلَى ٱلذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَناً اَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٣﴾ *إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلذِينَ يَسْتَـٰذِنُونَكَ وَهُمُۥٓ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَّكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٤﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمُۥٓ إِذَا رَجَعْتُمُۥٓ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّومِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنَ اَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمُۥٓ إِذَا اِنقَلَبْتُمُۥٓ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمُۥٓ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوِيهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٧﴾ اَلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُومِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْأخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٠﴾

﴿٩١﴾ ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ هم: المعتذرون؛ ثم أُدْغمت التاء في الذال، ونقلت حركتها إلىٰ العين، واختلف هل كانوا في اعتذارهم صادقين أو كاذبين؟ وقيل: هم المقصِّرون؛ من عذَّرَ في الأمر: إذا قصَّر فيه ولم يَجِدَّ؛ فوزنه علىٰ هذا: المفعِّلون.

وروي أنها نزلت في قوم من غِفَار(١).

﴿وَقَعَدَ ٱلذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم؛ فكذبوا في دعواهم الإيمان.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢١) عن مجاهد، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٠) عن أبي إسحاق.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾ أي: من المعذِّرين.

(٩٢) ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾ هذا رفعٌ للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو. وقيل: إن الضعفاء هنا هم النساء والصِّبيان، وهذا بعيد.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ قيل: نزلت في بني مُقَرِّنٍ، وهم ستة إخوة صحبوا النبي ﷺ[١]، وقيل: في عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه[٢].

﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ﴾ يعني: بنيَّاتهم وأقوالهم، وإن لم يخرجوا للغزو.

﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ وصفهم بالمحسنين؛ لأنهم[٣] نصحوا لله ورسوله، ورفَع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم.

(٩٣) ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ قيل: هم بنو مقرِّن، وقيل: ابن مغفل رضي الله عنه، وقيل: سبعة نفر من بطون شتىٰ؛ وهم البكَّاؤون. ومعنىٰ ﴿لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾: علىٰ الإبل. وجواب ﴿إِذَا﴾ يَحتمل أن يكون: ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ﴾ أو ﴿تَوَلَّواْ﴾.

(٩٥) ﴿إِذَا رَجَعۡتُمۡ﴾ يعني: من غزوة تبوك.

﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾ لن نصدِّقكم.

﴿مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡ﴾ نعتٌ لمحذوف هو المفعول الثاني؛ تقديره: قد نبأنا الله جملةً من أخباركم.

(٩٨) ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرًا وَنِفَاقًا﴾ هم أهل البوادي من العرب.

﴿وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: أنهم أحقُّ أن لا يعلموا الشرائع؛ لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٢)، وابن سعد في الطبقات (٦/ ٢٠) عن مجاهد، وفي الطبقات أنهم «سبعة».

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٣) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٢) عن أبي العالية.

(٣) في أ، ب، هـ: «أنهم».

﴿٩٨﴾ ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا﴾ أي: تثقل عليه الزكاة والنفقة في سبيل الله ثِقَلَ المغرم الذي ليس بحقٍّ عليه.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي: ينتظر بكم مصائب الدنيا.

﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ خبرٌ، أو دعاءٌ.

﴿٩٩﴾ ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: دعواته لهم. وهو عطفٌ على ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ ؛ أي: يَقصِدون بنفقاتهم التقرُّب إلى الله[1] واغتنامَ دعاء الرسول لهم. وقيل: نزلت في بني مقرِّن.



(١) في أ، ج، هـ: «إليه».

وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾ *وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنَ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٢﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنَ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَٰتِكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَالْمُومِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٧﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُومِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنَ أَرَدْنَا إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ اُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنَ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٩﴾ أَفَمَنُ اُسِّسَ بُنْيَٰنُهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنُ اُسِّسَ بُنْيَٰنُهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١١﴾

﴿١٠١﴾ ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ **قيل**: هم من صلّىٰ للقبلتين، **وقيل**: من شهد بدرًا، **وقيل**: من حضر بيعة الرضوان.

﴿وَالَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ سائر الصحابة ﷺ، ويدخل في ذلك التابعون ومن بعدهم إلىٰ يوم القيامة؛ بشرط الإحسان.

﴿١٠٢﴾ ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ **أي**: اجترؤوا عليه، **وقيل**: أقاموا عليه.

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ **العذاب العظيم**: هو عذاب النار. **وأما المرّتان قبله**: **فالثانية منهما**: عذاب القبر، **والأولىٰ**: عذابهم بإقامة الحدود عليهم،

وقيل: فضيحتهم في النفاق.

﴿١٠٣﴾ ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآيَةَ؛ **قيل**: **إنها نزلت في أبي لبابة**[1]، **فعمله الصالح**: الجهاد، **وعمله السيِّئ**: نصيحته لبني قريظة. **وقيل**: هي فيمن تخلَّف عن تبوك من المؤمنين، **فعملهم الصالح**: ما سبق لهم، **وعملهم السيئ**: تخلفهم عن تبوك، وروي أنهم ربطوا أنفسهم إلىٰ سواري المسجد، وقالوا: لا نحُلُّ أنفسنا حتىٰ يحلَّنا رسول الله ﷺ[2]. **وقيل**: هي عامة في الأمة إلىٰ يوم القيامة. **قال بعضهم**: ما في القرآن آية أرجىٰ لهذه الأمة من هذه[3].

﴿١٠٤﴾ ﴿خُذْ مِنَ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ **قيل**: **نزلت في المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم**؛ لما تاب الله عليهم قالوا: يا رسول الله إنا نريد أن نتصدق بأموالنا، فنزلت هذه الآية، وأخذ ثلث أموالهم[4]. **وقيل**: هي الزكاة المفروضة؛ فالضمير علىٰ العموم لجميع المسلمين.

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ خطاب للنبي ﷺ، في موضع صفة لـ ﴿صَدَقَةً﴾، أو حال من الضمير في ﴿خُذْ﴾.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادْعُ لهم.

﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي: تَسْكُن به نفوسهم؛ فهو عبارةٌ عن صحة الاعتقاد، أو عن طُمَأْنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم.

﴿١٠٥﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ **الضمير في** ﴿يَعْلَمُوٓا۟﴾: للتائبين من التخلُّف، **وقيل**: للذين تخلفوا ولم يتوبوا، **وقيل**: عام. وفائدة الضمير المؤكِّد: تخصيص الله تعالىٰ بقبول التوبة دون غيره.

﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ **قيل**: معناه: يأمر بها، **وقيل**: يقبلها من عباده[5].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٦) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٣) عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥١) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٣) من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٨) عن أبي عثمان النهدي.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٩) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) **[التعليق ٦١] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قوله رحمه الله: «قيل: معناه: يأمر بها، وقيل: يقبلها من عباده» أقول: ذكَر في تفسير أخذ الله الصدقات قولين؛ أحدهما: أن معناه الأمر بها، والثاني: أنه يقبلها، ولم يرجِّح، =

(١٠٧) ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قيل: هم الثلاثة الذين خُلِّفوا قبل أن يتوب الله عليهم. وقيل: هم الذين بنَوْا مسجد الضِّرار. وقرئ ﴿مُرْجَوْنَ﴾ بالهمز وتركِه[1]، وهما لغتان، ومعناه: التأخير.

(١٠٨) ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِداً﴾ قرئ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بغير واو[2]؛ صفةً لقوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾، أو على تقدير: هم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال في الـ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾: هم أهل مسجد الضرار. وقرئ ﴿وَالَّذِينَ﴾ بالواو؛ عطفًا على ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾، وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجَيْن: إنهم الثلاثة الذين خلفوا.

﴿ضِرَاراً وَكُفْراً﴾ كان بنو عمرِو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء، وكان رسول الله ﷺ يأتيه ويصلي فيه، فحسدهم على ذلك قومهم بنو غَنْمِ بن عوف وبنو سالم بن عوف؛ فبنوا مسجدًا آخر مجاورًا له؛ ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباء، وذلك هو الضرار الذي قصدوا، وسألوا من رسول الله ﷺ أن يأتيَه، ويصليَ لهم فيه، فنزلت عليه فيه هذه الآية[3].

= ولا ريب أن تفسير الأخذ بالأمر صرفٌ للكلام عن ظاهره إلى معنى بعيد عن مدلول اللفظ، وأما تفسيره بالقبول، فهو قريب، فيكون من قبيل التجوز بالأخذ عن القبول؛ لأنه سببه، ومع ذلك فلا موجب لصرف اللفظ عن حقيقته، وهو الأخذ باليد، كيف وقد جاء التصريح بالأخذ باليمين في الحديث المتفق عليه، وهو قوله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه» الحديث [أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) عن أبي هريرة ﷺ]، وفي مسلم: «إلا أخذها الرحمن بيمينه» الحديث، فثبت أن الأخذ في الآية على حقيقته، ويؤيده أنه قد جاء التصريح بالأخذ باليد في غير الصدقة، وهو قوله ﷺ: «يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه» الحديث [أخرجه مسلم (٢٧٨٨) عن ابن عمر ﷺ]، فعلم ممَّا تقدم أن الأخذ فعلٌ من أفعال الرب تعالى التي تكون بمشيئته، وقائمة بذاته، فيجب فيها ما يجب في سائر الصفات، وهو إجراؤها على ظاهرها وإثباتها مع نفي التشبيه، ونفي العلم بالكيفية، والله أعلم.

ومما يؤكد ما سبق أن الله تعالى ذكر الأخذ مضافا إلى الرسول ﷺ في قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، فدلَّ ذلك أن الأخذ من الأفعال التي تضاف إلى الخالق على ما يليق به، وتضاف إلى المخلوق على ما يليق به، كالحبِّ والرِّضا والاستواء، وليس الحب كالحب، ولا الرضا كالرضا، ولا الاستواء كالاستواء، وكذلك ليس الأخذ كالأخذ، والله أعلم.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم ﴿مرجؤون﴾ بالهمر، وقرأ الباقون بغير همز.

(٢) قرأ نافع وابن عامر بغير واو، وقرأ الباقون بالواو.

(٣) أخرجه ابن المنذر عن سعيد بن جبير، كما في الدر المنثور (٧/ ٥٢٤)، وأخرجه الطحاوي بإسناده في شرح مشكل الآثار (١٢/ ١٧٣).

﴿وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُومِنِينَ﴾ أرادوا أن يتفرَّق المؤمنون عن مسجد قباء.

﴿وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: انتظارًا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامرٍ الراهبُ الذي سمَّاه رسول الله ﷺ: الفاسقَ، وكان من أهل المدينة، فلما قدِمها رسول الله ﷺ جاهر بالكفر والنفاق، ثم خرج إلىٰ مكة فحزَّب الأحزابَ من المشركين، فلما فُتحت مكة خرج إلىٰ الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلىٰ الشام، ليستنصر بقيصر فهلك هناك. وكان أهل مسجد الضرار يقولون: إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد. والإشارةُ بقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ إلىٰ ما فَعل مع الأحزاب.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنَ اَرَدْنَآ إِلاَّ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الخَصلة الحسنىٰ؛ وهي الصلاة وذكر الله، فأكْذَبهم الله في ذلك.

﴿١٠٩﴾ ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾ نهيٌ عن إتيانه والصلاة فيه، فكان رسول الله ﷺ لا يمرُّ بطريقه.

﴿لَّمَسْجِدٌ اُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قيل: هو مسجد قباء، وقيل: مسجد النبي ﷺ بالمدينة، وقد رُوي ذلك عن رسول الله ﷺ(1).

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَّتَطَهَّرُواْ﴾ كانوا يستنجون بالماء، ونزلت في الأنصار علىٰ قول من قال: إن المسجد الذي أُسِّس علىٰ التقوىٰ هو مسجد المدينة، ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصةً علىٰ قول من قال: إنه مسجد قباء.

﴿١١٠﴾ ﴿أَفَمَنْ اُسِّسَ بُنْيَٰنُهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ اَم مَّنْ اُسِّسَ بُنْيَٰنُهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ الآيةَ؛ استفهام بمعنىٰ التقرير. والذي أُسِّس علىٰ التقوىٰ والرضوان: مسجد المدينة أو مسجد قباء، والذي أُسس علىٰ شفا جرف هارٍ: هو مسجد الضرار. وتأسيس البناء علىٰ التقوىٰ والرضوان: هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه. والتأسيس علىٰ شفا جرف هار: هو بفساد النية، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين؛ فذلك علىٰ وجه الاستعارة والتشبيه البارع.

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٨) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

ومعنىٰ ﴿شَفَا جُرُفٍ﴾: طرَفِ حفرةٍ. ومعنىٰ ﴿هَارٍ﴾: ساقطٍ، أو واهٍ؛ بحيث أشفىٰ علىٰ السقوط، وأصل «هارٍ»: هائِرٌ؛ فهو من المقلوب؛ لأن لامه جعلت في موضع العين.

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: طاح في جهنم، وهذا ترشيحٌ للمجاز[1]؛ فإنه لما شُبِّه بالجرف وُصِف بالانهيار؛ الذي هو من شأن الجرف. وقيل: إن ذلك حقيقة، وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه. والصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بهدمه فهُدِم.

﴿١١٠﴾ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لا يزال في قلوب أهل مسجد الضرار ريبةٌ من بنيانه؛ أي: شكٌّ في الإسلام بسبب بنيانه؛ لاعتقادهم صواب فعلهم، أو غيظٌ بسبب هدمه.

﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: إلَّا أن يموتوا.



(١) سبق بيان هذا المصطلح البلاغي عند تفسير الآية رقم (١٥) من سورة البقرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

﴿١١١﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ **قيل: إنها نزلت في بيعة العقبة**[1]. وحكمها عام في كل مؤمن مجاهد في سبيل الله إلىٰ يوم القيامة. **قال بعضهم**: ما أكرَمَ اللهَ! فإن أنفسَنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفقةٌ رابحة!

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جملةٌ في موضع الحال؛ بيانًا للشراء.

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ **قال بعضهم**: ناهيك من بيعِ البائعُ فيه ربُّ العُلىٰ، والثمن جنة المأوىٰ، والواسطة محمد المصطفىٰ ﷺ.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦) عن محمد بن كعب القرظي.

(١١٢) ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ **وما بعده: أوصاف المؤمنين الذين اشترىٰ الله منهم أنفسَهم وأموالهم؛ تقديره: هم التائبون.**

﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ **قيل:** معناه الصائمون. ويقال: ساح في الأرض: أي: ذهب.

(١١٣) ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ **نزلت في شأن أبي طالب؛ فإنه لما امتنع أن يقول: «لا إله إلا الله» عند موته؛ قال له رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فكان يستغفر له حتىٰ نزلت هذه الآية[1]. وقيل: إن النبي ﷺ استأذن ربه في أن يستغفر لأُمِّه؛ فنزلت الآية[2]. وقيل: إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين؛ فنزلت[3].**

(١١٤) ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ **المعنىٰ: لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم لأبيه؛ فإن ذلك لم يكن إلَّا لوعد[4] تقدَّم، وهو قوله:** ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾[مريم: ٤٧].

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ **قيل:** تبين له ذلك بموت أبيه علىٰ الكفر. **وقيل:** بأنه نُهي عن الاستغفار.

﴿لَأَوَّٰهٌ﴾ **قيل:** كثير الدعاء، **وقيل:** مُوقِنٌ، **وقيل:** فقيه، **وقيل:** كثير الذكر لله، **وقيل:** كثير التأوُّه من خوف الله.

(١١٥) ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً﴾ الآيةَ؛ **نزلت في قوم من المسلمين؛ استغفروا للمشركين من غير إذن، فخافوا علىٰ أنفسهم من ذلك، فنزلت الآية؛ تأنيسًا لهم[5]؛ أي: ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبيِّن لكم المنع من ذلك.**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) عن سعيد بن المسيِّب عن أبيه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٣)، وابن حبان (٩٨١)، والحاكم (٣٢٩٢) وصححه، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٧١٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٣) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في أ، ب، هـ: «وعد».

(٥) ذكره ابن عطية في تفسيره (٤/ ٤٢٦)، ولم أقف عليه مسندًا.

(١١٧) ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ يعني: حين محاولة غزوة تبوك. والساعة هنا: بمعنى الحين والوقت، وإن كان مدةً. و﴿الْعُسْرَةِ﴾: الشدة وضيق الحال.

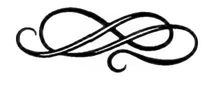
﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ يعني: تزيغ عن الثبات على الإيمان، أو عن الخروج في تلك الغزوة؛ لِمَا رأوا من الضيق والمشقة. وفي ﴿كَادَ﴾ ضمير الأمر والشأن[١]، أو ترتفع بها القلوب[٢].

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: على هذا الفريق؛ أي: رجع بهم عما كادوا يقعون فيه.

(١١٨) ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرَارة بن الربيع رضي الله عنهم، تخلَّفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولا قصدٍ للمخالفة، فلما رجع رسول الله ﷺ عتَب عليهم، وأمر أن لا يكلمهم أحد، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، فبقوا على ذلك مدَّةً إلى أن أنزل الله توبتهم، وقد وقع حديثهم في البخاري ومسلم[٣] والسِّيَر. ومعنى ﴿خُلِّفُوا﴾ هنا: عن الغزوة. وقال كعب بن مالك[٤]: معناه: خُلفوا عن قبول العذر، وليس بالتخلُّف عن الغزو، ويقوِّي ذلك: كونه جَعل ﴿إِذَا ضَاقَتْ﴾ غايةً للتخلف.

﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ عبارةٌ عما أصابهم من الغم والخوف من الله.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ أي: رجَع بهم ليستقيموا على التوبة.



---

(١) فيرتفع الضمير بها، وترتفع ﴿قلوبُ﴾ بـ﴿تَزيغُ﴾.

(٢) أي: ترتفع بـ﴿كادَ﴾: ﴿قلوبُ﴾، و﴿تزيغُ﴾ خبر مقدم، ويكون في قوله: ﴿تَزيغُ﴾ ضمير القلوب. المحرر الوجيز (٤/ ٤٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٤) في الحديث المتقدم تخريجه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٢٠﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿١٢٠﴾ ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يَحتمل أن يريد: صدق اللسان؛ إذ كان هؤلاء الثلاثةُ قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب، فنفعهم الله بذلك. ويَحتمل أن يريد: أعمَّ من صدق اللسان، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم. والمراد بـ ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: المهاجرون؛ لقول الله في «الحشر»: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، وقد احتجَّ بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه علىٰ الأنصار يوم السقيفة، فقال: نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا؛ أي: تابعين لنا[١].

﴿١٢١﴾ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ الآيَةَ؛ عتابٌ لمن تخلف عن غزوة تبوك مِن أهل يثرب ومَن جاورها من قبائل العرب.

﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: لا يمتنعوا من اقتحام المشقَّات التي تحملها هو ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ تعليلٌ لما يجب من عدم التخلف.

﴿ظَمَأٌ﴾ أي: عطَش.

﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب.

﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي: جوع.

﴿وَلَا يَطَـُٔونَ﴾ يعني: بأرجلهم أو بدوابِّهم.

(١) أخرجه الواقدي في كتاب الردة (ص: ٣٦).

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ عموم في كل ما يصيب الكفار .

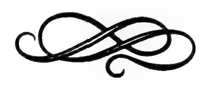
﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ **ابن عباس** ﵄: هذه الآية في البعوث إلىٰ الغزو والسرايا[١]؛ أي: لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله ﷺ بنفسه، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة علىٰ التخلف عنه، **فالآية الأولىٰ**: في الخروج معه ﷺ، **وهذه**: في السرايا التي كان يبعثها.

وقيل: هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع؛ فهو دليل علىٰ أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين. **وقيل**: هي في طلب العلم؛ ومعناها: أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم علىٰ الجميع، بل علىٰ البعض؛ لأنه فرض كفاية.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ تحضيضٌ علىٰ نفير بعض المؤمنين للجهاد، أو لطلب العلم.

﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ **إن قلنا**: إن الآية في الخروج إلىٰ طلب العلم؛ فالضمير في ﴿يَتَفَقَّهُواْ﴾ للفِرقة التي (تنفر -أي: ترحل-، وكذلك الضمير في ﴿يُنذِرُواْ﴾ وفي ﴿رَجَعُوٓاْ﴾؛ أي: يُعلِّمون قومهم إذا رجعوا إليهم من الرِّحلة. **وإن قلنا**: إن الآية في السرايا؛ فالضمير في ﴿يَتَفَقَّهُواْ﴾ للفِرقة التي)[٢] تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا، وكذلك الضمير في ﴿يُنذِرُواْ﴾، وأما الضمير في ﴿رَجَعُوٓاْ﴾ فهو للفرقة التي خرجت مع السرايا. **وقيل**: إن التفقُّه يكون في حين خروجهم مع السَّرايا؛ فعلىٰ هذا تكون الضمائر كلها للفِرقة التي خرجتْ مع السرايا.

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الضمير للقوم.



---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٧) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﵄.
(٢) سقط من أ، ب، ج، هـ.

*﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٢٤) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٥) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (١٢٦) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٧) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٢٨) لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٩) فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (١٣٠)﴾

(١٢٤) **﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ أمرٌ بقتال الأقرب فالأقرب على تدريج. وقيل: إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام؛ لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب، وكانت أرض العرب قد عمها الإسلام، وكانت العراق حينئذ بعيدةً.**

(١٢٥) **﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ أي: من المنافقين من يقول بعضهم لبعض: أيكم زادته هذه إيمانًا؟ على وجه الاستخفاف بالقرآن؛ كأنهم يقولون: أيُّ عجَبٍ في هذا؟ وأي دليل في هذا؟**

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وذلك لما يتجدَّد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة.

(١٢٦) **﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ المرض: عبارة عن الشك والنفاق. ومعنى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ زادتهم كفرًا ونفاقًا إلى كفرهم ونفاقهم.**

(١٢٧) **﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ﴾ قيل: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي: يُختبرون بالأمراض والجوع، وقيل: بالأمر بالجهاد. واختار ابن عطية أن يكون المعنى: يفضحون بما يُكشَف من سرائرهم[١].**

(١٢٨) **﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: تغامزوا، وأشار بعضهم إلى بعض؛ على وجه**

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٣٩).

الاستخفاف بالقرآن، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ فينقل عنكم هذا الاستخفاف؟ فقولهم: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ كان بسبب خوفهم أن يُنقَل عنهم ذلك.

وقيل: معنىٰ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: علىٰ وجه التعجُّب مما ينزل في القرآن؛ من كشف أسرارهم، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾؛ أي: هل رأىٰ أحدٌ أحوالكم فنقَلها عنكم؟ أو عُلِمت من غير نقل؟ فهذا أيضًا علىٰ وجه التعجُّب.

﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ يَحتمل أن يريد الانصراف بالأبدان، أو الانصراف بالقلوب عن الهدىٰ.

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دعاءٌ، أو خبرٌ.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ تعليلٌ لصرف قلوبهم.

(١٢٨) ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني: النبي ﷺ، **والخطاب**: للعرب، أو لقريش خاصة؛ أي: من قبيلتكم حيث تعرفون حسَبه وصِدْقَه وأمانته، أو لبني آدم كلهم؛ أي: من جنسكم. وقرئ: «مِنْ أَنْفَسِكُمْ» بفتح الفاء[1]؛ أي: مِن أشرفكم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشقُّ عليه عنَتُكم، **والعنَت**: هو ما يضرهم في دينهم أو دنياهم. و﴿عَزِيزٌ﴾ صفة للرسول، و﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ فاعلٌ بـ﴿عَزِيزٌ﴾ ، و«ما» مصدرية. أو ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ مصدر، و﴿عَزِيزٌ﴾ خبر مقدَّم، والجملة في موضع الصفة.

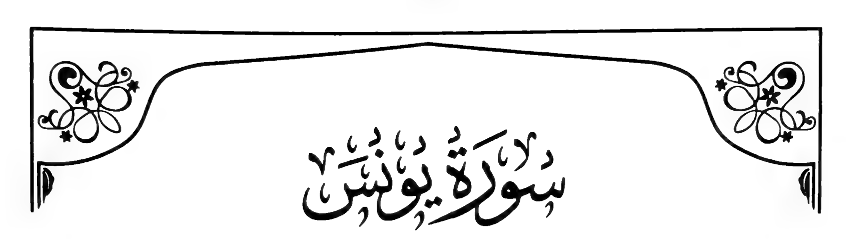
﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: حريص علىٰ إيمانكم وسعادتكم.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سماه الله هنا باسمين من أسمائه.

(١٢٩) ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ أي: إن أَعرضوا عن الإيمان بك فاستعن بالله وتوكل عليه. **وقيل**: إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة.

---

(١) قال في المحرر الوجيز (٤/ ٤٤٠-٤٤١): «وقرأ عبد الله بن قُسيط المكي: (من أَنفَسِكم) بفتح الفاء من النفاسة، ورويت عن النبي ﷺ، وعن فاطمة ﵂، وذكر أبو عمرو أن ابن عباس ﵄ رواها عن النبي ﷺ». وأخرج الحاكم (٢٩٤٥) عن ابن عباس ﵄، يرفعه إلىٰ النبي ﷺ: قرأ: (لقد جاءكم رسولٌ مِن أَنفَسِكُم) يعني: مِن أعظمكم قدرًا. وسكت عنه الذهبي.



أَلَرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠

۝١ ﴿أَلَرٰ﴾ تكلَّمنا في أول «البقرة» على حروف الهجاء التي في أوائل السور.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إشارةٌ إلى ما تضمَّنته السورة من الآيات، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا: القرآن.

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ مِن الحكمة، أو من الحُكم، أو من الإحكام للأمر؛ أي: أَحْكَمه الله.

﴿٢﴾ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ الهمزة للإنكار، و﴿عَجَبًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ اسمها، و﴿أَنْ أَنذِرِ﴾ تفسيرٌ للوحي. والمراد بالناس هنا: كفار قريش وغيرهم، والرجل هنا: رسول الله ﷺ. ومعنىٰ الآية: الردُّ علىٰ من استبعدَ النبوة أو تعجَّبَ مِن أن يبعث الله رجلًا.

﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أي: عملٌ صالح قدَّموه. وقال ابن عباس ﷺ: السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ[1].

﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعنون: ما جاء به من القرآن. وقرئ ﴿لَسَاحِرٌ﴾[2]؛ يعنون به: النبي ﷺ. ويَحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسيرًا لما ذُكِر قبلُ مِن تعجُّبهم من النبوة، أو يكون خبرًا مستأنَفًا.

﴿٣﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ تعريفٌ بالله وصفاته؛ ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه ردٌّ علىٰ من أنكر النبوة؛ كأنه يقول: إنما أَدعوكم إلىٰ عبادة ربكم الذي خلق السماوات والأرض، فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين؟!

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أي: لا يشفع إليه أحدٌ إلَّا بعد أن يأذن له في الشفاعة، وفي هذا ردٌّ علىٰ المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم.

﴿٤﴾ ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ نصْبُ ﴿وَعْدَ﴾ علىٰ المصدر المؤكِّد للرجوع إلىٰ الله، ونصْبُ ﴿حَقًّا﴾ علىٰ المصدر المؤكِّد لوعدِ الله.

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: يبدؤه في الدنيا ويعيده في الآخرة، والبَدْأَة دليلٌ علىٰ العودة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليلٌ للعودة؛ وهي البَعث[3].

﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: بعدله في جزائهم، أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١١٠) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ.
(٢) قرأ نافع أبو عمرو وابن عامر ﴿لَسِحْرٌ﴾، وقرأ الباقون ﴿لَسَاحِرٌ﴾.
(٣) في أ، ب، ج، هـ: «البعثة».



﴿٥﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً﴾ وصْفُ أفعال الله وقدرته وحكمته. والضياء أعظم من النور.

﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ الضمير للقمر، والمعنىٰ: قدَّر سَيْرَه في منازل.

﴿وَٱلْحِسَابَ﴾ يعني: حساب الأوقات؛ من الأشهر والأيام والليالي.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: ما خلقه عبثًا، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلىٰ ما تقدَّم من المخلوقات.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قيل: معنىٰ ﴿يَرْجُونَ﴾ هنا: يخافون. وقيل: لا يرجون حسن لقائنا؛ فالرجاء علىٰ أصله. وقيل: ﴿لاَ يَرْجُونَ﴾: لا يتوقَّعونه أصلًا، ولا يخطر ببالهم.

﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: قَنِعوا أن تكون حظَّهم ونصيبَهم.

﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ أي: سكَنتْ نفوسهم عن ذكر الانتقال عنها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ يَحتمل أن تكون هي الفِرقة الأولىٰ؛ فيكون من عطف الصفات، أو تكون غيرها .

﴿٩﴾ ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ أي: يسدِّدهم بسبب إيمانهم إلىٰ الاستقامة. أو يهديهم في الآخرة إلىٰ طريق الجنة، وهذا أرجح؛ لما بعده.

﴿١٠﴾ ﴿دَعْوَيٰهُمْ فِيهَا﴾ أي: دعاؤهم.



*وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ *وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ أي: لو عجَّل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعًا. ونزلت الآية -عند قوم-: في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده[1]. وقيل: نزلت في الذين قالوا: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢][2].

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٣١) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٣٢) عن مجاهد وقتادة.
(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٤/ ٤٥٧)، ولم أقف عليه مسندًا.

﴿١٢﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ عتابٌ في ضمنه نهيٌ لمن يدعو الله عند الضر، ويَغفُل عنه عند العافية.

﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: مضطجعًا، وروي أنها نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة؛ لمرضٍ كان به[١].

﴿١٣﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ إخبارٌ في ضمنه وعيد للكفار.

﴿١٤﴾ ﴿لِنَنظُرَ﴾ معناه: ليظهرَ في الوجود؛ فتقوم عليكم الحجة.

﴿١٥﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: علىٰ قريش.

﴿١٦﴾ ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما تلوته إلَّا بمشيئة الله؛ لأنه من عنده وما هو من عندي.

﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: ولا أعلمكم به.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي: بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ما تكلَّمت في هذا حتىٰ جاءني من عند الله.

﴿١٧﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ تنصُّلٌ من الافتراء علىٰ الله، وبيان لبراءته ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب. أو[٢] إشارةٌ إلىٰ كذبهم علىٰ الله في نسبة الشركاء له.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ بيانٌ لظلمهم في تكذيب رسول الله ﷺ.

﴿١٨﴾ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَعْبُدُونَ﴾ لكفار العرب، و﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: هي الأصنام.

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم.

﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ ردٌّ عليهم في قولهم بشفاعة الأصنام، والمعنىٰ: أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومةٍ لله الذي هو عالم بما في السماوات والأرض، وكل ما ليس بمعلومٍ لله فهو عدَمٌ محضٌ، ليس بشيء؛ فقوله: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ تقريرٌ لهم علىٰ وجه التوبيخ والتهكُّم؛ أي: كيف تعلِّمون الله بما لا يعلم؟

---

(١) قاله مقاتل بن سليمان كما في تفسيره (٢/ ٢٣٠).

(٢) في د: «و».

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ تقدَّم في «البقرة» في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١١].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القضاء.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ كانوا يطلبون آية من الآيات التي اقترحوا، ولقد نزلت عليه آيات عظامٌ فما اعتدُّوا بها؛ لعنادهم وشدة ضلالهم.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، لا يطَّلع علىٰ ذلك أحد.

﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ أي: انتظروا نزول ما اقترحتموه.

﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ أي: منتظرٌ لعقابكم علىٰ كفركم.



وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿٢١﴾ ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ هذه الآية في الكفار، وتتضمَّن النهي لمن كان كذلك من غيرهم، والمكر هنا: الطعن في آيات الله وترك شكره، ومكر الله الموصوف بالسرعة: هو عقابه لهم، سماه مكرًا؛ مشاكلةً لفعلهم، وتسميةً للعقوبة باسم الذنب[1].

﴿٢٢﴾ ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ الضمير المؤنث في ﴿جَرَيْنَ﴾ للفُلك، والضمير في ﴿بِهِم﴾ للناس، وفيه الخروج من الخطاب إلىٰ الغيبة، وهو الذي يسمىٰ الالتفات.

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (١٧، ٣٩، ٥٨، ٦٠).

وجواب ﴿إِذَا كُنتُمْ﴾ قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ . وقوله: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾: قال الزمخشري: هو بدلٌ من ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾[1]. ومعناه: دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه.

﴿٢٣﴾ ﴿مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ رفعٌ[2] على أنه خبر ابتداء مضمر؛ تقديره: وذلك متاع، أو يكون خبر ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾[3]. ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ معنى الآية: تحقيرٌ للدنيا وبيانُ سرعة فنائها؛ فشبَّهها بالمطر الذي يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النباتَ آفةٌ عند حسنه وكماله.

﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ كالزرع والفواكه.

﴿وَٱلْأَنْعَـٰمُ﴾ يعني: المرعى الذي[4] ترعاه من العشب وغيرها.

﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ تمثيل بالعَروس إذا تزيَّنت بالثياب والحلي.

﴿قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: متمكِّنون من الانتفاع بها.

﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ أي: بعض الجوائح؛ كالريح، والصِّرِّ، وغير ذلك.

﴿فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا﴾ أي: جعلنا زرعها كالذي حُصِد وإن كان لم يُحصَد.

﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأن لم تَنْعَم.

﴿٢٥﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ أي: إلى الجنة، وسمِّيت دار السلام؛ أي: دار السلامة من العناء والتعب. وقيل: السلام هنا: اسم الله؛ أي: يدعو إلى داره.

﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ذكَر الدعوةَ إلى الجنة عامة مطلقة، والهدايةَ خاصة بمن يشاء.

---

(١) انظر: الكشاف (٧/ ٤٥٨).

(٢) قرأ حفص عن عاصم ﴿متاعَ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) وعلى القراءة بالنصب يكون إعراب ﴿متاعَ﴾ مصدر في موضع الحال من البغي، أي: متمتعين، وخبر البغي - على هذا- محذوف تقديره: مذموم أو مكروه أو نحو هذا، ويصح أن ينتصب ﴿متاعَ﴾ بفعل مضمر تقديره: تُمتَّعون متاعَ الحياة الدنيا. المحرر الوجيز (٤/ ٤٦٩)، والبحر المحيط (١٢/ ٥٦).

(٤) في أ، ب، ج، هـ: «التي»!

﴿٢٦﴾ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ **الحسنىٰ**: الجنة، **والزيادة**: النظر إلىٰ وجه الله. وقيل: **الحسنىٰ**: جزاء الحسنة بعشر أمثالها، **والزيادة**: التضعيف فوق ذلك إلىٰ سبع مئة. والأول أصح؛ لوروده في الحديث[(١)]، وكثرة القائلين به.

﴿قَتَرٌ﴾ أي: غبار يغيِّر الوجه.

﴿٢٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مبتدأ علىٰ حذف مضاف؛ تقديره: جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، أو علىٰ تقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها. أو معطوفٌ علىٰ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾؛ ويكون: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿بِمِثْلِهَا﴾[(٢)].

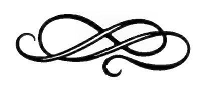
﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: لا يعصمهم أحدٌ من عذاب الله.

﴿قِطَعاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِماً﴾ من قرأ بفتح الطاء[(٣)]: فهو جمع قطعة، وإعراب ﴿مُظْلِماً﴾ علىٰ هذه القراءة: حال من ﴿ٱلَّيْلِ﴾. ومن قرأ ﴿قِطْعاً﴾ بإسكان الطاء: فـ﴿مُظْلِماً﴾: صفة له، أو حال من ﴿ٱلَّيْلِ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿مَكَانَكُمْ﴾ تقديره: الزَموا مكانكم؛ أي: لا تبرحوا حتىٰ تنظروا ما يُفعَلُ بكم.

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرَّقنا.

﴿٣٠﴾ ﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ أي: تَختبر ما قدَّمت من الأعمال. وقرئ ﴿تَتْلُواْ﴾ بتاءين[(٤)]؛ بمعنىٰ: تَتبَع، أو تقرؤه في الصحائف.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٦١).

(٢) كذا قال: «وخبره ﴿بمثلها﴾»! وفي المحرر الوجيز (٤/ ٤٧٤) والكشاف (٧/ ٤٧٠): أن خبر ﴿جزاءُ سيئة﴾ علىٰ هذا الوجه: ﴿والذين﴾ المعطوف.

(٣) قرأ ابن كثير والكسائي بإسكان الطاء، وقرأ الباقون بفتحها.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بتاءين، وقرأ الباقون بالتاء والباء.

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ *وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

﴿٣١﴾ **﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ الآية**: احتجاجٌ على الكفار بحُججٍ كثيرة واضحة، لا محيص لهم عن الإقرار بها.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ مذكور في «**آل عمران**»[1].

﴿٣٢﴾ **﴿رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾** أي: الثابت الربوبية، بخلاف ما يعبدون من دونه.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ أي: عبادة غير الله ضلالٌ بعد وضوح الحق. وتدلُّ الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات؛ إذ الحقُّ فيها في طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع[2].

---

(١) انظر تفسير الآية (٢٧).

(٢) [التعليق ٦٢] قال الشيخ عبد الرحمن البراك: قوله: «وتدلُّ الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة» إلخ؛ ما قاله ﷺ من دلالة الآية على أنه لا واسطة بين الحق والباطل صحيح، وهو ظاهر الآية، كما قال، =

﴿٣٣﴾ ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ **المعنىٰ**: كما حقَّ الحقُّ في الاعتقادات كذلك حقت كلمات ربك علىٰ الذين عتوا وتمرَّدوا في كفرهم أنهم لا يؤمنون. **والكلمة يراد بها**: القدر والقضاء.

﴿٣٤﴾ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ الآيَةَ؛ احتجاجٌ علىٰ الكفار. **فإن قيل**: كيف يُحتَجُّ عليهم بإعادة الخلق، وهم لا يعترفون بها؟

فالجواب: أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون علىٰ الابتداء ولا علىٰ الإعادة؛ ففي ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضًا فوُضِعت الإعادة هنا موضع المتَّفق عليه؛ لظهور برهانها.

﴿٣٥﴾ ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ **بتشديد الدال**[1]؛ معناه: لا يهتدي في نفسه، فكيف يهدي غيرَه؟ **وقرئ بالتخفيف**؛ بمعنىٰ: يَهدِي غيره. والقراءة الأولىٰ أبلغ في الاحتجاج.

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية معناها تقرير وتوبيخ، و﴿لَكُمْ﴾ خبرها، ويوقف عليه.

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله.

= فمعنىٰ الآية: فما لم يكن من الحق فهو باطل؛ فالحق والباطل نقيضان، لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فلا يكون الشيء حقًّا باطلًا، ولا يكون لا حقًّا ولا باطلًا، وهذا معنىٰ قول المؤلف: إنه لا واسطة بين الحق والباطل، لكن المؤلف ﷺ قصر الآية علىٰ مسائل الاعتقاد دون مسائل الفروع، وفي الصواب أن الآية عامة، ولا ريب أن الاختلاف في العقائد اختلاف تضاد، فما خرج عن الحق الذي قام عليه الدليل فهو باطل، وأما الاختلاف في الفروع فهو نوعان: اختلاف تضاد، واختلاف تنوع؛ فما كان من اختلاف التضاد فيدخل في معنىٰ الآية، مثل من يقول في شيء: هذا حلال، ويقول المخالف: بل هو حرام، فما كان منهما هو الحق فالآخر باطل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾، ومعلوم أنه لا يمتنع أن يكون الشيء حلالا حراما من وجه واحد، ولا يكون لا حلالا ولا حراما، وعليه فلا يكون المختلفان في اختلاف التضاد مصيبين، ولا يكون كلٌّ منهما مخطئًا؛ لأنه في الأول ينتفي النقيضان، وفي الثاني يجتمع النقيضان، وخلاصة القول: أن ما علم أنه الحق بالدليل، فما خالفه فهو باطل ولا بد، وعليه فتبقىٰ الآية علىٰ إطلاقها، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾.

(١) قرأ حمزة والكسائي ﴿يَهْدِي﴾ بتخفيف الدال، مع فتح الياء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بتشديد الدال، ثم اختلفوا في الياء والهاء، فقرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع وأبو عمرو في أحد الوجهين: ﴿يَهَدِّي﴾ بفتح الياء والهاء، وقرأ قالون في أحد وجهيه: ﴿يَهْدِّي﴾ بفتح الياء وإسكان الهاء، وقرأ حفص عن عاصم ﴿يَهِدِّي﴾ بفتح الياء وكسر الهاء، وقرأ شعبة عن عاصم ﴿يِهِدِّي﴾ بكسر الياء والهاء، وقرأ أبو عمرو وقالون في وجههم الثاني باختلاس فتحة الهاء.

(٣٦) ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: غيرَ تحقيق؛ لأنه لا يستند إلىٰ برهان.

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ ذلك في الاعتقادات؛ إذ المطلوب فيها اليقين، بخلاف الفروع(١).

(٣٧) ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مذكور في «البقرة»(٢).

(٣٨) ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا بمعنىٰ: «بل» والهمزة.

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ تعجيز لهم، وإقامة حجة عليهم.

﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ يعني: شركاءكم وغيرهم من الجن والإنس.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غير الله.

(٣٩) ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: سارَعوا إلىٰ التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: عِلْمُ تأويله، أو يعني بتأويله: الوعيدَ الذي فيه لهم.

(٤٠) ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآيةَ؛ فيها قولان:

أحدهما: أنها إخبارٌ بما يكون منهم في المستقبل، وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادىٰ علىٰ الكفر.

والآخر: أنها إخبارٌ عن حالهم؛ أن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه، ومنهم من هو مكذب.



---

(١) انظر التعليق الذي سبق عند تفسير الآية رقم (١٠٣) من سورة آل عمران.

(٢) انظر تفسير الآية (٤٠).

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْـًٔا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

﴿٤١﴾ ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ الآية موادَعة، منسوخةٌ بالقتال.

﴿٤٢﴾ ﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يستمعون القرآن، وجمع الضمير بالحمْل على معنى «مَن».

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ المعنى: أتريد أن تسمع الصم؟ وذلك لا يكون؛ لا سيما إذا انضاف إلى الصَّمَم عدمُ العقل.

﴿٤٣﴾ ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ المعنى: أتريد أن تهدي العمي؟ وذلك لا يكون؛ لا سيما إذا انضاف إلى عمى[1] البصر عمى البصيرة. والصَّمَم والعمَى: عبارةٌ عن قلة فهمهم.

﴿٤٥﴾ ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ تقليلٌ لمدة بقائهم في الدنيا، أو في القبور.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: يومَ الحشر؛ فهو -على هذا- (عاملٌ في ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾، أو)[2]

(١) في أ: «عدم».
(٢) سقط من أ، ب، ج، هـ.

حالٌ من الضمير في ﴿يَلْبَثُوٓاْ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ شرطٌ، جوابه: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾، **والمعنىٰ: إن أريناك بعض عذابهم في الدنيا فذلك، وإن توفَّيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم.**

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ ذكرت «**ثم**» لترتيب الإخبار، لا لترتيب الأمر. **قاله ابن عطية**[1]. **وقال الزمخشري**: ذُكِرت الشهادة والمراد مقتضاها؛ وهو العقاب[2]. فالترتيب علىٰ هذا صحيح.

﴿٤٧﴾ ﴿وَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ **قيل**: مجيئه في الآخرة للفصل، **وقيل**: مجيئه في الدنيا؛ وهو بعثه.

﴿٤٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ كلامٌ فيه استبعاد واستخفاف.

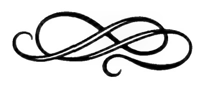
﴿٥٠﴾ ﴿بَيَٰتًا﴾ أي: بالليل.

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ **المعنىٰ**: أيُّ شيء تستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به! وقوله: ﴿مَّاذَا﴾ جواب ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ﴾، والجملة متعلقة بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾.

﴿٥١﴾ ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ دخلت همزة التقرير علىٰ «**ثم**» العاطفة، **والمعنىٰ**: أإذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به الآن؟! وذلك لا ينفعكم؛ لأنكم كنتم تستعجلون به مكذِّبين به.

﴿٥٣﴾ ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: يسألونك هل الوعيد حق؟ أو: هل الشرع والدين حق؟ **والأول أرجح**؛ لقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: لا تَفُوتون من الوعيد.

﴿قُلْ إِى﴾ أي: نعم.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤٨٨).

(٢) انظر: الكشاف (٧/ ٤٩٨).

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥٤﴾ ﴿ظَلَمَتْ﴾ صفةٌ لـ﴿نَفْسٍ﴾؛ أي: لو ملك الظالمُ الدنيا لافتدىٰ بها من عذاب الآخرة.

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها.

﴿٥٧﴾ ﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: يَشفي ما فيها من الجهل والشكِّ.

﴿٥٨﴾ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يتعلَّق ﴿بِفَضْلِ﴾ بقوله: ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾، وكرَّر الفاء في قوله: ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ تأكيدًا، والمعنىٰ: الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما. والفضل والرحمة: عموم، وقد قيل: الفضل: الإسلام، والرحمة: القرآن.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا.

﴿٥٩﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ الآيةَ؛ مخاطبةٌ لكفار العرب الذين حرَّموا البَحِيرة والسائبة وغير ذلك.

﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلِّق بـ﴿أَرَأَيْتُم﴾، وكرَّر ﴿قُلْ﴾ للتأكيد، ولما قسَم الأمر إلىٰ إذْن الله لهم وافترائهم ثبت افتراؤهم؛ لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك.

﴿٦٠﴾ ﴿وَمَا ظَنُّ﴾ وعيدٌ للذين يفترون.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف منصوب بالظن، والمعنىٰ: أي شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم؟!



*﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٦٦) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)﴾

(٦١) ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ **الشأن**: الأمر، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: هو وجميع الخلق؛ ولذلك قال في آخرها: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ بمخاطبة الجماعة. **ومعنى الآية**: إحاطة علم الله بكل شيء.

﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ **الضمير عائد** على القرآن وإن لم يتقدَّم ذِكْرُه؛ لدلالة ما بعده عليه؛ كأنه قال: ما تتلو شيئًا من القرآن. **وقيل**: يعود على الشأن. **والأول أرجح**؛ لأن الإضمار قبل الذِّكر تفخيمٌ للشيء.

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يقال: أفاض الرجل في الأمر: إذا أخذ فيه بجِدٍّ.

﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ ما يغيب.

﴿مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزنها، **والذرة**: صغار النمل. **قال الزمخشري**: **إن قلتَ**: لم قُدِّمت الأرض على السماء بخلاف سورة «سبأ»؟ **فالجواب**: أن السماء قدِّمت في «سبأ»؛ لأن حقَّها

التقديم، وقدِّمت الأرض هنا؛ لـمَّا ذُكِرت الشهادة على أهل الأرض(١).

﴿وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ من قرأهما بالفتح(٢): فهو عطفٌ على لفظ ﴿مِّثۡقَالِ﴾. ومن قرأهما بالرفع: عطفَه على موضعه، أو رفَع بالابتداء.

﴿٦٢﴾-﴿٦٣﴾ ﴿أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ اختَلف الناس في معنى الولي اختلافًا كثيرًا، والحقُّ فيه ما فسَّره الله بعد هذا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي. وإعراب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: صفةٌ للأولياء، أو منصوبٌ على التخصيص، أو رفعٌ بإضمار: هم الذين. ولا يكون ابتداءً مستأنفًا؛ لئلا ينقطع مما قبله.

﴿٦٤﴾ ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ أما بشرى الآخرة: فهي الجنة اتفاقًا. وأما بشرى الدنيا: فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، روي ذلك عن رسول الله ﷺ(٣).

وقيل: محبة الناس للرجل الصالح، وقيل: ما بشَّر به في القرآن من الثواب.

﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لا تغيير لأقواله ولا خُلْفَ لمواعده. وقد استدلَّ بها ابن عمر رضي الله عنهما على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدِّله(٤).

﴿٦٥﴾ ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ يعني: ما يقوله الكفار من التكذيب.

﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ إخبارٌ في ضمنه وعدٌ للنبي ﷺ بالنصر، وتسليةٌ له.

﴿٦٦﴾ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، وأُوجِبت بقوله: ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾، وكرَّر ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ توكيدًا، والمعنى: ما يتبع الكفار إلَّا الظن.

---

(١) انظر: الكشاف (٧/ ٥١٩).

(٢) قرأ حمزة برفع الراء فيهما، وقرأ الباقون بالنصب.

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٦)، والحاكم (٣٣٠١) وصححه ووافقه الذهبي.

والوجه الثاني: أن تكون ﴿مَا﴾ استفهامية، ويتمُّ الكلام عند قوله: ﴿شُرَكَآءَ﴾، والمعنىٰ: أيُّ شيء يتبعون؟ علىٰ وجه التحقير لما يتبعونه، ثم ابتدأ الإخبار بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ . والعامل في ﴿شُرَكَآءَ﴾ علىٰ الوجهين: ﴿يَدْعُونَ﴾ .

(٦٧) ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ من السُّكون؛ وهو ضدُّ الحركة.

﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ أي: مُضيئًا تبصرون فيه الأشياء.

(٦٨) ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً﴾ **الضمير**: للنصارىٰ، ولمن قال: إن الملائكة بنات الله.

﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ وصفٌ يقتضي نفيَ الولد، والردَّ علىٰ من نسبه لله؛ لأن الغني المطلق لا يفتقر إلىٰ اتخاذ ولد.

﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بيانٌ وتأكيد للغني، وباقي الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم.

(٧٠) ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ **تقديره**: لهم متاع في الدنيا.



*وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

﴿٧١﴾ ﴿نُوحٍ﴾ روي أن اسمه عبد الغفار[1]، وإنما سمي نوحًا؛ لكثرة نَوْحِه على نفسه من خوف الله.

﴿كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ أي: صعب وشقَّ.

﴿مَّقَامِي﴾ أي: قيامي لوعظكم والكلام معكم. وقيل: معناه: مكاني؛ يعني: نفسه، كقولك: فعلت ذلك لمكان فلان.

﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾ بقطع الهمزة[2]؛ مِن أجمع الأمرَ: إذا عزَم عليه. وقرئ بألف وصل؛ من الجمع.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) قرأ رويس عن يعقوب ﴿فاجمَعُوا﴾ بهمزة وصل، وقرأ السبعة وبقية العشرة: ﴿فأجمعوا﴾ بهمزة قطع.

﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: ما تعبدون من دون الله. وإعرابه: مفعول معه، أو مفعول بفعل مضمر تقديره: ادعوا. وهذا على القراءة بقطع الهمزة. وأما على الوصل: فهو معطوف.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: لا يكنْ قصْدُكم إلى إهلاكي مستورًا، ولكن مكشوفًا تجاهرونني به، وهو من قولك: غُمَّ الهلال: إذا لم يَظهر. والمراد بقوله: ﴿أَمْرُكُمْ﴾ في الموضعين: إهلاككم لنوح عليه السلام؛ أي: لا تقصِّروا في إهلاكي إن قدَرتم على ذلك.

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: انفُذوا فيَّ ما تريدون. ومعنى الآية: أن نوحًا عليه السلام قال لقومه: إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما تريدون؛ فإني لا أبالي بكم؛ لتوكُّلي على الله وثقتي به سبحانه.

(٧٣) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ أي: يخلفون مَن هلك بالغرق.

(٧٤) ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا﴾ يعني: هودًا وصالحًا وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم.

(٧٧) ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ قيل: إنه معمول ﴿أَتَقُولُونَ﴾ ؛ فهو من كلام قوم فرعون، وهذا ضعيف؛ لأنهم كانوا يصمِّمون على أنه سحر؛ لقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، فكيف يستفهمون عنه؟ وقيل: إنه من كلام موسى تقريرًا وتوبيخًا لهم، فيوقف على قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ ، ويكون معمول ﴿أَتَقُولُونَ﴾ محذوفًا؛ تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر، ويدلُّ على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ، فلما تمَّ الكلام ابتدأ موسى يوبِّخهم[1] بقوله: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير رحمه الله.

(٧٨) ﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ أي: لتصرفنا وتردَّنا عن دين آبائنا.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي: الملك، والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام.

(٨١) ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ﴾ ﴿مَا﴾ موصولةٌ مرفوعة بالابتداء، و﴿السِّحْرُ﴾ الخبر.

---

(١) في ج، د: «توبيخهم».

وقرئ ﴿آلسِّحْرُ﴾ بالاستفهام[1]؛ فـ﴿مَا﴾ على هذا استفهامية[2]، و﴿ٱلسِّحْرُ﴾ خبر ابتداء مضمر[3].

﴿٨٢﴾ ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ **يحتمل أن يكون من كلام موسى ﷺ، أو إخبارًا من الله تعالىٰ.**



(١) قرأ أبو عمرو بالاستفهام، وقرأ الباقون ﴿السحرُ﴾ بدون استفهام.

(٢) و﴿جِئْتُم بِهِ﴾ الخبر.

(٣) تقديره: «أهو السحر»، والاستفهام فيه بدل من الاستفهام الأول. المحرر الوجيز (٤/ ٥١٢).

*فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسِيٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَيٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمُۥٓ أَن يَّفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسِيٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمُۥٓ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيٰ مُوسِيٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُومِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسِيٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيا رَبَّنَا لِيَضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُومِنُواْ حَتَّيٰ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدُ اجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّيٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَآءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلَٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنَ ـايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

﴿٨٣﴾ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسِيٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ الضمير عائد على موسى عليه السلام، ومعنى الذرية: شُبَّانٌ وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوفهم من فرعون. وقيل: إن الضمير عائد على فرعون، فالذرية على هذا من قوم فرعون، وروي في هذا أنها امرأة فرعون وخازنُه[1] وامرأة خازنه[2]، وهذا بعيد؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور.

﴿عَلَيٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمُۥٓ﴾ الضمير يعود على الذرية؛ أي: آمنت الذرية من بني إسرائيل؛ على خوف من فرعون وملإ بني إسرائيل؛ لأن الأكابر من بني إسرائيل كانوا يَمنعون أولادهم من الإيمان؛ خوفًا من فرعون.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «وخازنته».

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٤٦) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: يعود على فرعون؛ بمعنى: آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ بدلٌ من ﴿فِرْعَوْنَ﴾.

﴿لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: متكبِّرٌ قاهر.

(٨٥) ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تمكِّنهم من عذابنا فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما عذَّبناهم، فيُفتنون بذلك.

(٨٧) ﴿أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ أي: اتَّخذا[1] لهم بيوتًا للصلاة والعبادة، وقيل: إنه أراد الإسكندرية.

﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: مساجد، وقيل: موجَّهة إلى جهة القبلة. فإن قيل: لم خصَّ موسى وهارون ﷺ بالخطاب في قوله ﴿أَن تَبَوَّآ﴾، ثم خوطب معهما بنو إسرائيل في قوله: ﴿وَاجْعَلُوا﴾؟ فالجواب: أن قوله ﴿تَبَوَّآ﴾ من الأمور التي يختصُّ بها الأنبياء وأولو الأمر.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أمرٌ لموسى ﵇، وقيل: لمحمد ﷺ.

(٨٨) ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ دعاءٌ بلفظ الأمر. وقيل: اللام لام كي، وتتعلَّق بقوله: ﴿آتَيْتَ﴾.

﴿اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: أهلِكها.

﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: اجعلها شديدة القسوة.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ جوابٌ للدعاء الذي هو ﴿وَاشْدُدْ﴾ . أو دعاءٌ بلفظ النهي[2].

(٨٩) ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ الخطاب لموسى وهارون ﷺ؛ على أنه لم يذكر الدعاء إلَّا عن موسى وحده، ولكن كان موسى يدعو، وهارون يؤمِّن على دعائه.

﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ أي: اثبُتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «اتخذ».

(٢) في ب، ج، هـ: «النفي».

(٩٠) ﴿وَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ أي: لحقهم؛ يقال: تَبِعه حتىٰ أَتْبَعه، هكذا قال الزمخشري[١]. وقال ابن عطية: أَتْبَع بمعنىٰ تَبِع، وأما اتَّبع -بالتشديد- فهو طلَبُ الأثر، سواءٌ أدرك أو لم يدرك[٢].

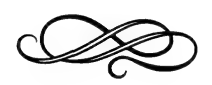
﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني: الله عز وجل، وفي لفظ فرعون مَجْهَلةٌ وتلعثُمٌ؛ لكونه لم يصرح باسم الله.

(٩١) ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي: قيل له: أتؤمن الساعةَ في وقت الاضطرار؟ وذلك لا يُقبل منك.

(٩٢) ﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي: نُبْعِدُك مما جرىٰ لقومك من الوصول إلىٰ قعر البحر. وقيل: نلقيك علىٰ نجوةٍ من الأرض؛ أي: علىٰ موضع مرتفع.

﴿بِبَدَنِكَ﴾ أي: بجسدك جسدًا دون روح. وقيل: بدرعك، وكانت له درع من ذهب يعرف بها. والمجرور[٣] في موضع الحال، والباء للمصاحبة.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي: لمن وراءك آية، وهم بنو إسرائيل.



---

(١) انظر: الكشاف (٧/ ٥٥٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٥٢١).

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «والمحذوف»، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٧/ ٥٦٠).

*وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيَ إِسْرَآءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ اَلطَّيِّبَٰتِ فَمَا اَخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ اُلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِے بَيْنَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِے شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ اِلذِينَ يَقْرَءُونَ اَلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ اَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ اَلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ اَلذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ اِللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ اَلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ اَلذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَٰتُ رَبِّكَ لَا يُومِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ اُلْعَذَابَ اَلَالِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ـ امَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ اَلْخِزْيِ فِے اِلْحَيَوٰةِ اِلدُّنْيا وَمَتَّعْنَٰهُمُۥ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ ءَلَامَنَ مَن فِے اِلَارْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً اَفَأَنتَ تُكْرِهُ اُلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُومِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَن تُومِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اِللَّهِ وَيَجْعَلُ اُلرِّجْسَ عَلَى اَلذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلُ انظُرُواْ مَاذَا فِے اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ وَمَا تُغْنِے اِلَايَٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُومِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ اِلذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوٓاْ إِنِّے مَعَكُم مِّنَ اَلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّے رُسُلَنَا وَالذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنَجِّ اِلْمُومِنِينَ ﴿١٠٣﴾

﴿٩٣﴾ ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلًا حسنًا، وهو مصر والشام.

﴿فَمَا اَخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ اُلْعِلْمُ﴾ قيل: يريد اختلافهم في دينهم، وقيل: اختلافهم في أمر محمد ﷺ.

﴿٩٤﴾ ﴿فَإِن كُنتَ فِے شَكٍّ﴾ قيل: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره. وقيل: ذلك كقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبَرَّني، مع أنه لا يشك أنه ابنه، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يشكَّ النبي ﷺ ولم يَسأل[1]. وقال الزمخشري: ذلك على وجه الفرض والتقدير؛ أي: إن فرضت أن تقع في شك فاسأل[2].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٦) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) انظر: الكشاف (٧/ ٥٦٤).

﴿مِمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ **قيل**: يعني: القرآن والشرع بجملته، وهذا أظهر. **وقيل**: يعني ما تقدَّم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلَّا من بعد ما جاءهم الحق.

﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ يعني: الذين يقرؤون التوراة والإنجيل. **قال السهيلي**: هم عبد الله بن سلَام ومُخَيرِيق ومَن أسلم من الأحبار[1]. وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحَمْلُ الآية على الإطلاق أولى.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ والمراد غيره.

(٩٦) ﴿حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: قضى أنهم لا يؤمنون.

(٩٨) ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ﴾ «**لولا**» هنا للتَّحضيض؛ بمعنى «هلَّا»، وقرئ في الشاذ: «**هلَّا**»[2]. **والمعنى**: هلَّا كانت قريةٌ من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها! إذ لا ينفع بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون.

﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾ استثناءٌ من القرى؛ لأن المراد أهلها، وهو استثناء منقطع، بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب. ويجوز أن يكون متصلًا، والجملة في معنى النفي؛ كأنه قال: ما آمنت قرية إلَّا قوم يونس. وروي في قَصَصِهم: أن يونس عليه السلام أنذرهم بالعذاب، فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم، فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى، فدفعه الله عنهم.

﴿وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ يريد: إلى آجالهم المكتوبة في الأزل.

(٩٩) ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ الهمزة للإنكار؛ أي: أتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك؟ وليس ذلك إليك، إنما هو بيد الله. وقيل: المعنى: أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا؟ وكان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد، ثم نُسخت بالسيف.

---

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ١٣٤).

(٢) في المحرر الوجيز (٤/ ٥٢٨): «في مصحف أبي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: (فهلَّا)».

﴿١٠١﴾ ﴿انظُرُواْ﴾ أمرٌ بالاعتبار والنظر في آيات الله.

﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: من قضى الله عليه أنه لا يؤمن. و«ما»: نافية، أو استفهامية يراد بها النفي.

﴿١٠٢﴾ ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ الآيةَ؛ تهديدٌ.

﴿١٠٣﴾ ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراضٌ بين العامل ومعموله، وهما: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ و﴿نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.



*قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِے شَكٍّ مِّن دِينِے فَلَآ أَعْبُدُ ٱلذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَ اَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلذِے يَتَوَفّ۪يٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنَ اَكُونَ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنَ اَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَّمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُّرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِے لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

﴿١٠٥﴾ ﴿وَأَنَ اَقِمْ وَجْهَكَ﴾ الوجه هنا بمعنىٰ: القصد والدِّين.

﴿١٠٨﴾ ﴿وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ منسوخٌ بالقتال، وكذلك قوله: ﴿وَاصْبِرْ﴾.

﴿١٠٩﴾ ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ وعدٌ بالنصر والظهور علىٰ الكفار.





سورة هود

﴿الٓر كِتَٰبٌ اُحْكِمَتَ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ اَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا اَ۬للَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ اِسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعاً حَسَناً اِلَيٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّيٗ وَيُوتِ كُلَّ ذِے فَضْلٖ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ كَبِيرٍ ۝٣ اِلَي اَ۬للَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَيٰ كُلِّ شَےْءٖ قَدِيرٌ ۝٤ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ اِ۬لصُّدُورِ ۝٥ *وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِے اِ۬لَارْضِ إِلَّا عَلَى اَ۬للَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلّٞ فِے كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦ وَهُوَ اَ۬لذِے خَلَقَ اَ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضَ فِے سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى اَ۬لْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمُۥٓ أَيُّكُمُۥٓ أَحْسَنُ عَمَلاٗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ اِ۬لْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ اَ۬لذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٞ مُّبِينٞ ۝٧ وَلَئِنَ اَخَّرْنَا عَنْهُمُ اُ۬لْعَذَابَ إِلَيٰٓ أُمَّةٖ مَّعْدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَاتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾

(١) ﴿كِتَٰبٌ﴾ يعني: القرآن، وهو خبر ابتداء مضمرٍ.

﴿اُحْكِمَتَ﴾ أي: أُتقنت؛ فهو من الإحكام للشيء.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ قيل: معناه: بُيِّنتْ، وقيل: قُطِّعت سورةً سورة. و﴿ثُمَّ﴾ هنا ليست للترتيب في الزمان، وإنما هي لترتيب الأحوال؛ كقولك: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل.

(٢) ﴿اَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا اَ۬للَّهَ﴾ «أن»: مفسِّرة. وقيل: مصدرية؛ في موضع مفعول من أجله، أو بدل من الآيات. أو يكون كلامًا مستأنَفًا، منقطِعًا عما قبله، علىٰ لسان رسول الله ﷺ، ويدلُّ علىٰ ذلك قوله: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ .

(٣) ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي: استغفروه مما تقدَّم من الشرك والمعاصي، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها.

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ أي: ينفعكم[1] في الدنيا بالأرزاق، والنعم، والخيرات. وقيل: هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه؛ لأن الكافر قد يُمتَّع في الدنيا بالأرزاق.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: الموت.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ أي: يعطي في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله. والضمير يَحتمل أن يعود على الله تعالى، أو على ﴿ذِي فَضْلٍ﴾.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ خطاب للناس، وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يعني: يوم القيامة، أو غيرَه كيوم بدر.

(٥) ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾ قيل: كان الكفار إذا لقيهم رسول الله ﷺ يردُّون إليه ظهورهم؛ لئلا يروه من شدة البُغضة والعداوة، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ على هذا يعود على رسول الله ﷺ. وقيل: إن ذلك عبارة عما تنطوي عليه صدورهم من البغض والغِلِّ. وقيل: هو عبارة عن إعراضهم؛ لأن مَن أعرض عن شيء انثنى عنه وانحرف. والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ على هذا يعود على الله تعالى؛ أي: يريدون أن يستخفوا من الله تعالى؛ فلا يُطْلِع رسولَه والمؤمنين[2] على ما في قلوبهم.

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: يجعلونها أَغْشِية وأغطية؛ كراهةً لاستماع القرآن، والعامل في ﴿حِينَ﴾ : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ . وقيل: المعنى: يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم، فيوقف عليه على هذا، ويكون ﴿يَعْلَمُ﴾ استئنافًا.

(٦) ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وعدٌ وضمان صادق. فإن قيل: كيف قال: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضُّلٌ؛ لأن الله لا يجب عليه شيء؟

---

(١) في هـ: «يمتعكم».
(٢) في أ، ب، د، هـ: «فلا يطّلع رسولُه والمؤمنون».

فالجواب: أنه ذكَره كذلك تأكيدًا في الضمان؛ ولأنه لما وعد به صار واقعًا لا محالة؛ لأنه لا يخلف الميعاد.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ **المستقَر:** صلب الأب، **والمستودَع:** بطن الأم. **وقيل: المستقر:** المكان في الدنيا، **والمستودع:** القبر.

(٧) ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ دليلٌ على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السماوات والأرض.

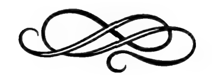
﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم اختبارًا تقوم به الحجة عليكم؛ لأنه كان عالـمًا بأعمالكم قبل خلقكم، ويتعلق ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ بـ﴿خَلَقَ﴾ .

﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ **يَحتمل أن يشيروا** إلى القرآن، أو إلى القول بالبعث؛ يعنون أنه باطل كبطلان السحر.

(٨) ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ **يَحتمل أن يريد:** عذاب الدنيا، أو الآخرة.

﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى وقت محدود.

﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي: أيُّ شيء يمنع هذا العذابَ الموعودَ به؟ وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف.



وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

﴿٩﴾ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا﴾ الآيَةَ؛ ذمٌّ لمن يقنط عند الشدائد، ولمن يفخر ويتكبَّر عند النعم. **والرحمة هنا والنعماء**: يراد بهما الخيرات الدنياوية. **والإنسان**: عام يراد به الجنس، والاستثناء على هذا متصل. **وقيل**: المراد بالإنسان الكافر، فالاستثناء على هذا منقطع.

﴿١٢﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ الآيَةَ؛ كان الكفار يقترحون على رسول الله ﷺ أن يأتي بكنز أو يأتي معه ملك، وكانوا يستهزئون بالقرآن، فقال الله تعالى له: لعلك تترك أن تُلقِيَ إليهم بعض ما أنزل إليك ويَثْقُلُ عليك تبليغهم من أجل استهزائهم، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا: لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك.

والمقصد بالآية: تسليته ﷺ عن قولهم حتى يبلِّغ الرسالة، ولا يباليَ بهم.

وإنما قال ﴿ضَآئِقٌۢ﴾ ، ولم يقل «ضيِّق»؛ ليدلَّ على اتساع صدره ﷺ وقلة ضيقه.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي: ليس عليك إلَّا الإنذار والتبليغ، والله هو الوكيل الذي يقضي بما شاء من إيمانهم أو كفرهم.

﴿١٣﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ «أم» هنا منقطعة بمعنى: «بل» والهمزة، والضمير في ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لما يوحَى إليه.

﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ تحدَّاهم أوَّلًا بعشر سور، فلما بان عجزهم عنها تحداهم بسورة واحدة فقال: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]، والمماثلة المطلوبة: في فصاحته وعلومه.

﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ صفة لـ﴿عَشْرِ سُوَرٍ﴾، وذلك مقابلةٌ لقولهم ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾، وليست المماثلة في الافتراء.

﴿وَادْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ أي: استعينوا بمن شئتم.

(١٤) ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ وللمؤمنين؛ أي: إن لم يستجب الكفار إلىٰ ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن؛ فاعلموا أنه من عند الله، وهذا علىٰ معنىٰ: دوموا علىٰ علمكم بذلك، أو زيدوا يقينًا به.

والثاني: أن يكون خطابًا من النبي ﷺ للكفار؛ أي: إن لم يستجب مَن تدعونه مِن دون الله إلىٰ شيء من المعارضة ولا قَدَر جميعكم عليه؛ فاعلموا أنه من عند الله، وهذا أقوىٰ من الأول؛ لقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. ومعنىٰ ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾: بإذنه، أو بما لا يعلمه إلَّا الله من الغيوب. وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: استدعاء إلىٰ الإسلام، وإلزام للكفار أن يسلموا، لـمَّا قام الدليل علىٰ صحة الإسلام؛ لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن.

(١٥) ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الآيةَ؛ نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا، ولا يريدون الآخرة؛ إذ هم لا يصدِّقون بها. وقيل: نزلت في أهل الرياء من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا، حسَبما ورد في الحديث -في القارئ، والمنفق، والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك-: «إنهم أول من تسعَّر[1] بهم النار»[2].

---

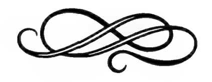
(١) كذا في هامش أ: «خ: تسعر» وهو الموافق لما في الرواية، وفي بقية النسخ: «تسجَّرُ».

(٢) وهو من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه مسلم (١٩٠٥)، ولفظه: «إن أول الناس يقضىٰ يوم القيامة عليه..»، وزاد في آخره الترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٨٢٤)، وابن خزيمة (٢٤٨٢)، وابن حبان (٤٠٨)، والحاكم (١٥٢٧): ثم ضرب رسول الله ﷺ علىٰ ركبتي، فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة».

والأول أرجح[1]؛ لتقدُّم ذكر الكفار المناقضين للقرآن، فإنما قصَد بهذه الآية أولئك.

﴿نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾ أي: نوفِّ إليهم أجور أعمالهم بما نعطيهم في الدنيا من الصحة والرزق. والضمير في ﴿فِيهَا﴾ يعود على الدنيا، والمجرور متعلِّق بقوله: ﴿نُوَفِّ﴾، أو بـ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ الضمير في ﴿فِيهَا﴾ هنا: يعود على الآخرة: إن تعلق المجرور بـ ﴿حَبِطَ﴾. ويعود على الدنيا: إن تعلق بـ﴿صَنَعُواْ﴾ .



(١) في أ، ب: «أوضح».

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿١٧﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآية؛ معادِلةٌ لما تقدَّم، والمعنىٰ: أَمَن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان علىٰ بينة من ربه. والمراد بمن كان علىٰ بينة من ربه: النبي ﷺ والمؤمنون؛ لقوله بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾. ومعنىٰ البينة: البرهان العقلي والأمر الجلي.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الضمير في ﴿يَتْلُوهُ﴾: للبرهان؛ وهو البينة، أو لمن كان علىٰ بينة من ربه. والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ للرب تعالىٰ. و ﴿يَتْلُوهُ﴾ هنا بمعنىٰ: يتبع. والشاهد يراد به: القرآن؛ فالمعنىٰ: يَتْبعُ ذلك البرهانَ شاهدٌ من الله وهو القرآن، فيزيدُ وضوحَه وتعظيمَ دلالتِه[1]. وقيل: إن الشاهد المذكور هنا: هو علي بن أبي طالب[2].

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: ومِن قبل ذلك الشاهد كتابُ موسىٰ، وهو أيضًا دليل آخر متقدِّم.

(١) في ب: «وتعظُّمَ دلالتُه».

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٥٦)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٤) عن علي ﷺ أنه قال ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ ٨٥): «وهذا كذب علىٰ علي قطعا»، وقال ابن كثير في تفسير (٤/ ٣١٢): «وهو ضعيف لا يثبت له قائل».

وقد قيل أقوالٌ كثيرة في معنىٰ هذه الآية، وأرجحها ما ذكرنا.

﴿مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ أي: من أهل مكة.

(١٨) ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ جمع شاهد، كأصحاب، ويَحتمل أن يكون من الشهادة؛ فيراد به: الملائكة والأنبياء، أو من الشهود بمعنىٰ الحضور؛ فيراد به: كلُّ من حضر الموقف.

(١٩) ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ أي: يطلبون اعوجاجها، أو يصفونها بالاعوجاج.

(٢٠) ﴿لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ أي: لا يُفلِتون.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ إخبارٌ عن تشديد عذابهم، وليس بصفة لـ﴿أَوۡلِيَآءَۘ﴾.

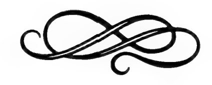
﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ الآيةَ؛ «ما» نافية، والضمير للكفار، والمعنىٰ: وصْفُهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون، كقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة: ٦] الآية. وقيل غير ذلك، وهو بعيد.

(٢٢) ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بدَّ، ولا شكَّ.

(٢٣) ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ﴾ خشعوا، وقيل: أنابوا.

(٢٤) ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين.

﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ شبَّه الكافر بالأعمىٰ وبالأصم، وشبَّه المؤمن بالبصير وبالسميع، فهو علىٰ هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين، وتمثيل للكافرين بمثالين. وقيل: التقدير: كالأعمىٰ الأصم، والبصير السميع، فالواو لعطف الصفات، فهو علىٰ هذا تمثيل للمؤمن بمثال واحد؛ وهو مَن جمع بين السمع والبصر، وتمثيل للكافر بمثال واحد؛ وهو مَن جمع بين العَمىٰ والصَّمم.



وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا نُوحاً اِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّے لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ اَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا أَللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ اَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ أَلْمَلَأُ أَلذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَيٰكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَيٰكَ إِتَّبَعَكَ إِلَّا أَلذِينَ هُمُۥٓ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ أَلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَٰٓيْتُمُۥٓ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّے وَءَاتَيٰنِے رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمُۥٓ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا اِنَ اَجْرِيَ إِلَّا عَلَى أَللَّهِ وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ أَلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَيٰكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَنْ يَّنصُرُنِے مِنَ أَللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمُۥٓ أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِے خَزَآئِنُ أَللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ أَلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّے مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلذِينَ تَزْدَرِےٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُّوتِيَهُمُ أَللَّهُ خَيْراً أَللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمُۥٓ إِنِّيٓ إِذاً لَّمِنَ أَلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ *قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ أَلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَاتِيكُم بِهِ أَللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيَ إِنَ اَرَدتُّ أَنَ اَنصَحَ لَكُمُۥٓ إِن كَانَ أَللَّهُ يُرِيدُ أَن يُّغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِفْتَرَيٰهُ قُلِ اِنِ إِفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِے وَأَنَا بَرِےٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿٢٦﴾ ﴿عَذَابَ يَوْمٍ اَلِيمٍ﴾ وصْفُ اليوم بالأليم علىٰ وجه المجاز؛ لوقوع الألم فيه.

﴿٢٧﴾ ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ جمع أَرْذَلٍ، وهم سَفِلَة الناس، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم؛ جهلًا منهم، واعتقادًا أن الشرف هو بالمال والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم علىٰ حال فقرهم وخمولهم في الدنيا. وقيل: إنهم كانوا حاكَةً وحجَّامين. واختار ابن عطية أنهم أرادوا: أراذلَ في أفعالهم؛ لقول نوح: ﴿وَمَا عِلْمِے بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢][1].

﴿بَادِيَ أَلرَّأْيِ﴾ أي: أولَ الرأي، من غير نظر ولا تدبُّر. و﴿بَادِيَ﴾ منصوب علىٰ الظرفية، أصله: وقت حدوث أول رأيهم، والعامل فيه: ﴿إِتَّبَعَكَ﴾ علىٰ أصح الأقوال، والمعنىٰ:

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤٩٥).

اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبُّت.

وقيل: هو صفة لـ﴿بَشَراً مِّثْلَنَا﴾؛ أي: غيرَ متثبِّت في الرأي.

﴿وَمَا نَرىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: من زيادةٍ وشرفٍ[1]، والخطاب لنوح ﷺ ومن معه.

﴿٢٨﴾ ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: علىٰ برهان وأمر جليٍّ، وكذلك في قصة صالح وشعيب ﷺ.

﴿وَءَاتِيٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ يعني: النبوَّة.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: خَفِيت، والفاعل: البينة، أو الرحمة.

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي: أَنُكْرِهُكم علىٰ قَبولها قهرًا؟ وهذا هو جواب ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾. ومعنىٰ الآية: أن نوحًا ﷺ قال لقومه: أرأيتم إن هداني الله وأضلَّكم؛ أَأُجبِركم علىٰ الهدىٰ وأنتم له كارهون؟

﴿٢٩﴾ ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد علىٰ التَّبليغ.

﴿وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء.

﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ المعنىٰ: أنه يجازيهم علىٰ إيمانهم.

﴿٣٠﴾ ﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ أي: من يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم بالطَّرد.

﴿٣١﴾ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ أي: لا أدَّعي ما ليس لي فتنكرون قولي.

﴿تَزْدَرِيٓ﴾ أي: تحتقر؛ من قولك: زرَيت علىٰ الرجل: إذا قصَّرتَ به. والمراد بالذين تزدري أعينهم: ضعفاء المؤمنين.

﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إن قلتُ للمؤمنين: لن يؤتيهم الله خيرًا. والخير هنا يَحتمل أن يراد به: خير الدنيا، أو الآخرة.

﴿٣٢﴾ ﴿جَٰدَلْتَنَا﴾ الجدال: هو المخاصمة والمراجعة في الحجة.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: بالعذاب.

---

(١) في د: «زيادةِ شرفٍ».

(٣٤) ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾ الآيَةَ؛ جزاءُ قوله: ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ هو ما دلَّ عليه قوله: ﴿نُصْحِيٓ﴾، وجزاءُ قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ هو ما دلَّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾، فتقديرها: إن أراد الله أن يغويكم لم ينفعْكم نصحي إن نصحت لكم، ثم استأنف قوله: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ . ولا يجوز أن يكون ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ جوابَ الشرط.

(٣٥) ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الآيَةَ؛ الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لكفار قريش، وفي ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لمحمد ﷺ، هذا قول جميع المفسرين. واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح ﷺ، فيكون الضمير في ﴿يَقُولُونَ﴾ لقوم نوح، وفي ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لنوح؛ لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها، وهذا بعيد[1].

﴿إِجْرَامِى﴾ أي: ذنبي.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٥٦٩).

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

﴿٣٦﴾ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: فلا تحزن.

﴿٣٧﴾ ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: تحت نظرنا وحفظنا[1].

﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي: وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك.

﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أي: لا تشفع لي فيهم؛ فإني قد قضيت عليهم بالغرق.

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٧٠).

(٣٨) ﴿وَكُلَّمَا﴾ يَحتمل أن يكون جوابها: ﴿سَخِرُواْ مِنْهُ﴾، أو ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ﴾ .

(٣٩) ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ، و﴿مَنْ يَأْتِيهِ﴾ منصوبٌ بـ﴿تَعْلَمُونَ﴾ .

﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو الغرق، والعذاب المقيم: عذاب النار.

(٤٠) ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ غايةٌ لقوله : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾.

﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ أي: فارَ بالماء، جعل الله تلك علامةً لنوح عليه السلام؛ ليركب حينئذ في السفينة. والمراد: التنور[١] الذي يُوقَد فيه عند ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[٢]، ورُوي أنه كان تنور آدم خَلَص إلىٰ نوح[٣]. وقيل: التنور: وجه الأرض.

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ المراد بالزوجين: الذكر والأنثىٰ من الحيوان. وقرئ ﴿مِن كُلِّ﴾ بغير تنوين[٤]؛ فعَمل ﴿احْمِلْ﴾ في ﴿اثْنَيْنِ﴾. وقرئ بالتنوين؛ فعَمل ﴿احْمِلْ﴾ في ﴿زَوْجَيْنِ﴾، وجُعِل ﴿اثْنَيْنِ﴾ توكيدًا.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: قرابتك، وهو معطوف علىٰ ما عَمل فيه ﴿احْمِلْ﴾.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: من قُضي عليه بالعذاب، فهو مستثنىٰ من أهله، والمراد بذلك: ابنُه الكافر وامرأته.

﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ معطوفٌ علىٰ ﴿أَهْلَكَ﴾؛ أي: احمل أهلك ومن آمن مِن غيرهم.

﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ثمانين، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية.

(٤١) ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا﴾ الضمير في ﴿قَالَ﴾ لنوح، والخطاب لمن كان معه، والضمير في ﴿فِيهَا﴾ للسفينة. وروي أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب، واستقرَّت علىٰ الجوديِّ يوم عاشوراء[٥].

---

(١) في د: «بالتنور».

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠٤) وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٢٩) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠٤) عن الحسن البصري.

(٤) قرأ حفص عن عاصم بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٩) عن عبد الغفور بن عبد العزيز، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه علىٰ تفسير الطبري (١٥/ ٣٣٥): «وهذا خبر هالكٌ من نواحيه جميعًا».

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ اشتقاق ﴿مَجْرٜىٰهَا﴾ من الجري ، واشتقاق ﴿مُرْسَىٰهَآ﴾ من الإرساء، وهو الثبوت؛ أي[1]: وقوف السفينة. ويمكن أن يكونا: ظَرْفَين للزمان أو للمكان، أو مصدرين. ويَحتمل الإعراب وجهين:

أحدهما: أن يكون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿ٱرْكَبُوا۟﴾، والتقدير: اركبوا متبرِّكين باسم الله، أو قائلين بسم الله، فيكون ﴿مَجْرٜىٰهَا وَ مُرْسَىٰهَآ﴾ علىٰ هذا ظرفين للزمان، بمعنىٰ: وقتَ إجرائها وإرسائها، أو ظرفين للمكان، ويكون العامل فيه[2] ما في قولك: «بسم الله» من معنىٰ الفعل، ويكون قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ متصلًا مع ما قبله، والجملة كلام واحد.

والوجه الثاني: أن يكون كلامين، فيوقف علىٰ ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾، ويكون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ في موضع خبر، و ﴿مَجْرٜىٰهَا وَ مُرْسَىٰهَآ﴾ مبتدأٌ بمعنىٰ المصدر؛ أي: إجراؤها وإرساؤها، ويكون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ علىٰ هذا مستأنَفًا، غير متصل بما قبله، ولكنه من كلام نوح ﷺ حسَبما روي أن نوحًا كان إذا أراد أن يُجريَ السفينةَ قال: «بسم الله» فتَجري، وإذا أراد وقوفَها قال: «بسم الله» فتقف[3].

﴿٤٢﴾ ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ روي أن الماء طبَّق ما بين السماء والأرض، فصار الكل كالبحر[4]، قال ابن عطية: وهذا ضعيف، وأين كان الموج كالجبال علىٰ هذا؟[5] وصوَّبه الزمخشري، وقال: كانت تجري في موج كالجبال قبل التَّطبيق، وقبل أن يغمر الماء الجبالَ[6].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كان اسمه: كَنْعان، وقيل: يامٌ، وكان له ثلاثة بنون[7] سواه؛ وهم: سامٌ

---

(١) في أ، ب: «أو من».

(٢) في د: «فيهما».

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٦) وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٣) عن الضحاك.

(٤) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٥٣)، ولم أقف عليه مسنداً.

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٥٨٠).

(٦) انظر: الكشاف (٨/ ٨٠).

(٧) في د: «بنين».

وحامٌ ويافثٌ، ومنهم تناسل الخلق.

﴿فِي مَعْزِلٍ﴾ في ناحية.

(٤٣) ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ **يحتمل أربعة أوجه:**

أحدها: أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ اسم فاعل، و ﴿مَن رَّحِمَ﴾ كذلك بمعنى الراحم، فالمعنى: لا عاصم إلَّا الراحم؛ وهو الله تعالى.

والثاني: أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ بمعنى: ذي عصمة؛ أي: معصوم، و ﴿مَن رَّحِمَ﴾ بمعنى مفعول؛ أي: من رَحِمه الله، فالمعنى: لا معصوم إلَّا من رَحِمه الله.

والاستثناء على هذين الوجهين متصل.

والثالث: أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ اسم فاعل، و ﴿مَن رَّحِمَ﴾ بمعنى المفعول، والمعنى: لا عاصم من أمر الله، لكن من رحمه الله فهو المعصوم.

والرابع: عكسه.

والاستثناء على هذين منقطع.

(٤٤) ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ عبارةٌ عن جفوف الأرض من الماء[1].

﴿أَقْلِعِي﴾ أي: أمسكي عن المطر، ورُوي أنها أمطرت من كل موضع منها.

﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ أي: نقص.

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: تمَّ وكمل.

﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ أي: استقرت السفينة على الجودي؛ وهو جبل بالموصِل.

﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ أي: هلاكًا، وانتصابه على المصدر.

(٤٥) ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ﴾ **يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الغرق؛ فيكون العطف من غير ترتيب، أو يكون بعده.**

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٤).

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ أي: وقد[1] وعدتني أن تنجيَ أهلي.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ أي: ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم؛ لأنه كافر. **وقال الحسن**: لم يكن ابنَه، ولكن خانته امرأته، وكان لغير رِشْدةٍ[2]، **وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء ﷺ قد عصمهم الله من أن يزني نساؤهم،** ولقوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾.

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ **فيه ثلاثة تأويلات على قراءة الجمهور:**

أحدها: أن يكون الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ لسؤال نوحٍ نجاةَ ابنه.

والثاني: أن يكون الضمير لابن نوح، وحُذِف مضافٌ من الكلام؛ تقديره: إنه ذو عملٍ غير صالح.

والثالث: أن يكون الضمير لابن نوح، و﴿عَمَلٌ﴾ مصدر وصف به مبالغةً، كقولك: رجل صومٌ.

وقرأ الكسائي: ﴿عَمِلَ﴾ بفعل ماضٍ ﴿غَيۡرَ صَٰلِحٖۖ﴾ بالنصب، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال.

﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ أي: لا تطلب مني أمرًا لا تعلم أصوابٌ هو أم غير صواب حتى تقف على كُنْهِه. **فإن قيل**: لم سمِّي نداؤه سؤالًا، ولا سؤال فيه؟

فالجواب: أنه تضمَّن السؤال وإن لم يصرِّحْ به.

﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ «أن» في موضع مفعول من أجله؛ تقديره: أعظك؛ كراهةَ أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصفٌ[3] له بالجهل، بل فيه ملاطفة وإكرام.

﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ أي: اهبط من السفينة بسلامة.

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «قد» بلا واو.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢٦) وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٩).

(٣) أ، ب، ج، هـ: «وصفًا».

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ أي: ممن معك في السفينة. واختار الزمخشري أن يكون المعنىٰ: مِن ذرية مَن معك، ويعني به: المؤمنين إلىٰ يوم القيامة، فـ«مِن» علىٰ هذا لابتداء الغاية، والتقدير: علىٰ أمم ناشئة ممن معك[1]. وعلىٰ الأول: تكون «مِن» لبيان الجنس.

﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ يعني: نمتعهم متاع الدنيا -وهم الكفار- إلىٰ يوم القيامة.

(٤٩) ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ إشارةٌ إلىٰ القصة، وفي الآية دليلٌ علىٰ أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي.



(١) انظر: الكشاف (٨/ ٩٨).

وَإِلَىٰ عَادٍ اَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَٰقَوْمِ اِعْبُدُواْ اُ۬للَّهَ مَا لَكُم مِّنِ اِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنَ اَنتُمُۥٓ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً اِنَ اَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اَ۬لذِے فَطَرَنِيٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٥١ وَيَٰقَوْمِ إِسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ اِ۬لسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً اِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ۝٥٢ *قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِے ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُومِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا اَعْتَرَيٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيَ أُشْهِدُ اُ۬للَّهَ وَاشْهَدُوٓاْ أَنِّے بَرِےٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِے جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٤ إِنِّے تَوَكَّلْتُ عَلَى اَ۬للَّهِ رَبِّے وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ اِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّے عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٥ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدَ اَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّے قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـٔاً اِنَّ رَبِّے عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٍ حَفِيظٌ ۝٥٦ وَلَمَّا جَآءَ اَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٧ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَاتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٨ وَأُتْبِعُواْ فِے هَٰذِهِ اِ۬لدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ اَ۬لْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمُۥٓ أَلَا بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝٥٩

۝٥٠ ﴿إِنَ اَنتُمُۥٓ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ يعني: في عبادتهم لغير الله.

۝٥٢ ﴿يُرْسِلِ اِ۬لسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ السماء هنا: المطر، و﴿مِّدْرَاراً﴾ بناءُ تكثيرٍ؛ من الدَّرِّ، يقال: درَّ المطر واللبن وغيره. وفي الآية دليل علىٰ أن التوبة والاستغفار سببٌ لنزول الأمطار، ورُوي أن عادًا كان المطر قد حُبِس عنهم ثلاث سنين، فأمرهم بالتوبة والاستغفار، ووعدهم علىٰ ذلك بالمطر. والمراد بالتوبة هنا: الرجوع عن الكفر، ثم عن الذنوب؛ لأن التوبة من الذنوب لا تصحُّ إلَّا بعد الإيمان.

۝٥٣ ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعجزة، وذلك كذب منهم وجحود. أو يكون معناه: بآية تضطرنا إلىٰ الإيمان بك، وإن كان قد أتاهم بآية نظرية.

﴿عَن قَوْلِكَ﴾ أي: بسبب قولك.

۝٥٤ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اَعْتَرَيٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ معناه: ما نقول إلَّا أن بعض آلهتنا أصابتك بجنون لما سبَبْتَها ونهيتنا عن عبادتها.

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ هذا أمرٌ بمعنى التعجيز؛ أي: لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شيء، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاته بهم، فقال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ الآيَةَ.

(٥٥) ﴿مَا مِن دَآبَّةٍ اِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: هي في قبضته وتحت قهره، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك، وهذه الجملة تعليل لقوة توكُّله على الله وعدم مبالاته بالخلق.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يريد: أن أفعال الله جميلة، وقوله صدق، ووعده حق، فالاستقامة تامة.

(٥٦) ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدَ اَبْلَغْتُكُم﴾ أصل ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ هنا: تتولوا؛ لأنه فعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة. فإن قيل: كيف وقع الإبلاغ جوابًا للشرط، وقد كان الإبلاغ قبل التولِّي؟

فالجواب: أن المعنى إن تتولوا فلا عتْبَ عليَّ؛ لأني قد أبلغتكم رسالة ربي.

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تَنقُصونه شيئًا إذا أهلككم واستخلف غيركم.

(٥٧) ﴿وَلَمَّا جَآءَ امْرُنَا﴾ إن قيل: لم قال هنا وفي قصة شعيب: ﴿وَلَمَّا﴾ بالواو، وقال في قصة صالح ولوط: ﴿فَلَمَّا﴾ بالفاء؟ فالجواب على ما قال الزمخشري: أنه وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد الوعيد؛ فجيء بالفاء التي تقتضي التَّسبيب، كما تقول: وعدته فلما جاء الميعاد..، بخلاف قصة هود وشعيب؛ فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو[1].

﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يَحتمل أن يريد به عذاب الآخرة؛ ولذلك عطَفه على النجاة الأولى التي أراد بها النجاة من الريح. ويَحتمل أن يريد بالثاني أيضًا الريح، وكرَّره؛ إعلامًا بأنه عذاب غليظ، وتعديدًا للنعمة في نجاتهم.

(٥٨) ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ في جمع الرسل هنا وجهان:

أحدهما: أن من عصى رسولًا واحدًا لزمه عصيان جميعهم؛ فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده.

(١) انظر: الكشاف (٨/ ١٨٤).

والثاني: أن يراد الجنس؛ كقولك: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلَّا فرسًا واحدًا.

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ﴾ هذا تشنيع لكفرهم، وتهويل بحرف التنبيه، وبتكرار اسم عاد.

﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي: هلاكًا، وهذا دعاء عليهم، وانتصابه بفعل مضمر. **فإن قيل**: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا؟ **فالجواب**: أن المراد: أنهم أهْلٌ لذلك.

﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ بيانٌ؛ لأن عادًا اثنان؛ أحدهما: قوم هود، والآخر[1]: إِرَم.



(١) في ج، هـ: «والأخرى».

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحاً قَالَ يَٰقَوْمِ اِعْبُدُواْ اُ۬للَّهَ مَا لَكُم مِّنِ اِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ اَ۬لْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۖ إِنَّ رَبِّے قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦٠﴾ *قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهِيٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِے شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَٰٓيْتُمُۥٓ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّے وَءَاتِيٰنِے مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَّنصُرُنِے مِنَ اَ۬للَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥٓۖ فَمَا تَزِيدُونَنِے غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٢﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اُ۬للَّهِ لَكُمُۥٓ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَاكُلْ فِے أَرْضِ اِ۬للَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَاخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٣﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِے دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٤﴾ فَلَمَّا جَآءَ اَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحاً وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍۖ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَ۬لْقَوِيُّ اُ۬لْعَزِيزُ ﴿٦٥﴾ وَأَخَذَ اَ۬لذِينَ ظَلَمُواْ اُ۬لصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِے دِيٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٦﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۖ أَلَآ إِنَّ ثَمُوداً كَفَرُواْ رَبَّهُمُۥٓۖ أَلَا بُعْداً لِّثَمُودَ ﴿٦٧﴾

﴿٦٠﴾ ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ اَ۬لْأَرْضِ﴾ **لأن آدم خلق من تراب.**

﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ **أي: جعلكم تعمُرونها؛ فهو من العمران للأرض. وقيل: هو من العُمر؛ نحو: استبقاكم من البقاء.**

﴿٦١﴾ ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً﴾ **أي: كنا نرجو أن ننتفع بك حتىٰ قلت ما قلت. وقيل: معناه: كنا نرجو أن تدخل في ديننا.**

﴿٦٤﴾ ﴿فِے دَارِكُمْ﴾ **أي: بلدكم.**

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ **قيل: إنها الخميس والجمعة والسبت؛ لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء، وأخذهم العذاب يوم الأحد.**

﴿٦٥﴾ ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ **معطوف علىٰ** ﴿نَجَّيْنَا﴾ **أي: نجيناهم من خزي يومئذ.**

﴿٦٦﴾ ﴿جَٰثِمِينَ﴾ **ذُكِر في «الأعراف»[1].**

﴿٦٧﴾ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ **كأن لم يقيموا فيها، والضمير للديار، وكذلك في قصة شعيب.**

---

(١) انظر تفسير الآية (٧٧).

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰماً قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفِ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٦٩﴾ وَامْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٠﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧١﴾ * قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمُۥٓ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٢﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٣﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٤﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمُۥٓ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٥﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٦﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيَ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٨﴾ قَالَ لَوَ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوَ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٧٩﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَّصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمُۥٓ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمُۥٓ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨١﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٢﴾

﴿٦٨﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ **الرسل هنا: الملائكة.**

﴿بِالْبُشْرَىٰ﴾ **بشَّروه بالولد.**

﴿قَالُواْ سَلَٰماً﴾ **نصبٌ على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر؛ تقديره: سلَّمنا عليكم سلامًا.**

﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ **تقديره: عليكم سلام، أو سلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية، وإنما رُفِع جوابه؛ ليدلَّ على إثبات السلام، فيكون قد حيَّاهم بأحسن مما حيَّوه. ويَحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونُصِب الأول؛ لأنه في معنى الطلب، ورُفِع الثاني؛ لأنه في معنى الخبر.**

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾ أي: ما لبث مجيئُه، بل عَجِل، و«ما» نافية، و﴿أَن جَآءَ﴾ فاعل بـ﴿لَبِثَ﴾.

﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي: مشويٌّ، وفعيل هنا بمعنىٰ مفعول.

(٧٠) ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي: أنكرهم ولم يعرفهم؛ يقال: نكِر وأنكر بمعنىٰ واحد.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قيل: إنه لم يعرفهم، فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه. وقيل: عرف أنهم ملائكة، ولكن خاف أن يكونوا أُرسلوا بما يُخَاف، فأمَّنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾.

(٧١) ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ﴾ قيل: قائمة خلف سِترٍ، وقيل: قائمة في الصلاة، وقيل: قائمة تخدم القوم، واسمها سارة.

﴿فَضَحِكَتْ﴾ قيل: معناه حاضت، وهو ضعيف. وقال الجمهور: هو الضَّحِك المعروف، واختلفوا من أيِّ شيء ضحكت؟ فقيل: سرورًا بالولد الذي بُشِّرت به؛ ففي الكلام علىٰ هذا تقديم وتأخير، وقيل: سرورًا بالأمن بعد الخوف، وقيل: سرورًا بهلاك قوم لوط.

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ أَسند البشارة إلىٰ ضمير الله تعالىٰ؛ لأنها كانت بأمره.

﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ أي: من بعده، وهو ولده. وقيل: الوراء ولد الولد. و﴿يَعْقُوبَ﴾ بالرفع[1]: مبتدأ، وبالفتح: معطوف علىٰ ﴿إِسْحَاقَ﴾ .

(٧٢) ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ﴾ الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم، وكذلك «يا لهفًا» و«يا أسفًا» و«يا عجبًا»، ومعناه: التعجُّب من الوِلادة، وروي أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مئة سنة.

(٧٣) ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يَحتمل الدعاءَ والخبر.

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: أهل بيت إبراهيم، وهو منصوبٌ بفعل مضمر علىٰ الاختصاص، أو منادىٰ.

﴿حَمِيدٌ﴾ أي: محمود. ﴿مَّجِيدٌ﴾ من المجد؛ وهو العلو والشرف.

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بنصب الباء، وقرأ الباقون بالرفع.

(٧٤) ﴿يُجَـٰدِلُنَا﴾ هذا جواب ﴿لَمَّا﴾، علىٰ أن يكون المضارع في موضع الماضي، أو علىٰ تقدير: ظلَّ أو أخذ يجادلنا. أو يكون ﴿يُجَـٰدِلُنَا﴾ مستأنفًا، والجواب محذوف. ومعنىٰ جداله: كلامُه مع الملائكة في رفع العذاب عن قوم لوط. وقد ذُكِر في «اللغات» ﴿حَلِيمٌ﴾[1]، وفي «براءة» ﴿أَوَّٰهٌ﴾[2].

(٧٦) ﴿يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَـٰذَآ﴾ أي: قلنا: يا إبراهيم أعرض عن هذا؛ يعني: عن المجادلة فيهم، فقد نفَذ القضاء بعذابهم.

(٧٧) ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ الرسل هم الملائكة، ومعنىٰ ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ أصابه سوءٌ وضجر؛ لما ظن أنهم من بني آدم، وخاف عليهم من قومه.

﴿يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ أي: شديد.

(٧٨) ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي: يُسرِعون، وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث.

﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي: كانت عادتَهم إتيانَ الفواحش في الرجال.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ المعنىٰ: فتزوجوهنَّ، وإنما قال ذلك ليقِيَ أضيافه ببناته. وقيل: إن اسم بنته الواحدة ريثا[3]، والأخرىٰ غوثا[4]، وأن اسم امرأته الهالكة والهة، واسم امرأة نوح والغة.

(٧٩) ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ أي: ما لنا فيهنَّ أَرَبٌ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ يعنون: نكاح الذكور.

(٨٠) ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ جواب «لو» محذوف؛ تقديره: لو كانت لي قدرة علىٰ دفعكم لفعلت. ويَحتمل أن تكون «لو» للتمني.

---

(١) انظر المادة (١٢٩) في اللغات.

(٢) انظر تفسير الآية (١١٥).

(٣) في ب، ج، هـ: «زينا».

(٤) في ب، ج، هـ: «رغوثا».

﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ معنى ﴿ءَاوِيٓ﴾ ألجأُ، والمراد بالركن الشديد: ما يلجأ إليه من عشيرة أو أنصار يحمونه من قومه، وقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أخي لوطًا؛ لقد كان يأوي إلى ركن شديد»[1] يعني: إلى الله وملائكته.

(٨٠) ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ للملائكة، والضمير في ﴿لَن يَصِلُوٓاْ﴾ لقوم لوط، وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذٍ.

﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ أي: اخرج بهم بالليل؛ فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن. وقرئ ﴿فَاسْرِ﴾ بوصل الألف وقطعها[2]، وهما لغتان؛ يقال: سَرى وأَسرى.

﴿بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي: قطعةٍ منه.

﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ نُهوا عن الالتفات؛ لئلا تتفطَّر أكبادهم على قريتهم. وقيل: ﴿يَلۡتَفِتۡ﴾ معناه: يتلوَّى[3].

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ قرئ بالنصب والرفع[4]: فالنصب: استثناءٌ من قوله: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾، فيقتضي هذا أنه لم يُخرِجْها مع أهله. والرفع: بدلٌ من ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾، ورُوي على هذا أنه أخرجها معه، وأنها التفتتْ وقالت: يا قوماه! فأصابها حجر فقتلها.

﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ أي: وقت عذابهم الصبح.

﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ ذُكِر أنهم لما قالوا: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ قال لهم لوط عليه السلام: هلَّا عُذِّبوا الآن! فقالوا له: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾.

(٨١) ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ الضمير للمدائن، رُوي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صُراخ الدِّيَكة ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ نافع وابن كثير بوصل الهمزة، وقرأ الباقون بقطع الهمزة.

(٣) قال في المحرر الوجيز (٤/ ٦٢٥): «وقالت فرقة: هي من لَفتَ الشيءَ يَلفِتُه: إذا ثنّاه ولوَاه، فمعناها: ولا يتثبَّطْ».

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع التاء، وقرأ الباقون بالنصب.

﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً﴾ أي: على المدائن، والمراد أهلها، روي أنه مَن كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء، وأما من كان في المدائن فهَلَك لما قُلِبت.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ **قيل**: معناه من ماء وطين، وإنها كانت مثل[1] الآجُرِّ المطبوخ. **وقيل**: هو مِن سَجَله: إذا أرسله، **وقيل**: هو لفظ أعجمي.

﴿٨٢﴾ ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي: مضمومٌ بعضُه فوق بعض.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ﴾ معناه: معلَّمة بعلامة، رُوي أنه كان فيها بياض وحمرة. **وقيل**: كان في كل حجر اسمُ صاحبه.

﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ **الضمير للحجارة**، والمراد بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كفار قريش، فهذا تهديدٌ لهم؛ أي: ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم؛ لأجل كفرهم. **وقيل**: **الضمير للمدائن**، فالمعنى: ليست ببعيدٍ منهم أفلا يعتبرون بها؛ كقوله: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ﴾[الفرقان: ٤٠]. **وقيل**: إن ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على العموم.



(١) في د: «من».

*وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنِ اِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَيٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٣﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٤﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمُۥٓ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوَٰتُكَ تَامُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوَ اَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَآيْتُمُۥٓ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَآ أُرِيدُ أَنُ اُخَالِفَكُمُۥٓ إِلَىٰ مَآ أَنْهَيٰكُمْ عَنْهُ إِنُ اُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَٰحَ مَا اَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيَ أَنْ يُّصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ اَوْ قَوْمَ هُودٍ اَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَيٰكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيَ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذتُّمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيّاً اِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ *وَيَٰقَوْمِ اِعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمُۥٓ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَّاتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَارْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ اَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيِٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

﴿٨٣﴾ ﴿إِنِّيَ أَرَيٰكُم بِخَيْرٍ﴾ **يعني**: رخص الأسعار، وكثرة الأرزاق.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يوم القيامة، أو يوم عذابهم في الدنيا.

﴿٨٥﴾ ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمُۥٓ﴾ **أي**: ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته.

﴿٨٧﴾ ﴿أَصَلَوَٰتُكَ تَامُرُكَ﴾ **الصلاة**: هي المعروفة، ونَسب الأمر إليها مجازًا، كقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. **والمعنىٰ**: أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان؟ وإنما قال الكفار هذا علىٰ وجه الاستهزاء.

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ يعنون: ما كانوا عليه من بخْس المكيال والميزان.

و﴿أَن نَّفْعَلَ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿أَن نَّتْرُكَ﴾ [1].

﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ قيل: إنهم قالوا ذلك علىٰ وجه الاستهزاء والتهكُّم، وقيل: معناه: الحليم الرشيد عند نفسك.

﴿٨٨﴾ ﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً﴾ أي: سالـمًا من الفساد الذي أدخلتم أنتم في أموالكم. وجواب ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ محذوف، يدلُّ عليه المعنىٰ، وتقديره: أرأيتم إن كنت علىٰ بينة من ربي أيصح[2] لي ترك تبليغ رسالته؟

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ يقال: خالفني فلان إلىٰ كذا: إذا قصدَه وأنت مُوَلٍّ عنه، وخالفني عنه: إذا ولَّىٰ عنه وأنت قاصده.

﴿٨٩﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُّصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ أي: لا تُكْسِبْكم عداوتي أن يصيبكم مثلُ عذاب الأمم المتقدمة، و﴿شِقَاقِىٓ﴾ فاعل، و﴿أَن يُّصِيبَكُم﴾ مفعول.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني: في الزمان؛ لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكين إليهم. ويَحتمل أن يريد: في البلاد.

﴿٩١﴾ ﴿مَا نَفْقَهُ﴾ أي: ما نفهمُ.

﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾ أي: ضعيف الانتصار والقدرة، وقيل: نَاحِل البدن، وقيل: أعمىٰ.

﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ الرَّهْط: القرابة، والرَّجم: بالحجارة، أو بالسبِّ.

---

(١) كذا في جميع النسخ الخطية! ولعل الصواب -كما في المحرر الوجيز-: أنها عطف علىٰ ﴿ما يَعبُدُ﴾ أي: أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء! قال في المحرر الوجيز (٥/ ٥): «﴿أنْ﴾ الثانية عطفٌ علىٰ ﴿ما﴾، لا علىٰ ﴿أنْ﴾ الأولىٰ؛ لأن المعنىٰ يصير: أصلواتك تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ وهذا قلْب ما قصدوه»، وانظر: حاشية الطِّيبي علىٰ الكشاف (٨/ ١٦٧).

(٢) في د: «أيصلح».

(٩٢) ﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هذا توبيخٌ لهم. **فإن قيل**: إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه وأنهم هم الأعزَّة دونه، فكيف طابق جوابه كلامهم؟ **فالجواب**: أنَّ تهاونهم به وهو رسول الله تهاونٌ بالله؛ فلذلك قال: ﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ الضمير في ﴿ٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ لله تعالىٰ، أو لدينه وأمره. **والظِّهريُّ**: ما يُطَّرح وراء الظهر ولا يُعبأ به، وهو منسوب إلىٰ الظهر بتغيير النَّسَب.

(٩٣) ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديدٌ، ومعنىٰ ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ تمكُّنكم في الدنيا وعزَّتكم فيها.

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ عذاب الدنيا والآخرة.

﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾ تهديدٌ.



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَاتُّبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ *يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾

﴿٩٦﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ أي: بالمعجزات.

﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: برهان بيِّن.

﴿٩٨﴾ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ أي: يتقدَّم قُدَّامهم للنار، كما كانوا في الدنيا يتَّبعونه على الضلال والكفر.

﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ الورود هنا بمعنى: الدخول، وذكَره بلفظ الماضي؛ لتحقُّق وقوعه.

﴿٩٩﴾ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عطفٌ على ﴿فِي هَٰذِهِ﴾؛ فإن المراد به: الدنيا.

﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ أي: العطية المعطاة.

﴿١٠٠﴾ ﴿قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ باقٍ ودائرٌ.

﴿١٠١﴾ ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ﴾ حجة على التوحيد ونفي الشرك.

﴿تَتْبِيبٍ﴾ أي: تخسير.

﴿١٠٣﴾ ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ أي: يُجمَعون فيه للحساب، والثواب والعقاب. وإنما عبَّر باسم المفعول دون الفعل؛ ليدلَّ على ثبوت الجمع لذلك اليوم؛ لأن لفظ ﴿مَّجْمُوعٌ﴾ أبلغ

من لفظ «يُجمَع».

﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي: يحضره الأولون والآخرون.

(١٠٥) ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ العامل في الظرف: ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾، أو مضمر. وفاعل ﴿يَأْتِ﴾ ضميرٌ يعود علىٰ ﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾. وقال الزمخشري: يعود علىٰ الله تعالىٰ؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ويعضُده عَوْد الضمير عليه في قوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾[1].

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الضمير يعود علىٰ أهل الموقف الذين دلَّ عليهم قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾.

(١٠٦) ﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزفير: إخراج النفس، والشهيق: ردُّه. وقيل: الزفير: صوت المحزون، والشهيق: صوت الباكي. وقيل: الزفير من الحلق، والشهيق من الصدر.

(١٠٧) ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد بها سماوات الآخرة وأرضها، وهي دائمة أبدًا.

والآخر: أن يكون عبارة عن التَّأبيد، كقول العرب: ما لاح كوكب، وما ناح الحمام، وشبه ذلك مما يُقصد به الدوام.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال: قيل: إنه علىٰ طريق التأدُّب مع الله، كقولك: «إن شاء الله» وإن كان الأمر واجبًا. وقيل: المراد به: زمان خروج المذنبين من النار، ويكون ﴿ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ علىٰ هذا يعمُّ الكفار والمذنبين. وقيل: استثنىٰ مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ. وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث، دون الثاني.

(١٠٨) ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي: غير مقطوع.

(١٠٩) ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المرية: الشك، والإشارةُ إلىٰ عبَدة الأصنام؛ أي: لا تشك في فساد دين هؤلاء.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ أي: هم متبعون لآبائهم، تقليدًا من غير برهان.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ يعني: من العذاب.

---

(١) انظر: الكشاف (٨/ ١٩٥).

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِن كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ *وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢٠﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢١﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿١١٠﴾ ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني: القدَر، وذلك أن الله قضىٰ أن يَفصِل بينهم يوم القيامة، فلا يفصل في الدنيا.

﴿١١١﴾ ﴿وَإِن كُلًّا﴾ قرئ: بتشديد ﴿إن﴾ ، وبتخفيفها وإعمالها عمل الثقيلة[1]. والتنوين في ﴿كُلًّا﴾ عوضٌ من المضاف إليه؛ يعني: كلَّهم. واللام في ﴿لَّمَا﴾ موطِّئة للقسم، و«ما» زائدة، و ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ خبر ﴿إن﴾. وقرئ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد[2]؛ علىٰ أن تكون ﴿إن﴾ نافية، و﴿لَمَّا﴾ بمعنىٰ «إلَّا».

﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يعني: جزاء أعمالهم.

(١) قرأ نافع وابن كثير وشعبة عن عاصم بإسكان النون مخففة، وقرأ الباقون بتشديدها.

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالتشديد، وقرأ الباقون بتخفيفها.

(١١٣) ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني: الكفار، وقيل: إنهم الظَّلَمة من الولاة وغيرهم.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ مستأنَفٌ غير معطوف، وإنما ذكر بـ﴿ثُمَّ﴾ لبعد النصرة.

(١١٤) ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآيةَ؛ يراد بها الصلوات المفروضة، فالطرف الأول: الصبح، والطرف الثاني: الظهر والعصر، والزُّلَف من الليل: المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ لفظه عام، وخصَّصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل. ورُوي أن رجلًا قبَّل امرأة، ثم ندم، فذَكر ذلك للنبي ﷺ، وصلى معه الصلاة، فنزلت الآية، فقال النبي ﷺ: «**أين السائل؟**»، فقال: ها أنا ذا، فقال: «**قد غُفر لك**»، فقال الرجل: ألي خاصة أو للمسلمين عامة؟ فقال: «**بل للمسلمين عامة**»[1]، والآية على هذا مدنية. وقيل: إن الآية كانت قبل ذلك، وذكرها النبي ﷺ للرجل مستدلًّا بها، والآية على هذا مكية كسائر السورة. وإنما تُذهِب الحسناتُ -عند الجمهور- الصغائرَ إذا اجتُنبت الكبائر.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصلوات، أو إلى كل ما تقدَّم من وعظ ووعد ووعيد.

(١١٦) ﴿فَلَوْلَا﴾ تحضيض بمعنى «هلَّا».

﴿أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ أي: أولو خير ودين بقي لهم دون غيرهم.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ استثناء منقطع، معناه: ولكنَّ قليلًا ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد في الأرض. وقيل: هو متصل، فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي؛ كأنه قال: ما كان فيهم من ينهى عن الفساد في الأرض إلَّا قليلًا، على أن الوجه في مثل هذا البدل، ويجوز فيه النصب.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني: الذين لم يَنهوا عن الفساد.

(١١٧) ﴿بِظُلْمٍ﴾ هذا المجرور في موضع الحال من ﴿رَبُّكَ﴾ ، والمعنى: أنه لا يُهلِك أهل القرى ظالـمًا لهم، تعالى عن ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود ﵁.

(١١٨) ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: مؤمنة، لا خلاف بينهم في الإيمان.

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني: في الأديان، والملل، والمذاهب.

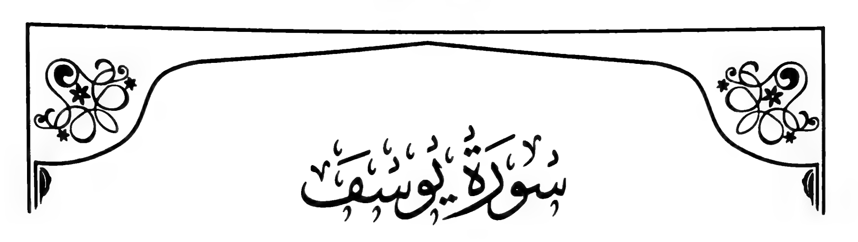
﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قيل: الإشارة إلىٰ الاختلاف، وقيل: إلىٰ الرحمة، وقيل: إليهما.

(١٢٠) ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ﴾ انتصب ﴿كُلًّا﴾ بـ﴿نَّقُصُّ﴾، و﴿مَا﴾ بدلٌ من ﴿كُلًّا﴾.

﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ الإشارةُ إلىٰ السورة.

(١٢١) ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ تهديدٌ.





سورة يوسف

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾

(١) ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: القرآن، و﴿ٱلْمُبِينِ﴾ يحتمل: أن يكون بمعنى البيِّن، فيكون غير متعدٍّ. أو يكون متعديًا، بمعنى أنه أبان الحقَّ؛ أي: أظهره.

(٢) ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يتعلّق بـ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، أو بـ﴿عَرَبِيًّا﴾[١].

(٣) ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ يعني: قصة يوسف، أو قِصص الأنبياء على الإطلاق. و﴿ٱلْقَصَصِ﴾ يكون مصدرًا، أو اسم مفعول؛ بمعنى المقصوص. فإن أريد به هنا المصدر فمفعول ﴿نَقُصُّ﴾ محذوفٌ؛ لأن ذِكر القرآن يدلُّ عليه[٢].

﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ الضمير في ﴿قَبْلِهِۦ﴾ للقَصص؛ أي: من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله؛ لكونه جاء به من غير تعليم.

---

(١) أي: جعلناه عربيًّا لعلكم تعقلون إذ هو لسانكم. المحرر الوجيز (٥/ ٣٩).

(٢) التقدير: نقصُّ الموحَىٰ أحسن القصص. الكشاف (٨/ ٢٤٠).

﴿٤﴾ ﴿إِذْ قَالَ﴾ العامل فيه: «اذكر» المضمر، أو ﴿الْقَصَصِ﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ أي: يا أبي، والتاء للمبالغة، وقيل: للتأنيث. وكُسِرت دلالةً علىٰ ياء المتكلم، والتاء عوض من ياء المتكلم.

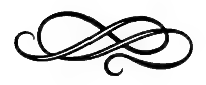
﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ كرَّر الفعل لطول الكلام، وأجرىٰ الكواكب والشمس والقمر مجرىٰ العقلاء في ضمير الجماعة؛ لما وصفها بفعل مَن يعقل، وهو السجود. وتأويل الكواكب في المنام: إخوته، والشمس والقمر: أبواه، وسجودهم له: تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو مَلِك.

﴿٥﴾ ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ إنما قال ذلك؛ لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته، فخاف عليه من الحسد.

﴿٦﴾ ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قيل: هي عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يعني: ذريته.



لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنۢ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

﴿٧﴾ ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: لمن سأل عنها، رُوي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، أو أمروا قريشًا أن يسألوه عنها، فهم السائلون على هذا[1]، واللفظ أعم من ذلك.

﴿٨﴾ ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ هو بنيامين، وهو أصغر من يوسف، ويقال إنه شقيق يوسف، وكانا[2] أصغر أولاد يعقوب.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة نقدر على النفع والضر بخلاف الصَّغيرَين، والعصبة: العشرة فما فوقها إلى الأربعين.

﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في خطإٍ وخروجٍ عن الصواب بإفراط حبِّه ليوسف وأخيه.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في أ، ج، د، هـ: «وكان».

(٩) ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي: لا يشارككم غيره في محبته لكم وإقباله عليكم.

﴿قَوْماً صَٰلِحِينَ﴾ أي: بالتوبة والاستقامة، وقيل: هو صلاح حالهم مع أبيهم.

(١٠) ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا، وقيل: روبيل.

﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ غَوْره، وما غاب منه.

﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾ جمع سيَّارٍ، وهم القوم الذين يسيرون في الأرض للتجارة، وغيرها.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ أي: هذا هو الرأي إن فعلتموه.

(١١) ﴿مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي: لم تخاف عليه منا؟ وقرأ السبعة ﴿تَأْمَنَّا﴾ بالإدغام والإشمام؛ لأن أصله بضم النون الأولىٰ.

(١٢) ﴿يَرْتَعِ﴾ مَن قرأه بكسر العين[1] فهو من الرَّعي، أي: من رعْي الإبل، أو من رَعْي بعضهم لبعض، وحراسته. ومن قرأه بالإسكان، فهو من الرَّتْع؛ وهو الإقامة في الخِصب والتنعُّم، والتاء علىٰ هذا أصلية، ووزن الفعل «يَفْعَلُ»، ووزنه علىٰ الأول «يَفْتَعِلُ».

ومن قرأ ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ بالياء: فالضمير ليوسف. ومن قرأ بالنون: فالضمير للمتكلِّمين؛ وهم إخوته. وإنما قالوا: ﴿نَلْعَبْ﴾ ؛ لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء، أو كان اللعب من المباح لتعلم القتال، كالمسابقة بالخيل.

(١٥) ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ أي: عزموا، وجواب ﴿لَمَّا﴾ محذوف[2]. وقيل: إنه ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ ، أو ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ علىٰ زيادة الواو.

﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ يَحتمل أن يكون هذا الوحي: بوساطة ملك، أو بإلهام. والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ ليوسف، وقيل: ليعقوب، والأول هو الصحيح.

---

(١) قرأ نافع: ﴿يرتعِ ويلعبْ﴾ بالياء فيهما وبكسر العين، وقرأ ابن كثير: ﴿نرتعِ ونلعبْ﴾ بالنون فيهما وبكسر العين، وقرأ أبو عمرو وابن عامر: ﴿نرتعْ ونلعبْ﴾ بالنون فيهما وبإسكان العين، وقرأ الباقون: ﴿يرتعْ ويلعبْ﴾ بالياء فيهما وبإسكان العين.

(٢) قدره الزمخشري: فعلوا به ما فعلوا من الأذىٰ. الكشاف (٨/ ٢٧١)، وفي البحر المحيط (١٢/ ٤٢٦): «وقدره بعضهم: جعلوه فيها، وهذا أولىٰ؛ إذ يدل عليه قوله: ﴿وأجمعوا أن يجعلوه﴾».

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في موضع الحال: من ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾؛ أي: لا يشعرون حين تنبئهم، فيكون خطابًا ليوسف عليه السلام. أو من ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾؛ أي: لا يشعرون حين أوحينا إليه، فيكون خطابًا لمحمد ﷺ.

(١٧) ﴿نَسْتَبِقُ﴾ أي: نجري على أقدامنا لننظرَ أيُّنا يسبق.

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدِّقٍ لمقالتنا.

﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ أي: لا تصدِّقُنا ولو كنا عندك من أهل الصدق، فكيف وأنت تتهمنا! وقيل: معناه: لا تصدقُنا وإن كنا صادقين في هذه المقالة، فذلك على وجه المغالطة منهم. والأول أظهر.

(١٨) ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: ذي كذب، أو وَصْفٌ بالمصدر مبالغة. وروي أنهم لطَخوا قميصه بدم جَدْيٍ، وقالوا ليعقوب: هذا دمه في قميصه، فقال لهم: ما بال الذئب أكله ولم يَخرِق قميصه؟ فاستدلَّ بذلك على كذبهم[(١)].

﴿سَوَّلَتْ﴾ زيَّنت.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وعد من نفسه بالصبر، وارتفاعه على أنه مبتدأ، تقديره: صبر جميل أمثلُ، أو خبر مبتدإ، تقديره: شأني صبر جميل.

(١٩) ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ رُوي أن هؤلاء[(٢)] السيارة من مَدْين، وقيل: هم أعراب.

﴿وَارِدَهُمْ﴾ الوارد: هو الذي يستقي الماء لجماعة، ونقل السهيلي أن اسم هذا الوارد: مالك بن ذُعْرٍ من العرب العاربة، ولم يكن له ولد، فسأل يوسفَ عليه السلام أن يدعو له بالولد فدعا له، فرزقه الله اثني عشر ولدًا، أعقب كلُّ واحد منهم قبيلةً[(٣)].

﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ نادى البُشرى، كقولك: يا حسرة، وأضافها إلى نفسه. وقرئ: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٧) عن الشعبي.

(٢) في أ، ب، هـ: «هذه».

(٣) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (١٤٤).

بحذف ياء المتكلم[1]، والمعنىٰ كذلك. وقيل علىٰ هذه القراءة: نادىٰ رجلًا منهم اسمه بشرىٰ، وهذا بعيد. ولما أدلىٰ الواردُ الحبلَ في الجب تعلَّق به يوسف ﷺ فحينئذ قال: ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾.

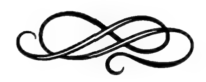
﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ﴾ الضمير الفاعل للسيارة، والضمير المفعول ليوسف ﷺ، أي: أخفَوْه من الرُّفقة، وقالوا لهم: دفعَهُ لنا قوم لنبيعه لهم بمصر.

﴿٢٠﴾ ﴿وَشَرَوۡهُ﴾ أي: باعوه، والضمير أيضًا للذين أخذوه. وقيل: الضمير لإخوة يوسف، وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة: هذا عبْدُنا.

﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ أي: ناقصٍ عن قيمته، وقيل: البخس هنا: الظلم.

﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ عبارةٌ عن قلَّتها.

﴿وَكَانُواْ﴾ الضمير للذين أخذوه، أو لإخوته.



(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿يا بُشْرَىٰ﴾ بحذف ياء المتكلم، وقرأ الباقون ﴿يا بُشْرايَ﴾ بإثباتها.

وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَىٰهُ﴾ يعني: العزيز، وكان حاجب الملك وخازِنه، **وقال السهيلي**: اسمه قِطْفِير[1].

﴿مِن مِّصْرَ﴾ هو البلد المعروف، ولذلك لم ينصرف. وكان يوسف قد سِيق إلىٰ مصر، فنودي عليه في السوق حتىٰ بلغ ثمنُه وزنَه ذهبًا، وقيل: فضةً، فاشتراه العزيز.

﴿تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ قد تقدَّم.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ في عودةِ الضمير وجهان:

أحدهما: أنْ يعود علىٰ الله؛ فالمعنىٰ: أنه يفعل ما يشاء لا رادَّ لأمره.

والثاني: أنْ يعود علىٰ يوسف ﷺ؛ أي: يدبِّر الله أمره بالحفظ له والكرامة.

---

(١) انظر: التعريف والإعلام، للسهيلي (١٤٤).

(٢٢) ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ قيل في الأشدِّ: البلوغ، وقيل: ثمانَ عشرة سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون، وقيل: أربعون.

﴿حُكْمًا﴾ هو الحِكمة أو[1] النبوة.

(٢٣) ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: طلبت منه ما يكون من الرجل إلىٰ المرأة[2]، وهي زَلِيخَا امرأة العزيز.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ روي أنها كانت سبعة أبواب.

﴿هِيتَ لَكَ﴾ اسم فعلٍ معناه: تعال وأقبل. وقرئ بفتح الهاء وكسرها، وبفتح التاء وكسرها وضمها[3]، والمعنىٰ في ذلك كله واحد، وحركات التاء للبناء. وأما من قرأه بالهمز؛ فهو فعل من تهيَّأتُ، كقولك: جِئت.

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ منصوب علىٰ المصدرية، والمعنىٰ: أعوذ بالله.

﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ يَحتمل أن يكون الضمير لله تعالىٰ، أو للذي اشتراه؛ لأن السيد يقال له ربٌّ، فالمعنىٰ: لا ينبغي لي أن أخونه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك في الأوَّل.

(٢٤) ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ أكثرَ الناسُ الكلام في هذه الآية حتىٰ ألَّفوا فيها التواليف، فمنهم مُفْرِط ومُفَرِّط. وذلك أن منهم من جعل همَّ المرأة وهمَّ يوسف ﷺ من حيث الفعل الذي أرادته، وذكروا في ذلك رواياتٍ من جلوسه بين رجليها، وحلِّه للتِّكة وغير ذلك، مما ينبغي أن لا يقال به؛ لضعف نقله، ولنزاهة الأنبياء عن مثله. ومنهم من جعل أنها همَّت به لتضربه علىٰ امتناعه، وهمَّ بها ليقتلها، أو يضربها ليدفعها، وهو بعيدٌ، يرده قوله:

---

(١) في ج: «و».

(٢) في أ، ب، هـ: «للمرأة».

(٣) قرأ نافع وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿هِيْتَ﴾ بكسر الهاء وفتح التاء، وقرأ هشام عن ابن عامر: ﴿هِئْتَ﴾ بالهمز، وقرأ ابن كثير: ﴿هَيْتُ﴾ بفتح الهاء وضم التاء، وقرأ الباقون: ﴿هَيْتَ﴾ بفتح الهاء والتاء. وأما القراءة بكسر التاء مع فتح الهاء ﴿هَيْتِ﴾ فليست سبعيَّةً، وإنما هي قراءة ابن عباس ﷺ، وابن أبي إسحاق، وابن محيصن، وأبي الأسود، وعيسىٰ. المحرر الوجيز (٥/ ٦٤).

﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾. ومنهم من جعل همَّها به من حيث مرادها، وهمه بها ليدفعها، وهذا أيضًا بعيد؛ لاختلاف سياق الكلام.

والصواب إن شاء الله: أنها همت به من حيث مرادُها، وهمَّ بها كذلك، لكنه لم يعزم علىٰ ذلك، ولم يبلغ إلىٰ ما ذُكِر مِن حلِّ التكة وغيرها، بل كان همُّه خطْرةً خطرت علىٰ قلبه لم يُطِعْها، ولم يتابعها، ولكنه بادر إلىٰ التوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتىٰ محاها من قلبه لما رأىٰ برهان ربه، ولا يَقْدَحُ هذا في عصمة الأنبياء؛ لأن الهمَّ بالذنب ليس بذنب، ولا نقصَ عليه في ذلك؛ فإنه من همَّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة.

﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لولا أن رأىٰ برهان ربه لخالطها، وإنما حذف؛ لأن قوله ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يدلُّ عليه. وقد قيل: إن ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو الجواب، وهذا ضعيف؛ لأن جواب «لولا» لا يتقدَّم عليها.

واختُلف في البرهان الذي رآه: فقيل: ناداه جبريل: يا يوسف تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء! وقيل: رأىٰ يعقوب ينهاه. وقيل: تفكَّر فاستبصر. وقيل: رأىٰ زَليخا غطَّت وجه صنم لها حياءً منه، فقال: أنا أولىٰ أن أستحييَ من الله.

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ﴾ الكاف: في موضع نصب، متعلقة بفعل مضمر، التقدير: ثبتناه مثل ذلك التثبيت. أو في موضع رفع، تقديره: الأمرُ مثل ذلك.

﴿ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ خيانة سيده، والوقوع في الزنا.

﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قرئ بفتح اللام حيث وقع[1]؛ أي: الذين أَخلصهم الله لطاعته. وبالكسر؛ أي: أخلصوا دينهم لله.

(٢٥) ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ معناه: سابَقَ كلُّ واحد منهما صاحبَه إلىٰ الباب، فقصَد هو الخروجَ والهروب عنها، وقصَدتْ هي أن تردَّه. فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿ٱلْبَابَ﴾ بالإفراد، وقد قال: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ بالجمع؟ فالجواب: أن المراد هنا الباب البرَّاني الذي هو المخرج من الدار.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ أي: قطعته من وراء، وذلك أنها قبضت في قميصه من خلفه لتردَّه، فتخرَّق القميص، والقدُّ: القطع بالطول، والقَطُّ: بالعرض.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ أي: وجدَا زوجها عند الباب.

﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ لما رأت الفضيحة عكست القضية، وادَّعت أن يوسف راودها عن نفسها، فذكرت جزاء كلِّ من فعل ذلك علىٰ العموم، ولم تصرِّح بذكر يوسف؛ لدخوله في العموم، وبناء علىٰ أن الذنب ثابت عليه بدعواها. و﴿مَا جَزَآءُ﴾ يَحتمل أن تكون «ما»: نافيةً، أو استفهامية.

﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ برَّأ نفسه من دعواها.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ قيل: هو ابن عمها، وقيل: كان طفلًا في المهد فتكلم. وكونه من أهلها أوجبُ للحجة عليها وأوثقُ في براءة يوسف عليه السلام. وكونه لم يتكلم قط، ثم تكلم بذلك كرامةٌ ليوسف عليه السلام. والتقدير: شهد شاهد فقال، أو ضُمِّنت الشهادة معنىٰ القول.

﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ لأنها كانت تدافعه فتقدُّ قميصَه من قبل.

﴿٢٧﴾ ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ لأنها جبَذته إلىٰ نفسها حين فرَّ منها، فقدَّت[1] قميصه من دبر.

﴿٢٨﴾ ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ فاعل ﴿رَءَا﴾: زوجها، أو الشاهد.

﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ الضمير للأمر، أو لقولها: ﴿مَا جَزَآءُ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ أي: اكتمه ولا تحدِّثْ به، و﴿يُوسُفُ﴾ منادىٰ حذف منه حرف النداء؛ لأنه قريب، وفي حذف الحرف إشارةٌ إلىٰ تقريبه وملاطفته.

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾ خطابٌ لها، وذلك من كلام زوجها، أو من كلام الشاهد.

﴿مِنَ الْخَاطِـِٔينَ﴾ جاء بلفظ التذكير، ولم يقل «من الخاطئات»؛ تغليبًا للذكور.



(١) في أ، ب، هـ: «فقد».

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

﴿٣٠﴾ ﴿نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: في مصر، وروي أنهن خمس نسوة: امرأة الساقي، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب[1].

﴿فَتَاهَا﴾ أي: خادمها، والفتىٰ يقال بمعنىٰ الشاب، وبمعنىٰ الخادم.

﴿شَغَفَهَا﴾ بلغ شغاف قلبها وهو غلافُه، وقيل: السُّويداء منه. وقيل: الشغاف: داءٌ يصل إلىٰ القلب.

﴿٣١﴾ ﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: بقولهن، وسماه مكرًا؛ لأنه كان في خفية. وقيل: كانت قد استكتمتهنَّ سرَّها فأفشَيْنَه عليها.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ أي: أعتدت لهن ما يُتَّكأ عليه من الفرش ونحوها. وقيل: المتكأ: طعام. وقرئ في الشاذ: «مُتْكًا» بسكون التاء وتنوين الكاف[2]، وهو الأُتْرُجُّ. وإعطاؤها السكاكين لهنَّ يدلُّ علىٰ أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج، وقيل: كان لحمًا.

﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ أمرٌ ليوسف ﷺ، وإنما أطاعها؛ لأنه كان مملوكَ زوجها.

---

(١) قاله مقاتل بن سليمان كما في تفسيره (٢/ ٣٣١).

(٢) قرأ بها ابن عباس ﷺ، وابن عمر ﷺ، ومجاهد، والجحدري، وقتادة، والضحاك، والكلبي، وأبان بن تغلب. المحرر الوجيز (٥/ ٧٧).

﴿أَكۡبَرۡنَهُۥ﴾ أي: عظَّمن شأنه وجماله. وقيل: معنىٰ أكبرن: حِضْنَ، والهاء للسكت، وهذا بعيد جدًّا.

﴿وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ أي اشتغلن بالنظر إليه، وبُهِتْنَ من جماله حتىٰ قطَّعن أيديهن وهنَّ لا يشعرن كما يقطع الطعام.

﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ معناه براءة وتنزيه؛ أي: تنزيهٌ لله وتعجب من قدرته علىٰ خلقة مثله. و«حاش» في باب الاستثناء تَخفض علىٰ أنها حرف، وأجاز المبرد النصب بها علىٰ أن تكون فعلًا. وأما هنا: فقال أبو علي الفارسي: إنها فعل، والدليل علىٰ ذلك من وجهين:

أحدهما: أنها دخلت علىٰ لام الخبر وهو اللام في قوله ﴿لِلَّهِ﴾ ، ولا يدخل الحرف علىٰ حرف.

والآخر: أنها حذفت منها الألف علىٰ قراءة الجماعة، والحروف لا يحذف منها شيء، وقرأها أبو عمرٍو بالألف علىٰ الأصل، وإنما تحذف من الأفعال كقولك: لم يكُ، ولا أدرِ. والفاعل بـ﴿حَٰشَ﴾ ضمير يعود علىٰ يوسف، تقديره: بَعُدَ يوسفُ عن الفاحشة لخوف الله.

وقال الزمخشري: إن ﴿حَٰشَ﴾ وُضِع موضع المصدر، كأنه قال: «تنزيهًا»، ثم قال: «لله»؛ ليبين من ينزِّه، قال: وإنما حذف منه التنوين مراعاةً لأصله من الحرفية[١].

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أخرجنه من البشر، وجعلنه من الملائكة؛ مبالغة في وصفه بالحسن.

(٣٢) ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ﴾ توبيخٌ لهن علىٰ اللوم)[٢].

﴿فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾ أي: طلب العصمة، وامتنع مما أرادت منه.

(٣٣) ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ أي: أَمِلْ[٣]، وكلامه هذا تضرُّعٌ إلىٰ الله.

---

(١) انظر: الكشاف (٨/ ٣١٧).

(٢) من قوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ إلىٰ هنا: سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «أميل».

(٣٥) ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ أي: ظهر، والفاعل محذوف، تقديره: رأيٌ، **والضمير في** ﴿لَهُم﴾ : لزوجها وأهلها، أو[1] مَن تشاور معه في ذلك.

﴿رَأَوُا۟ ٱلْءَايَـٰتِ﴾ أي: الأدلةَ على براءته.



(١) في أ، ب، د، هـ: «و».

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْراًۖ وَقَالَ ٱلْاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَاكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَاوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَيٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَۖ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَاتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَٰنِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَاوِيلِهِۦ قَبْلَ أَنْ يَاتِيَكُمَاۖ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيَۖ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَۖ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۖ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍۖ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِۖ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَۖ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَآرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ اَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُۖ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۖ اِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۖ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۖ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَۖ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْراًۖ وَأَمَّا ٱلْاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَاكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۖ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلذِے فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِۖ ﴿٤١﴾ *وَقَالَ لِلذِے ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا اَذْكُرْنِے عِندَ رَبِّكَۖ فَأَنسِيٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِے ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَۖ ﴿٤٢﴾

﴿٣٦﴾ ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾ أي: شابَّان، وقَبْلَ هذا محذوفٌ لا بد منه، وهو: فسجنوه. وكان يوسف عليه السلام قد قال لأهل السجن: إني أَعْبُرُ الرؤيا، فلذلك سأله الفتَيان عن منامهما. وقيل: إنهما استعملاها ليُجَرِّباه، وقيل: رأيا ذلك حقًّا.

﴿أَعْصِرُ خَمْراًۖ﴾ قيل فيه: سمَّىٰ العنبَ خمرًا بما يؤول إليه، وقيل: هي لغة.

﴿إِنَّا نَرَيٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَۖ﴾ قيل: معناه: في تأويل الرؤيا، وقيل: إحسانه إلىٰ أهل السجن.

﴿٣٧﴾ ﴿قَالَ لَا يَاتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَٰنِهِۦٓ﴾ الآيةَ؛ تقتضي أنه وصف لهما نفسَه بكثرة العلم؛ ليجعل ذلك وُصْلةً إلىٰ دعائهما لتوحيد الله. وفيها وجهان:

أحدهما: أنه قال: إنه يخبرهما بكل مايأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيَهما، وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزةٌ للأنبياء.

والآخر: أنه قال: لا يأتيكما طعام في المنام إلَّا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا.

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ رُوي أنهما قالا له: من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجِّم؟ فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾.

﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلًا لما قبله من قوله: ﴿عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾، أو يكون استئنافًا.

﴿٣٩﴾ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ نسَبهما إلىٰ السجن: إمَّا لأنهما سكَّانه، أو لأنهما صَحِباه في السجن، فكأنه قال: يا صاحبيَّ في السجن.

﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ﴾ الآيةَ؛ دعاهما إلىٰ توحيد الله، وأقام عليهما الحجة؛ رغبةً في إيمانهما.

﴿٤٠﴾ ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ﴾ أوقع الأسماءَ هنا موقع المسمَّيات، والمعنىٰ: سميتم آلهةً ما لا يستحق الإلهية، ثم عبدتموها[1].

﴿مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي: حجة وبرهان.

﴿٤١﴾ ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾ يعني: الملِكَ.

﴿٤٢﴾ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾ الظن هنا يَحتمل: أن يكون بمعنىٰ اليقين؛ لأن قوله: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ يقتضي ذلك. أو يكون علىٰ بابه؛ لأن عبارة الرؤيا ظنٌّ.

﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: عند الملِك.

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ قيل: الضمير ليوسف ﷺ؛ أي: نسي في ذلك الوقت أن يذكر الله، ورجا غيره، فعاقبه الله علىٰ ذلك بأن لبث في السجن. وقيل: الضمير للذي نجا منهما، وهو السَّاقي؛ أي: نسي ذِكْرَ يوسف عند ربه، فأضاف الذِّكر إلىٰ ربه؛ إذ هو عنده، والربُّ علىٰ هذا التأويل: الملِك.

﴿بِضۡعَ سِنِينَ﴾ البِضعُ: من الثلاثة إلىٰ العشرة، وقيل: إلىٰ التسعة، وقيل: إلىٰ السبعة.

وروي أن يوسف ﷺ سُجِن خمسَ سنين أولًا، ثم سجن بعد قوله ذلك سبعَ سنين[2].

---

(١) في ب: «تسميتُهم آلهةً ما لا يستحق الإلهية، ثم عبدوها».

(٢) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/ ٢٦١) عن الكلبي، وهو ضعيف جدا.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

﴿٤٣﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ هو ملك مصر الذي كان العزيز خادمًا له، واسمه ريَّان بن الوليد، **وقيل**: مصعب بن الرَّيان، وكان من الفراعنة. **وقيل**: إنه فرعون موسىٰ، عُمِّر أربع مئة سنة حتىٰ أدرك موسىٰ عليه السلام، وذلك بعيد.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ﴾ يعني: في المنام.

﴿عِجَافٌ﴾ أي: ضِعافٌ في غاية الـهُزَال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ خطابٌ لجلسائه وأهل دولته.

﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: تعرفون تأويلها، يقال: عبَرتُ الرؤيا بتخفيف الباء، وأنكر بعضهم التشديد، وهو مسموعٌ من العرب. وأدخلت اللام علىٰ المفعول به لـمَّا تقدَّم علىٰ الفعل.

﴿٤٤﴾ ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي: تَخاليطُها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفسٍ ووسوسة شيطانٍ بحيث لا يُعْبَرُ. **وأصل الأضغاث**: ما جُمِع من أَخْلاط النبات، واحده: ضِغْثٌ. **فإن قيل**: لم قال ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ بالجمع، وإنما كانت رؤيا واحدةً؟ **فالجواب**: أن هذا كقولهم: «فلان يركب الخيل»، وإن ركب فرسًا واحدًا.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ إمَّا أن يريدوا: تأويلَ الأحلام الباطلة، أو تأويل الأحلام علىٰ الإطلاق، وهو الأظهر.

﴿٤٥﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ هو ساقي الملك.

﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد حين.

﴿٤٦﴾ ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ يُقدَّر قبله محذوفٌ لا بد منه، وهو: فأرسلوه فقال: يا يوسف. وسمَّاه صديقًا؛ لأنه كان قد جرَّب صِدْقَه في تعبير الرؤيا وغيرها، والصدِّيق مبالغة في الصِّدق.

﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ﴾ أي: فيمن رأىٰ سبع بقرات، وكان الملك قد رأىٰ سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف، فتعجَّب كيف غلبتهنَّ؟ وكيف وسعت في بطونهنَّ؟ ورأىٰ سبع سنبلات خضر، وقد التفَّتْ بها سبعٌ يابسات، حتىٰ غطَّتْ خضرتها.

﴿٤٧﴾ ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ هذا تعبيرُ الرؤيا، وذلك أنه عبَر البقرات السِّمان بسبع سنين مخصِبةٍ، وعبَر البقرات العجاف بسبع سنين مجدِبة، وكذلك السنبلات الخضر واليابسة.

﴿دَأَبًا﴾ بسكون الهمزة وفتحها[1]، مصدر دأَب علىٰ العمل: إذا داوم عليه، وهو مصدر في موضع الحال.

﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ هذا رأيٌ أرشدهم يوسف عليه السلام إليه، وذلك أن أرض مصر لا يبقىٰ فيها الطعام عامين، فعلَّمهم حيلةً يبقىٰ بها من السنين المخصبة إلىٰ السنين المجدبة، وهي أن يتركوه في سنبله غير مدروس[2]، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي: لا تَدْرُسوا منه إلَّا ما يُحتَاج للأكل خاصة.

﴿٤٨﴾ ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يعني: سبع سنين ذات شدَّةٍ وجوعٍ.

﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: تأكلون فيهنَّ ما اختزنتم من الطعام في سنبله، وأسند الأكل إلىٰ السنين مجازًا.

---

(١) قرأ حفص عن عاصم بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بإسكانها.

(٢) درَس الحنطةَ دِرَاسًا: إذا داسها. لسان العرب (٧/ ٣٨٢).

﴿مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ أي: تُحْرِزون[1] وتُخَبِّئون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾ هذا زيادةٌ علىٰ ما تقتضيه الرؤيا، وهو الإخبار بالعام الثامن.

﴿يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يَحتمل أن يكون من الغيث؛ أي: يُمطَرون، أو من الغوث؛ أي: يفرِّجُ الله عنهم.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي: يعصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعصر.



(١) في د: «تخزنون».

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱيْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ *وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱيْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

﴿٥٠﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱيْتُونِي بِهِۦ﴾ قَبْلَ هذا محذوفٌ، وهو: فرجع الرسول إلىٰ الملِك فقصَّ عليه مقالة يوسف ﷺ، فرأىٰ علمه وعقله، فقال: ﴿ٱيْتُونِي بِهِۦ﴾.

﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ﴾ لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه، أراد يوسف أن يبرِّئ نفسه مما نُسِب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها، وأن يُعلِم الملكَ وغيره أنه سُجن ظلمًا، فذَكَر طرفًا من قصَّته لينظرَ الملك فيها فيتبيَّنَ له الأمر، وكان هذا الفعل من يوسف صبرًا وحلمًا؛ إذ لم يُجِبْ إلىٰ الخروج من السجن ساعةَ دُعِيَ إلىٰ ذلك بعد طول المدَّة، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز؛ رعْيًا لذِمَام زوجها وسَترًا لها، بل ذكر النسوة اللَّاتي قطَّعن أيديهنَّ.

﴿٥١﴾ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ الآيةَ؛ جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهنَّ، فسألهنَّ عن قصة يوسف، وأسند المراودة إلىٰ جميعهن؛ لأنه لم يكن عنده علم بأنَّ امرأة العزيز هي التي راودته وحدها.

﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تبرئةٌ ليوسف ﷺ، أو تبرئةٌ لأنفسهن من مراودته، وتكون تبرئة يوسف ﷺ بقولهن: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾.

﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: تبيَّن وظهر، ثم اعترفتْ علىٰ نفسها بالحق.

(٥٢) ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ **قيل**: إنه من كلام امرأة العزيز متصلًا بما قبله، والضمير في ﴿لِيَعْلَمَ﴾ و﴿أَخُنْهُ﴾ علىٰ هذا ليوسف ﷺ؛ أي: ليعلم يوسف أني لم أكْذب عليه في حال غَيبته، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلىٰ توبتها وإقرارها. **وقيل**: إنه من كلام يوسف ﷺ، فالضمير للعزيز؛ أي: لم أخنه في زوجته في غَيبته، بل تعفَّفتُ عنها، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلىٰ توقُّفه عن الخروج من السجن حتىٰ تظهر براءته.

(٥٣) ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ اختُلف أيضًا هل هو من كلام امرأة العزيز، أو من كلام يوسف ﷺ؟ فإن كان من كلامها: فهو اعترافٌ بعد الاعتراف. وإن كان من كلامه: فهو اعترافٌ بما همَّ به علىٰ وجه خُطورِهِ علىٰ قلبه، لا علىٰ وجه العزم والقصد، أو قاله في عموم الأحوال علىٰ وجه التواضع.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ النفس هنا للجنس، **والنفوس ثلاثة أنواع**: أمارة بالسوء، ولوَّامة؛ وهي التي تلوم صاحبها، ومطمئنة.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ استثناءٌ من ﴿النَّفْسَ﴾ ؛ إذ هي بمعنىٰ النُّفوس، أي: إلَّا النفس المرحومة وهي المطمئنة، فـ«ما» علىٰ هذا بمعنىٰ الذي. ويَحتمل أن تكون ظرفية؛ أي: إلَّا حينَ رحمة الله.

(٥٤) ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعلُه خاصَّتي وخلاصتي، قال أولًا: ﴿ائْتُونِي بِهِۦ﴾ ، فلما تبين له حاله قال: ﴿ائْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: لما رأىٰ حُسن كلامه وعرَف وفور عقله وعلمه قال له: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ، **والمكين**: من التَّمكين، **والأمين**: من الأمانة.

(٥٥) ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ لما فهم يوسف ﷺ من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له ذلك، وإنما طلب منه الولاية رغبةً منه في العدل وإقامة الحق والإحسان، وكان هذا الملك كافرًا.

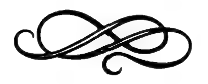
ويُستدَلُّ بذلك علىٰ أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يُصلِح بعض الأحوال. **وقيل**: إن الملك أسلم.

وأراد بقوله: ﴿خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: أرض مصر؛ إذ لم يكن للملك غيرها، **والخزائن**: كل ما يختزن من طعام ومال وغير ذلك.

﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ صفتان تعمُّ[1] وجوه المعرفة والضبط للخزائن. **وقيل**: حفيظٌ للحساب، عليمٌ بالألسن، واللفظ أعم من ذلك. ويُستدَلُّ بذلك علىٰ أنه يجوز للرجل أن يعرِّفَ بنفسه ويمدحَ نفسه بالحق إذا جُهل أمره، وإذا[2] كان في ذلك فائدة.

﴿٥٦﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الإشارة بـ«ذلك» إلىٰ ما تقدَّم من جميل صنع الله به. ورُوي أن الملك ولَّاه في موضع العزيز، وأسند إليه جميع الأمور حتىٰ تغلَّب علىٰ أمره، وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت، فتزوجها يوسف عليه السلام ودعا الله، فردَّ عليها جمالها وشبابها، وأنه باع من أهل مصر في أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولىٰ حتىٰ لم يبق لهم شيء منها، ثم بالحلي، ثم بالدواب، ثم بالضِّياع والعقَار، ثم برقابهم حتىٰ تملَّكهم جميعًا، ثم أعتقهم وردَّ عليهم أملاكهم.

﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ **الرحمة هنا**: يراد بها في الدنيا، **وكذلك الأجر** في قوله: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾، فأخبر تعالىٰ أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص، وأن المحسن لا بدَّ له مِن أَجْرِه في الدنيا، فالأول: في المشيئة، والثاني: واقعٌ لا محالة، ثم أخبر أن أجر الآخرة خيرٌ من ذلك كلِّه للذين آمنوا وكانوا يتقون. وفي الآية إشارةٌ إلىٰ أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة.



---

(١) في هامش أ: «تعمَّان».

(٢) في أ، هـ: «أو إذا».

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

﴿٥٨﴾ ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة في بلادهم، فخرجوا إلىٰ مصر ليشتروا بها من الطعام الذي ادَّخره يوسف عليه السلام.

﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ إنما أنكروه لبعد العهد به وتغيُّر سنِّه، أو لأنه كان متلثِّمًا. وروي أنهم دخلوا عليه وهو علىٰ[1] هيئة عظيمة من الملْك، وأنه سألهم عن أحوالهم، وأخبروه أنهم تركوا أخًا لهم (عند أبيهم)[2]، فحينئذ قال لهم: ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، وهو بنيامين شقيق يوسف عليه السلام.

(١) في د: «في».

(٢) لم ترد في أ، ج، هـ.

(٥٩) ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ **الجَهاز**: ما يَحتاج إليه المسافر من زاد وغيره، والمراد به هنا: الطعام الذي باع منهم.

﴿خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ أي: المضِيفين.

(٦١) ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ أي: نفعل ذلك لا محالةَ.

(٦٢) ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾ جمع فتًىٰ، وهو الخادم سواء كان حرًّا أو عبدًا.

﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ أَمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منه بها الطعام في أوعيتهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾ أي: لعلهم يعرفون اليد والكرامة في ردِّ البضاعة إليهم، وليس الضمير للبضاعة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لعل معرفتهم بها تدعوهم إلىٰ الرجوع، وقصَد بردِّ البضاعة إليهم مع الطعام استئلافَهم بالإحسان إليهم.

(٦٣) ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ إشارةٌ إلىٰ قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾، فهو خوف من المنع في المستقبل.

﴿نَكْتَلْ﴾ وزنه نَفْتَعِل من الكيل.

(٦٥) ﴿مَا نَبْغِي﴾ ﴿مَا﴾ استفهامية، و﴿نَبْغِي﴾ بمعنىٰ: نطلب، والمعنىٰ: أيُّ شيءٍ نطلبه بعد هذه الكرامة، وهي ردُّ البضاعة مع الطعام؟ ويَحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ نافية، و﴿نَبْغِي﴾ من البغي؛ أي: لا نتعدَّىٰ علىٰ أخينا ولا نَكْذِب علىٰ الملك.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نسوق لهم الطعام.

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ يريدون بَعيرَ أخيهم؛ إذ كان يوسف لا يعطي إلَّا كيل بعير من الطعام لإنسان، فأعطاهم عشرة أبعرة، ومنعهم الحادي عشر؛ لغَيبة صاحبه حتىٰ يأتي، والبعير: الجمل.

﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى: أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير. وإن كانت الإشارة إلى ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ فالمعنى: أنه يسيرٌ على يوسف؛ أي: قليل عنده أو سهلٌ عليه، فلا يمنعهم منه.

(٦٦) ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أراد أن يحلفوا له، و﴿لَتَأْتُنَّنِي﴾ جواب اليمين.

﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلَّا أن تُغلَبوا، فلا تطيقون الإتيان به.

(٦٧) ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين؛ إذ كانوا أهل جَمالٍ وهيئة.

(٦٨) ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾، والمعنى: أن ذلك لا يدفع ما قضَى الله.

﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناءٌ منقطع، والحاجة هنا: هي شفقته عليهم ووصيته لهم.



وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

﴿٦٩﴾ ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي: ضمَّه.

﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ أخبره بأنه أخوه، واستكتمه ذلك.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا تحزن؛ وهو من البؤس.

﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الضمير لإخوة يوسف، ويعني: ما فعلوا بيوسف وأخيه. ويَحتمل أن يكون لفتيانه؛ أي: لا تبالِ بما تراه من تحيُّلي في أخذك.

﴿٧٠﴾ ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ السِّقاية هي الصُّواع، وهو إناءٌ يَشرب به الملك، ويكال به الطعام، وكان من فضة، وقيل: من ذهب. وقصَد بجعْلِه في رحل أخيه أن يَحتال على إمساكه معه؛ إذ كان شَرْعُ يعقوب أنَّ مَن سرَق استعْبَده المسروقُ له.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي: نادىٰ منادٍ.

﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ أي: أيتها الرُّفقة.

﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ خطابٌ لإخوة يوسف، وإنما استحلَّ أن يرميَهم بالسرقة؛ لما في ذلك

من المصلحة من إمساك أخيه. وقيل: إن حافظ السقاية نادىٰ: إنكم لسارقون، بغير أمر يوسف، وهذا بعيدٌ؛ لتفتيش الأوعية.

﴿٧٢﴾ ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ أي: لمن جبَرَه[1] وردَّه حِملُ بعير من طعام علىٰ وجه الـجُعْل.

﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ أنا ضامنٌ لحمل البعير لمن ردَّ الصواع، وهذا من كلام المنادي.

﴿٧٣﴾ ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ استشهدوا بعلمهم؛ لما ظهر لهم من ديانتهم في دخولهم أرضهم، حتىٰ كانوا يجعلون الأكِمَّة في أفواه إِبلهم؛ لئلا تنال زروع الناس.

﴿٧٤﴾ ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ أي: قال فتيان يوسف: ما جزاء آخِذ الصُّواع إن كنتم كاذبين في قولكم: ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾، فالضمير في قوله: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ يعود علىٰ الآخِذ المفهوم من الكلام.

﴿٧٥﴾ ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ المعنىٰ: أن إخوة يوسف أَفتوا فيما سُئلوا عنه فقالوا: جزاء السارق أن يُستعبَد، ويُؤخَذَ في السرقة.

وأما الإعراب فيَحتمل وجهين:

الأول: أن يكون ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ الأول مبتدأ، و﴿مَن﴾ مبتدأ وهي شرطية أو موصولة، وخبرها ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾، والجملة خبر ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ الأول.

والوجه الثاني: أن يكون ﴿مَن﴾ خبر المبتدإ الأول علىٰ حذف مضاف، وتقديره: جزاؤه أَخْذُ مَن وُجِد في رحله، وتمَّ الكلام، ثم قال: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾؛ أي: هذا الحكم جزاؤه.

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مِن كلام إخوة يوسف؛ أي: هذا حُكْمنا في السُّرَّاق. وقد كان هذا الحكم في أول الإسلام، ثم نسخ بقطع الأيدي[2].

---

(١) أي: ردَّه.

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ١٢٣): «وحكىٰ بعض الناس أن هذا الحكم كان في أول الإسلام ثم نُسخ بالقطع، وهذا ضعيف، ما كان قط فيما علمت».

(٧٦) ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ هذا تمكينٌ للحيلة، ورفعٌ للتُّهَمة.

﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ ليصحَّ له بذلك إمساكه معه، وإنما أنَّث الصواع في هذا الموضع؛ لأنه سقاية، أو لأن الصواع يذكَّر ويؤنث.

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: صنعنا له هذا الصُّنع.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ أي: في شَرْعِه أو عادته؛ لأنه إنما كان جزاءُ السارق عنده أن يُضرَب ويُضْعَفَ عليه الغرمُ، ولكن حكَم في هذه القضية بحكم آل يعقوب.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ يعني: الرِّفعة بالعلم؛ بدليل ما بعده.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي: فوق كل عالم مَن هو أعلم منه من البشر، أو اللهُ ﷻ.

(٧٧) ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ الضمير في ﴿قَالُوٓاْ﴾ لإخوة يوسف، وأشاروا إلىٰ يوسف ﷺ، ومعنىٰ كلامهم: إن يسرق بنيامين فقد سرق أخوه يوسف من قبل؛ فهذا الأمر إنما صدر من ابنَي راحيل[1]، لا مِنَّا، وقصدوا بذلك دفع المعرَّة عن أنفسهم، ورموا بها يوسف وشقيقه.

واختُلف في السرقة التي رموا بها يوسف ﷺ علىٰ ثلاثة أقوال:

الأول: أن عمَّته ربَّتْه، فأراد والده أن يأخذه منها، وكانت تحبه ولا تصبر عنه، فجعلت عليه مِنطَقةً لها، ثم قالت: إنه أخذها، فاستعبدته بذلك، وبقي عندها إلىٰ أن ماتت.

والثاني: أنه أخذ صنمًا لجدِّه والدِ أمه فكسَره.

والثالث: أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين.

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ﴾ قال الزمخشري: الضمير للجملة التي بعد ذلك؛ وهي قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، والمعنىٰ: قال في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾[2]. وقال ابن عطية: الضمير للحزَازة التي وجَد في نفسه من قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾، أَسَرَّ كراهيَة مقالتهم،

---

(١) راحيل: اسم أمِّ يوسف وبنيامين.

(٢) انظر: الكشاف (٨/ ٤٠١-٤٠٣).

ثم جاهرهم بقوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ أي: لسوء أفعالكم[١].

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ إشارةٌ إلىٰ كذبهم فيما وصفوه به من السرقة.

﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ استعطافٌ، وكانوا قد أعلموه بشدَّة محبة أبيه فيه.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ علىٰ وجه: الضمان، أو[٢] الاسترهان، أو الاستعباد، وهذا هو الأظهر؛ لقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾.

﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أحسنت إلينا فيما فعلت معنا قبلُ، أو علىٰ الإطلاق.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٣٦).

(٢) في ب: «و».

فَلَمَّا اَسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمُۥٓ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدَ اَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اَللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ فَلَنَ اَبْرَحَ اَلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَاذَنَ لِيَ أَبِيَ أَوْ يَحْكُمَ اَللَّهُ لِيَ وَهُوَ خَيْرُ اُلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ اِرْجِعُوٓاْ إِلَيٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ اَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ اِلْقَرْيَةَ اَلتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ اَلتِيَ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمُۥٓ أَنفُسُكُمُۥٓ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اَللَّهُ أَن يَّاتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً اِنَّهُۥ هُوَ اَلْعَلِيمُ اُلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفِيٰ عَلَيٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ اَلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً اَوْ تَكُونَ مِنَ اَلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيَ إِلَى اَللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اَللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ اِذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ اِللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اِللَّهِ إِلَّا اَلْقَوْمُ اُلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ * فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا اَلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا اَلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجِيَةٍ فَأَوْفِ لَنَا اَلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اَللَّهَ يَجْزِي اِلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذَ اَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَ۬نَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ اَللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَّتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اَللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ اَلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدَ اٰثَرَكَ اَللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اُلْيَوْمَ يَغْفِرُ اُللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ اُلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اِذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَيٰ وَجْهِ أَبِي يَاتِ بَصِيراً وَاتُونِي بِأَهْلِكُمُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

﴿٨٠﴾ ﴿اَسْتَيْـَٔسُواْ﴾ أي: يئسوا.

﴿خَلَصُواْ نَجِيّاً﴾ أي: انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضًا. **والنجيُّ يكون:** بمعنى المناجي، ومصدرًا.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمُۥٓ﴾ **قيل:** كبيرهم في السن؛ وهو روبيل. **وقيل:** كبيرهم في الرأي؛ وهو شمعون، **وقيل:** يهوذا.

﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ﴾ **تحتمل** ﴿مَا﴾ **وجوهًا:**

الأول: أن تكون زائدةً[1].

والثاني: أن تكون مصدريةً، ومحلها الرفع بالابتداء[2]، وتقديره: وقع من قبلُ[3] تفريطكم في يوسف.

والثالث: أن تكون موصولةً[4]، ومحلها أيضًا الرفع كذلك.

والأول أظهر.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ يريد: الموضع الذي وقعت فيه القصة.

(٨١) **﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ﴾** مِن قول كبيرهم، وقيل: مِن قول يوسف عليه السلام، وهذا بعيد.

﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ قرأ الجمهور بفتح السين والراء. وروي عن الكسائي «سُرِّقَ» بضم السين وكسر الراء وتشديدها[5]؛ أي: نُسِبتْ له السرقة.

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي: قولنا لك: **﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾** إنما هي شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرىٰ.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي: لا نعلم الغيب هل ذلك حقٌّ في نفس الأمر، أم لا؛ إذ يمكن أن دُسَّ الصُّواع في رحله من غير علمه. وقال الزمخشري: المعنىٰ: ما شهدنا إلَّا بما علمنا من سرقته وتيقَّنَّاه؛ لأن الصواع استُخرِج من وعائه، **﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾** أي: ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق[6]. وقراءة **﴿سَرَقَ﴾** بالفتح تعضد قول الزمخشري، والقراءة بالضم تعضد القول الأول.

---

(١) أي: صلة، لا موضع لها من الإعراب، أي: ومن قبلِ هذا قصَّرتم في شأن يوسف. المحرر الوجيز (٥/ ١٣)، والكشاف (٨/ ٤٠٨).

(٢) وخبرها الظرف، وهو ﴿من قبلُ﴾. الكشاف (٨/ ٤٠٨).

(٣) في هامش ب زيادة «هذا».

(٤) أي: ومن قبلِ هذا ما فرَّطتموه في حق يوسف. الكشاف (٨/ ٤٠٩).

(٥) ذكرها في المحرر الوجيز (٥/ ١٣١)، قال: «قرأ ابن عباس رضي الله عنه وأبو رزين: (سُرِّقَ).. ورويت هذه القراءة عن الكسائي». ا.هـ ولم يذكرها ابن مجاهد في كتابه: السبعة في القراءات.

(٦) انظر: الكشاف (٨/ ٤١٠).

(٨٢) ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ تقديره: واسأل أهل القرية، وكذلك: أهل العير؛ يعنون الرُّفقة، **هذا قول الجمهور**. **وقيل**: المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها، ولا يبعد أن تخبره الجمادات؛ لأنه نبيٌّ. **والأول أظهر** وأشهر على أنه مجاز. **والقرية هنا**: هي مصر.

(٨٣) ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ قبله محذوفٌ تقديره: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام، فقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ الآيةَ.

﴿بِهِمْ جَمِيعاً﴾ يعني: يوسف، وأخاه بنيامين، وأخاهم الكبير الذي قال: لن أبرح الأرض.

(٨٤) ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ لما لم يصدِّقْهم أعرض عنهم، ورجع إلى التأسُّف.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ تأسَّف على يوسف عليه السلام، دون أخيه الثاني والثالث الذاهبَينِ؛ لأن حُزْنَه عليه كان أشدَّ؛ لإفراط محبته، ولأن مصيبتَه كانت السابقة.

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ أي: من البكاء الذي هو ثمرة الحزن، **فقيل**: إنه عَمِيَ، **وقيل**: إنه كان يدرك إدراكًا ضعيفًا. وروي عن النبي ﷺ: أن يعقوب حَزِن حُزْنَ سبعين ثكلى، وأُعطِي أجر مئة شهيد، وما ساءَ ظنُّه بالله قطُّ[1].

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ **قيل**: إنه فعيل بمعنى فاعل؛ أي: كاظم لحزنه لا يظهره لأحد، ولا يشكو إلَّا إلى الله[2]. **وقيل**: بمعنى مفعول، كقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]؛ أي: مملوءُ القلبِ بالحزن، أو بالغيظ على أولاده. **وقيل**: الكظيم: الشديدُ الحُزْنِ.

(٨٥) ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا۟﴾ أي: لا تفتؤ، والمعنى: لا تزال، وحذف حرف النفي؛ لأنه لا يلْتبسُ بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتًا لكان مؤكَّدًا باللام والنون.

﴿حَرَضاً﴾ أي: مُشْفيًا[3] على الهلاك.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٠٧-٣٠٨) عن الحسن البصري مرفوعًا إلى النبي ﷺ فيكون مرسلًا، ورواه أيضًا عن الحسن من كلامه، وشيخ الطبري في كلا الإسنادين محمد بن حميد الرازي، ضعفه البخاري، وقال يعقوب بن شيبة: «كثير المناكير»، وضعفه أبو حاتم الرازي والنسائي وغير واحد. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (٩/ ١٢٧-١٣١).

(٢) في أ، ب: «إلَّا لله».

(٣) في د: «مشرفًا».

﴿٨٦﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ردَّ عليهم تفنيدَهم له؛ أي: إنما أشكو إلىٰ الله، لا إليكم ولا لغيركم. والبثُّ: أشدُّ الحزن.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حسن ظنِّي به، وقوةَ رجائي فيه.

﴿٨٧﴾ ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ﴾ يعني: إلىٰ الأرض التي تركتم بها أخوَيْكم.

﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: تعرَّفوا خبرَهما، والتحسُّسُ: طلب الشيء بالحواس؛ السمع والبصر. وإنما لم يذكر الولد الثالث؛ لأنه بقي هناك اختيارًا منه، ولأن يوسف وأخاه كانا أحبَّ إليه.

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ أي: مِن رحمة الله.

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إنما جعل اليأس من صفة الكافر؛ لأن سببَه تكذيبٌ بالربوبية، أو جهلٌ بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته.

﴿٨٨﴾ ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ أي: علىٰ يوسف ﷺ، وقَبْلَ هذا محذوفٌ؛ تقديره: فرجعوا إلى مصر.

﴿ٱلضُّرُّ﴾ يريدون به: المجاعة، أو الهمَّ علىٰ إخوتهم[1].

﴿بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ يعنون الدراهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام، والمزجاة: القليلة، وقيل: الرديئة، وقيل: الناقصة. وقيل: إن بضاعتهم كانت عُروضًا؛ فلذلك قالوا هذا.

﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ قيل: يعنون بما بين الدراهم الجياد ودراهمهم. وقيل: أوف لنا الكيل الذي هو حقُّنا، وزدنا علىٰ حقِّنا، وسموا الزيادة صدقة، ويقتضي هذا أن الصدقة كانت حلالًا للأنبياء قبل محمد ﷺ. وقيل: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ بردِّ أخينا إلينا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قال النقاش: هو من المعاريض؛ وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر؛ لأنهم لم يعرفوه، فظنوا أنه علىٰ دين أهل مصر، فلو قالوا: إن الله يَجزِيك

(١) في د: «أخوَيهم».

بصدقتك كذَبوا، فقالوا لفظًا يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه(١).

﴿٨٩﴾ ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ لما شكَوا إليه رَقَّ لهم وعرَّفهم بنفسه. ورُوِي أنه كان يكلمهم وعلىٰ وجهه لثامٌ، ثم أزال اللثام ليعرفوه(٢). وأراد بقوله: ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ التفريقَ بينهما في الصغر، ومضرَّتهم ليوسف ﷺ، وإذايةَ أخيه من بعده؛ فإنهم كانوا يُذِلُّونه ويَشتِمونه.

﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ اعتذارٌ عنهم؛ فيَحتمل أن يريد: الجهل بقبح ما فعلوه، أو جهل الشباب.

﴿٩٠﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قرئ بالاستفهام، والخبر(٣). فالخبر علىٰ أنهم عرفوه، والاستفهام علىٰ أنهم توهَّموا أنه هو ولم يحقِّقوه.

﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ قيل: أراد مَن يتق في ترك المعصية، ويصبر علىٰ السجن. واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿٩١﴾ ﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: فضَّلك.

﴿لَخَٰطِـِٔينَ﴾ أي: عاصين، وفي كلامهم استعطافٌ واعترافٌ.

﴿٩٢﴾ ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ عفوٌ جميل، والتثريب: التعنيف، أو العقوبة. وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ راجعٌ إلىٰ ما قبله فيوقف عليه، وهو يتعلَّق بالتثريب، أو بالمقدَّر في ﴿عَلَيْكُمُ﴾ من معنىٰ الاستقرار(٤). وقيل: إنه يتعلَّق بـ﴿يَغْفِرُ﴾ ، وذلك بعيد؛ لأنه تحكُّمٌ علىٰ الله؛ وإنما ﴿يَغْفِرُ﴾ دعاءٌ، فكأنه أسقط حقَّ نفسه بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ ، ثم دعا الله(٥) أن يغفر لهم حقَّه.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ١٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٣٢٨) عن ابن إسحاق.

(٣) قرأ ابن كثير ﴿إنك﴾ بالإخبار، وقرأ الباقون بالاستفهام.

(٤) تقديره: لا تثريب ثابت أو مستقر عليكم اليوم. المحرر الوجيز (٥/ ١٤٦).

(٥) في ب، د، هـ: «دعا إلىٰ الله».

(٩٣) ﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِى﴾ روي أن هذا القميص كان لإبراهيم ﷺ، كساه الله له حين أُخرِج من النار، وكان من ثياب الجنة، ثم صار لإسحاق، ثم ليعقوب، ثم دفعه يعقوب ليوسف[1]، وهذا يَحتاج إلىٰ سند يوثق به. والظاهر: أنه كان قميص يوسف ﷺ الذي بمنزلة قميص كلِّ أحدٍ.

﴿يَاتِ بَصِيراً﴾ الظاهر: أنه عَلِمَ ذلك بوحيٍ من الله.



(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٦) عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ﷺ.

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿٩٤﴾ ﴿فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي: خرجت من مصر متوجهةً إلىٰ يعقوب عليه السلام.

﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ كان يعقوب عليه السلام ببيت المقدس، ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة.

﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي: تلومونني أو تردون عليَّ قولي. وقيل: معناه: تقولون: ذهب عقلك؛ لأن الفَنَد هو الخَرَفُ.

﴿٩٥﴾ ﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي: في ذهابك عن الصواب؛ بإفراط محبتك في يوسف قديمًا.

﴿٩٦﴾ ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ روي أن البشير يهوذا؛ لأنه كان جاء بقميص الدَّمِ، فقال لإخوته: إني ذهبت إليه بقميص التَّرْحة؛ فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة.

﴿٩٨﴾ ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ وعدَهم بالاستغفار لهم، فقيل: سوَّفهم إلىٰ السَّحَر؛ لأن الدعاء يستجاب فيه، وقيل: إلىٰ ليلة الجمعة.

(٩٩) ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ هنا محذوفاتٌ يدلُّ عليها الكلام؛ وهي: فرحَلَ يعقوب بأهله حتىٰ بلغوا يوسف.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ أي: ضمَّهما، أراد[1] بالأبوين: أباه وأمه. وقيل: أباه وخالته؛ لأن أمه كانت قد ماتت، وسمَّىٰ[2] الخالةَ علىٰ هذا أمًّا.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ راجعٌ إلىٰ الأمن الذي في قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾.

(١٠٠) ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: علىٰ سرير الملك.

﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ كان السجود عندهم تحيةً وكرامة، لا عبادة.

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ يعني: حين رأىٰ الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له. وكان بَيْنَ رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عامًا، وقيل: أربعون.

﴿أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ يقال: أحسن به وإليه.

﴿أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ إنما لم يقل أخرجني من الجبِّ لوجهين: أحدهما: أن في ذكر الجب خِزْيُ إخوته، وتَقْريعُهم[3] بما فعلوا؛ فترَك ذكره؛ توقيرًا لهم. والآخر: أنه خرج من الجب إلىٰ الرقِّ، ومن السجن إلىٰ الملك؛ فالنعمة به أكثر.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ أي: من البادية، وكانوا أصحاب إبل وغنم، فعدَّ في النِّعم مجيئَهم للحاضرة.

﴿نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: أفسد وأغوىٰ.

﴿لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي: لطيفُ التدبير لما يشاء من الأمور.

(١٠١) ﴿مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ «مِن» للتبعيض؛ لأنه لم يعطه الله إلَّا بعض مُلك الدنيا، بل بعض ملك مصر.

---

(١) في د: «وأراد».

(٢) في د: «وتسمَّىٰ».

(٣) كذا في نسخة خزانة القرويين، أي: توبيخهم، وفي بقية النسخ: «وتعريفهم»! ولعلَّ المثبت أدلُّ علىٰ مقصود السياق، وتُرجِّحه عبارة المحرر الوجيز (٥/ ١٥٣): «أن في ذكر إخراجه من الجُبِّ تجديدَ فعل إخوته وخزيَهم بذلك، وتقليعَ [كذا باللام] نفوسِهم، وتحريكَ تلك الغوائل وتخبيثَ النفوس».

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ لما عدَّد النعم التي أنعم الله عليه اشتاق إلىٰ لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم، فدعا بالموت. وقيل: ليس ذلك دعاءً بالموت، وإنما دعا أن يتمَّ الله عليه النعم بالوفاة علىٰ الإسلام إذا حان أجله.

(١٠٢) ﴿ذَٰلِكَ مِنَ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ احتجاجٌ علىٰ صحة نبوة النبي ﷺ بإخباره بالغيوب.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ؛ تأكيدًا لحجته، والضمير لإخوة يوسف.

﴿إِذَ اَجْمَعُوٓاْ﴾ أي: عزموا.

﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يعني: فِعْلَهم بيوسف عليه السلام.

(١٠٣) ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ عمومٌ؛ لأن الكفار أكثر من المؤمنين، وقيل: أراد أهل مكة.

﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ اعتراضٌ؛ أي: لا يؤمنون، ولو حرَصتَ علىٰ إيمانهم.

(١٠٤) ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ اَجْرٍ﴾ أي: لست تسألهم أجرًا علىٰ الإيمان، فيثقل عليهم بسبب ذلك. وهكذا معناه حيث وقع.



وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ اللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا اسْتَيْـَٔسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُنجِي مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ *لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِي الْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿١٠٥﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ يعني: المخلوقات والحوادث الدالَّة على الله سبحانه.

﴿١٠٦﴾ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ نزلت في كفار العرب الذي يُقِرُّون بالله ويعبدون معه غيره. وقيل: في أهل الكتاب؛ لقولهم: عزير ابن الله، (والمسيح ابن الله)[1].

﴿١٠٧﴾ ﴿غَٰشِيَةٌ﴾ هي ما يَغشى ويَغمُّ.

﴿١٠٨﴾ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ إشارةٌ إلى شريعة الإسلام.

﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: أدعو الناس إلى عبادة الله، وأنا على بصيرة من أمري وحجة واضحة.

﴿أَنَا۠ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: ﴿أَنَا۠﴾ تأكيدٌ للضمير في ﴿أَدْعُوٓا۟﴾، و﴿مَنِ اتَّبَعَنِي﴾ معطوفٌ عليه، و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ في موضع الحال. وقيل: ﴿أَنَا۠﴾ مبتدأ، و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ خبره، فعلى هذا: يوقف على قوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى اللَّهِ﴾، وهذا ضعيف.

﴿وَسُبْحَٰنَ اللَّهِ﴾ تقديره: وأقول: سبحان الله.

(١) سقط من أ، ب، هـ.

(١٠٩) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردٌّ على من أنكر أن يكون النبي من البشر. **وقيل:** فيه إشارةٌ إلى أنه لم يبعث رسولًا من النساء.

﴿مِّنَ اَهْلِ اِ۬لْقُرِيٰٓ﴾ أي: من أهل المدن، لا من أهل البوادي؛ فإن الله لم يبعث رسولًا من أهل البادية؛ لجفائهم[1].

(١١٠) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا اَ۪سْتَيْـَٔسَ اَ۬لرُّسُلُ﴾ متصلٌ في المعنى بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ إلى قوله: ﴿عَٰقِبَةُ اُ۬لذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ﴾. ويَأْسُهم يَحتمل أن يكون: من إيمان قومهم، أو من النصر، والأول أحسن.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُواْ﴾ قرئ بتشديد الذال وتخفيفها[2]. **فأما التشديد:** فالضمير في ﴿ظَنُّوٓاْ﴾ وفي ﴿كُذِّبُواْ﴾ للرسل. والظن يَحتمل أن يكون: على بابه، أو بمعنى اليقين؛ أي: علم الرسل أن قومَهم قد كذَّبوهم فيئسوا من إيمانهم. **وأما التخفيف:** فالضميران فيه للقوم المرسَلِ إليهم؛ أي: ظنُّوا أن الرسل قد كذَبوهم فيما ادَّعَوْا من الرسالة، أو من النُّصرة عليهم.

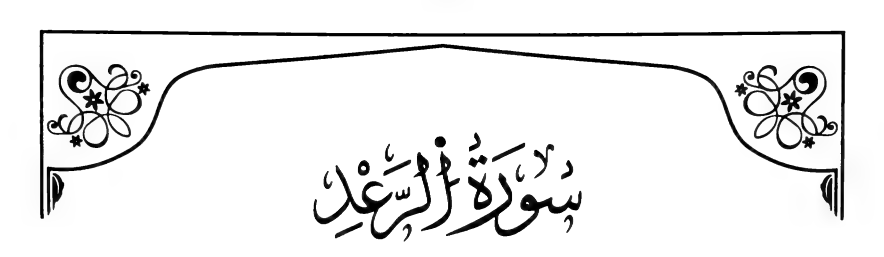
(١١١) ﴿فِے قَصَصِهِمْ﴾ **الضمير:** للرسل على الإطلاق، أو ليوسف وإخوته.

﴿مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرِيٰ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ اَ۬لذِے بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدَّم معناه في «**البقرة**»[3].



(١) في ب: «لجهالتهم».
(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الذال، وقرأ الباقون بتشديدها.
(٣) انظر تفسير الآية (٤٠).



أَلَمَٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٖ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلّٞ يَجْرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرٗا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنْ أَعْنَٰبٖ وَزَرْعٞ وَنَخِيلٞ صِنْوَانٞ وَغَيْرُ صِنْوَانٖ يُسْقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٖ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٞ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٖ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

﴿١﴾ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: آيات هذه السورة. ويَحتمل أن يريد: آياتِ الكتب على الإطلاق. ويَحتمل أن يريد: القرآنَ، وهذا بعيدٌ؛ لتكرار ذكر القرآن بعد ذلك.

﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ﴾ يعني: القرآنَ، وإعرابه: مبتدأٌ، وخبره ﴿ٱلْحَقُّ﴾ .

﴿٢﴾ ﴿بِغَيْرِ عَمَدٖ﴾ أي: بغير شيءٍ تقف عليه إلَّا قدرة الله.

﴿تَرَوْنَهَا﴾ قيل: الضمير للسماوات، فـ﴿تَرَوْنَهَا﴾ على هذا: في موضع الحال، أو استئنافٌ.

وقيل: الضمير للعَمَد؛ أي: ليس لها عمَدٌ مرئيةٌ، فيقتضي المفهومُ: أن لها عَمدًا لا تُرى.

وقيل: إن عمَدَها هو جبل قاف المحيطُ بالدنيا. وقال الجمهور: لا عمَد لها ألبتةَ، فالمراد: نفيُ العمَدِ ونفيُ رؤيتِها.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ﴿ثُمَّ﴾ هنا لترتيب الإخبار، لا لترتيب وقوع الأمر؛ فإن العرش كان قبل خلق السماوات[1]. وتقدَّم الكلام على الاستواء في «الأعراف»[2].

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يعني: أمرَ الملكوت.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ يعني آيات كتبه[3].

﴿٣﴾ ﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ يقتضي أنها بَسيطةٌ لا كورةٌ، وهو ظاهر الشريعة[4]. وقد يترتَّب لفظ

---

(١) [التعليق ٦٣] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «(ثم) هنا لترتيب الأخبار، لا لترتيب وقوع الأمر» إلخ، يفهم من كلامه ﷺ أن الآية لا تدل على أن استواء الله على عرشه كان بعد خلق السماوات والأرض، كما يقتضيه عطف الفعل على الفعل، بل قوله: «فإن العرش كان قبل خلق السماوات» يدل على أنه يذهب إلى أن الاستواء على العرش كان قبل خلق السماوات والأرض، وهذا يقتضي أن الاستواء تابع لوجود العرش، فيلزم من ذلك أنه تعالى لم يزل مستويا على العرش منذ خلقه، وهذا خلاف ظاهر القرآن؛ لأن الأصل في المعطوف بـ(ثم) أنه بعد المعطوف عليه، بل هو متراخٍ عنه، ولا أعلم قائلا بهذا ممَّن يقتدى به من الأئمة، أعني أنه تعالى لم يزل مستويا على العرش منذ خلقه، بل ولا أعلم من تعرَّض لهذه المسألة بنفي ولا إثبات، أي: استواء الله على عرشه قبل خلق السماوات والأرض، لكن ذكر المسألة الشيخ العلامة محمد العثيمين ﷺ في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣٨٦)، واختار التوقف. هذا؛ والذي ينبغي القطع به أن الله بعد خلق السماوات والأرض استوى على عرشه، وما قبل ذلك فيسكت عنه، ولا يتعرض له بنفي ولا إثبات؛ لعدم الدليل على النفي أو الإثبات. والله أعلم.
وبعد: فيزيد المقام إيضاحا الإجابة عن الأسئلة الآتية: الأول: هل استوى الله على العرش بعد خلق السماوات والأرض؟ الجواب: نعم؛ يقينا وقطعا؛ لأن هذا موجبُ خبر الله عن نفسه.
ثانيا: هل كان الله عند خلق السماوات والأرض مستويا على العرش؟ الجواب: لا؛ لم يكن مستويا على العرش عند خلق السماوات والأرض؛ إذ يمتنع في الكلام أن يقال لمن كان قائما: ثم قام، أو لمن كان قاعدا: ثم قعد، فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يدل على إثبات الاستواء بعد خلق السماوات والأرض، وعلى نفيه عند خلق السماوات والأرض، يوضحه أن الله لو كان مستويا على العرش عند خلق السماوات والأرض لم يصح في اللسان أن يقال فيه: ثم استوى على العرش، كما تقدم.
ثالثا: هل استوى الله على العرش قبل الاستواء الذي أخبر عنه بعد خلق السماوات والأرض؟ الجواب: هذا هو الذي لم يأت فيه بيان، فيجب الإمساك عن القول فيه. والله أعلم.

(٢) انظر تفسير الآية (٥٣).

(٣) في د: «كتابه».

(٤) يرى ابن جزي ﷺ تبعًا لابنِ عطية في المحرر الوجيز (٥/ ١٧٢) أن ظاهر ما تدلُّ عليه نصوص الشريعة كونُ الأرض بسيطة لا كروية! مع أنه في العبارة التالية: «وقد يترتب..» وجَّه معنى الآية توجيهًا صحيحًا (انظر: التبيان في أيمان القرآن لابن القيم، ص ٤٤٧)، وقد قرَّر شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ أن الأرض كروية =

البَسط والمدِّ مع التَّكوير؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودةٌ على حِدَتِها، وإنما التكوير لجملة الأرض.

﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني: الجبالَ الثابتة.

﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني: صنفين من الثمر، كالأسود والأبيض، والحلو والحامض. **فإن قيل**: تقتضي الآية أنه تعالى خلق مِن كل ثمرة صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصنافًا كثيرةً! **فالجواب**: أن ذلك زيادةٌ في الاعتبار، وأعظم في الدلالة على القدرة، فذكر الاثنين؛ لأن دلالة غيرها[1] من باب أولى[2]. **وقيل**: إن الكلام تمَّ في قوله: ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ثم ابتدأ بقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾ يعني: الذكر والأنثى. والأول أحسن.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: يُلبِسُه إياه، فيصير له كالغشاء، وذلك تشبيهٌ.

﴿٤﴾ ﴿قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ يعني: قرى[3] متلاصقة، ومع تلاصقها فإن أرضها تتنوع إلى طيب ورديء، وصَلبٍ ورِخْوٍ، وغير ذلك، وكلُّ ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر.

﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ **الصِّنوان**: هي النخَلات الكثيرة، ويكون أصلها واحدًا، **وغير الصنوان**: المفترق فردًا فردًا، وواحد الصنوان: صِنْوٌ.

= والأفلاك مستديرة بدلالة الكتاب والسنة والإجماع، وهو مما يعلم بالعقل، وأن علماء المسلمين يتَّفقون مع ما يقرِّره أهل الهيئة والحساب في هذا (انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ١٥٠، ٦/ ٥٦٦، ٦/ ٥٨٦، ١٧/ ٣٣٤، ٢٥/ ١٤٢، ٢٥/ ١٩٣)، ولكن بعض أهل الإسلام يخالف في كون الأرض كروية، وربَّما استندوا في هذا الرأي إلى ما ظنوه مُستنَدًا لهم من ظواهر النصوص، وليست هي عند التحقيق كذلك، وقد بيَّن شيخ الإسلام السَّبب الداعيَ لمن جنح إلى هذا الرأي من أهل الإسلام، وهو أنهم لما رأوا ما في كلام أهل الهيئة والحساب من الباطل الكثير المخالف لأدلة الشرع الصحيحة الصريحة، ظنوا أن كلَّ ما يقوله هؤلاء باطلٌ مردود، ولو كان في نفس الأمر حقًّا يتَّفق مع ما عُلم الشرع، ظانِّين أنهم بذلك ينصرون الشرع، ولا يميِّزون بين الحق الذي عندهم، مما دلَّ عليه السمع والعقل، وبين الباطل المخالف للسمع والعقل. (انظر: مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٣٤، ٢٥/ ١٣٢).

(١) في د: «غيرهما».

(٢) قال في المحرر الوجيز (٥/ ١٧٣): «وهذه الآية تقتضي أن كل ثمرة فموجود منها نوعان، فإن اتفق أن وُجد من ثمرة أكثر من نوعين فغير ضارٍّ في معنى الآية».

(٣) في أ، ب: «قطعًا».

﴿تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ **حجةٌ وبرهان على أنه تعالى قدير مُريد؛ لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذي تسقى به دليلٌ على القدرة والإرادة، وفي ذلك ردٌّ على القائلين بالطبيعة.**

(٥) ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ **أي: إن تعجب يا محمد فإن إنكارَهم للبعث حقيقٌ أن يُتعَجَّب منه؛ فإن الذي قدَر على إنشاء ما ذكرنا من السماوات والأرض والثمرات قادرٌ على إنشاء الخلق بعد موتهم.**

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ **هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث. واختَلف القراء في هذا الموضع وفي سائر المواضع التي فيها استفهامان، وهي أحدَ عشر موضعًا، أولها: هذا، وفي «الإسراء» موضعان، وفي «المؤمنين» موضع، وفي «النمل» موضع، وفي «العنكبوت» موضع، وفي ﴿الٓمٓ﴾ «السجدة» موضع، وفي «الصافات» موضعان، وفي «الواقعة» موضع، وفي «النازعات» موضع: فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني[١]. ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط، وهو نافع[٢]. ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط[٣]. وأصل الاستفهام في المعنى إنما هو عن الثاني في مثل هذا الموضع؛ فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقًا جديدًا، ولم ينكروا أن يكونوا ترابًا.**

فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط: فهو على الأصل. ومن قرأ بالاستفهام في الأول: فإنما القصد بالاستفهام الثاني. ومن قرأ بالاستفهام فيهما: فذلك للتأكيد.

(٦) ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ **يحتمل: أن يريد الأغلالَ في الآخرة، فيكون حقيقة. أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس: ٧]، فيكون مجازًا يَجري مجرى الطبع والختم على القلوب.**

(٧) ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ **أي: بالنقمة قبل العافية، والمعنى: أنهم طَلبوا العذاب على وجه الاستخفاف.**

---

(١) وهم ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة.

(٢) والكسائي.

(٣) وهو ابن عامر.

﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾ جمع مَثُلَةٍ على وزن «سَمُرَةٍ»، وهي العقوبة العظيمة التي تَجعل الإنسانَ مثلًا، والمعنىٰ: كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوباتُ الأممَ الذين كانوا قبلهم؟ أفلا يخافون مثل ذلك؟

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ يريد: سَتره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة، وقيل: يريد مغفرته لمن تاب، والأول أظهر هنا.

۞ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةَ؛ اقترحوا نزول آية على النبي ﷺ، مِن نزول ملَك معه أو شبه ذلك، ولم يعتدُّوا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العِظام التي جاء بها، وذلك منهم معاندةٌ.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ أي: إنما عليك إنذارُهم، وليس عليك أن تأتيَهم بآية، إنما ذلك إلىٰ الله.

﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يراد بالهادي اللهُ تعالىٰ، فالمعنىٰ: إنما عليك الإنذار والله هو الهادي لمن يشاء إذا شاء.

والوجه الثاني: أن يريد بالهادي النبيَّ ﷺ، فالمعنىٰ: إنما أنت نبيٌّ منذر، ولكل قوم هادٍ من الأنبياء ينذرهم، فليس أمرك ببِدْعٍ ولا مستنكر.

الثالث: رُوي أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر، وأنت يا عليُّ الهادي»[1].



(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٤٢-٤٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٣٤): «وهذا الحديث فيه نكارة شديدة»، وأخرجه الحاكم (٤٦٤٦) عن علي رضي الله عنه، وصححه، وتعقَّبه الذهبي بقوله: «بل كذبٌ، قبح الله واضعه»، وقال ابن تيمية في المنهاج (٧/ ١٣٩): «هذا كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث».

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٩﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١٠﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١١﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٣﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٤﴾ *لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٥﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٦﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴿١٧﴾ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٨﴾ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٩﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠﴾

﴿٩﴾ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٣]، وهي من الخمس التي لا يعلمها إلا الله، ويعني: يعلم هل هو ذكر أو أنثى، أو تامٌّ أو خِداجٌ[١]، أو حسَن[٢] أو قبيح، أو غير ذلك.

(١) في ج: «مُخْدَجٌ»، وفي ب: «ناقص»، وكلها بمعنى واحد.

(٢) في ب: «أعرج» بدلا من «حسَن».

﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ معنىٰ ﴿تَغِيضُ﴾: تنقص، ومعنىٰ ﴿تَزْدَادُ﴾: من الزيادة. فقيل: إن الإشارة لدم الحيض[1]؛ فإنه يقِلُّ ويكثر. وقيل: للولد، فالغيض: السِّقط، أو الوِلادة لأقل من تسعة أشهر، والزيادة: البقاء أكثر من تسعة أشهر. ويَحتمل أن تكون «ما» في قوله: ﴿مَا تَحْمِلُ﴾، ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: موصولةً، أو مصدريةً.

﴿١٠﴾ ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ المعنىٰ: إن الله يسمع كل شيء، فالجهر والإسرار عنده سواء. وفي هذا وما بعده تقسيم، وهو من أدوات البيان؛ فإنه ذكر أربعة أقسام، وفيه أيضًا مطابقة.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ المعنىٰ: سواء عند الله المستخفي بالليل وهو في غاية الاختفاء، مع السَّارب بالنهار، وهو في غاية الظهور. ومعنىٰ السارب: المتصرِّف في سَرْبِه -بالفتح-؛ أي: في طريقه ووجهه.

والسارب والمستخفي اثنان، قصَد التسويةَ بينهما في اطِّلاع الله عليهما، مع تباين حالهما. وقيل: إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار صفتان لموصوف واحد، يستخفي بالليل، ويظهر بالنهار، ويعضد هذا كونُه قال: ﴿وَسَارِبٌۢ﴾، فعطَفه عطْفَ الصفات، ولم يقل: «ومن هو سارب» بتكرار «مَن» كما قال: ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾.

إلا أنَّ جَعْلهما اثنين أرجح؛ ليقابل ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ ، فيكمل التقسيم إلىٰ أربعة، وعلىٰ هذا يكون قوله: ﴿وَسَارِبٌۢ﴾ عطفًا علىٰ الجملة وهي قوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ﴾، لا علىٰ ﴿مُسْتَخْفٍۭ﴾ وحده.

﴿١١﴾ ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ المعقبات هنا: جماعات[2] الملائكة، وسمِّيت معقبات؛ لأن بعضهم يعقب بعضًا، والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ يعود علىٰ «من» المتقدِّمة، كأنه قال: لمن أسر ولمن جهر ولمن استخفىٰ ولمن ظهر معقباتٌ. وقيل: يعود علىٰ الله، وهو قول ضعيف؛ لأن الضمائر التي بعده تعود علىٰ العبد باتفاق.

---

(١) في أ: «إلىٰ دم الحيض».

(٢) في أ: «جماعة».

﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ صفة للمعقبات، وهذا الحفظ يَحتمل أن يراد به: حفظ أعماله، أو حفظه وحراسته من الآفَات.

﴿مِنَ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ صفة للمعقبات؛ أي: معقباتٌ مِن أجل أمر الله؛ إذْ أَمَرَهم بحفظه[1]، وقرئ: «بأمر الله»[2]، وهذه القراءة تعضد ذلك، ولا يتعلَّق ﴿مِنَ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ علىٰ هذا بـ ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾. وقيل: يتعلَّق به؛ علىٰ معنىٰ أنهم يحفظونه مِن عقوبة الله إذا أذنب؛ بدعائهم له واستغفارهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ المعنىٰ: إن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنِّعم حتىٰ يغيروا هم ما بأنفسهم بالمعاصي، فيقتضي ذلك: أن الله لا يَسلب النعم، ولا يُنزل النقم إلَّا بالذنوب.

﴿١٣﴾ ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الخوف يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة، والطمع في المطر الذي يكون معه.

﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ وصفها بالثِّقَلِ؛ لأنها تحمل الماء.

﴿١٤﴾ ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ الرعد: اسم ملك، وصوته المسموع تسبيح. وقد جاء في الأثر: أن صوته زجْرٌ للسحاب[3]، فعلىٰ هذا يكون تسبيحه غير ذلك.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ قيل: إنها إشارةٌ إلىٰ الصاعقة التي نزلت علىٰ أَرْبَدَ الكافرِ وقتلته، حين همَّ بقتل النبي ﷺ هو وأخوه عامر بن الطفيل[4].

واللفظ أعم من ذلك.

---

(١) فيكون في الكلام تقديم وتأخير، أي: له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه. المحرر الوجيز (٥/ ١٨٧).

(٢) قرأ كذلك علي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة وجعفر بن محمد ﵃. المحرر الوجيز (٥/ ١٨٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٧٩-١٨٠)، وأحمد (٢٤٨٣)، والترمذي (٣١١٧) وقال: «حسن غريب»، والنسائي في الكبرىٰ (٩٠٢٤) عن ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ في ضمن حديث طويل، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٤٣٨): «ورجاله ثقات».

(٤) أخرجه الطبري (١٣/ ٤٨١) عن ابن جريج.

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ يعني: الكفار، والواو: للاستئناف، أو للحال.

﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي: شديد القوة، والمحال: مشتق من الحِيلة، فالميم زائدة، ووزنه مِفْعَل. وقيل: معناه: شديد المكر؛ من قولك: محَلَ بالرجل: إذا مكَر به، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فِعَال، وتأويل المكر على هذا القول كتأويله في المواضع التي ورد[1] في القرآن[2].

﴿١٤﴾ ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ قيل: هي لا إله إلا الله، والمعنى: أن دعوة العباد بالحق لله، ودعوتهم بالباطل لغيره.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ يعني بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾: ما عُبِد من دون الله من الأصنام وغيرهم، والضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار. والمعنى: أن المعبودِين لا يستجيبون لمن عبَدهم.

﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ شبَّه إجابة الأصنام لمن عبدهم بإجابة الماء لمن بسَط إليه كفَّيْهِ، وأشار إليه بالإقبال إلى فيه، ولا يبلغ فمَه على هذا أبدًا؛ لأن الماء جمادٌ لا يعقل المراد، فكذلك الأصنام. والضمير في قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ للماء، وفي ﴿بِبَٰلِغِهِۦ﴾ للفم.

﴿١٥﴾ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ «مَن» لا تقع إلَّا على من يعقل، فهي هنا يراد بها: الملائكة والإنس والجن. فإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه؛ فهو عامٌّ في الجميع، من شاء منهم، ومن أبى، ويكون ﴿طَوْعًا﴾ لمن أسلم ورضيَ، ﴿وَكَرْهًا﴾ لمن كره وسخط. وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد، فيكون سجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن طوعًا، وأما الكَره؛ فهو سجود المنافق، أو[3] سجود ظل الكافر.

---

(١) في د: «وردت».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (١٧) و(٣٩) و(٥٨) و(٦٠).

(٣) في د، هـ: «و».

﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ معطوف على ﴿مَن﴾، والمعنى: أن الظِّلال تسجد غدوةً وعشية، وسجودها: انقيادها للتصرُّف بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وقيل: سجودها: فيئها بالعشي.

(١٧) ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب عن السؤال المتقدِّم، وهو ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة؛ لأنه أمرٌ واضحٌ لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله: ﴿أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الأعمى تمثيل للكافر، والبصير تمثيل للمؤمن، و﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر، ﴿وَٱلنُّورُ﴾ الإيمان، وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل.

(١٨) ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا بمعنى «بل» والهمزة، و﴿خَلَقُوا۟﴾ صفة لـ﴿شُرَكَآءَ﴾، والمعنى: أن الله وقَّفهم هل خلق شركاؤهم خلقًا كخلق الله فحمَلهم ذلك واشتباهُه بما خلق الله على أن جعلوا إلهًا غير الله؟ ثم أبطل ذلك بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ فحصل الردُّ عليهم.

(١٩) ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ الآيةَ؛ هذا مثلٌ ضربه الله للحق وأهله، والباطل وحزبه، فمثَّل الحق وأهلَه: بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية، وتنتفع به الأرض. وبالذهب والفضة والحديد والصُّفْر وغيرها من المعادن التي ينتفع بها الناس. وشبَّه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله: بالزبَد الذي يَرمي به السيل. وبزبد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أذيبت، وليس في الزبد منفعةٌ، وليس له دوام.

﴿بِقَدَرِهَا﴾ يَحتمل أن يريد: ما قُدِّر لها من الماء، ويَحتمل أن يريد: بقَدْر ما تحتمله، على قَدْر صغرها وكبرها.

﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ الزَّبَد: ما يحمله السيل من غُثَاءٍ ونحوه، والرَّابي: المنتفخ الذي ربا، ومنه الربوة.

﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾ المجرور في موضع خبر مقدم، والمبتدأ ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾؛ أي: يَنشأ من الأشياء التي يوقَد عليها زبدٌ مثل زبد السيل.

﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ اَوْ مَتَٰعٍ﴾ **الذي يُوقَد عليه ابتغاءَ الحَلْي**: هو الذهب والفضة، **والذي يوقد عليه ابتغاء متاع**: هو الحديد والرصاص والنحاس والصُّفر وشبه ذلك. **ومعنى المتاع**: ما يَستمتع الناس به في مرافقهم وحوائجهم.

﴿يَضْرِبُ اُللَّهُ اُلْحَقَّ وَالْبَٰطِلَۖ﴾ أي: يضرب أمثال الحق والباطل.

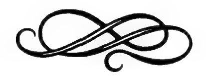
﴿جُفَآءًۖ﴾ يَجفَؤه السيل؛ أي: يرمي به.

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ اُلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِے اِ۬لَارْضِۖ﴾ يريد: الخالص من الماء، ومن تلك الأحجار.

﴿لِلذِينَ اَسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ اُلْحُسْنَىٰۖ﴾ **الذين استجابوا**: هم المؤمنون، وهذا استئناف كلام، **والحسنى**: الجنة، **وإعرابها**: مبتدأ، وخبرها: ﴿لِلذِينَ اَسْتَجَابُواْ﴾ . **وقوله**: ﴿وَالذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿لَوَ اَنَّ لَهُم مَّا فِے اِ۬لَارْضِ﴾ الآيةَ، فيوقَف على ﴿اُلَامْثَالَۖ﴾ ، وعلى ﴿اُلْحُسْنَىٰۖ﴾.

وقيل: ﴿لِلذِينَ اَسْتَجَابُواْ﴾ يتعلَّق بـ ﴿يَضْرِبُ﴾، و ﴿اُلْحُسْنَىٰۖ﴾ مصدر من معنى ﴿اَسْتَجَابُواْ﴾؛ أي: استجابوا الاستجابة الحسنى، ﴿وَالذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ معطوف على ﴿لِلذِينَ اَسْتَجَابُواْ﴾ ، **والمعنى**: يضرب الله الأمثال للطائفتين، وعلى هذا إنما يوقف على: ﴿وَالذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾.

﴿سُوٓءُ اُلْحِسَابِۖ﴾ أي: المناقشة والاستقصاء.



*﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾

﴿٢١﴾ ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ تقريرٌ، والمعنىٰ: أسواء من آمن ومن لم يؤمن؟ **والأعمىٰ هنا:** من لم يؤمن بالنبي ﷺ. **وقيل:** إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وأبي جهل لعنه الله(١).

﴿٢٣﴾ ﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ القَرابات وغيرها.

﴿٢٤﴾ ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ **قيل:** يدفعون الشرك بقول: لا إله إلا الله. **وقيل:** يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن. **والأظهر:** يفعلون الحسنات؛ فيدرؤون بها السيئات، كقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. **وقيل:** إن هذه الآية نزلت في الأنصار(٢)، ثم هي عامة في كل من اتصف بهذه الصفات.

﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ يعني: الجنة، **ويَحتمل أن يريد بالدار:** الآخرةَ، وأضاف العقبىٰ إليها؛ لأنها فيها، **ويَحتمل أن يريد بالدار:** الدنيا، وأضاف العقبىٰ إليها؛ لأنها عاقبتها.

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في الهداية (٥/ ٣٧٢٧)، وابن عطية في تفسيره (٥/ ١٩٩)، ولم أقف عليه مسندًا.

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٥/ ٢٠٠)، ولم أقف عليه مسندًا، وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٧٥): «نزلت في المهاجرين والأنصار».

﴿٢٣﴾ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ بدلٌ من ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾، أو خبر ابتداء مضمر؛ تفسيرًا لـ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

﴿وَمَن صَلَحَ﴾ أي: مَن كان صالحًا.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ أي: يقولون لهم: سلام عليكم.

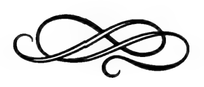
﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ يتعلَّق بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم، ويجوز أن يتعلَّق بـ﴿سَلَٰمٌ﴾؛ أي: نسلِّم[1] عليكم بما صبرتم.

﴿٢٥﴾ ﴿وَالذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ إلىٰ آخر الآية؛ أوصافٌ مضادَّة لما تقدَّم. وقيل: إنها في الخوارج، والأظهر: أنها في الكفار.

﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ يحتمل أن يراد بها: الدنيا، أو الآخرة[2].

﴿٢٦﴾ ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ أي: يوسِّع علىٰ من يشاء، ويضيِّق علىٰ من يشاء، وهذا تفسيره حيث وقع.

﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ إخبارٌ في ضمنه ذمٌّ وتسفيه لمن فرح بالدنيا، ولذلك حقرها بقوله: ﴿إِلَّا مَتَٰعٌ﴾؛ أي: قليلٌ بالنظر إلىٰ الآخرة.



(١) في ج، هـ: «يسلم».

(٢) في أ، ب: «في الدنيا والآخرة».

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ *كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

﴿٢٨﴾ ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ خرج به مخرج التعجُّب منهم لما طلبوا آيةً، أي: قد جاءكم محمد ﷺ بالقرآن وبآيات كثيرة فعَمِيتم عنها، وطلبتم غيرها، وتماديتم على الكفر؛ لأنَّ الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات، وقد يهدي من يشاء دون ذلك.

﴿٢٩﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ بدلٌ مِن ﴿مَنْ أَنَابَ﴾، أو خبر ابتداء مضمر. و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بدل ثانٍ، أو مبتدأ.

﴿٣٠﴾ ﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر مِن: طاب، كبُشْرىٰ، ومعناها: أصبت خيرًا وطيِّبًا. وقيل: هي شجرة في الجنة. وإعرابها: مبتدأ.

﴿٣١﴾ ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ الكاف تتعلَّق بالمعنىٰ الذي في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قيل: إنها نزلت في أبي جهل[1]. وقيل: نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية، فكتب الكاتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال قائلهم: نحن لا نعرف الرحمن[2]، وهذا ضعيف؛ لأن الآية نزلت قبل ذلك، ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط. ومعنىٰ الآية: أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم.

---

(١) لم أقف عليه مسندًا.

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٣٠) عن قتادة ومجاهد.

﴿مَتَابِّ﴾ مَفْعَل من التوبة، وهو اسم مصدر.

﴿وَلَوَ اَنَّ قُرْءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ اِ۬لْجِبَالُ﴾ الآيةَ؛ جواب «لو» محذوف تقديره: لو أن قرآنًا علىٰ هذه الصفة مِن تسيير الجبال به، وتقطيع الأرض، وتكليم الموتىٰ؛ لم يؤمنوا به، فالمعنىٰ كقوله: ﴿لاَ يُومِنُونَ ۝ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧].

وقيل: تقديره: لو أن قرآنًا علىٰ هذه الصفة لكان هذا القرآن الذي هو غايةٌ في التَّذكير، ونهايةٌ في الإنذار، كقوله: ﴿لَوَ اَنزَلْنَا هَٰذَا اَ۬لْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعاً مُّتَصَدِّعاً﴾ [الحشر: ٢١]. وقيل: هو متعلِّق بما قبله، والمعنىٰ: وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال.

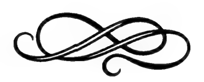
﴿اَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ معناه: أفلم يعلم، وهي لغة هوازن، وقرئ: «أو لم يَتبيَّن»[1].

﴿وَلاَ يَزَالُ اُ۬لذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: كفار قريش والعرب.

﴿قَارِعَةٌ﴾ يعني: مصيبةٌ في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، أو غزَوات المسلمين إليهم.

﴿اَوْ تَحُلُّ﴾ الفاعل ضمير القارعة، والمعنىٰ: أنها إما أن تصيبَهم ، وإما أن تقربَ منهم. وقيل: التاء للخطاب، والفاعل ضمير المخاطَب؛ وهو النبي ﷺ. والأول أظهر.

﴿حَتَّىٰ يَاتِيَ وَعْدُ اُ۬للَّهِ﴾ هو فتح مكة، وقيل: قيام الساعة.



(١) قال في المحرر الوجيز (٥/ ٢٠٦): «قرأ ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن أبي مليكة وعكرمة والجحدري وعلي بن الحسين وزيد بن علي وجعفر بن محمد ﷺ: (أفلم يتبيَّن)».

وَلَقَدُ اُسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٣٢ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٣٤ ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ۝٣٥ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِۦ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ ۝٣٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٧

۝٣٢ ﴿وَلَقَدُ اُسْتُهْزِئَ﴾ الآيةَ؛ مَقصِدها: تأنيسٌ وتسلية للنبي ﷺ، وهكذا حيث وقع.

﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أي: أمهلتُهم.

۝٣٣ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ هو الله تعالىٰ؛ أي: حفيظ رقيب علىٰ عمل كل أحد. والخبر محذوف تقديره: «أفمن هو قائم علىٰ كل نفس بما كسبت أحقُّ أن يعبد أم غيره؟»، ويدلُّ علىٰ ذلك قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ .

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: اذكروا أسماءَهم.

﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ المعنىٰ: أن الله لا يعلم لنفسه شركاء، وإذا لم يعلمْهم هو فليسوا بشيء، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم، وتعبدون الباطل؟ وذلك كقولك: قل لي من زيد؟ أم هو أقلُّ من أن يُعرف؛ فهو كالعدم.

﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ المعنىٰ: أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة؟ كقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [النجم: ٢٣].

۝٣٤ ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك .

﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ هنا وفي «**القتال**»: أي: صفتُها، وليس بضرب مثلٍ لها. **والخبر**: **عند سيبويه**: محذوف متقدِّم، تقديره: فيما يتلىٰ عليكم: صفةُ الجنة. **وقال الفرَّاء**: الخبر متأخِّر، وهو: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ **يعني**: ما يؤكَل فيها من الثمرات وغيرها، **والأُكل** -بضم الهمزة-: المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها[1]، **والأَكل** -بفتح الهمزة-: المصدر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ **يعني**: من أسلم من اليهود والنصارىٰ، كعبد الله بن سلَام ﷺ والنجاشي وأصحابِه. **وقيل**: **يعني**: المؤمنين، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ علىٰ هذا: القرآن.

﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ **قيل**: هم بنو أمية وبنو المغيرة من قريش، **والأظهر**: أنها في سائر كفار العرب. **وقيل**: هم اليهود والنصارىٰ؛ لأنهم لا ينكرون القَصص والأشياء التي في كتبهم، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو مما حرَّفوه.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ **وجه اتصاله بما قبله**: أنه جوابٌ للمنكرين، وردٌّ عليهم، كأنه قال: إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده، فكيف تنكرون هذا؟

﴿مَـَٔابِ﴾ مَفْعَل من الأَوْب؛ وهو الرجوع، أي: مرجعي في الآخرة، أو مرجعي بالتوبة.



(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بإسكان الكاف، وقرأ الباقون بضمها.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

﴿٣٨﴾ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ ردٌّ على من أنكر أن يكون الرسول من البشر، أو يَحتاج إلىٰ ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرية، فالمعنىٰ: لستَ ببِدْعٍ في ذلك، بل أنت كمن تقدَّم من الرسل.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ردٌّ على الذين اقترحوا الآيات.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ قال الفراء: المعنىٰ: «لكل كتابٍ أجلٌ» بالعكس. وهذا لا يلزم، بل المعنىٰ صحيح من غير عكس، أي: لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ.

﴿٣٩﴾ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ قيل: يعني ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام، ويُثبِّت منها ما يشاء. وقيل: هي في آجال بني آدم، وذلك أن الله تعالىٰ في ليلة القدر -وقيل: في ليلة النصف من شعبان- يكتب آجال من يموت في ذلك العام، فيُمحَىٰ[1] من ديوان الأحياء، ويُثبت من لا يموت في ذلك العام. وقيل: إن المحو والإثبات على العموم في جميع الأشياء. وهذا تردُّه القاعدة المتقررة: أن القضاء لا يتبدَّل، وأن علم الله لا يتغير، فقال بعضهم: المحو والإثبات في كل شيء إلَّا في السعادة والشقاوة الأخراوية، والآجال.

﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصلُ كلِّ كتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها.

---

(١) في أ، ب: «فيمحوا».

﴿٤١﴾ ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ «إن» شرط دخلت عليها «ما» المؤكِّدة، وجوابها: ﴿فَإِنَّمَا﴾ .

﴿٤٢﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَاتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنَ أَطْرَافِهَا﴾ **الإتيان هنا**: بالقدرة والأمر، **والأرض**: أرض الكفار، **ونقْصُها**: هو بما يفتح[1] الله للمسلمين منها، **والمعنىٰ**: أو لم يروا ذلك فيخافوا أن نمكِّنك منهم. **وقيل**: الأرض: جنس، **ونقصها**: بموت الناس، وهلاك الثمرات، وخراب البلاد، وشبه ذلك.

﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ **المعقِّب**: الذي يَكرُّ علىٰ الشيء فيُبطِلُه.

﴿٤٣﴾ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعاً﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب[2].

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكَٰفِرُ﴾ تهديدٌ، والمراد بالكافر: الجنس؛ بدليل قراءة ﴿ٱلْكُفَّارُ﴾ بالجمع[3]. و ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: الدنيا، أو[4] الآخرة.

﴿٤٤﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أَمَره الله أن يستشهد باللهِ علىٰ صحة نبوته. وشهادة الله له هي: علمه بذلك، أو[5] إظهاره للآيات الدالَّة علىٰ ذلك.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ معطوفٌ علىٰ اسم الله؛ علىٰ وجه الاستشهاد به. **فقيل**: المراد عبد الله بن سلَام رضي الله عنه ومَن أسلم من اليهود والنصارىٰ الذين يعلَمون صفته ﷺ من التوراة والإنجيل. **وقيل**: المراد: المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته علىٰ النبوَّة. **وقيل**: المراد: الله تعالىٰ؛ فهو الذي عنده علم الكتاب، ويَضْعُف هذا، لأنه عطْفُ صفةٍ علىٰ موصوف، ويقويه قراءة: «ومِن عندِه» بـ«مِن» الجارة وخفض «عنده»[6].

---

(١) في أ، ب، د: «فتح».

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (١٧) و(٣٩) و(٥٨) و(٦٠).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتوحيد، وقرأ الباقون بالجمع.

(٤) في أ، ب، د: «و».

(٥) في ج، د: «و».

(٦) هي قراءة علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عباس وابن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والحكم رضي الله عنهم. المحرر الوجيز (٥/ ٢١٧).



سورة إبراهيم عليه السلام

أَلَرَ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴿١﴾ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴿٦﴾ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٨﴾

﴿١﴾ ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، **والظلمات**: الكفر والجهل، **والنور**: الإيمان والعلم.

﴿٢﴾ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بأمره، (وهو إرساله)[1].

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ بدلٌ من: ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

﴿٣﴾ ﴿ٱللَّهُ﴾ **قرئ بالرفع**[2]: وهو مبتدأ، أو خبر مبتدإٍ مضمرٍ. **وبالخفض**: بدل.

﴿٤﴾ ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ أي: يؤثرون.

---

(١) سقط من أ، ب، ج، هـ.

(٢) قرأ نافع وابن عامر بالرفع، وقرأ الباقون بالخفض.

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ قد ذُكِر(١).

﴿٤﴾ ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي: بلغتهم وكلامهم.

﴿٥﴾ ﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ «أنْ» مفسِّرة، أو مصدرية علىٰ تقدير: بأن.

﴿٥﴾ ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي: عقوبته للأمم المتقدمة، وقيل: إنعامه علىٰ بني إسرائيل. واللفظ يعمُّ النعم والنقم. وعبَّر عنها بالأيام؛ لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تعظيمٌ لها، كقولهم: يوم كذا ويوم كذا.

﴿٦﴾ ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ ذُكِر هنا بالواو؛ ليدلَّ أن سوء العذاب غيرُ الذبح، أو أعمُّ من ذلك، ثم جرَّد الذبح، كقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٧]. وذُكِر في «البقرة» بغير واو؛ تفسيرًا للعذاب.



(١) انظر تفسير الآية (٩٩) من سورة آل عمران.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٩﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١٢﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٥﴾

﴿٩﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ مِن كلام موسىٰ عليه السلام، و﴿تَأَذَّنَ﴾ بمعنىٰ: آذَن؛ أي: أعلم، كقولك: توعَّدَ وأَوْعَد، وإعلامُ الله مقترنٌ بإنفاذ ما أَعلم به.

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ هذا معمولُ ﴿تَأَذَّنَ﴾؛ لأنه يتضمن معنىٰ «قال». **ويَحتمل أن تكون الزيادة**: من خير الدنيا، أو من الثواب في الآخرة، أو منهما.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ **يَحتمل أن يريد**: كفر النعم، أو الكفر بالإيمان. **والأول أرجح**؛ لمقابلته بالشكر.

﴿١٢﴾ ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ عبارةٌ عن كثرتهم، كقوله: ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً﴾ [الفرقان: ٣٨].

﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَٰهِهِمْ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن الضمائر لقوم الرسل، والمعنىٰ: أنهم ردُّوا أيديَهم في أفواه أنفسهم غيظًا علىٰ الرسل، كقوله: ﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، أو استهزاءً وضَحِكًا، كمن غلَبه الضَّحِك فوضع يده علىٰ فمه.

والثاني: أن الضمائر لهم، **والمعنىٰ**: أنهم ردُّوا أيديَهم في أفواه أنفسهم؛ إشارةً إلىٰ[(١)] الأنبياء بالسكوت.

والثالث: أنهم ردُّوا أيديَهم في أفواه الأنبياء تسكيتًا لهم، ودفعًا لقولهم.

﴿١٠﴾ **﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ المعنىٰ**: أفي وجود الله شك، أو في إلهيته؟ **وقيل**: في وَحدانيته. والهمزة للتقرير والتوبيخ؛ لأنه لا يَحتمل الشكَّ؛ لظهور الأدلة، ولذلك وَصَفه[(٢)] بعدُ بقوله: **﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾**.

﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: إن «مِن» زائدة. **ومنع سيبويه زيادتها في الواجب**، وهي عنده للتبعيض، **ومعناه**: أنه يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدَّم من ذنوبه قبل الإسلام، ويبقىٰ ما يذنب بعده في المشيئة، فوقعت المغفرة للبعض. **ولم يأت في القرآن غفران بعض الذنوب إلَّا للكفار**، كهذا الموضع، والذي في «**الأحقاف**» وسورة «**نوح**». وجاء للمؤمنين بغير «**مِن**»، كالذي في «**الصفِّ**».

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال الزمخشري وأهل مذهبه من المعتزلة: معناه: يؤخِّركم إن آمنتم إلىٰ آجالكم، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت[(٣)].

وهذا بناء علىٰ قولهم بالأجلين، وأهل السنة يأبَون هذا؛ فإن الأجل عندهم واحدٌ محتوم[(٤)].

---

(١) في أ، ج: «علىٰ».

(٢) في ج، هـ: «وُصِف».

(٣) انظر: الكشاف (٨/ ٥٦٣).

(٤) [**التعليق ٦٤**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرّاك**: قولُ ابنِ جُزَيٍّ ﷺ: «وهذا بناءٌ علىٰ قولِهم - أي: المعتزِلةِ - بالأجَلَيْن»: أقولُ: هذا صحيحٌ عن المعتزِلة؛ ومعناه: أنَّ المعتزِلة يقولون: إنَّ المقتولَ ومَن يُعاجَلُ بالعقوبة، له أجلٌ متأخِّرٌ لو لم يُقتَلْ أو يُعاجَلْ، لانتهىٰ إليه، ولِقَتْلِهِ أو تعجيلِ عقوبتِهِ أجلٌ متقدِّم.
وقال بعضُهم عن المعتزِلة: إنَّ الأجَلَ واحدٌ، وهو الأجَلُ المسمَّىٰ، وإنَّ المقتولَ مقطوعٌ عليه أجلُه، وكذا مَن يُعاجَلُ بالعقوبةِ بسببِ كُفرِه.
والحقُّ: أنَّ الأجَلَ الذي قدَّره اللهُ في علمِهِ وكتابِهِ واحدٌ؛ سواءٌ كان متقدِّمًا أو متأخِّرًا، ولا يقَعُ إلا هو؛ =

﴿فَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ **يحتمل أن يكون قولهم** استبعادًا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة، أو يكون إحالةً لنبوة البشر. **والأول أظهر**؛ لطلبهم البرهان في قولهم: ﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾، ولقول الرسل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ أي: بالتفضيل بالنبوة.

(١٥) ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ المعنىٰ: أي: شيءٍ يمنعنا من التوكُّل علىٰ الله.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ **إن قيل**: لم كرَّر الأمر بالتوكل؟

فالجواب عندي: أن قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ راجعٌ إلىٰ ما تقدَّم من طلب الكفار لسلطان مبين؛ أي: حجة ظاهرة، فتوكَّل الرسل في ورودها علىٰ الله، وأما قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ فهو راجعٌ إلىٰ قولهم: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ﴾ أي: نتوكل علىٰ الله في دفع أذاكم. **وقال الزمخشري**: إن هذا الثاني بمعنىٰ الثبوت علىٰ التوكل(١).



= فالمتقدِّمُ لا يتأخَّر، والمتأخِّرُ لا يتقدَّم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وهذا معنىٰ ما أشار إليه المؤلِّفُ في قولِه: «وأهلُ السُّنَّةِ: يأبَوْنَ هذا؛ فإنَّ الأجلَ عندَهم واحدٌ محتوم»، والله أعلم.

(١) انظر: الكشاف (٨/ ٥٦٥).

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ *أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾

﴿١٣﴾ ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ ﴿أَوْ﴾ هنا: بمعنىٰ «إلَّا أنْ»، أو علىٰ أصلها؛ لوقوع أحد الشيئين. والعَوْدُ هنا: بمعنىٰ الصَّيرورة، وهو كثير في كلام العرب، ولا يقتضي أن الرسل كانوا في ملَّةِ الكفار قبل ذلك.

﴿١٤﴾ ﴿خَافَ مَقَامِي﴾ فيه ثلاثة أوجه هنا، وفي ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ في «الرحمن»:

فالأول: أن معناه: مقام الحساب في القيامة. والثاني: أن معناه: قيام الله علىٰ عباده بأعمالهم. والثالث: أن معناه: خافني، وخاف ربه[1]، علىٰ إقحام المقام، أو علىٰ التعبير به عن الذات.

﴿١٥﴾ ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾ الضمير للرسل؛ أي: استنصروا بالله، وأصله: طلب الفتح، وهو الحُكْم.

﴿جَبَّارٍ﴾ أي: قاهرٍ، أو متكبرٍ. ﴿عَنِيدٍ﴾ مخالفٍ لا ينقاد.

﴿١٦﴾ ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ في الموضعين: الوراء هنا: بمعنىٰ ما يستقبل من الزمان.

وقيل: معناه هنا: أمامه، وهو بعيد.

---

(١) قوله: «وخاف ربَّه» هذا تفسيرٌ لآية «الرحمن»: (ولمن خاف مقام ربِّه).

﴿وَيُسْقَىٰ﴾ معطوفٌ علىٰ محذوف تقديره: من ورائه جهنم يُلقَىٰ فيها ويُسقَىٰ، وإنما ذَكر هذا السَّقْيَ تجريدًا بعد ذكر جهنم؛ لأنه من أشدِّ عذابها.

(٢٠) ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي: يتكلَّف جَرْعَه، وتصعب عليه إساغته. ونفي «كاد» يقتضي وقوعَ الإساغة بعد جُهْدٍ. ومعنىٰ ﴿يُسِيغُهُۥ﴾: يبتلعه.

﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يجد ألمًا مثل ألم الموت وكُرُباته من جميع الجهات.

﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: لا يُرَاحُ بالموت.

(٢١) ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مذهب سيبويه والفراء فيه كقولهما في: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ التي في «الرعد» و«القتال». والخبر عند سيبويه: محذوف تقديره: فيما يتلىٰ عليكم. والخبر عند الفراء: الجملة التي بعد. والمثَل هنا بمعنىٰ التَّشبيه.

﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ شبهها بالرماد في ذهابها وتلاشيها.

﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي: شديد الريح، والعُصوف في الحقيقة من صفة الريح.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: لا يرون له منفعة.

(٢٣) ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾ أي: ظهروا، ومعنىٰ الظُّهور هنا: خروجهم من القبور. وقيل: معناه صاروا بالبَراز، وهي الأرض المتسعة.

﴿تَبَعًا﴾ جمع تابع، أو مصدر وصف به مبالغة، أو علىٰ حذف مضاف.

﴿مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ «من» الأولىٰ: للبيان، والثانية: للتبعيض. ويجوز أن يكونا للتبعيض معًا. قاله الزمخشري[1]. والأظهر: أن الأولىٰ: للبيان، والثانية: زائدة، والمعنىٰ: هل أنتم دافعون أو متحمِّلون عنا شيئًا من عذاب الله.

﴿مَّحِيصٍ﴾ أي: مهربٍ، حيث وقع، ويَحتمل أن يكون: مصدرًا، أو اسم مكان.



(١) انظر: الكشاف (٨/ ٥٧٧).

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾

﴿٢٢﴾ ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعني: إبليس الأقدم، روي أنه يقوم خطيبًا بهذا الكلام يوم القيامة، أو في النار يقوله لأهلها[1].

﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ إن كان كلام إبليس في القيامة: فمعنىٰ ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: تعيَّن[2] قومٌ للنار وقومٌ للجنة. وإن كان في النار: فمعنىٰ ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: حصل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة.

﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ استثناءٌ منقطع.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثين لي.

﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: بإشراككم لي مع الله في الطاعة.

﴿مِن قَبْلُ﴾ يتعلَّق بـ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾، ويَحتمل أن يتعلَّق بـ﴿كَفَرْتُ﴾، والأول أظهر وأرجح.

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ استئنافٌ، من كلام الله تعالىٰ. ويَحتمل أن يكون حكايةً عن إبليس.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٣٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٠) عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٠٧).

(٢) في د: «تبيَّن».

(٢٥) ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۗ﴾ **يتعلَّق بـ**﴿أُدۡخِلَ﴾، **أو بـ**﴿خَٰلِدِينَ﴾ ، **والأول أحسن.**

(٢٦) ﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ **ابن عباس** رضي الله عنهما **وغيره: هي: «لا إله إلا الله»**[1]. **(وقيل: كلُّ كلمة حسنة.)**[2]

﴿كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة في قول الجمهور. **واختار ابن عطية: أنها شجرة غير معينة، إلَّا أنها كلُّ ما اتصف بتلك الصفات**[3].

﴿وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في الهواء، وذلك عبارةٌ عن طولها.

(٢٧) ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ﴾ **الحين في اللغة:** وقت غير محدود، وقد تقترن به قرينة تَحدُّه؛ **فقيل في:** ﴿كُلَّ حِينِۭ﴾: كل سنة لأن النخلة تُطعِم كلَّ سنة، **وقيل غير ذلك.**

(٢٨) ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ﴾ هي كلمة الكفر، **وقيل:** كل كلمة قبيحة.

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظلة عند الجمهور، **واختار ابن عطية: أنها غير معينة**[4].

﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ أي: اقتلعت، **وحقيقة الاجتثاث:** أخذ الجُثَّة، وهذا في مقابلة قوله: ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾ .

(٢٩) ﴿بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ هو «لا إله إلا الله»، والإقرار بالنبوة.

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: إذا فُتِنوا لم يَزِلُّوا.

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ هو عند السؤال في القبر عند الجمهور.



(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٣٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤١).
(٢) سقط من أ، ب، هـ.
(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٤٤).
(٤) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٤٦).

*﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝٣٠ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٣١ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۝٣٢ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۝٣٣ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝٣٣ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٦﴾

۝٣٠ ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ **نعمة الله هنا:** هو محمد ﷺ ودينه، أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها، والتقدير: بدَّلوا شكرَ نعمةِ الله كفرًا.

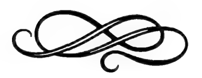
﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ أي: مَن أطاعهم واتبعهم.

﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ فسَّرها بقوله: ﴿جَهَنَّمَ﴾ .

۝٣٣ ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا﴾ هو جواب شرط مقدَّرٍ، يتضمَّنه قوله: ﴿قُل﴾ ، **تقديره:** إن تقل لهم أقيموا يقيموا، ومعمول القول على هذا محذوف[1]. **وقيل:** جزْمٌ بإضمار لام الأمر، **تقديره:** ليقيموا.

﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ من الخُلَّة، وهي المودة.

۝٣٦ ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ يريد الجنسَ.



(١) لأن جواب ﴿قل﴾ يدل عليه، وتقديره: قل لعبادي الذين آمنوا: أقيموا الصلاة وأنفقوا، يقيموا الصلاة وينفقوا. الكشاف (٨/ ٦٠٠).

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِناً وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٧﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٨﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيَ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٩﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٤٠﴾ *ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٤١﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٢﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤٣﴾

﴿٣٧﴾ ﴿ٱلْبَلَدَ ءَامِناً﴾ ذُكِر في «البقرة»[1].

﴿وَٱجْنُبْنِي﴾ أي: امنعني، والماضي منه: جنَب، يقال: جنَب وجنَّب -بالتشديد- وأجنب بمعنىٰ واحد.

﴿وَبَنِيَّ﴾ يعني: بنيه من صلبه، وفيهم أُجيبت دعوته، وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام.

﴿٣٨﴾ ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ يريد: من عصاه بغير الكفر، أو عصاه بالكفر ثم تاب منه، فهو الذي يصحُّ أن يدعىٰ له بالمغفرة، ولكنه ذكر اللفظ بالعموم؛ لِمَا كان فيه ﷺ من الرحمة للخلْق وحسن الخلُق.

﴿٣٩﴾ ﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ يعني: ابنَه إسماعيل ﷺ، لما وَلَدته أمه هاجر غارت بها[2] سارة زوجة إبراهيم، ﷺ فحمله مع أمه من الشام إلىٰ مكة.

﴿بِوَادٍ﴾ يعني: مكة، والوادي: ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء.

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ يعني الكعبة: فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم ﷺ علىٰ ما جاء في بعض الروايات. وإما أن يكون إبراهيم ﷺ قد علم أنه سيُبنَىٰ هناك بيتٌ[3].

---

(١) انظر تفسير الآية (١٢٥).

(٢) في د: «منه».

(٣) في ج: «سيَبني هناك بيتًا».

﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ **اللام يَحتمل أن تكون**: لام الأمر بمعنىٰ الدعاء، أو لام «كي»، وتتعلَّق بـ﴿أَسْكَنتُ﴾. وجمْعُ الضمير يدلُّ علىٰ أنه كان قد عَلِمَ أن ابنه يُعْقِبُ هنالك نسلًا.

﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: تسير بجِدٍّ وإسراع، ولهذه الدعوة حبَّب الله حج البيت إلىٰ الناس، علىٰ أنه قال ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ بالتبعيض. **قال بعضهم**: لو قال: «أفئدةَ الناس» لحجته فارس والروم[1].

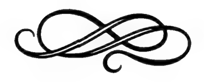
﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: ارزقهم في ذلك الوادي مع أنه غيرُ ذي زرع، وأجاب الله دعوته فجعل مكة تُجبَىٰ[2] إليها ثمراتُ كل شيء.

(٤٠) ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ الآيةَ؛ **يَحتمل أن تكون**: من كلام الله تعالىٰ، أو حكايةً عن إبراهيم.

(٤١) ﴿وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ روي: أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مئةٍ وسبعةَ عشرَ عامًا[3]، وروي أقل من هذا، وإسماعيل أسنُّ من إسحاق.

(٤٢) ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ **إن أراد بالدعاء**: الطلبَ والرغبة فمعنىٰ القَبول: الاستجابة، **وإن أراد بالدعاء**: العبادة، فالقبول علىٰ حقيقته.

(٤٣) ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ **قيل**: إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما. **والصحيح**: أنه دعا لهما قبل أن يتبيَّن له أنه عدوٌّ لله، حسَبما ورد في «براءة».



(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٦٩٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٩) عن مجاهد.
(٢) في أ، ب، هـ: «تجيء».
(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٧٠٢) عن سعيد بن جبير.

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

﴿٤٢﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا﴾ هذا وعيدٌ للظالمين، وهم الكفار هنا على الأ ـهر. فإن قيل: لمن هذا الخطاب هنا وفي قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾؟

فالجواب: أنه يَحتمل أن يكون خطابًا للنبي ﷺ، أو لغيره. فإن كان لغيره فلا إشكال. وإن كان له فهو مشكلٌ؛ لأن النبي ﷺ لا يَحسبُ أن الله غافلٌ، وتأويل ذلك بوجهين:

أحدهما: أن المراد: الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغيرُ مخلف وعده.

والآخر: أن المراد: إعلامُه بعقوبة الظالمين، فمقصد الكلام الوعيد لهم.

﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: تُحِدُّ النظرَ من الخوف.

﴿٤٣﴾ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ قيل: الإهطاع: الإسراع، وقيل: شدَّة النظر مِن غير أن يَطرِف.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قيل: الإقناع هو رفع الرأس، وقيل: خفْضُه من الذِّلة.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا يَطرِفون بعيونهم؛ من الحذر والجزع.

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي: منخرقة، لا تعي شيئًا؛ من شدَّة الجزع، فشبهها بالهواء في تفرُّغه من الأشياء. ويَحتمل أن يريد مضطربةً في صدورهم.

(٤٤) ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني: يوم القيامة، وانتصاب ﴿يَوْمَ﴾ على أنه مفعول ثان لـ﴿أنذرِ﴾، ولا يجوز أن يكون ظرفًا.

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ﴾ تقديره: يقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ﴾ الآيةَ.

﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ هو المقسَم عليه، ومعنى ﴿مِّن زَوَالٍ﴾: أي: من الأرض بعد الموت؛ أي: حلَفتم أنكم لا تبعثون.

(٤٦) ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: جزاءُ مكرِهم.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ «إن» هنا نافية، **واللام** لام الجحود، **والجبال** يراد بها: الشَّرائع والنبوات، شُبِّهت بالجبال في ثبوتها، **والمعنى**: تحقيرُ مكرهم؛ لأنه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة.

وقرأ الكسائي: ﴿لَتَزُولُ﴾ بفتح اللام ورفع ﴿تَزُولُ﴾، و«إن» -على هذه القراءة- مخففةٌ من الثقيلة، **واللام** للتأكيد، **والمعنى**: تعظيم مكرهم؛ أي: إنَّ مكرَهم من شدته بحيث تزول منه الجبال، ولكن الله عصم ووقَى منه.

(٤٧) ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ يعني: الوعد بالنصر على الكفار. **فإن قيل**: هلا قال: «مخلف رسلِه وعدَه»، ولم قدَّم المفعول الثاني على الأول؟

فالجواب: أنه قدَّم الوعد ليُعلَم أنه لا يُخلف الوعد أصلًا على الإطلاق، ثم قال: ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾؛ ليُعلَم أنه إذا لم يخلف وعد أحدٍ من الناس، فكيف يخلف وعد رسله وخِيرةِ خلقه؟ فقدَّم الوعد أولًا؛ لقصد الإطلاق، ثم ذكَر الرسل؛ لقصد التخصيص.

(٤٨) ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ **العامل في الظرف**: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، أو محذوفٌ. **وتبديل الأرض**: بأن تكون يوم القيامة بيضاءَ عفراءَ كقُرْصة النَّقِي، هكذا ورد في الحديث الصحيح[1].

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ تبديلها: بانشقاقها، وانتثار كواكبها، وخسوف شمسها وقمرها.

وقيل: تبدَّل أرضًا من فضة، وسماءً من ذهب، **وهذا ضعيف**.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠) عن سهل بن سعد ﷺ.

(٤٩) ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الكفار.

﴿مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي: مربوطين في الأغلال.

(٥٠) ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ أي: قمصهم، والسِّربال: القميص.

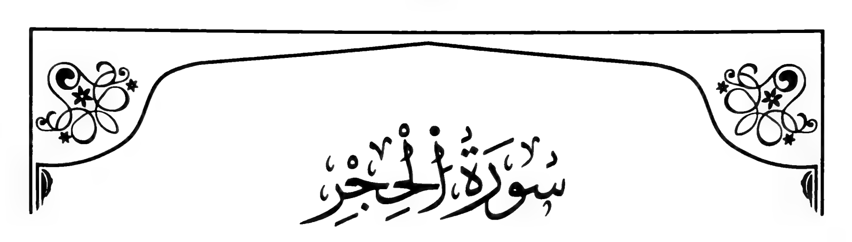
﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ هو الذي تُهْنَأُ به الإبل، وللنار فيه اشتعالٌ شديد، فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه.

(٥١) ﴿لِيَجْزِىَ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف؛ أي: فعل الله ذلك ليجزيَ.

(٥٢) ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ﴾ إشارةٌ: إلىٰ القرآن، أو إلىٰ ما تضمَّنته هذه السورة.

﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ معطوفٌ علىٰ محذوف تقديره: ليُنصحوا به وليُنذروا.





أَلَرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْمَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥

(١) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ **يحتمل أن يريد بالكتاب**: الكتب المتقدمة، وعطَف القرآن عليها. **والظاهر**: أنه القرآن، وعُطف عطف الصفات.

(٢) ﴿رُّبَمَا﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد[1]، وهما لغتان، و«ما» حرفٌ، كافَّةٌ لـ«رُبَّ». ومعنى «رب»: التقليل، وقد تكون للتكثير، **وقيل**: إن هذه منه. **وقيل**: إنما عبَّر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكُّم؛ كقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ [البقرة: ١٤٣]، و﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٢]. **وقيل**: إن معنى التقليل في هذه: أنهم لو كانوا يودُّون الإسلام مرةً واحدة لوجب أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودُّونه مرارًا كثيرة؟ ولا تدخل «رُبَّ» إلَّا على الماضي، وإنما دخلت هنا على المستقبل؛ لأنه في التَّحقيق كالماضي.

---

(١) قرأ نافع وعاصم بتخفيف الباء، وقرأ الباقون بالتشديد.

﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ **قيل**: إن ذلك عند الموت، **وقيل**: في القيامة، **وقيل**: إذا خرج عصاة المسلمين من النار، **وهذا هو الأرجح**؛ لحديثٍ روي في ذلك[1].

﴿٣﴾ ﴿ذَرْهُمْ﴾ وما بعده: تهديدٌ.

﴿٤﴾ ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: وقت محدود.

﴿٦﴾ ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الضمير في ﴿قَالُواْ﴾ لكفار قريش، وقولهم: ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [2] على وجه الاستخفاف؛ أي: بزعمك ودعواك.

﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ ﴿ لَّوْ مَا﴾ عرْضٌ وتَحضيضٌ، **والمعنى**: أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة معه.

﴿٨﴾ ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ردٌّ عليهم فيما اقترحوا، **والمعنى**: أن الملائكة لا تتنزل إلَّا بالحق؛ من الوحي والمصالح التي يريدها الله، لا باقتراح مُقترِحٍ واختيار كافرٍ معترض. **وقيل**: **الحق** هنا: العذاب.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ ﴿إِذًا﴾ حرف جواب وجزاء، **والمعنى**: لو أنزل الملائكة لم يؤخِّرْ عذاب هؤلاء الكفار الذين اقترحوا نزولهم؛ لأن عادةَ الله أن مَن اقترح آيةً فرآها ولم يؤمن أنه يعجّل له العذاب، وقد عَلِم الله أن هؤلاء القوم يؤمن كثيرٌ منهم، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك.

﴿٩﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ **الذِّكر هنا**: هو القرآن، وفي قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ ردٌّ لإنكارهم واستخفافهم في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ ولذلك أكَّده بـ﴿نَحْنُ﴾، واحتجَّ عليه بحفظه.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٨) وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٥٥)، والحاكم (٢٩٥٤) وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا، وأخرجه ابن حبان (٧٤٣٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٠٧) من حديث جابر ﷺ، وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٨٦).

(٢) في هـ زيادة: «يعنون».

ومعنىٰ حفظه: حراسته عن التَّبديل والتَّغيير كما جرىٰ في غيره من الكتب، فتولىٰ الله حفظ القرآن، فلم يَقدِر أحدٌ علىٰ الزيادة فيه، ولا النقصان منه، ولا تبديله، بخلاف غيره من الكتب؛ فإنَّ حفْظَها موكولٌ إلىٰ أهلها؛ لقوله: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٦].

﴿١٠﴾ ﴿فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ الشِّيَع: جمع شِيعة، وهي الطائفة التي تتشيع لمذهب أو رجل.

﴿١٢﴾ ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ معنىٰ ﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾: نُدخِله. والضمير في ﴿نَسۡلُكُهُۥ﴾ يَحتمل: أن يكون للاستهزاء الذي دلَّ عليه قوله: ﴿بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ . أو يكون للقرآن؛ أي: نسلكه في قلوبهم مستهزَءًا به، ويكون قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تشبيهًا بالاستهزاء المتقدِّم، و﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ تفسيرٌ لوجه إدخاله في قلوبهم، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآن.

﴿١٣﴾ ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدَّمت طريقتهم علىٰ هذه الحالة من الكفر والاستهزاء، حتىٰ هلكوا بسبب ذلك، ففي الكلام تهديدٌ لقريش.

﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾ الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر. وقيل: الضمير في ﴿ظَلُّواْ﴾ و﴿يَعۡرُجُونَ﴾ للملائكة، وفي ﴿قَالُوٓاْ﴾ للكفار. ومعنىٰ ﴿يَعۡرُجُونَ﴾: يَصعَدون. والمعنىٰ: أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا: إنها تخييل أو سحر.

وقرئ ﴿سُكِّرَتۡ﴾ بالتشديد والتخفيف(١)، ويَحتمل أن يكون مشتقًّا من السُّكْر، فيكون معناه: حُيِّرت أبصارنا فرأينا الأمر علىٰ غير حقيقته، أو من السِّكْر، وهو السَّدُّ، فيكون معناه: منعت أبصارنا من النظر.



(١) قرأ ابن كثير بتخفيف الكاف، وقرأ الباقون بتشديدها.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿١٦﴾ ﴿بُرُوجاً﴾ يعني: المنازل الاثني عشر.

﴿١٨﴾ ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ استثناءٌ مِن حفظ السماوات، فهو في موضع نصْبٍ.

﴿١٩﴾ ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أي: مقدَّر بقصْدٍ وإرادة؛ فالوزن على هذا مستعار. وقيل: المراد: ما يوزن حقيقةً كالذهب والأطعمة، والأول أعمُّ وأحسنُ.

﴿٢٠﴾ ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ يعني: البهائم والحيوانات، و﴿مَن﴾ معطوفٌ على ﴿مَعَـٰيِشَ﴾ . وقيل: على الضمير في ﴿لَكُمْ﴾، وهذا ضعيف في النحو؛ لأنه عطفٌ على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، وهو قويٌّ في المعنى؛ أي: جعلنا في الأرض معايش لكم وللحيوانات.

﴿٢١﴾ ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ قيل: يعني المطر، واللفظ أعم من ذلك. والخزائن: المواضع الخازنة، وظاهر هذا أن الأشياء موجودةٌ قد خُلِقت. وقيل: إن ذلك تمثيل، والمعنى: وإن من شيء إلَّا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه.

﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: بمقدار محدود.

﴿٢٢﴾ ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ يقال: لَقِحَت الناقة والشجرة: إذا حمَلت فهي لاقحة، وألْقَحت الريحُ الشجرَ فهي مُلْقِحةٌ، و﴿لَوَٰقِحَ﴾ : جمع لاقحة؛ لأنها تحمل الماء، أو جمع ملقحة؛ على حذف الميم الزائدة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الآيةَ؛ يعني: الأولين والآخِرين من الناس، وذكَر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذُكِر بعد ذلك في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾؛ لأنه إذا أحاط بهم علمًا لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم. وقيل: يعني: مَن استقدم وِلادةً وموتًا، ومن تأخَّر، وقيل: من تقدَّم إلى الإسلام ومن تأخَّر عنه.



وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ **الإنسان هنا هو:** آدم عليه السلام، **والصلصال:** الطين اليابس الذي يصلصل؛ أي: يصوِّت، وهو غير مطبوخٍ، فإذا طُبِخ فهو فخَّارٌ.

﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ **الحمأ:** الطين الأسود، **والمسنون:** المتغيِّر المنتن. **وقيل:** إنه مِن أَسَنَ الماءُ: إذا تغيَّر، والتَّصريف يردُّ هذا القول[1]. وموضع ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ صفةٌ لـ﴿صَلْصَٰلٍ﴾ ؛ أي: من صلصال كائنٍ من حمأ.

﴿٢٧﴾ ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ **يراد به:** جنس الشياطين، **وقيل:** إبليس الأول، **وهذا أرجح؛** لقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ ، وتناسلت الجن من إبليس، وهو للجن كآدم للناس.

﴿ٱلسَّمُومِ﴾ شدَّة الحر.

﴿٢٨﴾ ﴿خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾ **يعني:** آدم عليه السلام.

﴿٢٩﴾ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ **يعني:** الروح التي في الجسد، وأضاف الله تعالىٰ الروح إلىٰ نفسه إضافةَ مُلْك إلىٰ مالك؛ أي: من الروح الذي هو لي، وخَلْقٌ من خلقي.

---

(١) لاختلاف المادتين، فمسنون من مادة (سنن) وليس من مادة (أسن).

وتقدَّم الكلام علىٰ سجود الملائكة في «البقرة»[١].

﴿٣٤﴾ ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، أو من السماء.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يقتضي إقراره بالربوبية، وأن كفره كان بوجهٍ غيرِ الجحود، وهو اعتراضه علىٰ الله في أمره بالسجود لآدم.

﴿٣٨﴾ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ اليوم الذي طلب إبليس أن يُنظَرَ إليه: هو يوم القيامة. ويوم الوقت المعلوم الذي أُنظِر إليه: هو يوم النفخ في الصور النفخةَ الأولىٰ؛ حين يموت من في السماوات ومن في الأرض.

وكان سؤال إبليس الإنظار إلىٰ يوم القيامة جهلًا منه ومغالطةً؛ إذ سأل ما لا سبيل إليه؛ لأنه لو أعطي ما سأل لم يمت أبدًا؛ لأنه لا يموت أحد بعد البعث، فلما سأل ما لا سبيل إليه أَعرض الله عنه، وأعطاه الإنظارَ إلىٰ النفخة الأولىٰ.

﴿٣٩﴾ ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للسببية؛ أي: لأغوينهم بسبب إغوائك لي. وقيل: للقسَم؛ كأنه قال: بقُدْرتك علىٰ إغوائي لأغوينهم. والضمير لذرية آدم.

﴿٤١﴾ ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ القائل لهذا هو الله تعالىٰ، والإشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ : إلىٰ نجاة المخلصين من إبليس، وأنه لا يقدر عليهم، أو إلىٰ تقسيم الناس إلىٰ غويٍّ ومُخْلَص.

﴿٤٢﴾ ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يَحتمل أن يريد بالعباد جميعَ الناس؛ فيكون قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ استثناءً متصلًا، أو يريد بالعباد المخلَصين؛ فيكون الاستثناء منقطعًا.

﴿٤٣﴾ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير للغاوين.

﴿٤٤﴾ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ روي: أنها سبعة أطباق، في كل طبقة باب، فأعلاها: للمذنبين من المسلمين، والثاني: لليهود، والثالث: للنصارىٰ، والرابع: للصابئين، والخامس: للمجوس، والسادس: للمشركين، والسابع: للمنافقين[٢].



(١) انظر تفسير الآية (٣٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٥) عن الضحاك.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

﴿٤٦﴾ ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ تقديره: يقال لهم: ادخلوها، والسَّلام هنا يَحتمل أن يكون: التحيةَ، أو السلامةَ.

﴿٤٧﴾ ﴿إِخْوَٰنًا﴾ يعني: أخوَّة المودَّة والإيمان.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ أي: يقابل بعضهم بعضًا في الأَسِرَّة.

﴿٤٨﴾ ﴿نَصَبٌ﴾ أي: تعبٌ.

﴿٤٩﴾ ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾ الآيةَ؛ أي: أَعْلِمْهم، والآية آية ترجية وتخويف.

﴿٥١﴾ ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ﴿ضَيْفِ﴾ هنا: واقعٌ على جماعة، وهم الملائكة الذين جاؤوا إلى إبراهيم عليه السلام بالبشرى.

﴿٥٢﴾ ﴿وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون، والوجَل: الخوف.

﴿٥٣﴾ ﴿لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخفْ.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق عليه السلام.

﴿٥٤﴾ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ المعنى: أبشرتموني بالولد مع أنني قد كَبِرَ سنِّي! وكان حينئذ ابن مئة سنة، وقيل أكثر.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ قال ذلك على وجه التعجُّب مِن ولادته في كِبَرِه، أو على وجه الاستبعاد لذلك. وقرئ ﴿تُبَشِّرُونِ﴾[1]: بتشديد النون وكسرها؛ على إدغام نون الجمع في نون الوقاية، وبالكسر والتخفيف؛ على حذف إحدى النونين، وبالفتح؛ وهي نون الجمع.

(٥٥) ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: باليقين الثابت، فلا تستبعده ولا تشُكَّ فيه.

(٥٦) ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ دليلٌ على تحريم القنوط. وقرئ ﴿يَقْنَطُ﴾: بفتح النون وكسرها[2]، وهما لغتان.

(٥٧) ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم؟ وبأي شيء جئتم؟

(٥٨) ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون: قوم لوط.

(٥٩) ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يَحتمل أن يكون استثناءً من ﴿قَوْمٍ﴾ ؛ فيكون منقطعًا؛ لوصف القوم بالإجرام، ولم يكن آلُ لوط مجرمين. ويَحتمل أن يكون استثناءً من الضمير في ﴿مُّجْرِمِينَ﴾؛ فيكون متصلًا؛ كأنه قال: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلَّا آل لوط فلم يجرموا.

(٦٠) ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ استثناءٌ من ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾، فهو استثناءٌ من استثناء. وقال الزمخشري: إنما هو استثناءٌ من الضمير المجرور في قوله: ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾[3]. وذلك هو الذي يقتضيه المعنى.

﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الغابر: يقال بمعنى الباقي، وبمعنى الذاهب. وإنما أَسند الملائكةُ فعلَ التَّقدير إلى أنفسهم، وهو لله وحده؛ لما لهم من القرب والاختصاص بالله، لا سيما في هذه القضية، كما يقول خاصة الملِك: دبَّرنا كذا. ويَحتمل أن يكون حكاية عن الله.



(١) قرأ ابن كثير بتشديد النون وكسرها، وقرأ نافع بالكسر والتخفيف، وقرأ الباقون بالفتح والتخفيف.
(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون، وقرأ الباقون بفتحها.
(٣) انظر: الكشاف (٩/ ٤٦).

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ * وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

﴿٦٢﴾ ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: لا يعرفهم[1].

﴿٦٣﴾ ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: جئناك بالعذاب لقومك. ومعنى ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يشكُّون فيه.

﴿٦٥﴾ ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ أي: كنْ خلفهم وفي سَاقَتِهم؛ حتىٰ لا يبقىٰ منهم أحد، وليكونوا قدَّامه؛ (فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه؛ لخوفه عليهم)[2].

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ تقدَّم في «هود»[3].

﴿وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قيل: هو مصر، وقيل: «حيث» هنا للزمان؛ إذ لم يُذكَر مكانٌ.

﴿٦٦﴾ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ هو من القضاء والقدر، وإنما تعدىٰ بـ«إلىٰ»؛ لأنه ضُمِّن معنىٰ: «أوحينا». وقيل: معناه: أعلمناه بذلك الأمر.

﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ هذا هو تفسيرٌ لـ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾، ودابر القوم: أصلهم، والإشارة إلىٰ قوم لوط.

---

(١) في أ، ب: «قوم لا نعرفهم».

(٢) في أ، ب: «ولو كانوا وراءه لاشتغل بخوفه عليهم».

(٣) انظر تفسير الآية (٨٠).

﴿مُّصْبِحِينَ﴾ **في الموضعين**: أي: إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح.

(٦٧) ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ المدينة هي سَدُوم، واستبشار أهلها بالأضياف؛ طمعًا أن ينالوا منهم الفاحشة.

(٧٠) ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كانوا قد نهوه أن يُضِيفَ أحدًا.

(٧١) ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ﴾ دعاهم إلىٰ تزويج بناته؛ ليَقِيَ بذلك أضيافَه.

(٧٢) ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قسمٌ، **والعَمْر**: الحياة؛ ففي ذلك كرامةٌ للنبي ﷺ، لأن الله أقسم بحياته. **وقيل**: هو من قول الملائكة للوط عليه السلام. **وارتفاعه**: بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: لعمرك قسمي، واللام للتوطئة.

﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الضمير لقوم لوط، و﴿سَكْرَتِهِمْ﴾: ضلالهم وجهلهم، و﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: يتحيَّرون.

(٧٣) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحة جبريل، وهي أَخْذُه لهم.

﴿مُشْرِقِينَ﴾ أي: داخلين في الشروق، وهو وقت بزوغ الشمس. وقد تقدَّم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في «هود»[1].

(٧٥) ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي: للمتفرِّسين، ومنه: فِراسة المؤمن، **وقيل**: للمعْتبرين، **وحقيقة التوسُّم**: النظر إلىٰ السِّمَة.

(٧٦) ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ أي: بطريقٍ ثابت يراه الناس، **والضمير**: للمدينة[2] المهلكة.

(٧٨) ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ **أصحاب الأيكة**: قوم شعيب، **والأيكة**: الغَيْضة من الشجر، لما كفروا أضرمها الله عليهم نارًا.

(٧٩) ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ **الضمير في** ﴿وَإِنَّهُمَا﴾: **قيل**: إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب، **فالإمام علىٰ هذا**: الطريق؛ أي: إنهما بطريق واضح يراه الناس. **وقيل**: الضمير للوط وشعيب عليهما السلام؛ أي: إنهما علىٰ طريق من الشَّرع واضح. **والأول أظهر**.

---

(١) انظر تفسير الآية (٨٠).

(٢) في ج، هـ: «للمدائن».

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦ أَزْوَٰجاً مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُومِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلِ إِنِّيَ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَاتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

﴿٨٠﴾ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾ هم ثمود قوم صالح، **والحجر**: واديهم، وهو بين المدينة والشام.

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ذكَره بالجمع وإنما كذبوا واحدًا، **وفي ذلك تأويلان: أحدهما**: أن من كذَّب واحدًا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع؛ لأنهم جاؤوا بأمر متفق من التوحيد. **والثاني**: أنه أراد الجنس، كقولك: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلَّا فرسًا واحدًا.

﴿٨١﴾ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ يعني: الناقةَ، وما كان فيها من العجائب.

﴿٨٢﴾ ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ **النحت**: النَّقْر بالمعاويل وشبهها في الحجر والعود وشبه ذلك، وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال.

﴿ءَامِنِينَ﴾ يعني: آمنين مِن تهدُّم بيوتهم لوثاقتها، **وقيل**: آمنين من عذاب الله.

﴿٨٥﴾ ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يعني: أنها لم تُخْلَقْ عبثًا.

﴿فَاصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ **قيل**: إن الصفح الجميل هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب. وفي الآية مهادنةٌ للكفار منسوخة بالسيف.

﴿٨٧﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ **قيل**: يعني: أم القرآن؛ لأنها سبع آيات. **وقيل**: يعني السُّور السبع الطِّوال؛ وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة. **والأول أرجح**؛ لوروده في الحديث[1].

و﴿ٱلْمَثَانِي﴾: مشتقٌّ من التثنية، وهو التكرير؛ لأن الفاتحة تُكرَّر قراءتها في الصلاة، ولأن غيرها من السور تُكرَّر فيها القَصص وغيرها. **وقيل**: هو مشتقٌّ من الثَّناء؛ لأن فيها ثناءً علىٰ الله. و ﴿مِّنَ﴾ **تَحتمل أن تكون**: للتَّبعيض، أو لبيان الجنس. وعطَف القرآن علىٰ السبع المثاني؛ لأنه يعني ما سواها من القرآن، فهو عموم بعد الخصوص.

﴿٨٨﴾ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تنظرْ إلىٰ ما متَّعناهم به في الدنيا، **ومعنىٰ الآية**: تزهيدٌ في الدنيا؛ كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم، فلا تنظر إلىٰ الدنيا؛ فإن الذي أعطيناك أعظمُ منها.

﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: أصنافًا من الكفار.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسف لكفرهم.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي: تواضع ولِنْ للمؤمنين، **والجَناح هنا**: استعارة.

﴿٩٠﴾ ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ الكاف من ﴿كَمَآ﴾ متعلِّقة بقوله: ﴿أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾؛ أي: أُنذِرُ قريشًا عذابًا مثل العذاب الذي أنزل علىٰ المقتسمين. **وقيل**: تتعلَّق بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أي: أنزلنا عليك كتابًا كما أنزلنا علىٰ المقتسمين.

واختُلف في المقتسمين: **فقيل**: هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه، فاقتسموا إلىٰ قسمين. **وقيل**: هم قريش، اقتسموا أبواب مكة في الموسم، فوقف كل واحد منهم علىٰ باب، يقول أحدهم: هو شاعر، ويقول الآخر: ساحر، وغير ذلك.

﴿٩١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أي: أجزاءً، وقالوا فيه أقوالًا مختلفة، وواحد ﴿عِضِينَ﴾ عِضَةٌ. **وقيل**: هو من العَضْهِ، وهو السِّحر، والعاضِه: الساحر، **والمعنىٰ علىٰ هذا**: قالوا إنه سحر. والكلمة محذوفة اللام، ولامها علىٰ القول الأول: واو، وعلىٰ الثاني: هاء.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) عن أبي سعيد ابن المعلَّىٰ.

(٩٢) ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ **إن قيل**: كيف يُجمَع بين هذا وبين قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٨]؟

فالجواب: أن السؤال المثبت هو علىٰ وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفيَّ هو علىٰ وجه الاستفهام المحض؛ لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلىٰ السؤال عنها.

(٩٤) ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي: صرِّح به وأَنفِذْه.

(٩٥) ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ يعني قومًا من أهل مكة؛ أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ، وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن غَيْطَلَة[1]، وقصة إهلاكهم مذكورة في السِّيَرِ. **وقيل**: هم الذين قُتِلوا ببدرٍ؛ كأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وغيرهم. **والأول أرجح**؛ لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة.

(٩٧) ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تسليةٌ للنبي ﷺ وتأنيسٌ.

(٩٩) ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ أي: الموتُ.



(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٤٧) عن سعيد بن جبير، وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٨).



سورة النحل

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾

(١) ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ **قيل**: يعني القيامة، **وقيل**: النصر على الكفار، **وقيل**: عذاب الكفار في الدنيا. ووضع الماضي موضع المستقبل؛ لتحقُّق وقوع الأمر، ولقربه. وروي أنها لما نزلت وثب رسول الله ﷺ قائمًا، فلما قال: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ سكن[1].

(٢) ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ أي: بالنبوة، **وقيل**: بالوحي.

(٤) ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من نطفة المنيِّ، والمراد: جنس الإنسان.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فيه وجهان: **أحدهما**: أن معناه: متكلِّم يخاصم عن نفسه. **والثاني**: يخاصم في ربه ودينه، وهذا في الكفار. **والأول أعمُّ**.

(٥) ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي: ما يُتدفَّأ به، يعني: ما يُتَّخذ من جلود الأنعام وأصوافها من

---

(١) لم أقف عليه مسندًا، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٨٧) عن ابن عباس، وفي الدر المنثور (٩/ ٥): «وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿أتى أمر الله﴾ ذُعِر أصحاب الرسول ﷺ، حتى نزلت ﴿فلا تستعجلوه﴾ فسكنوا».

الثياب. ويَحتمل أن يكون قوله: ﴿لَكُمْ﴾ متعلِّقًا: بما قبله، أو بما بعده، ويختلف الوقف باختلاف ذلك.

﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ يعني: شربَ ألبانها، والحرث بها، وغير ذلك.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يَحتمل أن يريد بالمنافع ما عدا الأكل؛ فيكون الأكل أمرًا زائدًا عليها. أو يريد بالمنافع: الأكل وغيره، ثم جرَّد ذكر الأكل؛ لأنه أعظم المنافع.

﴿٦﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ **الجمال**: حسن المنظر، و﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ : يعني: حين تردُّونها بالعشي إلىٰ المنازل، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ : حين تردُّونها بالغداة إلىٰ الرعي، وإنما قدَّم ﴿تُرِيحُونَ﴾ علىٰ ﴿تَسْرَحُونَ﴾ ؛ لأن جمال الأنعام بالعشيِّ أكثر؛ لأنها ترجع وبطونها ملأَىٰ وضروعها حافلة.

﴿٧﴾ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ يعني: الأمتعةَ وغيرها، **وقيل**: أجساد بني آدم.

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ أي: إلىٰ أيِّ بلدٍ توجَّهتم، **وقيل**: يعني مكة.

﴿بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ أي: بمشقة.

﴿٨﴾ ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ استدلَّ بعض الناس به علىٰ تحريم أكل الخيل والبغال والحمير؛ لكونه علَّل خِلْقَتها بالركوب والزينة دون الأكل. ونَصْبُ ﴿زِينَةً﴾ علىٰ أنه مفعول من أجله، وهو معطوف علىٰ موضع ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ .

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبارةٌ علىٰ العموم؛ أي: أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها. وكلُّ مَن ذَكر في هذه الآية شيئًا مخصوصًا فهو علىٰ وجه المثال.

﴿٩﴾ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: علىٰ الله تقويم طريق الهدىٰ، بنصب الأدلة وبعث الرسل. **والمراد بالسبيل هنا**: الجنس، **ومعنىٰ القصد**: القاصد الموصِل، وإضافته إلىٰ السبيل من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف.

﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ يعود علىٰ السبيل؛ إذ المراد به: الجنس، **ومعنىٰ الجائر**: الخارج عن الصواب؛ أي: ومن الطريق جائر، كطريق اليهود والنصارىٰ وغيرهم.



هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ *وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

﴿١٠﴾ ﴿مَآءً لَّكُم﴾ **يحتمل أن يتعلَّق** ﴿لَّكُم﴾ بـ﴿أَنزَلَ﴾، أو يكون في موضع خبر لـ﴿شَرَابٌ﴾، أو صفةً لـ﴿مَآءً﴾.

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يعني: ما يَنبت بالمطر[1] من الشجر.

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي: ترعون أنعامكم.

﴿١٣﴾ ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك.

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ أي: أصنافُه وأشكاله.

﴿١٤﴾ ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: الحوتَ.

﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الجوهر والمرجان.

﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ جمع ماخرة، يقال: مخَرت السفينةُ، والمخْر: شقُّ الماء، وقيل: صوت جرْي الفلك بالرياح.

(١) في أ، ب: «ما يُنبِت المطرُ».

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعني: في التجارة، وهو معطوف على ﴿لِتَأْكُلُواْ﴾.

(١٥) ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ **الرواسي**: الجبال، واللفظ مشتقٌّ من رسا إذا ثبت، و﴿أَن تَمِيدَ﴾ في موضع مفعول من أجله، **والمعنى**: أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد الأرض. وروي أن الله لما خلق الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: لا يستقرُّ على ظهر هذه أحدٌ، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال[1].

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ **قال ابن عطية**: ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: وجعل أو خلق أنهارًا، قال: وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليلٌ على أن ﴿أَلْقَىٰ﴾ أَخَصُّ من «جعل» و«خلق»، ولو كانت ﴿أَلْقَىٰ﴾ بمعنى «خلق» لم يحتجْ إلى هذا الإضمار[2].

﴿وَسُبُلًا﴾ يعني: الطرقَ.

(١٦) ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ يعني: ما يستدلُّ به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك، وهو معطوف على ﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾ . **وقال ابن عطية**: هو نصبٌ على المصدر؛ أي: لعلكم تعتبرون وعلامات؛ أي: عبرةً وإعلامًا[3].

﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ **يعني**: الاهتداءَ بالليل في الطرق، **والنجم هنا**: جنس، **وقيل**: المراد الثريا والفَرْقَدان. **فإن قيل**: قوله: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مُخرَجٌ عن سَنن الخطاب، وقدَّم فيه النجم، كأنه يقول: وبالنجم خصوصًا هؤلاء خصوصًا يهتدون، فمن المراد بـ﴿هُمْ﴾ ؟

فالجواب: أنه أراد قريشًا؛ لأنهم كان لهم في الاهتداء بالنجوم في سَيْرِهم علْمٌ لم يكن لغيرهم، وكان الاعتبار أَلزمَ لهم فخُصِّصوا. **قال ذلك الزمخشري**[4].

(١٧) ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ تقريرٌ يقتضي الردَّ على مَن عبد غير الله، **وإنما عبَّر عنهم** بـ«مَن» لأن فيهم مَن يعقل ومن لا يعقل، أو مشاكلةً لقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ .

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٨٩) عن الحسن عن قيس بن عبَّاد.

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٣٣٨).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٣٩).

(٤) انظر: الكشاف (٩/ ٩٥-٩٦).

(١٨) ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ﴾ ذكر من أول السورة إلىٰ هنا أنواعًا من مخلوقاته تعالىٰ علىٰ وجه الاستدلال بها علىٰ وحدانيته، ولذلك أعقبها بقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾. وفيها أيضًا تَعدادٌ لنعمه علىٰ خلقه؛ ولذلك أعقبها بقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ﴾، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر لكم التقصير في شكر نعمه.

(٢٠) ﴿وَالذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اِ۬للَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ نفَىٰ عن الأصنام صفات الربوبية، وأثبت لهم أضدادها، وهي أنهم مخلوقون غير خالقين، وغير أحياء، وغير عالمين بوقت البعث، فلما قام البرهان علىٰ بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده فقال: ﴿إِلَٰهُكُمُۥٓ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾.

(٢١) ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ أي: لم تكن لهم حياة قط ولا تكون، وذلك أَعرقُ في موتها ممن تقدَّمتْ له حياة ثم مات، ثم يَعقُب موتَه حياةٌ.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ **الضمير** في ﴿يَشْعُرُونَ﴾ للأصنام، وفي ﴿يُبْعَثُونَ﴾ للكفار الذين عبدوهم، **وقيل**: إن الضميرين للكفار.



إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

﴿٢٢﴾ ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ أي: تنكر وَحدانية الله تعالىٰ وجل.

﴿٢٣﴾ ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بدَّ، ولا شكَّ. وقيل: إن ﴿لَا﴾ نفيٌ لما تقدَّم، و﴿جَرَمَ﴾ معناه: وَجب، أو حُقَّ، و«أَنَّ» فاعلةٌ بـ﴿جَرَمَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطره الأولون، وكان النضر بن الحارث قد اتَّخذ كتب[1] تواريخ، وكان يقول: إنما يحدِّث محمد بأساطير الأولين، وحديثي أجمل من حديثه[2]. و﴿مَّاذَا﴾ يجوز أن يكون: اسمًا واحدًا مركبًا من «ما» و«ذا»، ويكون منصوبًا بـ﴿أَنزَلَ﴾. أو أن تكون «ما» استفهامًا في موضع رفع بالابتداء، و«ذا» بمعنىٰ الذي، وفي ﴿أَنزَلَ﴾ ضمير محذوف.

﴿٢٥﴾ ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة؛ أي: قالوا أساطير الأولين، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم. ويَحتمل أن تكون للأمر.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال: من المفعول في ﴿يُضِلُّونَهُم﴾ ، أو من الفاعل.



---

(١) في أ، ب: «كتاب».

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٩٩) عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ.

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونِ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٦﴾ ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ الآيةَ؛ قيل: المراد بالذين من قبلهم: نمروذ؛ فإنه بنىٰ صرحًا ليصعد فيه إلىٰ السماء بزعمه، فلما علا فيه فَرسخَينِ هدمه الله وخرَّ سقفُه عليه. وقيل: المراد بالذين من قبلهم: كلُّ من كفر من الأمم المتقدمة، ونزلت به عقوبةُ الله، فالبنيان والسقف والقواعد علىٰ هذا تمثيل.

﴿٢٧﴾ ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ توبيخٌ للمشركين، وأضاف الشركاء إلىٰ نفسه؛ أي: علىٰ زعمكم ودعواكم، وفيه تهكُّمٌ بهم.

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونِ فِيهِمْ﴾ أي: تعادونِ من أجلهم. فمن قرأ بكسر النون[1]: فالمفعول ضمير المتكلم، وهو الله عز وجل. ومن قرأ بفتحها: فالمفعول محذوف تقديره: تعادونَ المؤمنين من أجلهم.

---

(١) قرأ نافع بكسر النون، والباقون بفتحها.

﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ هم الأنبياء والعلماء من كل أمة، وقيل: يعني الملائكة، واللفظ أعم من ذلك.

(٢٨) ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ حالٌ من الضمير المفعول في ﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾ .

﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا للموت.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ أي: قالوا ذلك، ويَحتمل قولهم لذلك: أن يكونوا قصدوا الكذب؛ اعتصامًا به، كقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٤]. أو يكونوا أخبروا على حسَب اعتقادهم في أنفسهم، فلم يقصدوا الكذب، ولكنه كذبٌ في نفس الأمر.

﴿بَلَىٰ﴾ مِن قول الملائكة للكفار؛ أي: قد كنتم تعملون السوء.

(٣٠) ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين؛ قابل ذلك بمقالة المؤمنين. فإن قيل: لم نصب جواب المؤمنين، وهو قولهم: ﴿خَيْرًا﴾، ورفع جواب الكافرين وهو ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ؟

فالجواب: أن قولهم ﴿خَيْرًا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: أنزل خيرًا، ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله، وأما ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ فهو خبر ابتداء مضمر تقديره: هو أساطير الأولين، فلم يعترفوا بأن الله أنزله؛ فلا وجه لنصبه، ولو كان منصوبًا لكان الكلام متناقضًا؛ لأن قولهم: أساطير الأولين يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمر يقتضي التصديق بأن الله أنزله؛ لأن تقديره: أنزل.

فإن قيل: يلزم مثل هذا في الرفع؛ لأن تقديره: هو أساطير الأولين؛ فهو غير مطابق للسؤال الذي هو: ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ ؟ فالجواب: أنهم عدَلُوا بالجواب عن السؤال، فقالوا: هو أساطير الأولين، ولم ينزله الله.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ارتفع ﴿حَسَنَةٌ﴾ بالابتداء، و﴿لِّلَّذِينَ﴾ خبره. والجملة بدلٌ من ﴿خَيْرًا﴾، وتفسيرٌ للخير الذي قالوه. وقيل: هي استئنافُ كلامِ الله تعالىٰ، لا من كلام الذين قالوا: ﴿خَيْرًا﴾.

(٣١) ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بـ﴿نِعْمَ﴾ ، فيكون: مبتدأ وخبره فيما قبله، أو خبر ابتداء مضمر. ويَحتمل أن يكون مبتدأ، وخبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، أو مضمر تقديره: لهم جنات عدن.

(٣٣) ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير للكفار.

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني: لقبض أرواحهم.

﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ يعني: قيام الساعة، أو العذاب في الدنيا.

(٣٤) ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: أصابهم جزاء سيئات ما عملوا.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤون، وهذا تفسيره حيث وقع.



وَقَالَ ٱلذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَےْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَےْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِے كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا اَنُ اُعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِے ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَيٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِے مَن يُّضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ *وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَّمُوتُ بَلَىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلذِے يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَےْءٍ اِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

﴿٣٥﴾ ﴿ٱلذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَےْءٍ﴾ قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم؛ أي: إنَّ فِعْلَنا هو بمشيئة الله فهو صواب، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه. والرَّدُّ عليهم: بأن الله نهى عن الشرك، ولكنه قضاه على من يشاء من عباده. ويَحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في الآخرة على وجه التمني؛ فإن «لو» تكون للتمني، والمعنى على هذا: أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غير الله، ولم يحرِّموا ما أحلَّ الله من البَحيرة وغيرها.

﴿٣٧﴾ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِے مَن يُّضِلُّ﴾ قرئ بضم الياء مِن ﴿يُهْدِىٰ﴾ وفتح الدال على البناء للمفعول[1]؛ أي: لا يَهدي غيرُ الله مَن يُضلُّه الله. وقرئ ﴿يَهْدِى﴾ بفتح الياء وكسر الدال، والمعنى على هذا: لا يهدي الله من قضَىٰ بإضلاله.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ الضمير عائد على ﴿مَن يُّضِلُّ﴾؛ لأنه في معنى الجمع.

﴿٣٨﴾ ﴿بَلَىٰ﴾ ردٌّ على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت؛ أي: أنه يَبعث.

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الدال، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الدال.

(٣٩) ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ اللام تتعلَّق بما دل عليه ﴿بَلَىٰ﴾؛ أي: يبعثهم ليبين لهم، وهذا برهان علىٰ البعث؛ فإن الناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم، فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه.

(٤٠) ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ﴾ الآيةَ؛ برهانٌ أيضًا علىٰ البعث؛ لأنه داخل تحت قدرة الله تعالىٰ.



﴿وَالذِينَ هَاجَرُواْ فِي اِ۬للَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي اِ۬لدُّنْيا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجْرُ اُ۬لَاخِرَةِ أَكْبَرُۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَۖ ۝٤١ اُ۬لذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَۖ ۝٤٢ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالٗا يُوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ اَ۬لذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِۖ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ اَ۬لذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَۖ ۝٤٤ أَفَأَمِنَ اَ۬لذِينَ مَكَرُواْ اُ۬لسَّيِّـَٔاتِ أَن يَّخْسِفَ اَ۬للَّهُ بِهِمُ اُ۬لَارْضَ أَوْ يَاتِيَهُمُ اُ۬لْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٤٥ أَوْ يَاخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٤٦ أَوْ يَاخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٖۖ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌۖ ۝٤٧ اَوَلَمْ يَرَوِاْ اِلَىٰ مَا خَلَقَ اَ۬للَّهُ مِن شَےْءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ اِ۬لْيَمِينِ وَالشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَۖ ۝٤٨ وَلِلهِ يَسْجُدُ مَا فِي اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي اِ۬لَارْضِ مِن دَآبَّةٖ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُونَۖ۩ ۝٥٠﴾

٤١ ﴿وَالذِينَ هَاجَرُواْ فِي اِ۬للَّهِ﴾ يعني: الذين هاجروا من مكة إلىٰ أرض الحبشة؛ لأن الهجرة إلىٰ المدينة كانت بعد هذا. وقيل: نزلت في أبي جندل بن سهيل رضي الله عنه[1] وخبره مذكور في السِّيَرِ في قصة الحديبية، وهذا بعيد؛ لأن السورة نزلت قبل ذلك.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي اِ۬لدُّنْيا حَسَنَةٗ﴾ وعدٌ أن ينزلهم بقعةً حسنة، وهي المدينة التي استقرُّوا بها. وقيل: إن ﴿حَسَنَةٗ﴾ صفة لمصدر؛ أي: نبوئنهم تبوئةً حسنة. وقرئ «لَنُثْوِيَنَّهُمْ» بالثاء[2]؛ من الثَّواءِ.

٤٢ ﴿اُ۬لذِينَ صَبَرُواْ﴾ وصفٌ للذين هاجروا، ويَحتمل إعرابه أن يكون نعتًا، أو علىٰ تقدير: هم الذين، أو أمدح الذين.

٤٣ ﴿إِلَّا رِجَالٗا﴾ ردٌّ علىٰ من استبعد أن يكون الرسول من البشر.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ اَ۬لذِّكْرِ﴾ يعني: أحبار اليهود والنصارىٰ؛ أي: لأن جميعهم يشهدون أن الرسول[3] من البشر.

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ١٨٩) وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٣) عن داود بن أبي هند.

(٢) هي قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود ونعيم بن ميسرة والربيع بن خُثيم رضي الله عنهم. المحرر الوجيز (٥/ ٣٥٦).

(٣) في ج، هـ: «الرسل».

(٤٤) ﴿بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ﴾ يتعلَّق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ الذي في أول الآية علىٰ التقديم والتأخير في الكلام، أو بـ«أرسلنا» مضمرًا، أو بـ﴿يُوحِىٓ﴾، أو بـ﴿تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ يعني: القرآن.

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يَحتمل أن يريد: لتبين القرآن بسَرْدِك نصَّه وتعليمِه للناس، أو لتبين معانيَه؛ بتفسير مشكله، فيدخل في هذا ما بيَّنته السنة من الشريعة.

(٤٥) ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعني: كفار قريش عند جمهور المفسرين. و﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ تَحتمل وجهين: أحدهما: أن يريد بها الأعمالَ السيئات؛ أي: المعاصيَ، فيكون ﴿مَكَرُواْ﴾ يتضمن معنىٰ: عملوا. والآخر: أن يريد: المكَرَات السيئاتِ؛ أي: مَكْرَهم بالنبي ﷺ؛ فيكون المكر علىٰ بابه.

(٤٦) ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ يعني: في أسفارهم.

﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بمُفْلِتين، حيث وقع.

(٤٧) ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه: علىٰ تنقُّصٍ؛ أي: ينتقَّصُ أموالهم وأنفسهم شيئًا بعد شيء حتىٰ يَهلِكوا، من غير أن يُهْلِكهم جملةً واحدة؛ ولهذا أشار بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لأن الأخذ هكذا أخفُّ من غيره، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشكل عليه معنىٰ التخوُّف في الآية، حتىٰ قال له رجل من هذيل: التخوف التنقص في لغتنا(١).

والوجه الثاني: أنه من الخوف؛ أي: يهلك قومًا قبلهم، فيتخوَّفوا هم ذلك، فيأخذهم بعد أن توقَّعوا العذاب وخافوه، وذلك خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

(٤٨) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ معنىٰ الآية: اعتبارٌ بانتقال الظل، ويعني بقوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ الأجرامَ التي لها ظِلالٌ؛ من الجبال والشجر والحيوان وغير

---

(١) لم أقف عليه مسندًا، وذكره الثعلبي في تفسيره (٦/ ١٩) عن سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه الطبري في تفسيره (١٤/ ٢٣٦) وفي إسناده راوٍ مجهول.

ذلك؛ وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلىٰ وقت الزوال يكون ظلُّها إلىٰ جهةٍ، ومن الزوال إلىٰ الليل إلىٰ جهة أخرىٰ، ثم يمتدُّ الظل ويعمُّ بالليل إلىٰ طلوع الشمس.

وقوله: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ مِن الفيء؛ وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غُدْوةً، وقال رؤبة بن العجَّاج: يقال بعد الزوال: ظلٌّ وفيء، ولا يقال قبله إلَّا: ظل، ففي لفظ: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ هنا تجوُّزٌ مَّا؛ لوقوع الخصوص في موضع العموم؛ لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلىٰ آخره، فوضع ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ موضع ينتقل أو يميل[1]. والضمير في ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ يعود علىٰ: ﴿مَا﴾، أو علىٰ ﴿شَيْءٍ﴾.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَالشَّمَآئِلِ﴾ يعني: عن الجانبين؛ أي: يرجع الظل من جانب إلىٰ جانب، و﴿ٱلْيَمِينِ﴾ بمعنىٰ الأيمان، واستعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام؛ فإن اليمين والشمال إنما هما في الحقيقة للإنسان.

﴿سُجَّداً لِّلهِ﴾ حالٌ من الظِّلال، وقال الزمخشري: حال من الضمير في ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾، إذ هو بمعنىٰ الجمع؛ لأنه يعود علىٰ قوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾[2]. فعلىٰ الأول: يكون السجود من صفة الظِّلال، وعلىٰ الثاني: يكون من صفة الأجرام.

واختُلِف في معنىٰ هذا السجود: فقيل: عبَّر به عن الخضوع والانقياد، وقيل: هو سجود حقيقة.

﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي: صاغرون، وجمع بالواو؛ لأن الدُّخُور من أوصاف العقلاء.

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ يَحتمل أن يكون ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ بيانًا لما في السماوات وما في الأرض معًا؛ لأن كل حيوان يصحُّ أن يوصف بأنه يَدِبُّ. ويَحتمل أن يكون بيانًا لما في الأرض خاصة. وإنما قال: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ ليعم

---

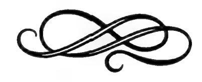
(١) في أ، ب، جـ هـ: «تنتقل أو تميل».

(٢) إعراب الزمخشري إنما هو لقوله تعالىٰ: ﴿وهم داخرون﴾، وليس لقوله: ﴿سُجَّدًا لله﴾، إذ قال في الكشاف (٩/ ١٢٨): «﴿سُجَّدًا لله﴾: حالٌ من الظِّلال، ﴿وهم داخرون﴾: حال من الضمير في ﴿ظِلالُه﴾»، قال الطِّيبي في حاشيته علىٰ الكشاف: «فالمعنىٰ: ظلالهم ساجدة، وهم في أنفسهم متواضعون صاغرون، فيتَّفق الباطن مع الظاهر».

العقلاء وغيرهم، ولو قال: «من في السماوات» لم يدخل في ذلك غير العقلاء. **قاله الزمخشري**[(١)].

﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إن كان قوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ بيانًا لما في السماوات والأرض: فقد دخل الملائكة في ذلك، وكرَّر ذكرهم؛ تخصيصًا لهم بالذكر وتشريفًا. وإن كان ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ لما في الأرض خاصةً: فلم تدخل الملائكة في ذلك، فعطفهم على ما قبلهم.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ هذا إخبارٌ عن الملائكة، وهو بيان نفي الاستكبار. **ويَحتمل أن يريد**: فوقيةَ القدْر والعظمة، أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها. **وقيل**: معناه يخافون أن يُرسِل عليهم عذابًا من فوقهم[(٢)].



---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ١٣١).

(٢) [**التعليق ٦٥**] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ ابنِ جُزَيٍّ: «هذا إخبارٌ عن الملائكة، وهو بيانُ نفيِ الاستكبارِ ...»، إلخ:

أقولُ: قولُهُ: «بيانُ نفيِ الاستكبارِ»، يريدُ: أنَّ قولَهُ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ [النحل: ٥٠] تفسيرٌ لقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩].

ثم تردَّد -رحمه الله، وعفا عنا وعنه- في توجيهِ قولِهِ تعالى: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ بين التفويضِ والتأويلِ:

فقال: «ويَحتمِلُ أنْ يريدَ: فوقيَّةَ القُدْرةِ والعَظَمة»؛ وهذا تأويلٌ.

وقال: «أو يكونَ مِن المشكِلاتِ التي يُمسَكُ عن تأويلِها»؛ وهذا تفويضٌ.

وقال: «وقيل: معناه: يَخافُونَ أنْ يُرسِلَ عليهم عذابًا مِن فوقهم»؛ وهذا تأويلٌ؛ لأنه صرفٌ للفظِ عن ظاهِره، وهو في الحقيقة تحريفٌ؛ لأنه لا دليلَ يدلُّ عليه.

ولجوءُ المؤلِّفِ في توجيهِ الآيةِ إلى التفويضِ والتأويل، راجعٌ إلى نفيِ الفوقيَّةِ الحقيقيَّةِ لله تعالى بذاتِهِ فوقَ جميعِ المخلوقات، وهو مذهبُ الأشاعِرة؛ وعلى هذا: فالمؤلِّفُ يذهبُ مَذْهَبَهم.

ومذهبُ أهلِ السُّنَّةِ: أنَّ اللهَ بذاتِهِ فوقَ سماواتِهِ، على عرشِهِ، بائنٌ مِن خَلْقِه.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿٥١﴾ ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ وصفَ ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾ بـ﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيدًا وبيانًا للمعنىٰ. **وقيل:** إن ﴿اثْنَيْنِ﴾ مفعول أول و﴿إِلَٰهَيْنِ﴾ مفعول ثانٍ، فلا يكون في الكلام تأكيدٌ.

﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ خرج من الغَيْبة إلىٰ التكلم؛ لأن الغائب هو المتكلم، و﴿فَإِيَّايَ﴾ مفعول بفعل مضمر، ولا يعمل فيه ﴿فَارْهَبُونِ﴾؛ لأنه قد أخذ معموله.

﴿٥٢﴾ ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي: واجبًا وثابتًا، **وقيل:** دائمًا. وانتصابه: علىٰ الحال من ﴿الدِّينُ﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ **يحتمل أن تكون الواو:** للاستئناف، أو للحال؛ فيكون الكلام متصلًا بما قبله؛ أي: كيف تتقون غير الله، وما بكم من نعمة فمنه وحده؟

﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ أي: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرُّع.

﴿٥٥﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ **اللام:** لام الأمر علىٰ وجه التهديد؛ لقوله بعدها: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فعلىٰ هذا يبتدئ بها. وقيل: هي لام العاقبة؛ فعلىٰ هذا توصل بما قبلها؛ لأنها في الأصل لام كي، وذلك بعيد في المعنىٰ. والكفر هنا **يَحتمل أن يريد به:** كفر النعم؛ لقوله: ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾، أو كفر الجحود والشرك؛ لقوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ يريد التمتع في الدنيا، وذلك أمرٌ علىٰ وجه التهديد.

(٥٦) ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ الضمير في ﴿يَجْعَلُونَ﴾ لكفار العرب؛ فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبًا من ذبائحهم وغيرها. والمراد بقوله: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأصنامُ، والضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للكفار؛ أي: لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة. وقيل: الضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للأصنام؛ أي: لأشياءَ غيرِ عالمةٍ، وهذا بعيد.

(٥٧) ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ إشارةٌ إلىٰ قول الكفار: إن الملائكة بنات الله، ثم نزَّه تعالىٰ نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾.

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ المعنىٰ: أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون؛ يعني بذلك: الذكور من الأولاد. وأما الإعراب: فيجوز أن يكون ﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾: مبتدأ، وخبره المجرور قبله. وأن يكون مفعولًا بفعل مضمر تقديره: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون. وأن يكون معطوفًا علىٰ ﴿الْبَنَاتِ﴾؛ علىٰ أن هذا يمنعه البصريون؛ لأنه من باب: «ضربتُنِي»[1]، وكان يَلزم عندهم أن يقال: لأنفسهم.

(٥٨) ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ إخبارٌ عن حال العرب في كراهتهم البنات. و﴿ظَلَّ﴾ هنا يَحتمل أن تكون: علىٰ بابها، أو بمعنىٰ صار. والسَّوَاد: عبارةٌ عن العبوس والغم، وقد يكون معه سوادٌ حقيقةً. و﴿كَظِيمٌ﴾ قد ذُكِر في «يوسف»[2].

(٥٩) ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: يستخفي من أجل سوءِ ما بُشِّر به.

﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ المعنىٰ: يدبِّر وينظر هل يمسك الأنثىٰ التي بُشِّر بها علىٰ هوان وذُلٍّ لها، أو يدفنها في التراب حيةً، وهي الموؤودة، وهذا معنىٰ: ﴿يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾.

(١) بيَّن أبو حيان قاعدة هذا الباب في البحر المحيط (١٣/ ٣٨٠) بقوله: «الفعل الرافع لضمير الاسم المتصل لا يتعدَّىٰ إلىٰ ضميره المتصل المنصوب، فلا يجوز: زيدٌ ضربَه، تريد: ضرب نفسَه، إلَّا في باب ظن وأخواتها من الأفعال القلبية، و(فَقَدَ)، و(عَدِمَ)، فيجوز: زيدٌ ظنَّه قائمًا، وزيد فقدَه، وزيد عَدِمَه. والضمير المجرور بالحرف كالمنصوب المتصل، فلا يجوز: زيدٌ غضب عليه، تريد: غضب علىٰ نفسه، فعلىٰ هذا الذي تقرَّر لا يجوز النصب؛ إذ يكون التقدير: ويجعلون لهم ما يشتهون، فالواو ضميرٌ مرفوع، و(لهم) مجرور باللام، فهو نظير: زيد غضب عليه» ا.هـ. ولمزيد من الإيضاح انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي (٧/ ٢٤٢).

(٢) انظر تفسير الآية (٨٤).

(٦٠) ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: صفة السَّوء؛ من الحاجة إلىٰ الأولاد وغير ذلك من صفات الافتقار والنقص.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلىٰ؛ من الغنىٰ عن كل شيء، والنزاهة عن صفات المخلوقين[1].



(١) [التعليق ٦٦] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: كلام حقٌّ ليس فيه ما يحتاج إلىٰ تعليق.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرِطُونَ ﴿٦٢﴾ *تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

﴿٦١﴾ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ﴾ يعني: لو يعاقبهم في الدنيا.

﴿بِظُلْمِهِم﴾ أي: بكفرهم ومعاصيهم.

﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير للأرض.

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ يعمُّ[1] بني آدم وغيرَهم، وهذا يقتضي أن تَهلِكَ الحيوانات بذنوب بني آدم، وقد ورد ذلك في الأثر[2]. وقيل: يعني بني آدم خاصة.

﴿٦٢﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني: البناتِ.

﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ﴿أَنَّ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾. و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ هنا: قيل: هي الجنة، وقيل: ذكور الأولاد.

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرِطُونَ﴾ بكسر الراء والتخفيف[3]: من الإفراط؛ أي: متجاوزون الحدَّ في المعاصي. وبفتح الراء والتخفيف: من الفَرْط أي معجَّلون إلىٰ النار. وبكسر الراء

---

(١) في ج، د: «يعني».

(٢) أخرج الطبري (١٤/ ٢٦٠) عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رجلا وهو يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، قال: فالتفت إليه، فقال: «بلىٰ، والله إن الحبارىٰ لتموت في وكرها هُزَالًا بظلم الظالم».

(٣) قرأ نافع بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتحها، وقراءة السبعة جميعًا بتخفيف الراء، وقرأ أبو جعفر المدني بكسر الراء وتشديدها.

والتشديد: من التَّفريط.

(٦٣) ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ **يحتمل أن يريد بـ﴿ٱلْيَوْمَ﴾**: وقت نزول الآية، **أو يوم القيامة.**

(٦٤) ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على موضع ﴿لِتُبَيِّنَ﴾، وانتصبا على أنهما مفعولٌ من أجلهما؛ أي: لأجل البيان والهدى والرحمة.



وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

﴿٦٦﴾ ﴿نَّسْقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها[1]: لغتان، يقال: سقَىٰ وأسقَىٰ.

﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ الضمير للأنعام، وإنما ذُكِّرَ لأنه مفرد بمعنى الجمع، كقولهم: ثوبٌ أخلاقٌ[2]، أو لأنه اسم جنس. وإذا أُنِّث فهو جمع نَعَمٍ.

﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ الفرث: هو ما في الكَرِش من القَذَر، والمعنىٰ: أن الله يخلق اللبن متوسِّطًا بين الفرث والدم يكتنفانه، ومع ذلك فلا يغيِّران له لونًا ولا طعمًا ولا رائحةً. و«مِن» في قوله: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ للتبعيض، وفي قوله: ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ﴾ لابتداء الغاية.

﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ يعني: سهلًا للشرب، حتىٰ قيل: لم يَغَصَّ أحدٌ قطُّ باللبن[3].

﴿٦٧﴾ ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ المجرور يتعلق بفعل محذوفٍ تقديره: نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب؛ أي: من عصيرها، ويدلُّ عليه ﴿نُّسْقِيكُم﴾ الأول. أو يكون ﴿مِن ثَمَرَاتِ﴾ معطوفًا على ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾. أو يتعلَّق ﴿مِن ثَمَرَاتِ﴾ بـ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، وكرَّر

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم بفتح النون، وقرأ الباقون بضمها.

(٢) أخلاقٌ جمع خَلَقٍ أي: بالٍ، ضدّ الجديد، قال في تاج العروس (٢٥/ ٢٥٦): «يقال: ثوبٌ أخلاقٌ يصفون به الواحد: إذا كانت الخلوقة فيه كله.. وقال الفراء: إنما قيل: ثوب أخلاق لأن الخُلُوقة تفشىٰ فيه، فتكثر، فيصير كل قطعة منها خَلَقًا».

(٣) ذكره الطبري (١٤/ ٢٧٤). وقال في الدر المنثور (٩/ ٦٨): «أخرج ابن مردويه عن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن أبي كبشة عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: ما شرب أحد لبنًا فشرِقَ؛ إن الله يقول: ﴿لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾».

﴿مِنۡهُ﴾ توكيدًا. أو يكون ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ صفة لمحذوف تقديره: شيءٌ تتخذون.

﴿سَكَرًا﴾ يعني: الخمر، ونزل ذلك قبل تحريمها، فهي منسوخة بالتحريم. وقيل: إن هذا على وجه المنَّة بالمنفعة التي في الخمر، ولا تعرُّض فيها لتحليل ولا تحريم، فلا نسخ. وقيل: السَّكَر: المائع من هاتين الشجرتين كالخَلِّ والرُّبِّ. والرزق الحسن: العنب والتمر والزبيب.

﴿٦٨﴾ ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ الوحي هنا: بمعنى الإلهام؛ فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحي منام، ووحي إلهام.

﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾ ﴿أَنِ﴾ مفسِّرة للوحي الذي أُوحِي إلى النحل، وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع؛ إما في الجبال وكِوَاها(1)، وإما في متجوَّف الأشجار، وإما فيما يعرش بنو آدم من الأجباح(2) والحيطان ونحوها.

و«مِن» في المواضع الثلاثة للتبعيض؛ لأن النحل إنما تتخذ بيوتًا في بعض الجبال، وبعض الشجر، وبعض الأماكن.

وعرَشَ: معناه: هيَّأ أو بنى، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب.

﴿٦٩﴾ ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ عطف ﴿كُلِي﴾ على ﴿ٱتَّخِذِي﴾، و«من» للتبعيض؛ وذلك أنها إنما تأكل النُّوَّارَ(3) من الأشجار. وقيل: المعنى: من كل الثمرات التي تشتهيها.

﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ يعني: الطرق في الطيران(4)، وأضافها إلى الرب؛ لأنها مُلكه وخَلْقه.

﴿ذُلُلٗا﴾ أي: مطيعةً منقادة، ويَحتمل أن يكون حالًا من السبل، قال مجاهد: لم يتوعَّرْ قطُّ على النحل طريق(5)، أو حالًا من النحل؛ أي: منقادةً لما أمرها الله به.

---

(1) في اللسان (٢٠/ ١٠١): «والكَوُّ والكَوَّةُ: الخَرْق في الحائط والثَّقب في البيت ونحوه.. وجمع الكَوَّة كِوًى بالقصر نادرٌ وكِواءٌ بالمد، والكاف مكسورة فيهما».

(2) الأجباح جمع جبْح -مثلث الجيم-، وهو خلية العسل. القاموس المحيط.

(3) النوار على وزن رُمَّان: الزهر من الأشجار. القاموس المحيط.

(4) في أ: «الغيران».

(5) أخرجه الطبري (١٤/ ٢٨٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٠).

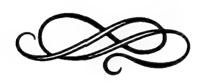
﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني: العسلَ.

﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ﴾ أي: منه أبيض وأصفر وأحمر.

﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل؛ لأن أكثر الأدوية مستعملةٌ من العسل، كالمعاجن والأشربة النافعة من الأمراض، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يتداوىٰ به من كل شيء[1]؛ فكأنه أخذه علىٰ العموم، وعلىٰ ذلك يدلُّ الحديث عن النبي ﷺ أن رجلًا جاء إليه، فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: «**اسقه عسلًا**»، فذهب ثم رجع فقال: فقد سقيته فما نفع، قال: «**فاذهب فاسقه عسلًا؛ فقد صدق الله وكذب بطن أخيك**»، فسقاه فشفاه الله عز وجلَّ[2].

﴿٧٠﴾ ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي: إلىٰ أخسِّه وأحقره، وهو الهرَم. **وقيل**: حدُّه خمسة وسبعون عامًا، **وقيل**: ثمانون، **والصحيح**: أنه لا ينحصر إلىٰ مدة معينة، وأنه يختلف بحسَب الناس.

﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ اللام لام الصيرورة؛ أي: يصير إذا هَرِم لا يعلم شيئًا بعد أن كان يعلم قبل الهرَم، وليس المراد نفي العلم بالكلية، بل ذلك عبارة عن قلة العلم؛ لغلبة النسيان. **وقيل**: المعنىٰ لئلا يعلم زيادةً علىٰ علمه شيئًا.



(١) أخرجه حميد بن زنجويه كما في الدر المنثور (٩/ ٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

*﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

﴿٧١﴾ ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ **الآيةَ؛ في معناها قولان:**

أحدهما: أنها احتجاجٌ على الوحدانية؛ كأنه يقول: أنتم لا تسوُّون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق، ولا تجعلونهم شركاء لكم، فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي؟!

والآخر: أنها عتابٌ وذم لمن لا يحسن إلىٰ مملوكه؛ حتىٰ يردَّ ما رزقه الله عليه، كما جاء في الحديث: «أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون»[1]. والأول أرجح.

﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ **الجحد هنا: على المعنىٰ الأول:** إشارةٌ إلىٰ الإشراك بالله، وعبادة غيره. **وعلى المعنىٰ الثاني:** إشارةٌ إلىٰ بخْس[2] المماليك فيما يجب لهم من الإنفاق.

﴿٧٢﴾ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني: الزوجات. و﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ **يحتمل:** أن يريد: من نوعكم وعلىٰ خِلْقتكم. أو يريد: أن حواء خلقت من آدم ﵇، وأسند ذلك إلىٰ بني آدم لأنهم من ذريتهما.

﴿وَحَفَدَةً﴾ جمع حافِدٍ، ابن عباس ﷺ: هم أولاد البنين[3]، وقيل: الأصهار، وقيل: الخدم،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١) عن أبي ذر ﵁.

(٢) في ج، د: «جنس».

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٠١).

وقيل: البنات؛ لأن لفظ البنين المذكَّر لا يدل عليهن. **والحَفْد**[1] في اللغة: الخِدْمة.

(٧٣) ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآيةَ؛ توبيخٌ للكفار، وردٌّ عليهم في عبادتهم للأصنام، وهي لا تملك لهم رزقًا. وانتصب ﴿رِزْقاً﴾؛ لأنه[2] مفعول بـ﴿يَمْلِكُ﴾، **ويَحتمل أن يكون**: مصدرًا، أو اسمًا لما يُرزَق. **فإن كان مصدرًا**: فإعراب ﴿شَيْئاً﴾ مفعول به؛ لأن المصدر ينصب المفعول. **وإن كان اسمًا**: فإعراب ﴿شَيْئاً﴾ بدل منه.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الضمير عائد على ﴿مَا﴾؛ لأن المراد به الآلهة. ونفَى الاستطاعة بعد نفي الملك؛ لأن نفيها أبلغ في الذم.

(٧٥) ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَّمْلُوكاً﴾ الآيةَ؛ مثلٌ لله تعالى وللأصنام، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك، وبيده الرزق، ويتصرَّف فيه كيف يشاء، فكيف يسوَّى بينه وبين الأصنام؟! وإنما قال: ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ ؛ لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور كالـمُكاتَب والمأذون له.

﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ﴾ «مَن» هنا نكرة موصوفة، والمراد بها: من هو حرٌّ قادر؛ كأنه قال: حرًّا رزقناه؛ ليطابق ﴿عَبْداً﴾ . **ويَحتمل** أن تكون موصولة.

﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي: هل يستوي العبيد والأحرار الذي ضرب بهم المثل؟!

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرٌ لله على بيان هذا المثال ووضوح الحق.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: الكفار.

(٧٦) ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ الآيةَ؛ مثلٌ لله تعالى وللأصنام، كالذي قبله، والمقصود منهما: إبطال مذاهب المشركين، وإثبات الوحدانية لله تعالى. **وقيل**: إن الرجل الأبكم: أبو جهل، والذي يأمر بالعدل: عمار بن ياسر رضي الله عنه. **والأظهر**: عدم التعيين.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾ **الكَلُّ**: الثقيل؛ يعني: أنه عِيالٌ على وليه أو سيده، وهو مثالٌ للأصنام، والذي يأمر بالعدل: هو الله تعالى.

---

(١) في أ، ب، د: «والحفدة».

(٢) في ب، د: «على أنه».

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٧﴾ ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بيانٌ لقدرة الله علىٰ إقامتها، وأن ذلك يسير عليه؛ كقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٧]. **وقيل**: المراد سرعة إتيانها.

﴿٧٨﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ **الأمهات**: جمع أمٍّ، زيدت فيه الهاء؛ فرقًا بين من يعقل ومن لا يعقل. **وقرئ**: بضم الهمزة، وبكسرها[1]؛ إتْباعًا للكسرة قبلها.

﴿٧٩﴾ ﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في الهواء البعيد من الأرض.

﴿٨٠﴾ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ **السَّكَن**: مصدر يوصف به، **وقيل**: هو فَعَلٌ بمعنىٰ مفعول. **ومعناه**: ما يسكن فيه كالبيوت، أو يسكن إليه.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ يعني: بيوتَ[2] الأَدَم من القِباب وغيرها.

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: تجدونها خفيفةً.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة -وقرأ حمزة بكسر الميم أيضًا- وذلك في حال الوصل، وقرأ الباقون بضمها وصلا ووقفًا.

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، د.

﴿يَوْمَ ظَعَنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ يعني: في السفر والحضر، واليوم هنا بمعنىٰ الوقت، ويقال: ظعَن الرجل: إذا رحلَ. وقرئ ﴿ظَعَنِكُمْ﴾ بفتح العين، وإسكانها[1]؛ تخفيفًا.

﴿وَمِنَ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ **الأصواف**: للغنم، **والأوبار**: للإبل، **والأشعار**: للمَعْز والبقر.

﴿أَثَاثًا﴾ **الأثاث**: متاع البيت من البُسط وغيرها. وانتصابه: علىٰ أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: جعل.

﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلىٰ وقت غير معين، ويَحتمل أن يريد: إلىٰ أن تَبلىٰ وتفنىٰ، أو إلىٰ أن تموتوا.

(٨١) ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ نعمةٌ عدَّدها الله عليهم بالظل؛ لأن الظل في بلادهم مطلوب محبوب؛ لشدَّة حرها، ويعني بما خلق: من الشجر وغيرها.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ **الأكنان**: جمع كِنٍّ، وهو ما يقي من المطر والريح وغير ذلك، ويعني بذلك الغِيران والبيوت المنحوتة في الجبال.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ **السَّرابيل**: هي الثياب من القمص وغيرها. وذكر وقاية الحر ولم يذكر البرد؛ لأن وقاية الحر أهم عندهم؛ لحرارة بلادهم. **وقيل**: لأن ذِكْر أحدهما يغني عن ذكر الآخر.

﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يعني: دروع[2] الحديد.

(٨٣) ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إشارةٌ إلىٰ ما ذُكر من النعم من أول السورة إلىٰ هنا. والضمير في ﴿يَعْرِفُونَ﴾ للكفار، وإنكارهم لنعم الله: إشراكهم به وعبادة غيره. **وقيل**: ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ هنا: نبوة محمد ﷺ.



---
(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين، وقرأ الباقون بإسكانها.
(٢) في أ، ب، هـ: «درع».

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُوذَنُ لِلذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا الذِينَ ظَلَمُواْ الْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا الذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا الذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنَ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

﴿٨٤﴾ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ أي: يشهد عليهم بإيمانهم أو كفرهم.

﴿ثُمَّ لاَ يُوذَنُ لِلذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لا يؤذن لهم في الاعتذار.

﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يسترضون، وهو من العتبىٰ بمعنىٰ الرضا.

﴿٨٥﴾ ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ **يَحتمل أن يكون:** بمعنىٰ التأخير، أو بمعنىٰ النظر؛ أي لا ينظر الله إليهم.

﴿٨٦﴾ ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ الضمير في ﴿فَأَلْقَوْاْ﴾ للمعبودِين، والمعنىٰ: أنهم كذَّبوهم في قولهم إنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨]. **فإن قيل:** كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ **فالجواب:** أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم؛ فكأن عبادتهم لم تكن عبادة. ويَحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله، لا في العبادة.

﴿٨٧﴾ ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا له[١] وانقادوا.

﴿٨٨﴾ ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ رُوي أن الزيادة في العذاب هي حيات وعقارب كالبغال تلسعهم[٢].

---

(١) في أ، ب، هـ: «إلىٰ الله».

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٧) عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، قال: «إن لجهنم جِبَابًا فيها حيات أمثال البُخْت، وعقارب أمثال البغال الدُّهْم..».

*إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ *فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿٩٠﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ **يعني بالعدل**: فِعْلَ الواجبات، **وبالإحسان**: المندوبات، وذلك في حقوق الله تعالىٰ وفي حقوق المخلوقين. **قال ابن مسعود** رضي الله عنه: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالىٰ[1].

﴿وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ **الإيتاء**: مصدر آتىٰ بمعنىٰ أعطىٰ، وقد دخل ذلك في العدل والإحسان، ولكنه جرَّده بالذِّكر؛ اهتمامًا به.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ **قيل**: يعني الزنا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ هو أعم من الفحشاء؛ لأنه يعم جميع المعاصي.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٣٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٠٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٨٩)، والحاكم (٣٣٥٨) وصححه ووافقه الذهبي

﴿وَٱلْبَغْيِۚ﴾ يعني: الظلم.

﴿٩١﴾ ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ هذا في الأيمان التي في الوفاء بها خيرٌ، وأما ما كان تركه أولىٰ فلْيكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه، كما جاء في الحديث[1]. أو تكون الأيمان هنا: ما يحلفه الإنسان في حق غيره، أو معاهدةً لغيره.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ﴾ أي: رقيبًا ومتكفِّلًا بوفائكم بالعهد. وقيل: إن هذه الآية نزلت في بيعة النبي ﷺ[2]، وقيل: فيما كان بين العرب من حِلْفٍ في الجاهلية[3].

﴿٩٢﴾ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ شبَّه الله من يحلف ولا يفِي بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلًا قويًّا ثم تنقضه. ويروىٰ أنه كانت بمكة امرأة حمقاء تسمىٰ رَيْطَةَ بنت سعد، كانت تفعل ذلك[4]، وبها وقع التشبيه. وقيل: إنما شبه بامرأة غير معينة.

﴿أَنكَٰثًا﴾ جمع نِكْثٍ، وهو ما يُنكَث؛ أي: ينقض، وانتصابه علىٰ الحال.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ الدَّخَل: الدَّغَل، وهو قصْدُ الخديعة.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ﴾ ﴿أَن﴾ في موضع المفعول من أجله؛ أي: بسبب أن تكون أمة. ومعنىٰ ﴿أَرْبَىٰ﴾: أكثر عددًا، أو أقوىٰ. ونزلت الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرىٰ، فإذا جاءها قبيلةٌ أقوىٰ منها غدرت الأولىٰ وحالفت الثانية[5]. وقيل: الإشارة بالأربىٰ هنا[6]: إلىٰ كفَّار قريش؛ إذ كانوا حينئذٍ أكثر من المسلمين.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ الضمير للأمر بالوفاء، أو لكون أمة هي أربىٰ من أمة؛ فإن بذلك يَظهر من يحافظ علىٰ الوفاء أو لا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢٢)، ومسلم (١٦٥٢) عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٣٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٩) عن مزيدة بن جابر.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٣٩) عن مجاهد.

(٤) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢/ ٤٨٤)، أن اسمها: ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة. وأخرج ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٠) عن أبي بكر بن حفص أن اسمها سعيدة الأسدية.

(٥) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٤٠) عن ابن زيد.

(٦) في أ، ب، ج، هـ: «منها».

﴿٩٤﴾ ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استعارةٌ في الرجوع عن الخير إلىٰ الشر، وإنما أفرد القدَم ونكَّرها؛ لاستعظام الزَّلَل في قدم واحدة، فكيف في أقدام كثيرة؟!

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني: في الدنيا.

﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يدلُّ علىٰ أن الآية فيمن بايع النبي ﷺ.

﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة.

﴿٩٥﴾ ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الثمن القليل: عرَض الدنيا، وهذا نهيٌ لمن بايع النبي ﷺ أن يَنكُث لأجل ضعف الإسلام حينئذٍ وقوة الكفَّار، ورجائه الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة.

﴿٩٦﴾ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ أي: يفنىٰ.

﴿٩٧﴾ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ يعني: في الدنيا؛ فقال ابن عباس ﵄: هي الرزق الحلال[1]، وقيل: هي القناعة. وقيل: هي حياة الآخرة.

﴿٩٨﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ ظاهراللفظ: أن يستعاذ بعد القراءة؛ لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقد شذَّ قومٌ فأخذوا بذلك. وجمهور الأمة: علىٰ أن الاستعاذة قبل القراءة، وتأويل الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، أو: إذا أخذت في قراءة القرآن فاستعذ بالله.

﴿٩٩﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: ليس له عليهم سبيل، ولا يقدر علىٰ إضلالهم.

﴿١٠٠﴾ ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ أي: يتخذونه وليًّا.

﴿بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ الضمير لإبليس، والباء سببية.



(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٥٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠١).

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

﴿١٠١﴾ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ **التبديل هنا**: النسخ، كان الكفار إذا نُسِخت آية، يقولون: هذا افتراء، ولو كان من عند الله لم يبدل.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ جملة اعتراض بين الشرط وجوابه، وفيها ردٌّ على الكفار؛ أي: الله أعلم بما يَصلح للعباد في وقت، ثم ما يصلح لهم بعد ذلك.

﴿١٠٢﴾ ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مع الحق في أوامره ونواهيه وأخباره. **ويَحتمل أن يكون قوله**: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ : بمعنى حقًّا، أو بمعنى أنه واجب النزول.

﴿١٠٣﴾ ﴿أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ كان بمكة غلام أعجمي اسمه يعيش[1]، **وقيل**: كانا غلامين اسم أحدهما جَبْر والآخر يسار، فكان النبي ﷺ يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قريش: هذان يعلِّمان محمدًا[2].

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٦٥) عن عكرمة.

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٦٧) عن عبد الله بن مسلم الحضرمي، وصححه ابن حجر في الإصابة (٧/ ٤٦).

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ﴾ **اللسان هنا**: بمعنىٰ اللغة والكلام. و﴿يُلۡحِدُونَ﴾ مِن أَلحد: إذا مال، **وقرئ بفتح الياء**[1]، مِن لَحَدَ، وهما بمعنىٰ. وهذا ردٌّ عليهم بأن الشخص الذي أشاروا إليه أنه يعلمه أعجميُّ اللسان؛ وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة فلا يمكن أن يأتي به أعجمي.

(١٠٤) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ هذا في حقِّ من علم الله منه أنه لا يؤمن، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]، فاللفظ عام يراد به الخصوص، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة: ٦] الآيةَ. **وقال ابن عطية**: المعنىٰ: إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله، ولكنه قدَّم في هذا الترتيب وأخَّر؛ تهمُّمًا بتقبيح أفعالهم[2].

(١٠٥) ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ردٌّ علىٰ قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۢ﴾؛ يعني: إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن؛ لأنه لا يخاف الله، وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ الإشارة إلىٰ الذين لا يؤمنون بالله؛ أي: هم الذين عادتهم الكذب؛ لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي. ويَحتمل أن يكون الكذبُ المنسوب إليهم قولَهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۢ﴾.

(١٠٦) ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ «مَن» شرطية في موضع رفع بالابتداء، وكذلك «مَن» في قوله: ﴿مَّن شَرَحَ﴾؛ لأنه تخصيص من الأول. وقوله: ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ﴾: جواب علىٰ الأولىٰ والثانية؛ لأنهما بمعنىٰ واحد. أو يكون جوابًا للثانية، وجوابُ الأولىٰ محذوف يدلُّ عليه جواب الثانية. **وقيل**: ﴿مَن كَفَرَ﴾ بدل: من ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، أو من المبتدإ في قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾، أو من الخبر.

﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ استثناءٌ من قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾، وذلك أن قومًا ارتدوا عن الإسلام، فنزلت فيهم الآية، وكان فيهم مَن أُكرِه علىٰ الكفر فنطق بكلمة الكفر وهو يعتقد الإيمان[3]؛

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء والحاء، وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤١٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٧٨)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٤) عن مجاهد، ولفظه: نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض أصحاب النبي ﷺ بالمدينة: أن هاجروا، فإنا لا نراكم منا حتىٰ تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنوهم وكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية.

منهم: عمار بن ياسر، وصهيب، وبلال ﷺ؛ فعذَرهم الله، روي: أن عمار بن ياسر ﷺ شكا إلىٰ رسول الله ﷺ ما صُنِع به من العذاب وما سامح به من القول، فقال له رسول الله ﷺ: «**كيف تجد قلبك؟**» قال: أجده مطمئنًّا بالإيمان، قال: «**فأجبهم بلسانك؛ فإنه لا يضرُّك**»[1].

وهذا الحكم فيمن أُكره علىٰ النطق بالكفر. وأما الإكراه علىٰ فعلٍ هو كفر، كالسجود لصنم؛ فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟ فأجازه الجمهور، ومنعه قوم.

وكذلك قال مالك[2]: لا يلزم المكرَه يمينٌ، ولا طلاق، ولا عِتق، ولا شيء فيما بينه وبين الله، ويَلزمه ما كان من حقوق الناس، ولا تجوز له الإجابة إليه كالإكراه علىٰ قتل أحد أو أخذ ماله.

﴿١٠٧﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الإشارةُ إلىٰ العذاب، والباء للتعليل، فعلَّل عذابهم بعلتين: إحداهما: إيثارهم الحياة الدنيا، والأخرىٰ: أن الله لا يهديهم.

﴿١١٠﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ **قراءة الجمهور** ﴿فُتِنُواْ﴾ **بضم الفاء؛** أي: عُذِّبوا، فالآية -علىٰ هذا- في عمارٍ ﷺ وشبهه من المعذَّبين علىٰ الإسلام. **وقرأ ابن عامر بفتح الفاء؛** أي: عَذَّبوا المسلمين؛ فالآية علىٰ هذا فيمن عذَّب المسلمين، ثم هاجر وجاهد، كالحضرمي[3] وأشباهه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ كرَّر ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ تأكيدًا، والضمير في ﴿بَعْدِهَا﴾ يعود علىٰ الأفعال المذكورة؛ وهي: الهجرة، والجهاد، والصبر.



(١) أخرجه الطبري في (١٤/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٤)، والحاكم (٣٣٦٢) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٦٨٩٦)، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، وفيه: فقال النبي ﷺ: «**فإن عادوا فعد**»، وليس: «**فأجبهم بلسانك؛ فإنه لا يضرك**»، وقال ابن حجر في الفتح (١٢/ ٣١٢): «**وهو مرسل، ورجاله ثقات**».

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/ ١٤٩)، (٢٧/ ٤٧٩).

(٣) هو عامر بن الحضرمي، وكان يعذِّب غلامه جبرًا ويكرهه علىٰ الكفر، وهو الغلام الأعجمي النصراني الذي كانوا يزعمون أنه يعلم محمدًا ﷺ، ثم أسلم الحضرمي. انظر: الكشاف (٩/ ٢٠٦)، والإصابة (٥/ ٤٩٧).

*يَوْمَ تَاتِے كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتَ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَاتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنُ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

﴿١١١﴾ ﴿يَوْمَ تَاتِے﴾ **يحتمل أن يتعلّق** بـ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أو بمحذوف تقديره: اذكر، **وهذا أظهر**.

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ **النفس هنا**: بمعنى الجملة؛ كقولك: إنسان. **والنفس في قوله** ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ بمعنى الذات المعينة التي نَقِيضُها الغَيْرُ؛ أي: تجادل عن ذاتها لا عن غيرها، فهي كقولك جاء زيدٌ نفسُه وعينه.

﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ **أي**: تحتجُّ وتعتذر. **فإن قيل**: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُوذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]؟ **فالجواب**: أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص.

﴿١١٢﴾ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتَ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ **الآية**؛ **قيل**: إن القرية المذكورة مكة، كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ يعني: بنبوة محمد ﷺ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي ﷺ إليهم. **وقيل**: إنما قصد قريةً غير معينة أصابها ذلك، فضرب الله بها مثلًا لمكة[1]، **وهذا أظهر**؛ لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرىٰ لغيرهم. والضمائر في قوله:

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

﴿كَفَرَتْ﴾ و﴿أَذَاقَهَا﴾ يراد بها أهل القرية؛ بدليل قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ .

﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ **الإذاقة واللِّباس هنا مستعاران. أما الإذاقة فقد كثر** استعمالها في البلايا حتىٰ صارت كالحقيقة. **وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف؛** لاشتمالهما علىٰ اللابس، ومباشرتهما له كمباشرة الثوب.

(١١٣) ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ **إن كان المراد بالقرية مكة: فالرسول هنا: محمد** ﷺ**، والعذاب** الذي أخذهم: القحط وغيره. **وإن كانت القرية غير معينة: فالرسول:** من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما، **والعذاب**: ما أصابهم من الهلاك.

(١١٤) ﴿فَكُلُواْ﴾ وما بعده مذكور في «**البقرة**»[1].

(١١٦) ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ **هذه الآية مخاطِبةٌ** للعرب الذين أحلُّوا أشياء وحرموا أشياء كالبَحيرة وغيرها مما ذكر في سورة «**المائدة**» و«**الأنعام**»، ثم يدخل فيها كل من قال: هذا حلال أو حرام بغير علم. **وانتصب** ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بـ﴿لَا تَقُولُواْ﴾، ويكون قوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بدلًا من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾، و«**ما**» **في قوله**: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾ موصولة[2]. **ويجوز أن ينتصب** ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ بقوله: ﴿تَصِفُ﴾، وتكون «**ما**» علىٰ هذا مصدرية، ويكون قوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ معمول[3] ﴿لَا تَقُولُواْ﴾[4].

(١١٧) ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ يعني: عيشهم في الدنيا، وانتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم.

(١١٨) ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ يعني قوله في «**الأنعام**»: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧] إلىٰ آخر الآية، فذكر ما حرم علىٰ المسلمين وما حرم علىٰ اليهود؛ ليُعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراءٌ علىٰ الله، كما فعلت العرب.

(١١٩) ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ هذه الآية تأنيسٌ لجميع الناس وفتح باب التوبة[5].

---

(١) انظر تفسير الآية (١٧١) وما بعدها.

(٢) أي: ولا تقولوا الكذبَ لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة. الكشاف (٩/ ٢١٤).

(٣) في هـ: «مفعول».

(٤) أي: ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصْف ألسنتكم الكذب، أي: لا تحرِّموا ولا تحللوا لأجل قولٍ تنطقُ به ألسنتكم، لا لأجل حجة وبينة. الكشاف (٩/ ٢١٥).

(٥) في ج: «للتوبة».

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٢٢ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٣ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٢٤ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾

(١٢٠) ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ **فيه وجهان:**

أحدهما: أنه كان وحدَه أمةً من الأمم؛ لكماله وجمعه لصفات الخير، كقول الشاعر:

وليس لله[1] بمستنكرٍ ... أن يجمع العالم في واحدِ[2]

والآخر: أن يكون أمة بمعنى إمام، كقوله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[البقرة: ١٢٤]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: والأمة معلِّمُ الناسِ الخيرَ[3]. وقد ذُكِر معنى القانت[4] والحنيف[5].

(١٢٢) ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني: لسان الصِّدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه. وقيل: يعني المال والأولاد.

﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: من أهل الجنة.

---

(١) في ب، ج، د، هـ: «وليس على الله»، والمثبت موافق لما في الديوان.
(٢) البيت لأبي نواس الحسن بن هانئ، كما في ديوانه (ص: ٢١٨)
(٣) أخرجه الطبري في (١٤/ ٣٩٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٦)، والحاكم (٣٣٦٧) وصححه ووافقه الذهبي.
(٤) انظر: المقدمة في اللغات مادة (٤٦٠).
(٥) انظر: المقدمة في اللغات مادة (١٣١).

(١٢٣) ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفَىٰ عنه الشرك؛ لقصد الردِّ علىٰ المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه.

(١٢٤) ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أمر موسىٰ عليه السلام بني إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصًّا للعبادة، فرضي بعضهم بذلك، وقال أكثرهم: بل يكون يوم السبت، فألزمهم الله يوم السبت، **فاختلافهم فيه**: هو ما ذُكِر، **والسبت علىٰ هذا**: هو اليوم. **وقيل: اختلافهم فيه**: هو أنَّ منهم من حرَّم الصيد فيه، ومنهم من أحلَّه، **فعاقبهم الله** بالمسخ قردةً، **فالمعنىٰ**: إنما جُعل وبال السبت[1] علىٰ الذين اختلفوا فيه، **والسبت علىٰ هذا**: مصدرٌ مِن سبَت: إذا عظَّم يوم السبت. **قاله الزمخشري**[2]. **وتقتضي الآية**: أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام.

(١٢٥) ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ **المراد بالسبيل هنا**: الإسلام. **والحكمة**: هي الكلام الذي يظهر صوابه. **والموعظة**: هي الترغيب والترهيب. **والجدال**: هو الردُّ علىٰ المخالف. وهذه الأشياء الثلاثة يسميها أهل العلوم العقلية بالبرهان والخَطابة والجدَل[3]. وهذا الآية تقتضي مهادنةً نُسِخت بالسيف. **وقيل**: إن الدعاء إلىٰ الله بهذه الطريقة من التلطُّف والرفقِ غيرُ منسوخ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار. وأما العصاة فهي في حقِّهم مُحْكَمة إلىٰ يوم القيامة باتفاق.

(١٢٦) ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ **المعنىٰ**: إن صُنِع بكم صنيع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية، وسميت الأولىٰ عقوبةً لمشاكلة اللفظ. **ويَحتمل** أن يكون ﴿عَاقَبْتُمْ﴾ بمعنىٰ: أصبتم عُقْبىٰ؛ كقوله في «**الممتحنة**»: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الممتحنة: ١١]، بمعنىٰ: غَنِمتم، فيكون في الكلام تجنيسٌ. **وقال الجمهور**: إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، لما بقَر المشركون بطنه يوم أحد قال

---

(١) أي: وبال تركِ تعظيم السبت. حاشية الطيبي علىٰ الكشاف (٩/ ٢٢٣).

(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٢٢٣).

(٣) في أ، ب: «والجدال».

النبي ﷺ: «والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم»، فنزلت الآية، فكفَّر النبي ﷺ عن يمينه، وترك ما أراد من الـمُثْلة[١]. ولا خلاف أن المثلة حرام، وقد وردت الأحاديث بذلك؛ ويقتضي ذلك أنها مدنية.

ويَحتمل أن تكون الآية عامة، ويكون ذكرهم لحمزة علىٰ وجه المثال، وتكون علىٰ هذا مكيةً كسائر السورة. واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم ائتَمن الظالمُ المظلوم علىٰ مال، هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه؟ فأجاز ذلك قوم؛ لظاهر الآية. ومنعه مالك[٢]؛ لقوله ﷺ: «أدِّ الأمانة إلىٰ من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[٣].

﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ هذا ندبٌ إلىٰ الصبر وترك عقوبة مَن أساء إليك؛ فإن العقوبة مباحة، وتركها أفضل، والضمير راجع إلىٰ الصبر. ويَحتمل أن يراد بالصابرين هنا: العموم، أو يراد به المخاطبون؛ كأنه قال: خير لكم.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ هذا عزمٌ علىٰ النبي ﷺ في خاصَّته علىٰ الصبر، ويروىٰ أنه قال لأصحابه: «أما أنا فأَصبرُ كما أُمِرت، فماذا تصنعون؟» قالوا: نصبر كما نُدِبْنا[٤]. ثم أخبره أنه لا يصبر إلَّا بمعونة الله. وقد قيل: إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فُعِل مثلها بحمزة ﷺ فذلك غير منسوخ.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسَّفْ لكفرهم.

---

(١) أخرجه ابن المنذر (٢/ ٤٤٧)، والطبراني في الكبير (٢٩٣٧)، والبزار في مسنده (٩٥٣٠)، والحاكم (٤٨٩٤) وسكت عنه، عن أبي هريرة ﷺ، وضعفه الذهبي، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٤)، وابن حجر في الفتح (٧/ ٣٧١).

(٢) وأحمد في المشهور من مذهبه. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٨/ ٥٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (١٢٦٤) وقال: «حسن غريب»، وأبو داود (٣٥٣٥)، والحاكم (٢٢٩٦) وقال: «علىٰ شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٨٨)، وابن المنذر والطبراني، وَابن مردويه -كما في الدر (٩/ ١٣٥)- عن ابن عباس ﷺ بلفظ: فقال رسول الله ﷺ: «بل نصبر يا رب»، ويتقوَّىٰ هذا الطريق بالطرق الأخرىٰ كما قال في الفتح (٧/ ٣٧٢).

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا يضقْ[١] صدرك بمكرهم، والضَّيْق -بفتح الضاد- تخفيف من ضَيِّق، كميِّت وميْت. وقرئ بالكسر[٢]، وهو مصدر. ويجوز أن يكون الضَّيْق والضِّيق مصدرين.

﴿١٢٨﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ يريد أنه معهم بمعونته ونصره.

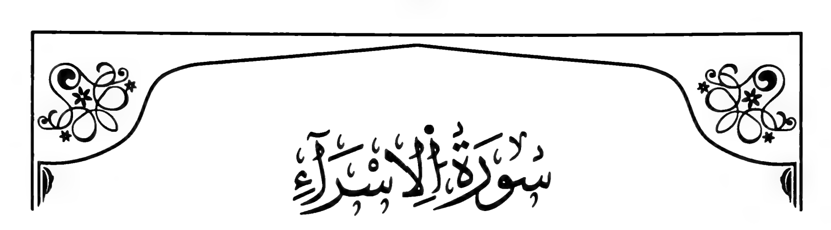
﴿وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ الإحسان هنا: يَحتمل أن يراد به: فعل الحسنات، أو المعنى الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه»[٣] وهذا هو الأظهر؛ لأنه رتبةٌ فوق التقوى.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «لا يضيقُ»

(٢) قرأ ابن كثير بكسر الضاد، والباقون بالفتح.

(٣) تقدم تخريجه.



سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمُۥٓ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَ اَحْسَنتُمُۥٓ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنَ اَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـٓٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمُۥٓ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمُۥٓ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

﴿١﴾ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ معنىٰ ﴿سُبْحَٰنَ﴾ تنزيهٌ، وهو مصدر غير متصرِّف.

وأسرىٰ وسرىٰ: لغتان، وهو فعل غير متعدٍّ. واختار ابن عطية أن يكون ﴿أَسْرَىٰ﴾ هنا متعديًا؛ أي: أسرىٰ الملائكةَ بعبده[1]، وهذا بعيد. والعبد هنا: هو نبينا محمد ﷺ، وإنما وصفه بالعبودية؛ تشريفًا له وتقريبًا.

﴿لَيْلًا﴾ إن قيل: ما فائدة قوله: ﴿لَيْلًا﴾ مع أن السُّرَىٰ هو السير بالليل؟ فالجواب: أنه أراد بقوله: ﴿لَيْلًا﴾ بلفظ التنكير تقليلَ مدَّة الإسراء، وأنه أسرىٰ به في بعض الليل مسيرة

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٣٤).

أربعين ليلة، وذلك أبلغ في الأعجوبة.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ **يعني بالمسجد الحرام: مسجد مكة المحيط** بالكعبة، وقد روي في الحديث أنه ﷺ قال: «**بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل..**»[1]. **وقيل**: كان النبي ﷺ ليلة الإسراء في بيته، **فالمسجد الحرام على هذا: مكة؛ أي**: بلد المسجد الحرام. **وأما المسجد الأقصى**: فهو بيت المقدس الذي بإيلياءَ، وسُمِّيَ الأقصى؛ لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد. **ويَحتمل** أن يريد بـ﴿ٱلْأَقْصَا﴾: الأبعد؛ فيكون المقصد إظهار العَجَب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة.

واختلف العلماء في كيفية الإسراء: فقال الجمهور: كان بجسد النبي ﷺ وروحه. **وقال قوم**: كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حقٍّ.

فحجة الجمهور: أنه لو كان منامًا لم تنكره قريش، ولم يكن في ذلك ما يكذَّب به الكفار، ألَا ترى قول أم هانئٍ له: لا تخبرْ بذلك فيكذبَك قومك؟[2] **وحجة من قال: إن الإسراء كان منامًا**: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وإنما تقال الرؤيا في المنام، ويقال فيما يُرى بالعين: رؤية، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «**بينما أنا بين النائم واليقظان..**» وذكَر الإسراء[3]، وقال في آخر الحديث: «**فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام..**»[4].

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه، ولفظه: «**بينما أنا في الحَطِيم -وربما قال: في الحِجْر- مُضطجِعًا؛ إذْ أتاني آتٍ..**».

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٤٣٢-٤٣٣)، وفي إسناده متروك كذاب كما قال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) عن قتادة عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

(٤) هذا اللفظ ليس من حديث قتادة، وإنما هو من رواية بن عبد الله بن أبي نمر، عن أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) ولم يسق لفظ شريك، وإنما قال: «وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئا وأخّر، وزاد ونقَص»، قال عبد الحق الإشبيلي في الجمع بين الصحيحين (١/ ٢٢٩): «هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس، وقد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين، كمثل ابن شهاب، =

وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال: إن الإسراء كان مرتين: إحداهما: بالجسد، والأخرىٰ: بالروح، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلىٰ بيت المقدس، وهو الذي أنكرته قريش، وأن الإسراء بالروح كان إلىٰ السماوات السبع، ليلة فرضت الصلوات الخمس، ولقي الأنبياء في السماوات[1].

﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ صفة للمسجد الأقصىٰ، والبركة حوله بوجهين: أحدهما: ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء. والآخر: كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خصَّ الله بها الشام.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ أي: لنريَ محمدًا ﷺ تلك الليلة من العجائب، فإنه رأىٰ السماوات والجنة والنار وسدرة المنتهىٰ والملائكة والأنبياء، وكلَّمه الله تعالىٰ حسَبما ورد في أحاديث الإسراء، وهي في مصنفات الحديث فأغنىٰ ذلك عن ذكرها هنا.

(٢) ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى﴾ يَحتمل أن يعود الضمير: علىٰ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾، أو علىٰ ﴿مُوسَى﴾ .

﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا﴾ أي: ربًّا تَكِلُون إليه أمركم. و«أنْ» يَحتمل أن تكون: مصدريةً، أو مفسِّرة.

= وثابت البناني، وقتادة، فلم يأتِ أحد منهم بما أتىٰ به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث، والأحاديث التي تقدَّمت قبل هذا هي الأحاديث المعوَّل عليها». وانظر: زاد المعاد، ط: الرسالة (٣/ ٣٨)، والفتح لابن حجر (١٣/ ٤٨٤-٤٨٥).

(١) [التعليق ٦٧] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: اقتصر المؤلف ﷺ علىٰ ذكر اختلاف العلماء في الإسراء؛ هل كان بروحه ﷺ، أو بجسده، أو بروحه وجسده معًا، وهل كان يقظة أو منامًا، وذكر بعض الوجوه من أدلة المختلفين، ولم ينص علىٰ الصواب في ذلك، وإن كان يظهر من سياق كلامه أنه يميل إلىٰ أن الإسراء كان بروحه ﷺ وجسده، وأنه كان يقظة لا مناما، وهذا هو الحق، ومما يدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ والعبد اسم للروح والبدن جميعا، وحكىٰ المؤلف ﷺ قول من جمع بين الأدلة بأن الإسراء كان مرتين، فكان مرة يقظة ومرة مناما، وأقره، أي: لم يضعفه، وهو قول ضعيف عند المحققين من أهل العلم؛ إذ يمتنع في حكمة الله أن يفرض سبحانه الصلوات خمسين علىٰ النبي وأمته، ثم يخففها إلىٰ خمس، ثم يفرضها خمسين مرة أخرىٰ، ثم يخففها، وهذا لازم القول بتعدد الإسراء والمعراج. والله أعلم.

(٣) ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ منادىٰ، وفي ندائهم بذلك تلطُّفٌ وتذكير بنعمةٍ. **وقيل:** هو مفعول ﴿تَتَّخِذُواْ﴾[١]، ويتعيَّن معنىٰ ذلك علىٰ قراءة مَن قرأ ﴿يَتَّخِذُواْ﴾ بالياء[٢]. ويعني بـ ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: أولادَه الثلاثة؛ وهم: سامٌ وحامٌ ويافثٌ، ونساءَهم، ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أي: كثير الشكر، كان يحمد الله علىٰ كل حال، وهذا تعليلٌ لما تقدَّم؛ أي: كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح عليه السلام.

(٤) ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ **قيل:** إن ﴿قَضَيْنَآ﴾ هنا بمعنىٰ: أعلمنا وأخبرنا، كما قيل في: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]، **والكتاب** علىٰ هذا: التوراة. **وقيل:** قضينا: من القضاء والقدر، **والكتاب** علىٰ هذا: اللوح المحفوظ الذي كُتبت فيه مقادير الأشياء، و«**إلىٰ**» بمعنىٰ علىٰ.

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ هذه الجملة بيانٌ للمقضيِّ، وهي في موضع جواب ﴿قَضَيْنَآ﴾ إذا كان من القضاء والقدر؛ لأنه جرىٰ مجرىٰ القسم. **وإن كان بمعنىٰ أعلمنا:** فهو جواب قسم محذوف، تقديره: والله لتفسدن، والجملة في موضع معمول ﴿قَضَيْنَآ﴾. **والمرَّتان المشار إليهما:** إحداهما: قتل زكريا، والأخرىٰ: قتل يحيىٰ عليه السلام.

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ مِن العلوِّ، وهو الكِبر[٣] والتَّجبُّر.

(٥) ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ **معناه:** أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولىٰ بعث الله عليهم عبادًا له؛ لينتقمَ منهم علىٰ أيديهم. **واختلف في هؤلاء العبيد: فقيل:** جالوت وجنوده، **وقيل:** بُخْتُ نَصَّرَ[٤] ملك بابل.

---

(١) ويكون المعنىٰ: أن لا تتخذوا بشرًا إلها من دون الله. المحرر الوجيز (٥/ ٤٣٩).

(٢) قرأ أبو عمرو بالياء، والباقون بالتاء.

(٣) في ب: «التكبر».

(٤) انظر التعليق عند تفسير الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.

﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ أي: تردَّدوا بينها بالفساد، روي أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المساجد وسَبَوْا منهم سبعين ألفًا[1].

﴿٦﴾ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الدَّولة والغلَبة على الذين بُعِثوا عليكم، ويعني: رجوعَ الملْك إلى بني إسرائيل، واستنقاذَ أسراهم، وقتل بخت نصَّر. وقيل: قتل داود لجالوت.

﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: أكثر عددًا، وهو مصدرٌ من قولك: نفَر الرجل: إذا خرج مسرعًا، أو جمع نَفْرٍ.

﴿٧﴾ ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ ﴿أَحْسَنتُمْ﴾ الأول: بمعنى: فعل الحسنات، والثاني: بمعنى الإحسان، كقولك: أحسنتُ إلى فلان، ففيه تجنيسٌ، واللام فيه بمعنى «إلى»، وكذلك اللام في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـࣳـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ يعني: إذا أفسدوا في المرة الآخِرة، بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم، فـ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ صفة للمرة. ومعنى ﴿لِيَسُـࣳـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾: يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسُّوء كقوله: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الملك: ٢٨]. واللام: لام كي، وهي تتعلَّق بـ«بعثنا» المحذوف؛ لدلالة الأول عليه. وقيل: هي لام الأمر.

﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾ يعني: بيت المقدس.

﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ من التَّبار، وهو الإهلاك وشدَّة الفساد.

﴿مَا عَلَوْاْ﴾ ﴿مَا﴾ مفعول ﴿يُتَبِّرُواْ﴾؛ أي: يُهلِكوا ما غلَبوا عليه من البلاد. وقيل: إن ﴿مَا﴾ ظرفيةٌ؛ أي: يفسدوا مدَّة عُلُوِّهم.

﴿٨﴾ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ خطابٌ لبني إسرائيل، ومعناه: ترجيةٌ لهم بالرحمة إن تابوا بعد المرة الثانية.

---

(١) هكذا ذكره الزمخشري في الكشاف (٩/ ٢٤٧). ولم أقف على من قال بهذا التحديد، وفي تفاصيل ما جرى لهم روايات كثيرة مختلفة، أخرجها الطبري (١٤/ ٤٥٦-٥٠٥)، وأخرج الطبري (١٤/ ٥٠٣) عن ابن زيد قال: «كانت الآخرة أشد من الأولى بكثير، فإن الأولى كانت هزيمة فقط، والآخرة كان التدمير، وأحرق بخت نصر التوراة حتى لم يترك منها حرفا واحدا، وخرب المسجد».

﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ خطاب -أيضًا- لبني إسرائيل؛ أي: إن عدتم إلىٰ الفساد عدنا إلىٰ عقابكم، وقد عادوا؛ فبعث الله عليهم محمدًا ﷺ وأمته يقتلونهم ويُذِلُّونهم إلىٰ يوم القيامة.

﴿حَصِيرًا﴾ أي: سجنًا، وهو من الحَصْر. وقيل: أراد به ما يفرش ويبسط، كالحصير المعروف.

﴿٩﴾ ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي: الطريقة والحالة التي هي أقوم. وقيل: يعني لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك.



﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

﴿١١﴾ ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ **المعنى:** ذمٌّ وعتابٌ لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وأنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير في وقت التثبُّت[1]. وقيل: إن الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] **الآيةَ، وقد تقدَّم أن الصحيح في قائلها أنه أبو جهل**[2].

﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ **الإنسان** هنا وفي الذي قبله: اسم جنس. **وقيل:** يعني هنا آدم، **وهو بعيد.**

---

(١) في ب، هـ: «التثبيت».

(٢) انظر سورة الأنفال، آية (٣٢).

﴿١٢﴾ ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ **فيه وجهان: أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما**، فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار كقولك: مسجد الجامع؛ أي: الآية التي هي الليل، والآية التي هي النهار، **ومحْوُ آية الليل علىٰ هذا**: كونُه مظلمًا. **والوجه الثاني: أن يراد** بآية الليل القمر، وآية النهار الشمس، **ومحْوُ آية الليل علىٰ هذا**: كون القمر لم يُجعَل له ضوء كضوء الشمس.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ **يحتمل أن يريد**: النهارَ بنفسه، أو الشمسَ. ومعنىٰ ﴿مُبْصِرَةً﴾ تُبصَر فيها الأشياء.

﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لتتوصَّلوا بضوء النهار إلىٰ التصرُّف في معايشكم، ولتعلموا - باختلاف الليل والنهار، أو بمسير الشمس والقمر-: عددَ السنين وحسابَ الأشهر والأيام.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ انتصبَ ﴿كُلَّ﴾ بفعل مضمر، **والتَّفصيل**: البيان.

﴿١٣﴾ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ انتصب ﴿كُلَّ﴾ بفعل مضمر، **والطائر هنا**: العمَل، **والمعنىٰ**: أن عمله لازمٌ له. **وقيل**: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ ما قُدِّر عليه وله من خير وشر، **والمعنىٰ علىٰ هذا**: أن كل ما يلقىٰ الإنسان قد سبق به القضاء، وإنما عبَّر عن ذلك بالطائر؛ لأن العرب كانت عادتها التيمُّن والتشاؤم بالطير. وقوله: ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾ أي: هو كالقِلادة أو الغُلِّ، لا ينفكُّ عنه.

﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ يعني: صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات.

﴿١٤﴾ ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ **تقديره**: يقال له: اقرأ.

﴿حَسِيبًا﴾ أي: محاسِبًا، أو من الحساب؛ بمعنىٰ العدد.

﴿١٥﴾ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ **معناه حيث وقع**: لا يؤاخَذ أحدٌ بذنب أحد، **والوزر في اللغة**: الثِّقَل والحِمْل، **ويراد به هنا**: الذنوب. ومعنىٰ ﴿تَزِرُ﴾ تحمل، و﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: وزر نفسٍ أخرىٰ.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ **قيل**: إن هذا في حكم الدنيا؛ أي: أن الله لا يهلك أمةً إلَّا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم. **وقيل**: هو عام في الدنيا والآخرة، وأن الله لا يعذب في الآخرة قومًا إلَّا وقد أرسل إليهم رسولًا فكفروا به وعصوه، ويدلُّ علىٰ ذلك قوله: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الملك: ٨ - ٩]، ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفَتَرات.

واستدلَّ أهل السنة بهذه الآية علىٰ أن التكليف لا يلزم العباد إلَّا من الشرع، لا من مجرد العقل.

﴿١٦﴾ ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ **في تأويل** ﴿أَمَرْنَا﴾ **هنا ثلاثة أوجه**: **أحدها**: أن يكون في الكلام حذف تقديره: أمرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا وفسقوا. **والثاني**: أن يكون ﴿أَمَرْنَا﴾ عبارةً عن القضاء عليهم بالفسق؛ أي: قضينا عليهم ففسقوا[1]. **والثالث**: أن يكون ﴿أَمَرْنَا﴾ بمعنىٰ كثَّرنا، واختاره أبو علي الفارسي.

وأما علىٰ قراءة ﴿آمَرْنَا﴾ بمدِّ الهمزة[2] فهو بمعنىٰ كثَّرنا.

وأما علىٰ قراءة «أَمَّرْنَا» بتشديد الميم[3] فهو من الإمارة؛ أي: جعلناهم أمراء ففسقوا. **والمترَف**: الغنيُّ المتنعِّم بالدنيا.

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ أي: القضاء الذي قضاه الله.

﴿١٧﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ **القرن**: مئة سنة، **وقيل**: أربعون.

﴿١٨﴾ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الآية في الكفار الذين يريدون الدنيا، ولا يؤمنون بالآخرة، علىٰ أن لفظها أعم من ذلك. **والمعنىٰ**: أنهم يعجِّل الله لهم حظًّا من الدنيا بقيدين: **أحدهما**: تقييد المقدار المعجَّل بمشيئة الله. **والآخر**: تقييد الشخص المعجَّل له بإرادة الله، و﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدلٌ من ﴿لَهُۥ﴾، وهو بدل بعضٍ من كل.

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٤).

(٢) هي قراءة يعقوب.

(٣) قرأ بها ابن عباس ﷺ وأبو عثمان النهدي، وأبو العالية، ورويت عن علي ﷺ. المحرر الوجيز (٥/ ٤٥٣)

﴿مَّدْحُوراً﴾ أي: مبعَدًا، أو مهانًا.

﴿١٩﴾ ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي: عمل لها عملها.

﴿٢٠﴾ ﴿كُلّاً نُّمِدُّ﴾ انتصب ﴿كُلّاً﴾ بـ﴿نُّمِدُّ﴾، وهو من المدَد، ومعناه: نزيدهم من عطائنا.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدلٌ من ﴿كُلّاً﴾، والإشارة إلىٰ الفريقين المتقدِّمَين.

﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ يعني: رزق الدنيا. وقيل: من الطاعات لمن أراد الآخرة، ومن المعاصي لمن أراد الدنيا. والأول أظهر.

﴿مَحْظُوراً﴾ أي: ممنوعًا.

﴿٢١﴾ ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: في رزق الدنيا.

﴿٢٢﴾ ﴿لاَّ تَجْعَلْ﴾ خطابٌ لواحد، والمراد به جميع الخلق؛ لأن المخاطَب غير معين.

﴿مَذْمُوماً﴾ أي: يذمُّه الله وخيار عباده.

﴿مَّخْذُولًا﴾ أي: غيرَ منصور.



*وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَٰناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ أَلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ أَلذُّلِّ مِنَ أَلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ إِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمُۥٓ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمُۥٓ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُوراً ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا أَلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ أَلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿٢٦﴾ اِنَّ أَلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ أَلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ أَلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُوراً ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ إِبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ أَلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴿٢٩﴾ اِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ أَلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيراً بَصِيراً ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمُۥٓ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ أَلزِّنَىٰ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ أَلنَّفْسَ أَلتِي حَرَّمَ أَللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰناً فَلَا يُسْرِف فِّي أَلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُوراً ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ أَلْيَتِيمِ إِلَّا بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ أَلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ أَلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالْقُسْطَاسِ أَلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَاوِيلاً ﴿٣٥﴾ *وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ اِنَّ أَلسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي أَلْأَرْضِ مَرَحاً اِنَّكَ لَن تَخْرِقَ أَلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ أَلْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ أَلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ أَللَّهِ إِلَٰهاً اٰخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴿٣٩﴾ اَفَأَصْفِيٰكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ أَلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثاً اِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴿٤٠﴾

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي: حكَم وألزم وأوجب. أو أمر، ويدلُّ علىٰ ذلك ما في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: «ووصَّىٰ ربك»(١).

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ «أن» مفسِّرة، أو مصدرية علىٰ تقدير: بأن لا تعبدوا.

(١) أخرجها عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤٩).

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ هي «إن» الشرطية دخلت عليها «ما» المؤكِّدة، وجوابها: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾. **والمعنىٰ**: الوصية ببر الوالدين إذا كَبِرَا، أو كَبِر أحدهما، وإنما خصَّ حالة الكِبَر؛ لأنهما حينئذ أحوجُ إلىٰ البر والقيام بمؤنتهما؛ لضعفهما. ومعنىٰ ﴿عِندَكَ﴾ أي: في بيتك وتحت كنَفِك.

﴿أُفٍّ﴾ حيث وقعت: اسم فعل، معناها: قولٌ مكروه يقال عند الضجر ونحوه، وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهىٰ الله تعالىٰ أن يقال ذلك للوالدين، فأولىٰ وأحرىٰ أن لا يقال لهما ما فوقَ ذلك. ويجوز في «أفّ» الكسر والفتح والضم، وهي حركات بناء، وأما تنوينها فهو للتنكير(١).

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ من الانتهار؛ وهو الإغلاظ في القول.

(٢٤) ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ استعارةٌ في معنىٰ التواضع لهما والرفق بهما، فهو كقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وأضافه إلىٰ الذُّل مبالغةً في المعنىٰ؛ كأنه قال: الجناح الذليل. و«من» في قوله: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ للتعليل؛ أي: من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما.

(٢٥) ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾ **قيل**: معناه الصالحين، **وقيل**: المسبِّحين، وهو مشتقٌّ من الأَوْبة بمعنىٰ الرجوع؛ فحقيقته: الراجعين إلىٰ الله.

(٢٦) ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ خطابٌ لجميع الناس بصلة قرابتهم والإحسان إليهم. **وقيل**: هو خطاب خاص بالنبي ﷺ أن يؤتيَ قرابته حقَّهم من بيت المال. **والأول أرجح**.

(٢٨) ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ الآيةَ؛ معناها: إن أعرضت عن ذوي القربىٰ والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيهم؛ فقل لهم كلامًا حسنًا، وكان النبي ﷺ إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ نافع وحفص عن عاصم بكسر الفاء منونة، وقرأ الباقون بالكسر من غير تنوين. وأما القراءة بضم الفاء فهي في الشاذ، قرأ بها أبو السمَّال. المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٢).

يعطيه أعرض عنه، حياءً منه[1]، فأُمِر بحسن القول مع ذلك، وهو أن يقول: رزقكم الله أو أعطاكم الله وشبه ذلك. **والميسور**: مشتق من اليُسر.

﴿ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا﴾ مفعول من أجله، **يَحتمل**: أن يتعلَّق بقوله: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾ والمعنىٰ علىٰ هذا: أنه يعرض عنهم انتظارًا لرزقٍ يأتيه، فيعطيه إياهم، **فالرحمة علىٰ هذا**: هو ما يرتجيه من الرزق. **أو يتعلق بقوله**: ﴿فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾ ؛ أي: ابتغِ رحمة ربك بقولٍ ميسور، **والرحمة علىٰ هذا**: هي الأجر والثواب.

(٢٩) ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ استعارةٌ في معنىٰ: غاية البخل؛ كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء[2]، وشُدَّت إلىٰ عنقه.

﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ استعارةٌ في معنىٰ: غاية الجود، فنهىٰ الله عن الطرفين، وأمر بالتوسُّط بينهما، كقوله: ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧].

﴿مَلُومٗا﴾ أي: يلومك صديقك علىٰ كثرة عطائك وإضرارك بنفسك. أو يلومك من يستحقُّ العطاء؛ لأنك لم تترك ما تعطيه. أو يلومك سائر الناس علىٰ التبذير في العطاء.

﴿مَّحۡسُورًا﴾ أي: مُنقطَعًا بك لا شيء عندك، وهو من قولهم: حسَر السفرُ البعيرَ: إذا أتعبَه حتىٰ لم تبقَ له قوةٌ[3].

(٣٠) ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ أي: يوسِّع علىٰ من يشاء، ويضيق علىٰ من يشاء؛ فلا تهتمَّ بما تراه من ذلك؛ فإن الله أعلم بمصالح عباده.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٢٧٠): «غريب، ويقرب منه ما رواه ابن حبان في صحيحه (٤٨٣٦)، والحاكم في مستدركه (٢٥٩١) في الجهاد من حديث أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ لا يسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت». ا.هـ، وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وأخرجه -أيضًا- أحمد في مسنده (١٣٩٧٥)، وابن أبي شيبة (٣٨١٥٤)، وليس فيه أنه سبب نزول الآية، وأخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٥) عن السدي، وذكر أن الآية نزلت بسبب ذلك.

(٢) في ب: «العطاء».

(٣) في ب، هـ: «يُبقِ له قوةً».

(٣١) ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ ذُكِر في «الأنعام»[١].

(٣٢) ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الحقُّ الموجب لقتل النفس: هو ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس أخرىٰ»[٢]. وتتصل[٣] بهذه الأشياء أشياء أُخَر؛ لأنها في معناها، كالحرابة، وترك الصلاة، ومنع الزكاة.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰناً﴾ المظلوم هنا: مَن قُتِل بغير حق. والولي: هو ولي المقتول وسائر العَصَبة، وليس النساء من الأولياء عند مالك[٤]. والسلطان الذي جعل الله له: هو القصاص، أو تخييره[٥] بين العفو والقِصاص.

﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ نهىٰ عن أن يسرف وليُّ المقتول؛ بأن يقتل غير قاتل وليه، أو يقتل اثنين بواحد، أو غير ذلك من وجوه التعدي. وقرئ ﴿فَلَا تُسْرِف﴾ بالتاء[٦]؛ خطابًا للقاتل، أو لوليِّ المقتول.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُوراً﴾ الضمير: للمقتول، أو لوليه، ونصره: هو القصاص.

(٣٤) ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ ذُكِر في «الأنعام»[٧]. قال بعضهم[٨]: ﴿لَا تَقْرَبُواْ﴾ و﴿لَا تَقْتُلُواْ﴾ معطوفاتٌ علىٰ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾[٩]. والظاهر: أنها مجزوماتٌ بالنهي؛ بدليل قوله بعدها:

---

(١) انظر تفسير الآية (١٥٢).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في أ، ب، هـ: «ويتصل».

(٤) خلافًا لأبي حنيفة والشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٥/ ١٥٢).

(٥) في أ، ب، هـ: «وتخيره».

(٦) قرأ حمزة والكسائي بالتاء، وقرأ الباقون بالياء.

(٧) انظر تفسير الآية (١٥٣).

(٨) قاله الطبري في تفسيره (١٤/ ٥٧٧).

(٩) في ج زيادة: «وذلك خطأ»، ولم ترد في شيء من النسخ الأخرىٰ، ويظهر أنها زيادة مقحمة؛ بدليل أن ابن جزيٍّ وجَّه هذا الإعراب كما سيأتي قريبًا.

﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ﴿وَلَا تَمْشِ﴾. ويصحُّ أن تكون معطوفاتٍ إذا جعلنا ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ مجزومًا على النهي، و«أن» مفسِّرة.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ عامٌّ في العهود مع الله، ومع الناس.

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون من معنى[1] الطلب؛ أي: يُطلَب الوفاء به. والثاني: أن يكون المعنى: يُسأل عنه يوم القيامة، هل وفَّى به أم لا.

﴿٣٥﴾ ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ قيل: القسطاس الميزان، وقيل: العدل. وقرئ بكسر القاف[2]، وهي لغةٌ.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: أحسن عاقبةً ومآلًا، وهو مِن آلَ: إذا رجعَ.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ المعنى: لا تقل ما لا تعلم من ذمِّ الناس وشبه ذلك، واللفظ مشتق مِن قَفَوْتُه: إذا اتَّبعتَه.

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى السمع والبصر والفؤاد، وإنما عاملها معاملة العقلاء في الإشارة بـ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾؛ لأنها حواسٌّ لها إدراك.

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على ﴿كُلُّ﴾، ويتعلَّق ﴿عَنْهُ﴾ بـ﴿مَسْـُٔولًا﴾، والمعنى: أن الإنسان يُسأل عن سمعه وبصره وفؤاده. وقيل: الضمير يعود على: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، والمعنى على هذا: أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تُسأل عما ليس لها به علم، وهذا بعيد.

﴿٣٧﴾ ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ المرَح: الخيلاء والكِبْر في المِشْيَة، وقيل: هو إفراط السرور بالدنيا. وإعرابه: مصدر في موضع الحال.

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: لن تجعل فيها خَرْقًا بمشيك عليها، والخَرْق هو: القطع. وقيل: معناه: لا تقدر أن تستوفيَ جميعَها بالمشي.

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

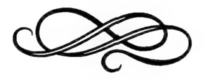
(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بكسر القاف، وقرأ الباقون بضمها.

والمراد بذلك: تعليل النهي عن الكبر والخيلاء؛ أي: إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر علىٰ خرق الأرض، ولا علىٰ مطاولة الجبال؛ فكيف تتكبَّر وتختال في مشيك؟! وإنما الواجب عليك التواضع.

﴿٣٨﴾ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ الإشارة إلىٰ ما تقدم من المنهيات، **والمكروه هنا**: بمعنىٰ الحرام، لا علىٰ اصطلاح الفقهاء في أن المكروه دون الحرام. **وإعراب** ﴿مَكْرُوهًا﴾: نعت لـ﴿سَيِّئَةً﴾، أو بدلٌ منها، أو خبر ثان لـ﴿كَانَ﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ خطابٌ علىٰ وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، **والمعنىٰ**: كيف يَجعل لكم الأعلىٰ من النسل وهو الذكور، ويتخذُ لنفسه الأدنىٰ وهو البنات؟! ومعنىٰ ﴿أَصْفَىٰكُمْ﴾: خصَّكم.

﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾ أي: عظيم النُّكْر والشناعة.



وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمُۥٓ إِلَّا نُفُوراً ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذاً لَّابْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً ﴿٤٣﴾ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمُۥٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمُۥٓ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُوراً ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ الظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰماً وَرُفَٰتاً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴿٤٩﴾ ۞قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُّعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمُۥٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيباً ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٥٢﴾

﴿٤٢﴾ ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذاً لَّابْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ **هذا احتجاج على الوحدانية، وفي معناه قولان: أحدهما**: أن المعنى: لو كان مع الله آلهةٌ لابتغوا سبيلًا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته، فيكونون[1] من جملة عباده. **والآخر**: لابتغوا سبيلًا إلى إفساد مُلْكِه ومعاندته في قدرته، ومعلوم أن ذلك لم يكن؛ فلا إله إلا هو.

﴿٤٤﴾ ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾ **الآيةَ؛ اختلف في كيفية هذا التسبيح: فقيل**: هو تسبيحٌ بلسان الحال؛ أي: بما تدلُّ عليه صنعتها من قدرته وحكمته. **وقيل**: إنه تسبيح حقيقة، **وهذا أرجح**؛ لقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمُۥٓ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً﴾ **في معناه قولان: أحدهما**: أن الله أخبر نبيه ﷺ أنه يستره من الكفار إذا أرادوا به شرًّا، ويحميه[2] منهم. **والآخر**: أنه

---

(١) في ب: «فيكون».

(٢) في ج، د: «ويحجبه».

يحجب[1] الكفار عن فهم القرآن، وهذا أرجح؛ لما بعده.

والمستور هنا: قيل: معناه مستور عن أعين الخلق؛ لأنه من لطف الله وكفايته، فهو من المغيبات، وقيل: معناه ساترًا.

﴿٤٦﴾ ﴿أَكِنَّةً﴾ جمع كِنَان؛ وهو الغطاء، و﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ مفعول من أجله، تقديره: كراهةَ أن يفقهوه، وهذه كلها استعاراتٌ في إضلالهم.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ﴾ الآية؛ معناها: إذا ذكرت في القرآن وحدانية الله تعالىٰ فرَّ المشركون عن ذلك؛ لما فيه من رفض آلهتهم وذمِّها. و﴿نُفُوراً﴾ مصدر في موضع الحال.

﴿٤٧﴾ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦ﴾ كانوا يستمعون القرآن علىٰ وجه الاستهزاء، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائدٌ علىٰ «ما»؛ أي: نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء.

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ أي: جماعةٌ يتناجون، أو هم ذو نجوىٰ، والنجوىٰ: كلام السِّرِّ.

﴿رَجُلًا مَّسْحُوراً﴾ قيل: معناه جُنَّ فسُحِر، وقيل: معناه ساحر. وقيل: هو من السَّحر -بفتح السين-؛ وهو الرئة؛ أي: بشرًا ذا سَحر مثلكم، وهذا بعيد.

﴿٤٨﴾ ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي: مثَّلوك بالساحر، والشاعر، والمجنون.

﴿فَضَلُّواْ﴾ عن الحق.

﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلىٰ الهدىٰ؛ ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وأصحابه من الكفار[2].

﴿٤٩﴾ ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً﴾ الآيةَ؛ معناها: إنكارهم للبعث، واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقًا جديدًا بعد فنائهم. والرُّفات: الذي بَلِيَ حتىٰ صار غبارًا وفتاتًا. وقد ذُكِر في «الرعد» اختلاف القراء في الاستفهامين[3].

---

(١) في ب، هـ: «حجب».

(٢) أخرجه الطبري (١٤/ ٦١٣) وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٣) عن مجاهد.

(٣) انظر تفسير الآية (٦).

﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ **المعنىٰ**: لو كنتم حجارة أو حديدًا لقَدَرْنا علىٰ بعثكم وإحيائكم، مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التي في الحياة؛ فأولىٰ وأحرىٰ أن نبعث أجسادكم ونحييَ عظامكم البالية، فذَكر الحجارة والحديد تنبيهًا بهما علىٰ ما هو أسهل في الحياة منهما. ومعنىٰ قوله: ﴿كُونُواْ﴾ أي: كونوا في الوهم والتقدير، وليس المراد به التَّعجيز كما قال بعضهم في ذلك.

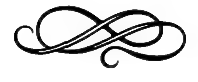
﴿أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ **قيل**: يعني السماوات والأرض والجبال. **وقيل**: بل أحال علىٰ فكرتهم عمومًا في كل ما هو كبير عندهم؛ أي: لو كنتم حجارة أو حديدًا أو شيئًا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة؛ لقدَرْنا علىٰ بعثكم.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: يحرِّكونها تحريك المستبعد للشيء، أو المستهزئ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: متىٰ يكون البعث.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ **الدعاء هنا**: عبارةٌ عن البعث بالنفخ في الصور[1]. **والاستجابة**: عبارةٌ عن قيامهم من القبور طائعين منقادين. و﴿بِحَمْدِهِ﴾ في موضع الحال؛ أي: حامدين له، **وقيل**: معنىٰ ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بأمره.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ **يعني**: لبثتم في الدنيا، أو في القبور.



(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٤).

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

﴿٥٣﴾ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ **العباد هنا**: المؤمنون؛ أمَرهم أن يقول بعضهم لبعض كلامًا لينًا طيبًا. **وقيل**: أن يقولوه للمشركين، ثم نسخ ذلك بالسيف. وإعراب ﴿يَقُولُواْ﴾ كقوله: ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] في «**إبراهيم**»، وقد ذكر.

﴿٥٦﴾ ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ **قيل**: يعني الملائكة، **وقيل**: عيسىٰ وأمه وعُزيرًا[1]، **وقيل**: نفرٌ من الجن كان العرب يعبدونهم. **والمعنىٰ**: أنهم لا يقدرون علىٰ كشف الضرِّ عنكم، فكيف تعبدونهم؟!

﴿٥٧﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ **المعنىٰ**: أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله يبتغون القربة إلىٰ الله، ويرجونه، ويخافونه، فكيف تعبدونهم معه؟!

وإعراب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ صفة له، و﴿يَبْتَغُونَ﴾ خبره، والفاعل في

(١) في ج، د: «وعزيرَ» بالمنع من الصرف، وهو مختلف في صرفه ومنعه من الصرف، كما سبق كلام ابن جزي عنه في سورة التوبة.

﴿يَدْعُونَ﴾ ضميرٌ للكفار[(١)]، وفي ﴿يَبْتَغُونَ﴾ للآلهة[(٢)] المعبودين. وقيل: إن الضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ و﴿يَبْتَغُونَ﴾ للأنبياء المذكورين قبلُ في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. و﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هي ما يُتوسَّل به ويُتقرب.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلٌ من الضمير في ﴿يَبْتَغُونَ﴾؛ أي: يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم، فكيف بغيره؟ أو ضمِّن ﴿يَبْتَغُونَ﴾ معنىٰ «يَحرِصون»؛ فكأنه قال: يحرصون أيهم يكون أقرب إلىٰ الله بالاجتهاد في طاعته. ويَحتمل أن يكون المعنىٰ: أنهم يتوسلون بأيهم أقرب إلىٰ الله.

﴿مَحْذُورًا﴾ من الحذر؛ وهو الخوف.

﴿٥٨﴾ ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يَحتمل هذا الكلام وجهين: أحدهما: أن يكون بالموت والفناء الذي لا بدَّ منه. والآخر: أن يكون بأمر من الله يأخُذُ[(٣)] المدينة دَفعةً فيهلكها، وهذا أظهر؛ لأن الأول معلوم لا يفتقر إلىٰ الإخبار به.

والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هو في الحقيقة لأهل القرىٰ؛ أي: مهلكو أهلِها أو معذِّبوهم. وروي: أن هلاك مكة بالحبشة، والمدينة بالجوع، والكوفة بالتُّرْك، والأندلس بالخيل[(٤)].

وسئل الأستاذ أبو جعفر ابنُ الزبير عن غرناطة، فقال: قد أصابها العذاب يومَ قتْل الموحدين بها في ثورة ابن هود[(٥)]، وأما هلاك قرطبة وإِشبيليَة وطُلَيْطُلَة وغيرها فأَخْذُ الروم لها.

---

(١) في ج، د: «الكفار» بدون لفظة «ضمير».

(٢) في ب، ج: «الآلهة».

(٣) في أ، ب، ج، هـ: «يأخذ».

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٩/ ٣٢٠) عن مقاتل أنه وجده في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها، وقال ابن عطية (٥/ ٥٠٠): «وحكىٰ النقاش أنه وُجد في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسير هذه الآية استقراءُ البلاد المعروفة اليوم، وذكر لهلاك كل قطر منها صفة، ثم ذكر نحو ذلك عن وهب بن منبه فذكر فيه أن هلاك الأندلس وخرابها يكون بسنابك الخيل واختلاف الجيوش فيها، وتركت سائرها لعدم الصحة في ذلك».

(٥) هو محمد بن يوسف بن محمد ابن هود الجُذَامي، من أعقاب بني هود الجذاميين ملوك سرقسطة أيام الطوائف بالأندلس، ثار علىٰ دولة الموحِّدين بالأندلس سنة ٦٢٥هـ لما ضعف أمرهم وكثرت الفتن في أقطار المغرب، ودخل إلىٰ بلنسية وبايعه أهل شاطبة وجيان وقرطبة وإشبيلية وسبتة وغرناطة وغيرها، =

﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

(٥٩) ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ **الآيات هنا يراد بها:** التي يقترحها الكفار، فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكهم الله. **وسبب الآية:** أن قريشًا اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصَّفا ذهبًا، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذِّبوا بها فيهلكوا(١)، وعبَّر بالمنع عن ترك ذلك.

و﴿أَن نُّرۡسِلَ﴾ في موضع نصب، و﴿أَن كَذَّبَ﴾ في موضع رفع. ثم ذكر ناقة ثمود تنبيهًا على ذلك؛ لأنهم اقترحوها فكانت(٢) سبب هلاكهم. ومعنى ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾: بينةً واضحةَ الدلالة.

﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ **إن أراد بالآيات هنا المقترَحة:** فالمعنى: أنه يرسل بها تخويفًا من العذاب العاجل، وهو الإهلاك. **وإن أراد المعجزات غير المقترحة:** فالمعنى: أنه يرسل بها تخويفًا من عذاب الآخرة؛ ليراها الكافر فيؤمن. **وقيل:** المراد بالآيات هنا الزلازل والرعد والكسوف وغير ذلك من المخاوف.

(٦٠) ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ **المعنى:** اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش؛ يعني: بشَّرناك بقتلهم يوم بدر، وذلك قوله: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، وإنما قال: ﴿أَحَاطَ﴾ بلفظ الماضي وهو لم يقع؛ لتحقيقه(٣) وصحة وقوعه بَعْدُ. **وقيل:** المعنى: أحاط بالناس في منعك وحياطتك منهم، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٩].

= وتسمى بأمير المسلمين، وخطب للخليفة العباسي المستنصر، ووصل إليه كتاب الخليفة العباسي من بغداد سنة ٦٣١هـ بالراية والخلع والعهد، ولقَّبه المتوكِّل، ومات سنة ٦٣٥هـ ودفن بمرسية، قال فيه صاحب المغرب في حلى المغرب: «وكان عاميًّا جاهلًا مشئومًا على الأندلس، كأنما كان عقوبة لأهلها، فيه زُويت محاسنها، وطُوي بساطها، ونُثر سلكها». انظر أخباره في: المغرب في حلى المغرب لأبي الحسن الأندلسي (٢/ ٢٥١)، وتاريخ ابن خلدون (٤/ ٢١٥)، ودولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان (٤/ ٣٩١).

(١) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٣٥)، وأحمد (٢٣٣٣)، والنسائي في الكبرى (١١٢٢٦)، والحاكم (٣٣٧٩) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في أ، ب، هـ: «وكانت».

(٣) في ب: «لتحققه».

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ **اختُلف في هذه الرؤيا: فقيل**: إنها الإسراء، فمن قال إنه كان في اليقظة: فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين، ومن قال إنه كان في المنام: فالرؤيا منامية[١]. **والفتنة على هذا**: تكذيب الكفار بذلك، وارتداد بعض المسلمين حينئذ.

وقيل: إنها رؤيا النبي ﷺ في منامه هزيمةَ الكفار وقتلَهم ببدر، **والفتنة على هذا**: تكذيب قريش بذلك وسخريتهم به. وقيل: إنها رؤياه أنه يدخل مكة، فعجَّل في سنة الحديبيَة فرُدَّ عنها، فافتتن بعض المسلمين بذلك. وقيل: رأى في المنام أن بني أمية يصعدون على منبره؛ فاغتمَّ بذلك[٢].

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ يعني: شجرة الزقوم، وهي معطوفة على ﴿ٱلرُّءْيَا﴾؛ أي: جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس؛ وذلك أن قريشًا لما سمعوا أن في جهنم شجرة الزقوم سخروا من ذلك وقالوا: كيف تكون شجرة في النار والنارُ تَحرق الشجر؟ وقال أبو جهل: ما أعرف الزقوم إلَّا التمر بالزُّبْد[٣].

فإن قيل: أين لُعنت شجرة الزقوم في القرآن؟ **فالجواب**: أن المراد: لعنةُ آكلِها، **وقيل**: إن اللعنة هنا بمعنى الإبعاد والكراهة؛ لأنها في أصل الجحيم.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ الضمير لكفار قريش.



(١) في ب، ج، هـ: «منامة»، وفي د: «منامهُ».

(٢) في ج، د: «الذلك». وهذا القول ذكره الثعلبي (١٦/ ٣٨١) من رواية عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده، وعبد المهيمن: قال البخاري: «منكر الحديث»، وقال النسائي: «متروك»، وقال الدارقطني: «ليس بالقوي»، فالخبر ضعيف. الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (٢/ ١٥٤)، وتهذيب الكمال (١٨/ ٤٤٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/ ٦٤٨) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

*وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُواْ لِأدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَآسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَآيْتَكَ هَٰذَا اَلذِے كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنَ اَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ اِ۬لْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاٗ ﴿٦٢﴾ قَالَ اَذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءٗ مَّوْفُوراٗ ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اِسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِے اِ۬لْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ اُ۬لشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُوراً ﴿٦٤﴾ اِنَّ عِبَادِے لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٞۖ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاٗ ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ اُ۬لذِے يُزْجِے لَكُمُ اُ۬لْفُلْكَ فِے اِ۬لْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيماٗ ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ اُ۬لضُّرُّ فِے اِ۬لْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّيٰكُمْ إِلَى اَ۬لْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۖ وَكَانَ اَ۬لْإِنسَٰنُ كَفُوراً ﴿٦٧﴾ اَفَأَمِنتُمُۥٓ أَن يَّخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ اَ۬لْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباٗ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً ﴿٦٨﴾ اَمَ اَمِنتُمُۥٓ أَن يُّعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً اُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاٗ مِّنَ اَ۬لرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعاٗ ﴿٦٩﴾ *وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِےٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِے اِ۬لْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ اَ۬لطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاٗ ﴿٧٠﴾

﴿٦١﴾ ﴿طِيناٗ﴾ تمييزٌ، أو حالٌ مِن ﴿مَنْ﴾، أو مِن مفعول ﴿خَلَقْتَ﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿قَالَ أَرَآيْتَكَ هَٰذَا اَلذِے كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ الكاف من ﴿أَرَآيْتَكَ﴾ للخطاب، لا موضع لها من الإعراب، و﴿هَٰذَا﴾ مفعول بـ«أرأيت»، والمعنىٰ: أخبرني عن هذا الذي كرَّمته علي -أي: فضَّلته-؛ لم فضلته وأنا خير منه؟ فاختصر الكلام بحذْف[1] ذلك. وقال ابن عطية: ﴿أَرَآيْتَكَ﴾ هنا بمعنىٰ: أتأمَّلتَ ونحوه، لا بمعنىٰ: أخبرني[2].

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ معناه: لأُمِيلَنَّهم وأقودهم، وهو مأخوذ من: تحنيك الدابة؛ وهو أن يشدَّ علىٰ حنَكِها بحبلٍ فتنقاد.

---

(١) في ج: «فحذف».

(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٥٠٦).

(٦٣) ﴿فَالَ اذْهَبْ﴾ **قال ابن عطية**: ﴿اذْهَبْ﴾ وما بعده من الأوامر: صيغة أمر على وجه التَّهديد[1]. **وقال الزمخشري**: ليس المراد الذهاب الذي هو ضدُّ المجيء، وإنما معناه: امض لشأنك الذي اخترتَه؛ خذلانًا له وتخلية[2]. **ويَحتمل عندي**: أن يكون معناه: الطرد والإبعاد.

﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ كان الأصل أن يقال: «جزاؤهم» بضمير الغيبة؛ ليرجع إلى ﴿مَن تَبِعَكَ﴾، ولكنه ذكَره بلفظ الخطاب؛ تغليبًا للمخاطَب على الغائب، وليدخل إبليس معهم.

﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال، **والموفور**: المكمَّل.

(٦٤) ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ أي: اخدع واستخفَّ.

﴿بِصَوْتِكَ﴾ **قيل**: يعني الغناء والمزامير، **وقيل**: الدعاء إلى المعاصي.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ أي: هوِّل، وهو من الجلَبة، وهو الصياح.

﴿بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ **الخيل هنا يراد به**[3]: الفرسان الراكبون على الخيل، **والرَّجْل**: جمع راجل؛ وهو الذي على رجليه: **فقيل**: هو مجاز واستعارة بمعنى: افعل جَهْدَك. **وقيل**: إن له من الشياطين خيلًا ورجلًا. **وقيل**: المراد: فرسان الناس ورجالهم المتصرِّفون في الشر.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ **مشاركته في الأموال**: هي بكسبها بالربا، وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك. **ومشاركته في الأولاد**: هي بالاستيلاد بالزنا، وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك.

﴿وَعِدْهُمْ﴾ **يعني**: المواعِد الكاذبة؛ من شفاعة الأصنام وشبه ذلك.

(٦٥) ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ **يعني**: المؤمنين الذين يتوكلون على الله؛ بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾، ونحوه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٠٨).

(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٣٣٠).

(٣) في أ، د، هـ: «بها».

(٦٦) ﴿يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ أي: يجريها ويسيرها، **والفلك هنا**: جمع، **وابتغاءُ الفضل**: في التجارة وغيرها.

(٦٧) ﴿ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ يعني: خوف الغرق.

﴿ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ **ضلَّ هنا**: بمعنىٰ تَلف وفُقِد؛ أي: تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلَّا الله وحده، فلجأتم إليه حينئذ دون غيره، فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدة إلَّا إياه؟!

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ أي: كفورًا بالنعم، **والإنسان هنا**: جنس.

(٦٨) ﴿أَفَأَمِنتُمۡ﴾ الهمزة للتوبيخ، والفاء للعطف؛ أي: أنجوتم من البحر فأمنتم الخسفَ في البر؟!

﴿حَاصِبًا﴾ يعني: حجارةً، أو ريحًا شديدة ترمي بالحصباء.

﴿وَكِيلًا﴾ أي: قائمًا بأموركم، وناصرًا لكم.

(٦٩) ﴿قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ **يعني**: الذي يقصف ما يلقَىٰ؛ أي: يكسره.

﴿تَبِيعًا﴾ أي: مطالبًا بثأركم؛ أي: لا تجدون مَن ينتصر لكم منا، كقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا﴾ [الشمس: ١٥].

(٧٠) ﴿وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ **يعني**: فضَّلهم علىٰ الجن وعلىٰ سائر الحيوان، ولم يفضلهم علىٰ الملائكة؛ ولذلك قال: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٖ﴾، **وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصىٰ، وقد ذكر المفسرون منها**: كون الإنسان يأكل بيده، وكونه منتصب القامة، وهذه أمثلة.



يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

﴿٧١﴾ ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾ **قيل**: يعني بنبيهم؛ يقال: يا أمة فلان، **وقيل**: يعني: كتابهم الذي نزل عليهم، **وقيل**: كتابهم الذي فيه أعمالهم.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ **الفتيل**: هو الخيط الذي في شقِّ نواة التمرة، **والمعنى**: أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلًا ولا كثيرًا، فعبر بأقل الأشياء؛ تنبيهًا على الأكثر.

﴿٧٢﴾ ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ الإشارةُ بـ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى الدنيا.

والعمى يراد به: عمى القلب؛ أي: من كان في الدنيا أعمى عن الهدى[1] والصواب فهو في يوم القيامة أعمى؛ أي: حيرانُ يائسٌ من الخير. **ويَحتمل أن يريد بالعمى في الآخرة**: عمى البصر؛ كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]. وإنما جعل الأعمى في الآخرة أضل سبيلًا؛ لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء.

ويجوز في ﴿أَعْمَىٰ﴾ **الثاني**: أن يكون صفةً كالأول، وأن يكون من «أفعل» التي للتفضيل، وهذا أقوى؛ لقوله ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، فعطف ﴿أَضَلُّ﴾ الذي هو من «أفعل من كذا» على ما هو شبيهه. **وقال سيبويه**: «لا يجوز أن يقال: هو أعمى من كذا». ولكن إنما يمتنع ذلك في عمى البصر، لا في عمى القلب.

---

(١) في ب: «الهداية».

(٧٣) ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآيةَ؛ سببها: أن قريشًا قالوا للنبي ﷺ: اقبَلْ[1] بعض أمرنا ونُقبل علىٰ بعض أمرك[2]. وقيل: إن ثقيفًا طلبوا من النبي ﷺ أن يؤخِّرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزىٰ[3]، والآية علىٰ هذا القول مدنية.

﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ الافتراء هنا يراد به: مخالفة ما أوحىٰ إليه في القرآن أو في غيره.

﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي: لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلًا.

(٧٤) ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ «لولا» تدل علىٰ امتناع شيءٍ لوجود غيره، فدلَّت هنا علىٰ امتناع مقاربة النبي ﷺ للركونِ إليهم؛ لأجل تثبيت الله له وعصمته.

و﴿كِدتَّ﴾ تقتضي -أيضًا- نفيَ الركون؛ لأن معنىٰ كاد فلان يفعل كذا: أنه لم يفعله؛ فانتفىٰ الركون إليهم ومقاربته، فليس في ذلك غضٌّ من جانب النبي ﷺ؛ لأن التثبيت منَعه من مقاربة الركون إليهم، ولو لم يثبِّته الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئًا قليلًا، وأما مع التثبيت فلم يركن قليلًا ولا كثيرًا، ولا قارب ذلك.

(٧٥) ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أي: ضعف عذابهما لو فعل ذلك.

(٧٦) ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الضمير لقريش، كانوا قد همُّوا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة، وذلك قبل الهجرة، فالأرض هنا يراد بها: مكة؛ لأنها بلده.

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك من مكة إلَّا قليلًا، فلما خرج النبي ﷺ مهاجرًا من مكة إلىٰ المدينة، من أجل إذاية قريش له ولأصحابه، لم يبقوا بعد ذلك إلَّا قليلًا، وقتلوا يوم بدر.

(٧٧) ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ انتصب ﴿سُنَّةَ﴾ علىٰ المصدر، ومعناه: العادة؛ أي: هذه عادة الله مع رسله.

---

(١) في د: «أَقبِلْ علىٰ».

(٢) عزاه ابن عطية (٥/ ٥١٩) إلىٰ ابن إسحاق، ولم أقف عليه، وأخرجه الطبري (١٥/ ١٤) بمعناه عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ١٥) من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ، بلفظ: أن ثقيفا كانوا قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله أجِّلْنا سنة حتىٰ يُهدَىٰ لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يهدىٰ لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسَّرنا الآلهة.

اقِمِ اِ۬لصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ اِ۬لشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اِ۬ليْلِ وَقُرْءَانَ اَ۬لْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ اَ۬لْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداٗ ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اَ۬ليْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماٗ مَّحْمُوداٗ ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِے مُدْخَلَ صِدْقٖ وَأَخْرِجْنِے مُخْرَجَ صِدْقٖ وَاجْعَل لِّے مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰناٗ نَّصِيراٗ ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ اَ۬لْحَقُّ وَزَهَقَ اَ۬لْبَٰطِلُۖ إِنَّ اَ۬لْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقاٗ ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ اَ۬لْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحْمَةٞ لِّلْمُومِنِينَۖ وَلَا يَزِيدُ اُ۬لظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَاراٗ ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى اَ۬لْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ اُ۬لشَّرُّ كَانَ يَـُٔوساٗ ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلّٞ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمُۥٓ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاٗ ﴿٨٤﴾

﴿٧٨﴾ ﴿اَقِمِ اِ۬لصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ اِ۬لشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اِ۬ليْلِ وَقُرْءَانَ اَ۬لْفَجْرِ﴾ هذه الآية إشارةٌ إلىٰ الصلوات المفروضة، **فدلوك الشمس**: زوالها، والإشارة إلىٰ الظهر والعصر، **وغسق الليل**: ظلمته، وذلك إشارة إلىٰ المغرب والعشاء، **وقرآن الفجر**: صلاة الصبح.

وانتصب ﴿قُرْءَانَ اَ۬لْفَجْرِ﴾ بالعطف علىٰ موضع اللام في قوله: ﴿لِدُلُوكِ اِ۬لشَّمْسِ﴾؛ فإن اللام فيه ظرفية بمعنىٰ «عند»[1]. **وقيل**: هو عطف علىٰ ﴿اَ۬لصَّلَوٰةَ﴾. **وقيل**: مفعول بفعل مضمر تقديره: اقرأْ قرآنَ الفجر. وإنما عبَّر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر؛ لأن القرآن يُقرأ فيها أكثر من غيرها؛ لأنها تصلىٰ بسورتين طويلتين.

﴿إِنَّ قُرْءَانَ اَ۬لْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداٗ﴾ أي: تشهده ملائكة الليل والنهار، فيجتمعون فيه؛ إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار.

﴿٧٩﴾ ﴿وَمِنَ اَ۬ليْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل. و ﴿مِن﴾ للتبعيض، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآن.

والتهجُّد: السهر؛ وهو ترك الهجود، ومعنىٰ **الهجود**: النوم؛ فالتفعُّل هنا: للخروج عن الشيء، كالتحرُّج والتأثُّم في الخروج عن الإثم والحرج.

---

(١) إذا كانت اللام ظرفية فكيف انتصب ﴿قرآنَ﴾ -وهو مصدرٌ- علىٰ العطف علىٰ الظرف؟! لم أقف علىٰ من ذكر هذا الوجه الإعرابي في الآية من المفسرين غير ابن جزيٍّ هنا، ولم يتَّضح لي المعنىٰ علىٰ هذا الوجه!

﴿عَسىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ **يعني**: الشفاعة يوم القيامة، وانتصب ﴿مَقَاماً﴾ على الظرف.

﴿٨٠﴾ ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآيةَ؛ **المدخل**: دخوله إلىٰ المدينة، **والمخرج**: خروجه من مكة. **وقيل**: **المدخل**: في القبر، **والمخرج**: إلىٰ البعث. **واختار ابن عطية أن** يكون علىٰ العموم في جميع الأمور[1].

﴿سُلْطَاناً نَّصِيراً﴾ **قيل**: **معناه**: حجة تنصرني بها وتُظهِر[2] بها صدقي. **وقيل**: **قوة ورياسة تنصرني بها علىٰ الأعداء، وهذا أظهر.**

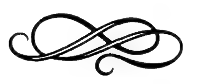
﴿٨١﴾ ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ﴾ **الحق**: الإيمان، **والباطل**: الكفر.

﴿٨٢﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ ﴿مِنَ﴾: لبيان الجنس، أو للتبعيض. **والمراد بالشفاء**: أنه يَشفِي القلوب من الريب[3] والجهل. **ويَحتمل أن يريد**: نفعه من الأمراض؛ بالرُّقىٰ به والتعويذ.

﴿٨٣﴾ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلإِنسَٰنِ﴾ الآيةَ؛ **المراد بالإنسان هنا**: الجنس؛ لأن ذلك من سجيَّة الإنسان. **وقيل**: إنما يراد الكافر؛ لأنه هو الذي يُعرِض عن الله.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ **أي**: بعُد، وذلك تأكيدٌ وبيان للإعراض. وقرئ ﴿نَاءَ﴾[4]، وهما بمعنًىٰ واحد.

﴿٨٤﴾ ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ **أي**: علىٰ مذهبه وطريقته التي تشاكله.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٣٠).
(٢) في أ، ب: «ويَظهَر».
(٣) في أ، ب: «الريبة».
(٤) هي قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر.

*وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾

﴿٨٥﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ **السائلون**: اليهود، **وقيل**: قريش بإشارة اليهود.

والروح هنا عند الجمهور: هو الذي في الجسم، وقد يقال فيه: النفس. **وقيل**: الروح هنا جبريل عليه السلام، **وقيل**: القرآن. **والأول هو الصواب** لدلالة ما بعده على ذلك.

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ **أي**: من الأمور التي استأثر الله بها، ولم يُطلِع عليها خلقَه. وكانت اليهود قد قالت لقريش: اسألوه عن الروح، فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبيٌّ[1]، وذلك أنه كان عندهم في التوراة: أن الروح مما انفرد الله بعلمه.

وقال ابن بريدة: لقد مضى النبي ﷺ وما يعرف الروح[2]. ولقد كثر اختلاف الناس في النفس والروح، وليس في أقوالهم في ذلك ما يعوَّل عليه.

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ خطاب عام لجميع الناس؛ لأن علمهم قليلٌ بالنظر إلى علم الله. **وقيل**: خطاب لليهود خاصة. **والأول أرجح**؛ لأن فيه إشارةً إلى أنهم لا يَصِلون إلى العلم بالروح.

---

(١) يأتي تخريجه في سورة الكهف، الآية (٢٤).

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده إلى عبد الله بن بريدة في كتاب العظمة (٣/ ٨٦٧).

(٨٦) ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: إن شئنا ذهبنا بالقرآن، فمحوناه من الصدور والمصاحف. وهذه الآية متَّصلةٌ المعنىٰ بقوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: في قدرتنا أن نذهب بالذي أوحينا[1] إليك فلا يبقىٰ عندكم شيءٌ من العلم.

﴿وَكِيلًا﴾ أي: من يتوكل بردِّه وإعادته بعد ذهابه.

(٨٧) ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون: استثناء متصلًا؛ بمعنىٰ: أن رحمة ربك تردُّ القرآن بعد ذهابه لو ذهب. أو استثناء منقطعًا؛ بمعنىٰ: أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب.

(٨٨) ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ عجَز الخلقُ عن الإتيان بالقرآن؛ لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين الواضحة، والمعاني العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها، ولا يصلون إليها، ثم جاءت فيه علىٰ الكمال. وقال أكثر الناس: إنهم عجَزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه. ووجوه إعجازه كثيرة، قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجهًا[2].

﴿ظَهِيرًا﴾ أي: مُعينًا.

(٨٩) ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بيَّنا لهم كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة. وهذا يدلُّ علىٰ أن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا.

﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الكفور: الجحود، وانتصب بقوله: ﴿أَبَىٰ﴾؛ لأنه في معنىٰ النفي.

(٩٠) ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ الذين قالوا هذا القول: هم أشراف قريش، طلبوا من النبي ﷺ أنواعًا من خوارق العادات، وهي التي ذكرها الله في

---

(١) في أ، ب، هـ: «أوحي».

(٢) ذكر في المقدمة في الباب الحادي عشر عشرةَ أوجهٍ من الإعجاز، وذكر هذه الأوجه العشرة أيضًا في كتابه «النور المبين في قواعد عقائد الدين» (ص: ٦٧).

هذه الآية. وقيل: إن الذي قاله عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وكان ابن عمة النبي ﷺ، ثم أسلم بعد ذلك.

واليَنبوع: العين، قالوا له: إن مكة قليلة الماء ففجِّرْ لنا فيها عينًا من الماء.

(٩٢) ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ إشارةٌ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[سبأ: ٩].

﴿كِسَفًا﴾ بفتح السين[1]: جمع كِسْفة؛ وهي القطعة، وقرئ بالإسكان؛ أي: قِطْعًا واحدًا.

﴿قَبِيلًا﴾ قيل: معناه مقابلةً ومعاينة، وقيل: ضامنًا شاهدًا بصدقك، والقَبالة في اللغة: الضمان.

(٩٣) ﴿بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ أي: من ذهب.

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجُّبٌ من اقتراحاتهم، و[2]تنزيهٌ لله عن قولهم: ﴿تَأْتِيَ بِٱللَّهِ﴾، وعن أن يَطلُبَ منه هذه الأشياء التي طلبها الكفار؛ لأن ذلك سوءُ أدبٍ.

﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أي: إنما أنا بشر؛ فليس في قدرتي شيءٌ مما طلبتم، وأنا رسول؛ فليس علي إلَّا التبليغ.



(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين، وقرأ الباقون بإسكان السين.

(٢) في ج: «أو».

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

﴿٩٤﴾ ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ **المعنى: أن الذي منع الناس من الإيمان هو إنكارهم لبعث الرسل[1] من البشر.**

﴿٩٥﴾ ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ **الآية؛ معناها: أنه لو كان أهل الأرض ملائكةً لكان الرسول إليهم ملكًا، ولكنهم بشر؛ فالرسول إليهم بشر من جنسهم. ومعنى ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنين في الأرض.**

﴿٩٦﴾ ﴿شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ **ذُكِر في «الأنعام»[2].**

﴿٩٧﴾ ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ **قيل: هي استعاراتٌ، بمعنى أنهم يوم القيامة حَيارى. وقيل: هي حقائق، وأنهم يكونون عميًا وبكمًا وصمًّا حين قيامهم من قبورهم.**

﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ **معناه في اللغة: سكن لهبها، والمراد هنا: كلما أكلت لحومَهم فسكن لهبها بُدِّلوا أجسادًا أُخَرَ، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت.**

---

(١) في أ، د، هـ: «الرسول».

(٢) انظر تفسير الآية (٢٠).

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا﴾ استبعادٌ للحشر، وقد تقدَّم معنىٰ الرفات[1]، والكلام في الاستفهامين[2].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ الآيةَ؛ احتجاج علىٰ الحشر؛ فإن السماوات والأرض أكبر من الإنسان، فكما قدَر الله علىٰ خِلْقتها؛ فأولىٰ وأحرىٰ أن يقدر علىٰ إعادة جسد الإنسان بعد فنائه. والرؤية في الآية رؤية قلب.

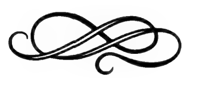
﴿أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾ القيامة، أو أجل الموت.

﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ﴾ «لو» حرف امتناع، ولا يليها إلَّا الفعلُ ظاهرًا أو مضمرًا، فلا بد من فعل يقدَّر هنا بعدها تقديره: لو تملكون، ثم فسَّره بـ﴿تَمۡلِكُونَ﴾ الظاهر، و﴿أَنتُمۡ﴾ تأكيد للضمير الذي في «تملكون» المضمر.

﴿خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ﴾ أي: الأموال والأرزاق.

﴿إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾ أي: لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن الإعطاء خشية الفقر، فالمراد بالإنفاق: عاقبة الإنفاق؛ وهو الفقر. ومفعول ﴿لَّأَمۡسَكۡتُمۡ﴾: محذوفٌ. وقال الزمخشري: لا مفعول له؛ لأن معناه: بَخِلتم؛ من قولهم للبخيل: ممسك[3].

ومعنىٰ الآية: وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر، بخلاف وصف الله تعالىٰ بالجود والغنىٰ.



(١) انظر تفسير الآية (٤٩) من هذه السورة.

(٢) انظر تفسير الآية (٦) من سورة الرعد.

(٣) انظر: الكشاف (٩/ ٣٨٦).

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

﴿١٠١﴾ ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ **الخمس منها**: الطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، **والأربع**: انقلاب عصاه حية، وإخراج يده بيضاء، وحلُّ العُقْدة من لسانه، وفَلْق البحر.

وقد عُدَّ فيها: رفع الطور فوقهم، وانفجار الماء من الحجر، علىٰ أن يسقط اثنان من الأُخَر. **وقد عدَّ فيها -أيضًا-**: السنون، والنقص من الثمرات.

وروي أن بعض اليهود سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «هي ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريءٍ إلىٰ سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفروا يوم الزحف، وعليكم خاصةَ اليهود أن لا تعدوا في السبت»[1].

(١) أخرجه أحمد (١٨٠٩٢)، والنسائي (٤٠٨٩)، والترمذي (٢٧٣٣) وقال: «حسن صحيح»، والحاكم (٢٠) وصححه ووافقه الذهبي، والطبري (١٥/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥١) من حديث صفوان بن عسال. قال ابن كثير في تفسيره (٥/ ١٢٥): «وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة [أحد الرواة] في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة علىٰ فرعون، والله أعلم».

﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسىٰ عليه السلام؛ لتزداد يقينًا، والآية -علىٰ هذا- خطاب لمحمد ﷺ.

وقال الزمخشري: إن المعنىٰ: قلنا لموسىٰ: اسأل بني إسرائيل مِن فرعون؛ أي: اطلب منه أن يرسلهم معك، فهو كقوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٤]، فالأمر في قوله ﴿فَسْـَٔلْ﴾ لموسىٰ علىٰ إضمار القول. وقال -أيضًا-: يَحتمل أن يكون المعنىٰ: اسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك[(١)]. وهذا أيضًا علىٰ أن يكون الخطاب لموسىٰ عليه السلام. والأول أظهر.

﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل، والمراد: آباؤهم الأقدمون. والعامل في ﴿إِذْ﴾ علىٰ القول الأوَّل: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ﴾، أو فعل مضمر. والعامل فيه علىٰ قول الزمخشري: القول المحذوف.

﴿مَسْحُورًا﴾ هنا وفي «الفرقان»: أي: سُحِرتَ فاختَلط عقلك، وقيل: معناه: ساحر.

(١٠٢) ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ -بفتح التاء- خطاب لفرعون، والمعنىٰ: أنه علم أن الله أنزل الآيات، ولكنه كفَر بها[(٢)] عنادًا، كقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]. والإشارةُ بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلىٰ الآيات.

﴿مَثْبُورًا﴾ أي: مُهلَكًا، وقيل: مغلوبًا، وقيل: مصروفًا عن الخير.

قابل موسىٰ عليه السلام قولَ فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

(١٠٣) ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر.

(١٠٤) ﴿ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: أرض الشام.

﴿لَفِيفًا﴾ أي: جميعًا مختلطين.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٣٨٨).

(٢) في ج، هـ: «كذَّبها».

(١٠٥) ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ الضمير للقرآن، و﴿بِالْحَقِّ﴾ معناه في الموضعين: بالواجب من المصلحة والسَّداد. وقيل: معنى الأول كذلك، ومعنى الثاني: ضد الباطل؛ أي: بالحق في أخباره وأوامره ونواهيه.

(١٠٦) ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ انتصب بفعل مضمر يدل عليه ﴿فَرَقْنَاهُ﴾، ومعناه: بيَّناه وأوضحناه.

﴿عَلَى مُكْثٍ﴾ قيل: معناه على تمهُّلٍ وترتيل في قراءته. وقيل: على طول مدة نزوله شيئًا فشيئًا من حين بعث النبي ﷺ إلى وفاته، وذلك عشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون.

(١٠٧) ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أُمِرَ باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم، كأنه يقول: سواء آمنتم أو لم تؤمنوا؛ لأنكم لستم بحجة، وإنما الحجة أهل العلم مِن قبله، وهم المؤمنون من أهل الكتاب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ يعني: المؤمنين من أهل الكتاب، وقيل: الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة؛ كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، والأوَّل أظهر. وهذه الجملة تعليلٌ لما تقدَّم، والمعنى: إن لم تؤمنوا به أنتم، فقد آمن به من هو أعلم منكم.

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: لناحية الأذقان، كقولهم: خرَّ لليدين وللفم. والأذقان: جمع ذَقَنٍ، وهو أسفل الوجه حيث اللحية. وإنما كرَّر ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾؛ لأن الأول للسجود، والثاني للبكاء.

(١١٠) ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ سببها: أن الكفار سمعوا رسول الله ﷺ يدعو: «يا الله يا رحمن»، فقالوا: كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد، وها هو يدعو إلهين![1] فنزلت الآية مبينة أن قوله: «الله أو الرحمن» اسمان لمسمى واحد، وأنه مخيَّرٌ في الدعاء بأيِّ الاسمين شاء.

والدعاء في الآية بمعنى التسمية؛ كقولك: دعوت ولدي زيدًا، لا بمعنى النداء.

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿أَيًّا﴾ اسم شرط منصوب بـ﴿تَدْعُوا﴾، والتنوين فيه عوضٌ من المضاف إليه، و﴿مَّا﴾ زائدة للتأكيد، والضمير في ﴿لَهُ﴾ لله تعالى، وهو المسمَّى، لا الاسم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والمعنىٰ: أيَّ هذين الاسمين تدعوا فحسنٌ؛ لأن الله له الأسماء الحسنىٰ، فوَضع قوله: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ موضع الجواب، وهو في المعنىٰ تعليل للجواب؛ لأنه إذا حسُنت أسماؤه كلُّها حسُن هذان الاسمان.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ **المخافتة**: هي الإسرار. **وسبب الآية**: أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة، فسمعه المشركون، فسبُّوا القرآن ومن أنزله، فأُمر رسول الله ﷺ بالتوسُّط بين الإسرار والجهر؛ ليُسمِع أصحابه الذين يصلون معه، ولا يُسمِع المشركين[١].

وقيل: المعنىٰ: لا تجهر بصلاتك كلها، ولا تخافت بها كلها، واجعل منها سرًّا وجهرًا، حسَبما أَحْكَمته السنة، **وقيل**: الصلاة هنا الدعاء.

﴿١١١﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: ليس له ناصر يمنعه مِن الذُّلِّ؛ لأنه تعالىٰ عزيز، فلا يفتقر إلىٰ وليٍّ يحميه، فنفَىٰ الولاية علىٰ هذا المعنىٰ؛ لأنه غنيٌّ عنها، ولم ينف الولاية علىٰ وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده.

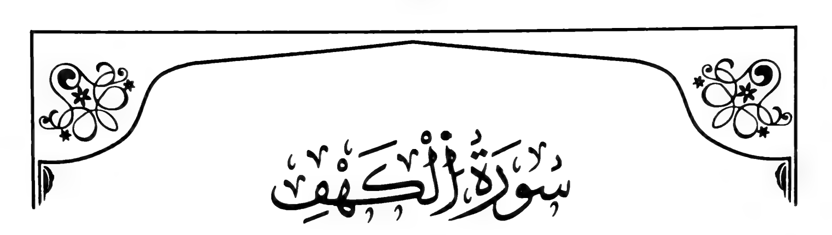
وحكىٰ **الطبري** أن قوله: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ ردٌّ علىٰ النصارىٰ واليهود، الذين نسبوا لله ولدًا، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ﴾ ردٌّ علىٰ المشركين، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ ردٌّ علىٰ الصابئين في قولهم: لولا أولياء الله لذلَّ الله، تعالىٰ الله عن قولهم[٢].

﴿وَكَبِّرْهُ﴾ معطوف علىٰ ﴿قُلِ﴾، ويَحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب؛ وهو التعظيم، أو باللسان؛ وهو أن يقول: «الله أكبر» مع قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآيةَ.



(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٣٩).



سُورَةُ الكَهْفِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

﴿١﴾ **﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ العبد هنا:** هو النبي ﷺ، ووصفه بالعبودية تشريفًا له، وإعلامًا باختصاصه وقربه. **والكتاب:** القرآن.

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ العوج بكسر العين: في المعاني التي لا تُحسُّ. **وبالفتح:** في الأشخاص، كالعصا ونحوها. ومعناه: عدم الاستقامة، **وقيل فيه هنا:** معناه: لا تناقض فيه ولا خلل فيه. **وقيل:** لم يجعله مخلوقًا. واللفظ أعم من ذلك.

﴿٢﴾ **﴿قَيِّمًا﴾** أي: مستقيمًا. **وقيل:** قيمًا على الخلق بأمر الله تعالى. **وقيل:** قيمًا على سائر الكتب بتصديقها. وانتصابه على الحال من **﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾**، والعامل فيه **﴿أَنزَلَ﴾**. ومنع الزمخشري ذلك؛ للفصل بين الحال وذي الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمر،

تقديره: جعله قيمًا[١].

﴿لِّيُنذِرَ﴾ متعلِّق بـ ﴿أَنزَلَ﴾، أو بـ ﴿قَيِّمًا﴾، والفاعل به: ضمير الكتاب، أو النبي ﷺ. والبأس: العذاب. وحذف المفعول الثاني[٢] -وهو الناس-، كما حذف المفعول الآخر من قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ..﴾؛ لدلالة المعنىٰ علىٰ المحذوف.

﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عنده، والضمير عائد علىٰ الله تعالىٰ.

﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ يعني: الجنة.

﴿٣﴾ ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾ أي: دائمين، وانتصابه علىٰ الحال من الضمير في ﴿لَهُمْ﴾.

﴿٤﴾ ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ هم النصارىٰ؛ بقولهم[٣] في عيسىٰ ﵇، واليهود في عزير، وبعض العرب في الملائكة.

﴿٥﴾ ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ الضمير عائد: علىٰ قولهم، أو علىٰ الولد.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ انتصب علىٰ التمييز، وقيل: علىٰ الحال[٤]. ويعني بالكلمة قولَهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، وعلىٰ ذلك يعود الضمير في ﴿كَبُرَتْ﴾.

﴿٦﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: قاتِلُها بالحزن والأسف، والمعنىٰ: تسلية النبي ﷺ عن عدم إيمانهم.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ استعارةٌ فصيحة؛ كأنهم مِن فَرْطِ إدبارهم قد بَعُدوا، فهو يتبع آثارهم؛ تأسُّفًا عليهم. وانتصب ﴿أَسَفًا﴾ علىٰ أنه مفعول من أجله، والعامل فيه: ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ يعني: ما يصلح للتزيُّن، كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك.

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٠٤).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية، ولعل صواب العبارة: «وحذف المفعول الأول»؛ إذ المفعول الثاني مذكورٌ وهو (بأسًا). انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٦٣)، وحاشية الطيبي علىٰ الكشاف (٩/ ٤٠٧).

(٣) في د: «لقولهم».

(٤) التقدير: كبرت فِرْيتهم -أو نحو هذا- كلمةً. المحرر الوجيز (٥/ ٥٦٤).

﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا.

﴿٨﴾ ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾ **المعنىٰ**: إخبارٌ بفناء الدنيا وزينتها. **والصعيد**: هو التراب، **والجُرُز**: الأرض التي لا نبات فيها؛ أي: سنُفني ما علىٰ الأرض من الزينة، حتىٰ تبقىٰ كالأرض التي لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء بَهِجَةً[1].

﴿٩﴾ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا استفهام، **والمعنىٰ**: أحسبت أنهم عجَبٌ؟ بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب.

والكهف: الغار الواسع.

والرقيم: اسم كلبهم. **وقيل**: هو لوح رُقِمت فيه أسماؤهم علىٰ باب الكهف. **وقيل**: كتاب فيه شرعهم ودينهم. **وقيل**: هو القرية التي كانت بإزاء الكهف. **وقيل**: الجبل الذي فيه الكهف. **وقال ابن عباس**: لا أدري ما الرقيم![2]

﴿١٠﴾ ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ **نذكر من قِصَّتهم علىٰ وجه الاختصار ما لا غنىٰ عنه؛ إذ قد** أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا: وذلك أنهم كانوا قومًا مؤمنين، وكان ملك بلادهم كافرًا يقتل كل مؤمن، ففروا بدينهم، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه، ويختفوا مِن الملك وقومه، فأمر الملك باتِّباعهم، فانتهىٰ المتبِعون لهم إلىٰ الغار فوجدوهم، وعرَّفوا الملك بذلك، فوقف عليه في جنده، وأمر بالدخول إليهم، فهاب الرجال ذلك وقالوا له: دعهم يموتوا جوعًا وعطشًا، وكان الله قد ألقىٰ عليهم قبل ذلك نومًا ثقيلًا، فبقوا علىٰ ذلك مدَّة طويلة ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعامًا بدراهم كانت لهم، فعجب منها البياع، وقال: هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان؛ فمن أين جاءتك؟ وشاع الكلام بذلك في الناس، فقال الرجل: إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلىٰ الكهف، فقال الناس: هؤلاء هم الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم، فمشوا إليهم فوجدوهم موتىٰ. **وأما موضع كهفهم: فقيل**: إنه بمقربة من فلسطين.

---

(١) في د: «مبهجة».

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ١٦٠) عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: «ما أدري ما الرقيم، أكتاب، أم بنيان؟!».

وقال قوم: إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لَوْشَةَ في جهة غرناطة، وفيه موتىٰ ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك، وقال: إنه دخل إليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له الرَّقيم قد بقي بعض جُدُراتِه[١]، وروي أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دَقْيُوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها: مدينة دَقْيوس، والله أعلم.

ومما يُبعِد ذلك: ما روي أن معاوية ﷺ مرَّ عليهم وأراد الدخول إليهم[٢]، ولم يدخل معاوية الأندلس قط، وأيضًا فإن الموتىٰ الذين في غار لَوْشَةَ يراهم الناس، ولم يدرك أحدًا الرعب الذي ذكر الله في أصحاب الكهف.

(١١) **﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ﴾** عبارةٌ عن إلقاء النوم عليهم. **وقال الزمخشري**: المعنىٰ: ضربنا علىٰ آذانهم حجابًا، ثم حذف هذا المفعول[٣].

﴿سِنِينَ عَدَداً﴾ أي: كثيرةً.

(١٢) **﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾** أي: أيقظناهم من نومهم.

﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَداً﴾ أي: لنعلم علمًا يظهر في الوجود؛ لأن الله قد كان علم ذلك. **والمراد بالحزبين**: الذين اختلفوا في مدة لبثهم، فالحزب الواحد: أصحاب الكهف، والحزب الآخَر: القوم الذين بعث الله أصحاب[٤] الكهف في مدتهم. **وقيل**: إن الحزبين معًا أصحاب الكهف؛ إذ كان بعضهم قد قال: ﴿لَبِثْنَا يَوْماً اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وقال بعضهم: ﴿رَبُّكُمُۥٓ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾. و﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل ماض، و﴿أَمَداً﴾ مفعول به. **وقيل**: ﴿أَحْصَىٰ﴾ اسم للتفضيل، و﴿أَمَداً﴾ تمييز، وهذا ضعيف؛ لأن «أَفعلَ مِن» التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي، إلَّا في الشاذِّ.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٩٥)، وقال بعد إيراد ذلك: «وإنما استسهلتُ ذكرَ هذا مع بُعْده؛ لأنه عجَبٌ يتخلَّد ذكره ما شاء الله عز وجل».

(٢) يأتي تخريجه قريبًا.

(٣) انظر: الكشاف (٩/ ٤١٦).

(٤) في أ، ج: «أهل».

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِالۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾

١٤ ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: قوَّينا عزمهم، وألهمناهم الصبر.

﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ **يَحتمل أن يريد**: قيامَهم من النوم، أو قيامَهم بين يدي الملك الكافر، لما آمنوا ولم يبالوا به.

﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ أي: لو دعونا من دونه إلـهًا لقلنا قولًا شططًا، **والشَّطط**: الجَوْر والتَّعدي.

١٥ ﴿لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ﴾ تحضيضٌ بمعنىٰ التعجيز؛ أي: أنهم لا يأتون بحجة بينة علىٰ عبادة غير الله.

١٦ ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ خطابٌ من بعضهم لبعض حين عزموا علىٰ الفرار بدينهم.

﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ عطفٌ علىٰ المفعول في ﴿ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ ؛ أي: تركتموهم وتركتم ما يعبدون.

﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: ما يعبدون من دون الله، و﴿إِلَّآ﴾ هنا بمعنىٰ «غير»، وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله. وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه: «وما يعبدون من دون الله»[1].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥١).

﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في ﴿إِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾، والمعنىٰ: أن بعضهم قال لبعض: إذ[1] فارَقْنَا الكفارَ فلْنَجعل الكهف لنا مأوىٰ، ونتَّكل علىٰ الله؛ فإنه يرحمنا ويَرْفِق بنا.

﴿مِّرْفَقًا﴾ بفتح الميم وكسرها[2]: ما يُرتفَق به ويُنتفَع.

۝١٧ ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ قبل هذا الكلامِ[3] محذوفٌ تقديره: فأوىٰ القوم إلىٰ الكهف، ومكثوا فيه، وضرب الله علىٰ آذانهم. ومعنىٰ ﴿تَّزَٰوَرُ﴾: تميل وتروغ. ومعنىٰ ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم؛ أي: تَبْعُد عنهم، وهو من القَرْض بمعنىٰ القطع. وذات اليمين والشمال[4]: أي: جهتَه.

ومعنىٰ الآية: أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها، ولا عند غروبها؛ لئلا يحترقوا بحَرِّها. فقيل: إن ذلك كرامةُ الله لهم، وخرْقُ عادةٍ. وقيل: كان باب الكهف شماليًّا يستقبل بناتَ نَعْشٍ[5]، فلذلك لا تصيبهم الشمس. والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في موضع واسع، وذلك مُفَتَّحٌ لإصابة الشمس[6]، ومع ذلك حجبها الله عنهم.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلىٰ حجب الشمس عنهم إن كان خرْقَ عادةٍ. وإن كان لكون بابهم إلىٰ الشِّمال؛ فالإشارة إلىٰ أَمْرهم بجملته.



---

(١) في ب، ج، د، هـ: «إذا»، والمثبت أصوب، وموافق لما في المحرر الوجيز (٥/ ٥٧٧).

(٢) قرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الفاء.

(٣) في هـ: «كلامٌ».

(٤) في ب: «وذات الشمال».

(٥) بنات نعش: من الكواكب الشامية القريبة من نجم القطب، وهي سبعة أنجم، أربعة منها نعشٌ؛ لأنها مربَّعة، قيل: شُبِّهت بحمَلة النعش في تربيعها، وثلاثةٌ بنات نعشٍ. انظر: كتاب الأنواء، لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، وتاج العروس (١٧/ ٤١٨).

(٦) عبارة الكشاف (٩/ ٤٢٦): «مع أنهم كانوا في مكان واسعٍ مُنفَتحٍ مُعرَّض لإصابة الشمس».

وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٢﴾ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً ﴿٢٣﴾

﴿١٨﴾ ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾ **أيقاظًا**: جمع يَقِظٍ، وهو المنتبه، كانت أعينهم مفتوحةً وهم نائمون، فيحسبهم من يراهم أيقاظًا. وفي قوله: ﴿أَيْقَاظاً﴾ و﴿رُقُودٌ﴾ مطابقة، وهي من أدوات البيان.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي: نقلِّبهم من جانب إلىٰ جانب، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض، وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته، وهم لا ينتبهون من نومهم. وروي أنهم كانوا يقلَّبون مرتين في السنة، **وقيل**: من سبع سنين إلىٰ مثلها.

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ **قيل**: إنه كان كلبًا لأحدهم يصيد به. **وقيل**: كان كلبًا لراعٍ، فمرُّوا عليه فصحبهم، وتبعه كلبُه. وأُعمل اسم الفاعل وهو بمعنىٰ المضيِّ؛ لأنه حكاية حال.

﴿بِالْوَصِيدِ﴾ أي: بباب الكهف، **وقيل**: عَتَبته، **وقيل**: الفِناء.

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾ ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة. **وقيل**: لطول أظفارهم وشعورهم، وعِظَم أجرامهم. **وقيل**: لوحشة مكانهم.

وعن معاوية ﵁ أنه غزا الروم فمرَّ بالكهف، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس ﵄: لا تستطيع ذلك، قد قال الله لمن هو خير منك: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، فبعث ناسًا إليهم، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحًا فأحرقتهم[1].

﴿١٩﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: كما أنمناهم كذلك بعثناهم؛ ليسأل بعضهم بعضًا، واللام في ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾ لام الصيرورة.

﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على من قال: ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ولكنه لم يَعلم مقدارها؛ فأَسند علمها إلى الله.

﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ **الوَرِق**: الفضة، وكانت دراهم تزوَّدوها حين خروجهم إلى الكهف. ويُستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه. ويُستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة. **فإن قيل**: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكُّر مدة لبثهم؟ **فالجواب**: أنهم كأنهم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك، فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم، فابعثوا أحدكم.

﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ **قيل**: إنها طَرَسُوسُ.

﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ **قيل**: أكثرُ، **وقيل**: أحلُّ. **وروي**: أنه أراد شراء زبيب، **وقيل**: تمر.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: في اختفائه وتحيُّله.

﴿٢٠﴾ ﴿إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي: إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة. **وقيل**: معنى ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: بالقول. **والأول أظهر**.

﴿٢١﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما أنمناهم وبعثناهم أطْلَعنا الناس عليهم.

﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف؛ أي: أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة؛ ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٨)، وابن أبي شيبة -كما في الدر المنثور (٩/ ٤٩٥)- ومن طريقه الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٠)، قال ابن حجر في الكاف الشاف (١٠٣): «وإسناده صحيح».

﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ **العامل في** ﴿إِذْ﴾: ﴿أَعْثَرْنَا﴾، أو مضمر تقديره: اذكر. **والمتنازعون**: هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء؟ **وقيل**: تنازعوا هل تحشر الأجساد، أو الأرواح بلا أجساد؟ فأراهم الله حال أصحاب الكهف؛ ليعلموا أن الأجساد تحشر.

﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ أي: على باب كهفهم، إما ليطمس أثرهم[1]، وإما ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أَخْذَ تربتهم تبرُّكًا. وإما ليكون علَمًا على كهفهم يعرفُ[2] به.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ **قيل**: يعني الولاة. **وقيل**: يعني المسلمين؛ لأنهم كانوا أحقَّ بهم من الكفار، فبنوا على باب الكهف مسجدًا لعبادة الله.

﴿٢٢﴾ ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن كان في زمان النبي ﷺ من اليهود، أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف.

﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ظنًّا، وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي.

﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ **قال قوم**: إن الواو واو الثمانية؛ لدخولها هنا، وفي قوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٦]، وفي قوله في أهل الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٠]، وفي قوله في «براءة»: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وقال البصريون: لا تثبت واو الثمانية، وإنما الواو هنا كقولك: جاء زيد وفي يده سيف.

قال الزمخشري: وفائدتها التوكيد، والدلالة على أن الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ صدَقوا وأخبروا بحق، بخلاف الذين قالوا: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، والذين قالوا: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[3]. **وقال ابن عطية**: دخلت الواو في آخِرِ إخبارٍ عن عددهم؛ لتدلَّ على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصحَّ الكلام[4].

---

(١) في ج: «آثارهم».

(٢) في د: «ليُعرف».

(٣) انظر: الكشاف (٩/ ٤٤٠).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٨٨).

وكذلك دخلت السين في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث؛ استغناء بدخولها في الأول.

﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: لا يعلم عِدَّتهم إلَّا قليل من الناس، وهم من أهل الكتاب. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم»[(1)]؛ لأنه قال في الثلاثة والخمسة: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، ولم يقل ذلك في ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ ﴿لَا تُمَارِ﴾: من المِرَاء؛ وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج. ومعنى الآية: لا تمارِ أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف إلَّا مراء ظاهرًا؛ أي: غير متعمَّقٍ فيه، من غير مبالغة ولا تعنيف في الردِّ عليهم.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تسأل أحدًا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف؛ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٠).

وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ اِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً اِلاَّ أَن يَّشَاءَ اَللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَّهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَداً ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُواْ تِسْعاً ﴿٢٥﴾ قُلِ اِ۬للَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ اُ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالْاَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦ أَحَداً ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَداً ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ اَ۬لذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ اَلْحَيَوٰةِ اِ۬لدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنَ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوِيٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطاً ﴿٢٨﴾ وَقُلِ اِ۬لْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُومِن وَّمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرِ اِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَاراً اَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَّسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِے اِ۬لْوُجُوهَ بِيسَ اَ۬لشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً ﴿٢٩﴾ *اِنَّ اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ اُ۬لصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنَ اَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ اُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهِمُ اُ۬لْاَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ اَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى اَ۬لْاَرَآئِكِ نِعْمَ اَ۬لثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً ﴿٣١﴾

﴿٢٤﴾ ﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ اِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً اِلاَّ أَن يَّشَاءَ اَللَّهُ﴾ سببها: أن قريشًا سألوا اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: اسألوه عن فتيةٍ ذهبوا في الزمان الأول، وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وهو ذو القرنين، وعن الروح؛ فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي، فسألوه فقال: «غدًا أخبركم»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فأمسك الله عنه الوحي خمسة عشر يومًا، فأرجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف، فقصَّ عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذي القرنين[1]، وأنزل عليه هذه الآية؛ تأديبًا له وتعليمًا، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٤٣) عن ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مصر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٧٠) عن ابن إسحاق، عن شيخ من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله: ﴿غَدًا﴾ يريد به الزمان المستقبل، لا اليوم الذي بعد يومه خاصة. وفي الكلام حذف يقتضيه المعنىٰ، وتقديره: ولا تقولن لشيءٍ إني فاعل ذلك غدًا إلَّا أن تقول: «إن شاء الله»، أو تقول: «إلَّا أن يشاء الله». والمعنىٰ: أن يعلِّق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته، ويبرأ هو من الحول والقوة.

وقيل: إن قوله ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يتعلَّق بقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾، والمعنىٰ: لا تقولنَّ ذلك القول إلَّا أن يشاء الله أن تقوله؛ بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة -علىٰ هذا- راجعة إلىٰ القول، لا إلىٰ الفعل، ومعناها: إباحة القول بالإذن فيه، حكىٰ هذا الزمخشري[1]، وحكاه ابن عطية، وقال: إنه من الفساد بحيث كان الواجب أن لا يُحكَىٰ[2].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإشارة بذلك إلىٰ الاستثناء؛ أي: استثنِ بعد مدةٍ إذا نسيت الاستثناء أولًا، وذلك علىٰ مذهبه في أن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة[3].

وأما مذهب مالك والشافعي[4]: فإنه لا ينفع إلَّا إن كان متصلًا باليمين. وقيل: معنىٰ الآية: اذكر ربك إذا غضبت. وقيل: اذكره إذا نسيت شيئًا؛ ليذكِّرَك ما نسيت.

والظاهر: أن المعنىٰ: اذكر ربك إذا نسيت ذكره؛ أي: ارجع إلىٰ الذكر متىٰ غفَلت عنه، واذكره في كل حال، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله علىٰ كل أحيانه»[5].

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ هذا كلامٌ أُمر النبي ﷺ أن يقوله،

---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٤٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٥٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٢٥) وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٥)، والحاكم (٧٨٣٣) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (١١/ ٦٨) عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٨/ ٤٨٨).

(٥) أخرجه مسلم (٣٧٣).

والإشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ إلىٰ خبر أصحاب الكهف؛ أي: عسىٰ أن يؤتيني الله من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة علىٰ نبوَّتي من خبر أصحاب الكهف.

واللفظ يقتضي أن المعنىٰ: عسىٰ أن يوفقني[1] الله تعالىٰ من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشدُ من خبر أصحاب الكهف وأقربُ إلىٰ الله.

وقيل: إن الإشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ إلىٰ المنسيِّ؛ أي: إذا نسيت شيئًا فقل: عسىٰ أن يهديني الله لشيءٍ آخر هو أرشد من المنسيِّ.

(٢٥) ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُواْ تِسْعاً﴾ في هذا قولان:

أحدهما: أنه حكاية عن أهل الكتاب؛ يدلُّ علىٰ ذلك ما في قراءة ابن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم»[2]، وهو معطوف علىٰ ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ﴾ ، فقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ ردٌّ عليهم في هذا العدد المحكي عنهم.

القول الثاني: أنه من كلام الله تعالىٰ، وأنه بيانٌ لما أجمل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾ ، ومعنىٰ قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ -علىٰ هذا-: أنه أعلم مِن الذين اختلفوا فيهم، وقد أخبر بمدة لبثهم، فإخباره هو الحق؛ لأنه أعلم من الناس، فكأن قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ احتجاجٌ علىٰ صحة ذلك الإخبار.

وانتصب ﴿سِنِينَ﴾: علىٰ البدل من ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾، أو عطف البيان، أو علىٰ التمييز. وذلك علىٰ قراءة التنوين في ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾[3]. وقرئ بغير تنوين: علىٰ الإضافة، ووضع الجمع موضع المفرد.

(٢٦) ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ أي: ما أبصره وما أسمعه! لأن الله يدرك الخفيَّات كما يدرك الجليَّات.

---

(١) في د: «يؤتيني»..

(٢) أخرجها الطبري (١٥/ ٢٢٩).

(٣) قرأ حمزة والكسائي بغير تنوين، وقرأ الباقون بالتنوين.

﴿مَا لَهُم﴾ الضمير: لجميع الخلق، أو للمعاصرين للنبي ﷺ.

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ هو خبر؛ على القراءة بالياء والرفع. وقرئ بالتاء والجزم[1]؛ على النهي.

﴿٢٧﴾ ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ يَحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن؛ فالمعنى: لا يبدِّل أحدٌ القرآن ولا يغيره. ويَحتمل أن يريد بالكلمات: القضاء والقدر.

﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأً تميل إليه.

﴿٢٨﴾ ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي: احبسْها صابرًا.

﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ هم فقراء المسلمين، كبلال وصهيب وخباب ﷺ، وكان الكفار قد قالوا له: اطرد هؤلاء نجالسْك نحن، فنزلت الآية[2].

﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل: المراد الصلوات الخمس. وقيل: الدعاء على الإطلاق.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تتجاوزْ عنهم إلى أبناء الدنيا، قال الزمخشري: يقال عداه: إذا جاوزه، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف، وإنما تعدى هنا بـ«عن»؛ لأنه تضمن معنى: نَبَتْ عينه عن الرجل: إذا احتقرَه[3].

﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جملة في موضع الحال، فهي متصلة بما قبلها، وهي في معنى تعليلٍ لفعل المنهي عنه في قوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾؛ أي: لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا.

(١) قرأ ابن عامر بالخطاب والجزم ﴿ولا تُشركْ﴾، وقرأ الباقون بالغيب والرفع.

(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٥٩)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٠)، وابن ماجه (٤١٢٧)، والبزار في مسنده (٦/ ٦٩)، والطبراني في الكبير (٤/ ٧٦) عن خباب بن الأرت ﷺ. وحسَّن إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٨٤٤)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢١٩)، وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٦٠): «حديث غريب».

(٣) انظر: الكشاف (٩/ ٤٦٠).

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ أي: جعلناه غافلًا، أو وجدناه غافلًا. **وقيل**: إنه يعني عيينة بن حصن الفَزَاري، **والأظهر**: أنها مطلقة من غير تعيين.

﴿فُرُطًا﴾ من التَّفريط والتضييع، أو من الإفراط والإسراف.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقُلِ اِ۬لْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: هذا هو الحق.

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُومِنْ﴾ لفظه: أمرٌ وتخيير، ومعناه: أن الحق قد ظهر، فيختارُ كل إنسان لنفسه؛ إما الحق الذي ينجيه، أو الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديدٌ.

﴿سُرَادِقُهَا﴾ **السُّرادق في اللغة**: ما أحاط بالشيء، كالسُّور والجدار. **وأمَّا سرادق جهنم: فقيل**: حائط من نار، **وقيل**: دخان.

﴿كَالْمُهْلِ﴾ هو دُرْدِيُّ الزيت إذا انتهىٰ حرُّه، روي ذلك عن النبي ﷺ[١]. **وقيل**: ما أذيب من الرَّصاص وشبهه.

﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي: شيئًا يُرتفَق به؛ فهو من الرِّفق[٢]. **وقيل**: يُرتفَق عليه؛ فهو من الارتفاق بمعنىٰ الاتكاء.

﴿٣٠﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضٌ. ويجوز أن يكونا خبرين. أو يكون ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ الخبر، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ كلام مستأنف، ويَقوم العموم في قوله: ﴿مَنْ أَحْسَنَ﴾ مقام الضمير الرابط، أو يقدَّر: من أحسن عملًا منهم.

وروي أن النبي ﷺ قال: «**إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ** رضي الله عنهم»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١١٦٧٢)، والترمذي (٢٥٨١)، وابن حبان (٧٤٧٣)، والحاكم (٣٨٥٠) وصححه ووافقه الذهبي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كالمُهْلِ﴾ قال: «**كعَكَر الزيت، فإذا قربه إلىٰ وجهه سقطت فروة وجهه فيه**».

(٢) في أ، ب، هـ زيادة: «به»، والمثبت موافق لما في تفسير الطبري (١٥/ ٢٥٣).

(٣) أخرج أبو جعفر النحاس بإسناده في معاني القرآن (٤/ ٢٣٥): «حدثنا أبو عبد الله أحمد بن علي بن سهل، قال: حدثنا محمد بن حميد: قال: أخبرنا يحيىٰ بن الضريس عن زهير بن معاوية عن أبي اسحاق =

﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أُسوار، أو سِوار، وهو ما يجعل في الذراع. وقيل: أساور جمع أَسْوِرة، وأسورة جمع سِوار.

﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: الغليظ منه.

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأسرَّة والفُرُش.



= عن البراء بن عازب قال: قدم أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ في حجة الوداع والنبي واقف بعرفات علىٰ ناقته الصهباء، فقال: إني رجل متعلم فأخبرني عن قول الله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾؟ قال النبي ﷺ: «يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد وما هم منك ببعيد هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف معي، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فأعلم قومك أن هذا الآية نزلت في هؤلاء الأربعة»، وذكره السهيلي بإسناده إلىٰ أبي جعفر النحاس في التعريف والإعلام (ص: ١٨٤)، وفي إسناده محمد بن حميد الرازي، ضعفه البخاري، وقال يعقوب بن شيبة: «كثير المناكير»، وضعفه أبو حاتم الرازي والنسائي وغير واحد. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر (٩/ ١٢٧-١٣١).

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنَ اعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتُ اكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَراً ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثُمُرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَراً ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَداً ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّے لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا مُنقَلَباً ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَٰحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِالذِے خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّے وَلَآ اشْرِكُ بِرَبِّيَ أَحَداً ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَداً ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيَ أَنْ يُّوتِيَنِۦ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ﴿٤٠﴾ اوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَباً ﴿٤١﴾ *وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِے لَمُ اشْرِكْ بِرَبِّيَ أَحَداً ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقُباً ﴿٤٤﴾

﴿٣٢﴾ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم﴾ **الضمير**: للكفار الذين قالوا: اطرد فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم؛ أي: مثَل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين. وهما أخَوان من بني إسرائيل، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ورثا مالًا عن أبيهما ، فاشترىٰ الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتىٰ افتقر، فعيَّره الكافر بفقره، فأهلك الله مال الكافر. وروي أن اسم المؤمن تمليخا، واسم الكافر فوطس. **وقيل**: كانا شريكين اقتسما المال، فاشترىٰ أحدهما بماله جنتين، وتصدق الآخر بماله.

﴿٣٣﴾ ﴿اكُلَهَا﴾ بضم الهمزة: اسم المأكول، ويجوز ضم الكاف وإسكانها[1].

﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: لم تَنقُص.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بإسكان الكاف، وقرأ الباقون بضمها.

(٣٤) ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثُمُرٌ﴾ **بضم الثاء والميم**[(١)]: أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة[(٢)]. **وقيل**: هو الذهب والفضة خاصة.

وهو من ثمَّر مالَه: إذا كثَّره، ويجوز إسكان الميم تخفيفًا. **وأما بفتح الثاء والميم**: فهو المأكول من الشجر، ويَحتمل المعنىٰ الآخر.

﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ أي: يراجعه في الكلام.

﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني: الأنصارَ والخدَم.

(٣٥) ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ أفرد الجنة هنا؛ لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين؛ إذ لا يمكن دخولهما معًا في دَفعةٍ واحدة.

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ إما بكفره، أو بمقالته لأخيه؛ فإنها تتضمن الفخر والكِبْر والاحتقار لأخيه.

﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ **يَحتمل أن تكون الإشارة إلىٰ** السماوات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون قائلًا ببقاء هذا الوجود، كافرًا بالآخرة. أو تكون الإشارة إلىٰ جنته، فيكون قوله إفراطًا في الاغترار وقلة التحصيل.

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي: إن كان هذا -علىٰ سبيل الفرض والتقدير، كما يزعم أخي-، لأجدنَّ في الآخرة خيرًا من جنتي في الدنيا. وقرئ ﴿خَيْرًا مِّنْهُمَا﴾ بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد للجنة[(٣)].

﴿مُنقَلَبًا﴾ أي: مرجعًا.

(٣٧) ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافرًا بالله؛ لشكِّه في البعث.

---

(١) قرأ عاصم بفتح الثاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم، وقرأ الباقون بضم الثاء والميم.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٦٠) وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦١) عن قتادة، قال: قرأها ابن عباس: «وكان له ثُمُرٌ» بالضم، وقال: يعني: أنواع المال.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضمير الاثنين، وقرأ الباقون بضمير الواحد.

﴿سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ كما تقول سوَّاك إنسانًا. ويَحتمل أنْ قَصَدَ الرُّجوليَّة علىٰ وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثىٰ.

(٣٧) ﴿لَّٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، والأصل علىٰ هذا: «لكنْ أنا»، ثم أُلقيت حركة الهمزة علىٰ الساكن قبلها وحذفت، ثم أدغمت النون في النون.

وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف، ويتوجه ذلك: بأن تكون «لكن» لحقتها نون الجماعة التي في «خرجنا» و«ضربنا»، ثم أدغمت النون في النون.

(٣٨) ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآيةَ؛ وصيةٌ من المؤمن للكافر، و«لولا» تحضيضٌ.

(٣٩) ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ يَحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة.

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: أمرًا مهلكًا، كالحرِّ والبرد ونحو ذلك.

﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصعيد: وجه الأرض، والزَّلَق: الذي لا يثبت فيه قدم، يعني: أنه تذهب أشجاره ونباته .

(٤٠) ﴿غَوْرًا﴾ أي: غائرًا ذاهبًا، وهو مصدر وصف به.

(٤١) ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ عبارةٌ عن هلاكها[1].

﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ عبارةٌ عن تلهفه وتأسفه وندمه.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يريد: أن السُّقُف وقعت وهي العروش، ثم تهدَّمت الحيطان عليها، فالحيطان علىٰ العروش. وقيل: إن كرومها المعروشة سقطت عروشُها، ثم سقطت الكروم عليها.

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ﴾ قال ذلك علىٰ وجه التمني لـمَّا هلَك بستانه، أو علىٰ وجه التوبة من الشرك.

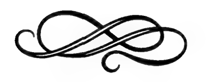
---

(١) في ب: «إهلاكها».

﴿هُنَالِكَ﴾ ظرفٌ يَحتمل أن يكون العامل فيه ﴿مُنتَصِرًا﴾ ، أو يكون في موضع خبر ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾.

﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ بكسر الواو[1]: بمعنى الرياسة والملك، وبفتحها: من الموالاة والمودَّة.

﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: عاقبة.



(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتحها.

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا كَمَآءٍ انزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْاَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴿٤٤﴾ ٱلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا وَالْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ امَلًا ﴿٤٥﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْاَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمُۥ أَحَداً ﴿٤٦﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمُۥ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمُۥ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً ﴿٤٧﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً اِلَّا أَحْصِيٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴿٤٨﴾

﴿٤٤﴾ ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ الباء سببية، **والمعنىٰ**: صار به النبات مختلطًا؛ أي: ملتفًّا بعضه ببعض من شدة تكاثفه.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً﴾ أي: متفتتًا، و﴿أَصْبَحَ﴾ هنا بمعنىٰ «صار».

﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ أي: تفرِّقه، ومعنىٰ المثل: تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائه بعد خضرته.

﴿٤٥﴾ ﴿ٱلْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الآية؛ هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد، وذلك من أدوات البيان. **وقرئ**: «زينتا» بالتثنية[1]؛ لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة؛ لأنها مصدر.

﴿وَالْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» **هذا قول الجمهور**، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ[2]. **وقيل**: الصلوات الخمس. **وقيل**: الأعمال الصالحات على الإطلاق.

(١) لم أقف علىٰ نسبة هذه القراءة، وفي الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥٠٢): «وقرئ شاذًا: (زينتا الحياة)».

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (١٠٦١٧)، والحاكم (١٩٨٥) وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، والطبري (١٥/ ٢٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه أحمد (١١٧١٣)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم (١٨٨٩) وصححه، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وزاد فيه: «ولا حول ولا قوة إلا بالله». وأخرجه أحمد (١٨٣٥٣) من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

﴿٤٦﴾ ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ أي: نحملها، ومنه قوله: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٩٠]، وبعد ذلك تصير هباءً.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: ظاهرةً؛ لزوال الجبال عنها.

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ قال الزمخشري: إنما جاء ﴿حَشَرْنَٰهُمْ﴾ بلفظ الماضي بعد قوله: ﴿نُسَيِّرُ﴾؛ للدلالة علىٰ أن حشْرَهم قبل تسيير الجبال؛ ليُعاينوا تلك الأهوال(١).

﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ أي: لم نتركْ.

﴿٤٧﴾ ﴿صَفًّا﴾ أي: صفوفًا، فهو إفراد تَنزَّل منزلة الجمع، وقد جاء في الحديث: «إن أهل الجنة مئة وعشرون صفًّا، أنتم منها ثمانون صفا»(٢).

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يقال هذا للكفار علىٰ وجه التوبيخ. و﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: حفاةً عراة غُرْلا.

﴿٤٨﴾ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني: صحائف الأعمال، فـ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ اسم جنس.



---

(١) انظر: الكشاف (٩/ ٤٩٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٢٨)، وابن أبي شيبة (٣٢٣٧٣)، والحاكم (٢٧٥) من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، وقال الحاكم: «عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه في أكثر الأقاويل» ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد (٢٢٩٤٠)، والترمذي (٢٥٤٦) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٨٩)، وابن حبان (٧٤٥٩)، والحاكم (٢٧٣) وقال: «علىٰ شرط مسلم» ووافقه الذهبي، من حدث بريدة الأسلمي ﷺ.

*﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُواْ لِأدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ اَلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنَ اَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِے وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِيسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٤٩﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ اَلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ اَلْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴿٥٠﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ اَلذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً ﴿٥١﴾ وَرَءَا اَلْمُجْرِمُونَ اَلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفاً ﴿٥٢﴾

﴿٤٩﴾ ﴿كَانَ مِنَ اَلْجِنِّ﴾ كلام مستأنف، جرىٰ مجرىٰ التعليل لإباية إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع؛ فإن الجن صنف غير الملائكة.

وقد يجيب عن ذلك من قال: إنه كان من الملائكة: بأنَّ ﴿كَانَ﴾ هنا بمعنىٰ «صار»؛ أي: خرج من صنف الملائكة إلىٰ صنف الجن، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن، وهم الذين خُلِقوا من نار.

﴿فَفَسَقَ عَنَ اَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج عما أَمره[1] به، والفسق في اللغة: الخروج.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ هذا توبيخٌ ووعظ، وذرية إبليس: هم الشياطين، واتخاذهم أولياء: بطاعتهم في عصيان الله والكفر به.

﴿٥٠﴾ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ الضمير: للشياطين علىٰ وجه التحقير لهم، أو للكفار، أو لجميع الخلق، فيكون فيه ردٌّ علىٰ المنجِّمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرِّصة.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ اَلْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ أي: مُعِينًا، ومعنىٰ ﴿اَلْمُضِلِّينَ﴾: الذين يُضِلون العباد، وذلك يقوِّي أن المراد الشياطين.

﴿٥١﴾ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ﴾ يقال هذا للكفار علىٰ وجه التوبيخ لهم، وأضاف تعالىٰ الشركاء إلىٰ نفسه علىٰ زعمهم، وقد بيَّن هذا بقوله: ﴿اَلذِينَ زَعَمْتُمْ﴾.

(١) في أ، ب: «أمر».

﴿مَّوْبِقاً﴾ أي: مَهْلكًا، وهو اسم موضع، أو مصدر من: وَبَقَ الرجل: إذا هلَك. **وقد قيل**: إنه وادٍ من أودية جهنم. والضمير في ﴿بَيْنَهُم﴾: للمشركين وشركائهم.

﴿٥٣﴾ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ الظنُّ هنا بمعنى اليقين.

﴿مَصْرِفاً﴾ أي: مَعدِلًا ينصرفون إليه.



وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قِبَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءَايَٰتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٥﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٦﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٧﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٨﴾

﴿٥٣﴾ ﴿جَدَلًا﴾ أي: مخاصمة ومدافعة بالقول، ويقتضي سياق الكلام ذمَّ الجدل. **وسببها فيما قيل**: مجادلة النضر بن الحارث[1]، على أن الإنسان[2] يراد به الجنس.

﴿٥٤﴾ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا﴾ الآية؛ **معناها**: أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة، وهي الإهلاك في الدنيا، أو يأتيهم العذاب؛ يعني: عذاب الآخرة.

ومعنى ﴿قِبَلًا﴾: معاينة. وقرئ بضمتين[3]، وهو جمع قَبيل؛ أي: أنواعًا من العذاب.

﴿٥٥﴾ ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي: يبطلوا.

﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ يعني: العذاب. و«ما»: موصولة، والضمير محذوف تقديره: أنذروه، أو مصدرية.

﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبةٌ على الإعراض المحكيِّ عنهم، أو تعليلٌ له. **والأكنة**: جمع كِنَانٍ وهو الغطاء، **والوَقْرُ**: الصَّمم، وهما على وجه الاستعارة في قلة

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٥/ ٦٢٣) ولم أقف عليه مسندًا.

(٢) في د زيادة: «هنا».

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿قُبُلًا﴾ بضم القاف والباء، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الباء.

فهمهم للقرآن، وعدم استجابتهم للإيمان.

﴿وَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ يراد به: مَن قضىٰ الله أنه لا يؤمن.

(٥٧) ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ الضمير: لكفار قريش، أو لسائر الناس، كقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ [النحل: ٦١]، والجملة خبر المبتدإ، و﴿ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر؛ توطئةً لما ذكر بعدُ من ترك المؤاخذة. ويَحتمل أن يكون ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ هو الخبر، و﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ بيان لمغفرته ورحمته. والأول أظهر.

﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ قيل: هو الموت، وقيل: عذاب الآخرة، وقيل: يوم بدر.

﴿مَوْئِلًا﴾ أي: منجًىٰ، يقال: وأَلَ الرجلُ: إذا نجَا[1].

(٥٨) ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يعني: عادًا وثمودًا وغيرَهم من المتقدمين. والمراد: أهل القرىٰ؛ ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾. وفي ضمن هذا الإخبار تهديدٌ لكفار قريش.

﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلَكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أي: وقتًا معلومًا، والـمُهْلَكُ هنا -بضم الميم وفتح اللام-: اسم مصدر من «أهلك»، فالمصدر علىٰ هذا مضاف للمفعول؛ لأن الفعل متعدٍّ.

وقرئ بفتح الميم[2]، من «هلَك»، فالمصدر علىٰ هذا مضاف للفاعل.



(١) في أ: «أي: ملجأ..لجأ» وهما بمعنىً واحد. تفسير الطبري (١٥/ ٣٠٤)، والكشاف (٩/ ٥٠٣).

(٢) روىٰ حفص عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام، وروىٰ شعبة بفتح الميم واللام، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

﴿٦٠﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ هذا ابتداءُ قصة موسىٰ مع الخَضِر عليهما السلام، وهو موسىٰ بن عمران نبي الله. وقال قوم: هو موسىٰ آخَرُ[1]، وذلك باطل، ردَّه ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، ويدلُّ الحديث علىٰ بطلانه.

وفتاه: هو يُوشَعُ بن نون، وهو ابن أخت موسىٰ، وهو من ذرية يوسف عليه السلام، والفتىٰ هنا: بمعنىٰ الخَدِيم.

وسبب القصة فيما روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: أن موسىٰ عليه السلام خطب يومًا في بني إسرائيل، فقيل له: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحىٰ الله إليه بل[2] عبدنا الخضر، فقال: يا رب دلني علىٰ السبيل إلىٰ لقائه، فأوحىٰ الله إليه أن يحمل حوتًا في مِكْتَل ويسير بطول سِيف البحر حتىٰ يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك، ففعل موسىٰ عليه السلام ذلك حتىٰ لقيه[3].

---

(١) في الحديث التالي.

(٢) في ب، د: «بلىٰ».

(٣) أخرجه البخاري (١٢٢)، (٤٧٢٥)، (٤٧٢٦)، (٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبي بن كعب رضي الله عنه حدثه.

﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ **قال موسىٰ** ﷺ **هذا الكلام وهو سائر؛ أي: لا أبرح** أسير حتىٰ أبلغ مجمع البحرين، فحذف خبر ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ اختصارًا؛ لدلالة المعنىٰ عليه. ومعنىٰ ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ هنا: لا أزال؛ لأن حقيقة «لا أبرح» تقتضي الإقامة في الموضع، وكان موسىٰ ﷺ حين قالها علىٰ سفر لا يريد إقامة. و﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: عند طَنْجَةَ، حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه، وهو بحر الأندلس. **وقيل**: هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق.

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ أي: زمانًا طويلًا، **والحُقب** -بضم القاف وإسكانها-: ثمانون سنة. **وقيل**: زمان غير محدود. **وقيل**: هو جمع حِقْبة، وهي السنة.

﴿٦٠﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾ الضمير في ﴿بَلَغَا﴾ لموسىٰ وفتاه، والضمير في ﴿بَيۡنِهِمَا﴾ للبحرين.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نَسب النسيان إليهما، وإنما كان النسيان من الفتىٰ وحده، كما تقول: فعل بنو فلان كذا: إذا فعله واحد منهم. **وقيل**: نسي الفتىٰ أن يقدِّمه، ونسي موسىٰ ﷺ أن يأمره فيه بشيء.

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾ فاعل ﴿ٱتَّخَذَ﴾: الحوت، **والمعنىٰ**: أنه سار في البحر، **فقيل**: إن الحوت كان ميتًا مملوحًا، ثم صار حيًّا بإذن الله، ووقع في الماء فسار فيه، وقال ابن عباس ﷺ: إنما حَيِيَ الحوت؛ لأنه مسَّه ماءُ عين يقال لها: عين الحياة، ما مست قطُّ شيئًا إلَّا حَيِيَ[1]، وفي الحديث: أن الله أمسك جَرْيَة الماء علىٰ الحوت فصار (عليه مثل الطَّاق -أي: بقي موضع سلوكه في الماء فارغًا من الماء- فصار)[2] مثل السَّرَب[3]، وهو المسلك في جوف الأرض، وذلك معجزة لموسىٰ ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٧). وانظر: الفتح، لابن حجر (٨/ ٤١٥).

(٢) سقط من أ، ب، ج، هـ، وهو مستدرك من النسخ الأخرىٰ، وهو في الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤)، ومسلم (٢٣٨٠).

وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البر سرَبًا حتىٰ وصل إلىٰ البحر، فعامَ علىٰ العادة.

ويردُّ هذا ما ورد في الحديث.

﴿٦١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: جاوزَا الموضع الذي وصف له، وهو الصخرة التي نام عندها، فسار[1] الحوت في البحر بينما كان موسىٰ ﷺ نائمًا، وكان ذهاب الحوت أمارةَ لقائه للخضر، فلما استيقظ موسىٰ أصابه الجوع، فقال لفتاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ .

﴿نَصَباً﴾ أي: تعبًا.

﴿٦٢﴾ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ **قال الزمخشري**: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ هنا بمعنىٰ: أخبرني، **ثم قال: فإن قلت**: ما وجه التئام هذا الكلام؛ فإن كل واحد من ﴿أَرَءَيْتَ﴾ و﴿إِذْ أَوَيْنَآ﴾ و﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ لا متعلَّق له؟

فالجواب: أنه لما طلب موسىٰ ﷺ الحوت ذكر يُوشَع ما رأىٰ منه، وما اعتراه من نسيانه فدُهِشَ، فطَفِق يسأل موسىٰ ﷺ عن سبب ذلك، فكأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلىٰ الصخرة، فإني نسيت الحوت، فحذف بعض الكلام[2].

﴿نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ أي: نسيتُ أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر، فتقديره: نسيتُ ذِكْرَ الحوت.

﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدلٌ من الهاء في ﴿أَنسِىٰنِيهُ﴾، وهو بدل اشتمال.

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَباً﴾ **يحتمل أن يكون هذا من كلام يُوشَع**، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس. أو يكون إخبارًا من الله تعالىٰ، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس، أو اتخذ موسىٰ ﷺ سبيل الحوت عجبًا؛ أي: تعجَّب هو منه.

وإعراب ﴿عَجَباً﴾: مفعول ثان لـ﴿ٱتَّخَذَ﴾، مثل ﴿سَرَباً﴾. وقيل: إن الكلام تمَّ عند قوله: ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ ، ثم ابتدأ التعجُّب فقال: ﴿عَجَباً﴾، وذلك بعيد.

---

(١) في ب، ج، د: «فصار».

(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٥١١-٥١٢).

﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: فقدُ الحوت هو ما كنا نطلب؛ لأنه أمارةٌ علىٰ وِجدان الرجل.

﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: رجعا في طريقهما يقصَّان أثرهما الأول؛ لئلا يخرجا عن الطريق.

﴿٦٤﴾ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ هو الخضر.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً﴾ يعني النبوة علىٰ قول من قال: إن الخضر نبيٌّ. وقيل: إنه ليس بنبيٍّ، ولكنه وليٌّ. وتظهر نبوته من هذه القصة؛ لأنه فعل أشياء لا يعملها إلَّا بوحي. واختُلف أيضًا هل مات أو هو حيٌّ إلىٰ الآن؟ ويذكر كثيرٌ من الصُّلَحاء أنهم يرونه ويكلِّمهم[1].

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ في الحديث: أن موسىٰ ﷺ وجد الخضر مسجًّىٰ بثوبه فقال: السلام عليك، فرفع رأسه وقال: وأنَّىٰ بأرضك السلام؟ ثم قال له: من أنت؟ قال: أنا موسىٰ، قال: موسىٰ بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: ألم يكن لك في بني إسرائيل ما يَشْغَلك عن السفر إلىٰ هنا؟ قال: بلىٰ، ولكني أحببت لقاءك وأن أتعلَّمَ منك، قال: إني علىٰ علمٍ من علم الله علَّمَنِيه لا تعلمه أنت، وأنت علىٰ علمٍ من علم الله علَّمَكهُ لا أعلمه أنا[2].

---

(١) [التعليق ٦٨] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله في تفسير العبد في الآية: «هو الخضر» حقٌّ، وهو متفق عليه بين المفسرين، ودلَّت عليه السنة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين، وذكر المؤلف رحمه الله الخلاف في شأن الخضر في مسألتين: في نبوته، وهل هو حي أو ميت؟ وذكر ما يرجح القول بنبوته، مما ورد في قصته في الآيات، ولا ريب أن القول بنبوته قول قوي، ولكن لا يقطع بذلك.

وأما القول بحياة الخضر فهو قول باطل؛ إذ لا دليل يدل علىٰ بقائه، وما ذكره المؤلف من رؤية بعض الصالحين له فليس مما يعول عليه في إثبات الأمور الغيبية، وهي من دعاوىٰ الصوفية، كما يذكرون أنهم يرون النبي ﷺ يحضر بعض مجالسهم للذكر يقظة لا مناما، والمحققون من أهل العلم علىٰ خلاف هذا القول، أعني ما يدَّعىٰ من حياة الخضر، قالوا: مما يدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾، قالوا: ولو كان الخضر حيًّا لوجب عليه أن يأتي إلىٰ النبي ﷺ ويؤمن به؛ فإنه لا يسعه إلا اتباعه، كما قال النبي ﷺ في موسىٰ عليه السلام: «لو أن موسىٰ ﷺ كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني» رواه أحمد وغيره. وظاهر من سياق كلام المؤلف أنه يميل إلىٰ القول بحياة الخضر؛ لأنه استشهد له ولم يضعفه، عفا الله عنه، وغفر له.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ الآيَةَ؛ مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلَّم منه.

﴿رُشۡدٗا﴾ قرئ: بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما[1]، والمعنىٰ واحد. وانتصَب علىٰ أنه: مفعول ثانٍ بـ﴿تُعَلِّمَنِ﴾، أو حال من الضمير في ﴿أَتَّبِعُكَ﴾.



(١) قرأ أبو عمرو بفتح الراء والشين، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الشين.

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٢﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٣﴾ *قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٥﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٨﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٧٩﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٠﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨١﴾

﴿٧٠﴾ ﴿فَانطَلَقَا﴾ الضمير لموسىٰ والخضر عليهما السلام. وفي الحديث: «أنهما انطلقا ماشيين علىٰ سِيف البحر، حتىٰ مرت بهما سفينة، فعرفها الخضر فحُمِلا فيها بغير نَوْلٍ»[1]؛ أي: بغير أجرة[2].

﴿خَرَقَهَا﴾ روي أن الخضر أزال لوحين من ألواحها[3].

﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيمًا، وقيل: منكرًا.

﴿٧٣﴾ ﴿فَانطَلَقَا﴾ يعني: بعد نزولهما من السفينة، فمرَّا بغِلمان يلعبون، وفيهم غلام وضيءُ الصورة، فاقتلع الخضر رأسه. وقيل: ذبحه. وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في القاموس المحيط من معاني النَّوْلِ: أجرةُ السفينة خاصةً.

(٣) تقدم تخريجه، ولفظه: «فعمَد الخضر إلىٰ لوح من ألواح السفينة فنزعه».

والأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح[١]. وروي أن اسم الغلام جَيْسُور -بالجيم-، **وقيل**: بالحاء المهملة[٢].

قال الزمخشري: إن قلت: لم قال: ﴿خَرَقَهَا﴾ بغير فاء، وقال: ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ بالفاء؟ **فالجواب**: أن ﴿خَرَقَهَا﴾ جواب الشرط، و﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ من جملة الشرط معطوف عليه، والجزاء: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾.

فإن قلت: لم خولف بينهما؟ **فالجواب**: أن خَرْق السفينة لم يتعقَّب الركوب، وقد تعقَّب القتلُ لقاءَ الغلام[٣].

﴿نَفْسًا زَكِيَّةًۢ﴾ **قيل**: إنه كان لم يبلغ ، فمعنىٰ ﴿زَكِيَّةًۢ﴾ ليس له ذنب. **وقيل**: إنه كان بالغًا، ولكنه لم ير له الخضر ذنبًا.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفسًا لم يكن بقتله بأسٌ علىٰ وجه القِصاص، وهذا يدلُّ علىٰ أن الغلام كان بالغًا؛ فإن غير البالغ لا يُقتَل وإن قتل نفسًا.

﴿شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ أي: منكرًا، وهو أبلغ من قوله: ﴿إِمْرًا﴾، ويجوز ضم الكاف وإسكانها[٤].

(٧٤) ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ بزيادة ﴿لَّكَ﴾، فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس في قوله أولًا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾.

(٧٥) ﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة، وإن لم يتقدم لها ذكرٌ، ولكن سياق الكلام يدل عليها.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ أي: قد أَعذرتَ إليَّ، فأنت معذور عندي. وفي الحديث: «**كانت الأولىٰ من موسىٰ نسيانًا**»[٥].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ورد في رواية البخاري (٤٧٢٦).

(٣) انظر: الكشاف (٩/ ٥٢٢).

(٤) قرأ نافع وابن ذكوان عن ابن عامر وشعبة عن عاصم بضم الكاف، وقرأ الباقون بإسكانها.

(٥) تقدم تخريجه.

﴿٧٧﴾ ﴿أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ قيل: هي أنطاكِيَةُ. وقيل: بَرْقَةُ. وقال أبو هريرة ﷺ وغيره: هي بالأندلس[1]، ويُذكَر أنها الجزيرة الخضراء، وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة.

﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ أي: طلبًا منهم طعامًا.

﴿جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يسقط، وإسناد الإرادة إلى الجدار مجاز، ومثل ذلك كثير في كلام العرب، وحقيقته: أنه قارب أن ينقضّ. ووزن ﴿يَنقَضَّ﴾ يَنْفَعِل، وقيل: يَفْعَلّ - بالتشديد- كيَحْمَرّ.

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ قيل: إنه هدمه ثم بناه، وقيل: مَسَحه بيده وأقامه فقام.

﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ أي: قال موسى للخضر: لو شئت لاتخذتَ عليه أجرًا؛ أي: طعامًا نأكله.

﴿٧٨﴾ ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ إنما قال له هذا؛ لأجل شرطه في قوله: ﴿إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ﴾، على أن قوله: ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ ليس بسؤال، ولكن في ضمنه أمرٌ بأخذ الأجرة عليه؛ لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام.

والبَيْنُ هنا: ليس بظرف، وإنما معناه: الوُصْلة والقُرْب. وقال الزمخشري: الأصل: «هذا فراقٌ بينيَ وبينَك» بتنوين «فراق» ونصب «بين» على الظرفية، ثم أضيف المصدر إلى الظرف[2].

والإشارة بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ إلى السؤال الثالث، الذي أوجب الفراق.

﴿٧٩﴾ ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ﴾ قيل: إنهم تجار، ولكنه قال فيهم: «مساكين» على وجه الإشفاق عليهم؛ لكونهم كانوا يُغصَبون سفينتهم، أو لكونهم في لجج البحر. وقيل: كانوا عشرة إخوة، منهم خمسة عاملون بالسفينة، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم.

---

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٥/ ٦٤١)، ولم أقف عليه مسندًا
(٢) انظر: الكشاف (٩/ ٥٣٢).

وقرئ: «مسَّاكين» بتشديد السين[1]؛ أي: يمسكون السفينة.

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ **قيل**: معناه: قدَّامهم، وقرأ ابن عباس ﷺ: «أمامهم»[2]. **وقال ابن عطية**: إن ﴿وَرَآءَهُم﴾ على بابه، ولكن روعي به الزمان، فالوراء هو المستقبل، والأمام هو الماضي[3].

﴿كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ عموم معناه[4] الخصوص في الجياد الصِّحاح من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود ﷺ: «يأخذ كل سفينة صالحة»[5]. **وقيل**: إن اسم هذا الملك هُدَدُ بن بُدَد، وهذا يفتقر إلىٰ نقل صحيح.

وفي الكلام تقديم وتأخير؛ لأن قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مؤخَّرٌ في المعنىٰ عن ذكر غَصْبها؛ لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها، وإنما قُدِّم للعناية به.

(٨٠) ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ روي أنه كان كافرًا، وروي أنه كان يفسد في الأرض[6].

﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ المتكلم بذلك هو الخضر. **وقيل**: إنه من كلام الله، وتأويلُه علىٰ هذا: «فكَرِهنا». **وقال ابن عطية**: إنه من نحو ما وقع في القرآن من «عسىٰ» و«لعل»، وإنما هو في حق المخاطبين[7].

ومعنىٰ: ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰناً وَكُفْراً﴾: يكلِّفهما ذلك، والمعنىٰ: أنْ يحملَهما حبُّه علىٰ اتباعه، أو يَضُرَّ بهما مخالطته[8] مع مخالفته لهما.

---

(١) نسبها أبو حيان إلىٰ علي بن أبي طالب ﷺ. البحر المحيط (١٤/ ٣٤٣)

(٢) تقدم تخريجه في الحديث المتفق عليه.

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٤٧).

(٤) في ج، هـ: «يراد به».

(٥) أخرجها الطبري (١٥/ ٣٥٦). وفي أ: «قرأ ابن عباس»، وهي قراءة ابن عباس -أيضًا- كما في الحديث المتفق عليه المتقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه في الحديث المتفق عليه.

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٤٩).

(٨) في د: «بمخالطته».

﴿٨١﴾ ﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾ أي: غلامًا آخر خيرًا من الغلام المقتول.

﴿زَكَوٰةً﴾ أي: طهارةً وفضيلة في دينه.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: رحمة وشفقة؛ فقيل: المعنىٰ أن يرحمهما، وقيل: يرحمانه.

﴿٨٢﴾ ﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ اليتيم: من فقد أباه قبل البلوغ. وروي أن اسم الغلامين: أَصْرم وصَرِيم، واسم أبيهما: كاشح، وهذا يفتقر إلىٰ صحة نقل.

﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قيل: مال عظيم. وقيل: كان عِلْمًا في صحف مدفونة. والأول أظهر.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ قيل: إنه الأبُ السابع. وظاهر اللفظ: أنه الأقرب.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أسند الإرادة هنا إلىٰ الله؛ لأنها في أمرٍ مُغَيَّب مستأنف لا يَعلم ما يكون منه إلَّا الله، وأسندها الخضرُ إلىٰ نفسه في قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾؛ لأنها لفظة[1] عيب، فتأدَّب بأن لا يُسندَها إلىٰ الله، وذلك كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، فأسند المرض إلىٰ نفسه، والشفاء إلىٰ الله؛ تأدبًا.

واختلف في قوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ هل هو مسند إلىٰ ضمير الخضر أو إلىٰ الله؟

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ هذا[2] دليلٌ علىٰ نبوَّة الخضر؛ لأن المعنىٰ أنه فعل ما فعل بأمر الله؛ أي: بوحْيِه.



(١) في أ، ب: «لفظ».

(٢) في ج: «في هذا».

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِے اِ۬لْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراًۖ ﴿٨٢﴾ اِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِے اِ۬لَارْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَےْءٍ سَبَباً ﴿٨٣﴾ فَاتَّبَعَ سَبَباً حَتَّيٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ اَ۬لشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِے عَيْنٍ حَمِيَّةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماًۖ قُلْنَا يَٰذَا اَ۬لْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناًۖ ﴿٨٤﴾ *قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَيٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَاباً نُّكُراًۖ ﴿٨٥﴾ وَأَمَّا مَنَ ـامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَلَهُۥ جَزَآءُ اُ۬لْحُسْنَيٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنَ اَمْرِنَا يُسْراًۖ ﴿٨٦﴾ ثُمَّ إِتَّبَعَ سَبَباً حَتَّيٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ اَ۬لشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَيٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراًۖ ﴿٨٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدَ اَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراًۖ ﴿٨٨﴾ ثُمَّ إِتَّبَعَ سَبَباً حَتَّيٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ اَ۬لسُّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاًۖ ﴿٨٩﴾ قَالُواْ يَٰذَا اَ۬لْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِے اِ۬لَارْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَيٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدّاًۖ ﴿٩٠﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّے فِيهِ رَبِّے خَيْرٌۖ فَأَعِينُونِے بِقُوَّةٍ اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماًۖ ﴿٩١﴾ ـاتُونِے زُبَرَ اَ۬لْحَدِيدِۖ حَتَّيٰٓ إِذَا سَاوَيٰ بَيْنَ اَ۬لصَّدَفَيْنِ قَالَ اَنفُخُواْۖ حَتَّيٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَاراً قَالَ ءَاتُونِےٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراًۖ ﴿٩٢﴾ فَمَا إِسْطَٰعُوٓاْ أَن يَّظْهَرُوهُ وَمَا إِسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْباًۖ ﴿٩٣﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّےۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّے جَعَلَهُۥ دَكّاًۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّے حَقّاًۖ ﴿٩٤﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِے بَعْضٍۖ وَنُفِخَ فِے اِ۬لصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعاًۖ ﴿٩٥﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضاًۖ ﴿٩٦﴾ اِ۬لذِينَ كَانَتَ اَعْيُنُهُمْ فِے غِطَآءٍ عَن ذِكْرِے وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاًۖ ﴿٩٧﴾

﴿٨٢﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِے اِ۬لْقَرْنَيْنِ﴾ **السائلون**: اليهود، أو قريش بإشارة اليهود. **وذو القرنين**: هو الإسكندرُ الملك، وهو يوناني -وقيل: رومي-، وكان رجلًا صالحًا. **وقيل**: كان نبيًّا. **وقيل**: كان ملَكًا -بفتح اللام-. **والصَّحيح** أنه ملِك -بكسر اللام-.

واختُلف لم سمِّي ذا القرنين؟ فقيل: كان له ضَفِيرتان من شَعرٍ هما قَرْناه، فسمي بذلك. **وقيل**: لأنه بلغ المشرق والمغرب؛ فكأنه حاز قَرْنَي الدنيا.

﴿٨٣﴾ ﴿اِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِے اِ۬لَارْضِ﴾ التمكين له: أنه ملَك الدنيا، ودانت له الملوك كلُّهم.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَےْءٍ سَبَباً﴾ **أي**: علمًا وفهمًا، يَتوصل به إلىٰ معرفة الأشياء. **والسبب**: ما يُتوصل به إلىٰ المقصود من علم، أو قدرة، أو غير ذلك.

(٨٤) ﴿وَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقًا يوصله.

﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرئ بالهمز[١]، على وزن «فَعِلة»؛ أي: ذات حَمْأَةٍ[٢]. وقرئ بالياء، على وزن «فاعلة». وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس ﷺ، فقال ابن عباس ﷺ: «حمئة»، وقال معاوية ﷺ: «حامية»، فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر، فقال: أمَّا العربية فأنتم أعلم بها مني، ولكني أجد في التوارة أنها تغرب في ماء وطين، فوافق ذلك قراءةَ ابن عباس ﷺ[٣].

ومعنى: ﴿حَامِيَةٍ﴾: حارة. ويَحتمل أن يكون بمعنى حمئة، ولكن سهلت همزته، فيتفق معنى القراءتين. وقد قيل: يمكن أن يكون فيها حَمْأَةٌ، وتكون حارَّة لحرارة الشمس، فتكون جامعةً للوصفين، ويجتمع معنى القراءتين.

﴿قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ استدلَّ بهذا من قال: إن ذا القرنين نبي؛ لأن هذا القول وحي. ويَحتمل أن يكون بإلهام، فلا يكون فيه دليل على نبوته.

﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كانوا كفارًا، فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الإسلام، فيحسن إليهم. وقيل: الحُسْن هنا: هو الأَسْر، وجعله حُسْنًا؛ بالنظر إلى القتل.

(٨٥) ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ اختار أن يدعوَهم إلى الإسلام، فمن تمادى على الكفر قتله، ومن أسلم أحسن إليه. والظلم هنا: الكفر، والعذاب: القتل. وأراد بقوله: ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾: عذاب الآخرة.

(٨٦) ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ المراد بالحسنى: الجنة، أو الأعمال الحسنة.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ وعَدَهم بأن ييسِّر عليهم.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم ﴿حَمِئَةٍ﴾ بغير ألف بعد الحاء وبالهمز، وقرأ الباقون ﴿حَامِيَةٍ﴾ بالألف وفتح الياء من غير همز.

(٢) في السان (١/ ٥٤): «الحمأة: الطين الأسود المنتن».

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٧٥) وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٣).

(٨٧) ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ هؤلاء القوم هم الزِّنج، وهم أهل الهند ومن وراءهم. ومعنىٰ: ﴿لَّمْ نَجْعَل﴾ الآيةَ: أنهم ليس لهم بنيان؛ إذ لا تحتمل[1] أرضهم البناءَ، وإنما يدخلون من حرِّ الشمس في أسرابٍ تحت الأرض. **وقال ابن عطية**: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم[2]. **وقيل**: السِّتر: اللباس، فكانوا -علىٰ هذا- لا يلبسون الثياب.

(٨٨) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أَمْرُ ذي القرنين كذلك؛ أي: كما وصفناه؛ تعظيمًا لأمره. **وقيل**: إن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ راجع لما قبله؛ أي: لم نجعل لهم سترًا كما جعلنا لكم من المباني والثياب. **وقيل**: المعنىٰ: وجَد عندها قومًا كذلك؛ أي: مثل القوم الذين وَجد عند مغرب الشمس، وفعل معهم مثل فعله.

(٨٩) ﴿بَيْنَ ٱلسُّدَّيْنِ﴾ أي: بين الجبلين، وهما جبلان في طرف الأرض. **وقرئ** بالضم والفتح[3]، وهما بمعنىٰ. **وقيل**: ما كان من خِلْقة الله فهو مضموم، وما كان من فعل الناس فهو مفتوح.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ قيل: هم التُّرْك.

﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ عبارةٌ عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس، فهم لا يفقهون القول إلَّا بالإشارة أو نحوها.

(٩٠) ﴿يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم، في خِلْقتهم[4] تشويه، منهم مُفْرِط الطول ومفرط القِصَر.

﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إفسادهم: بالقتل والظلم وسائر وجوه الشرِّ. **وقيل**: كانوا يأكلون بني آدم.

---

(١) في ج: «تحمل».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٦٥٧).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم بفتح السين، وقرأ الباقون بضمها.

(٤) في هـ: «خلقهم».

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾ «هل» استفهام في ضمنه عرْضٌ ورغبة. **والخَرْجُ**: الجباية، ويقال فيه: خرَاج، وقد قرئ بهما[1]. فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالًا يقيم بها السُّدَّ.

﴿٩٥﴾ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: ما بسَط الله لي من الملك خير من خرجكم؛ فلا حاجة لي به، ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي.

﴿رَدْماً﴾ أي: حاجزًا حصينًا، والرَّدْم أعظم من السد.

﴿٩٦﴾ ﴿سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي: بين الجبلين.

﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ يريد نفخ الكِير؛ أي: أوقدوا النار على الحديد.

﴿قِطْراً﴾ أي: نحاسًا مذابًا، وقيل: هو الرصاص. وروي أنه حفر الأساس حتىٰ بلغ الماء، ثم جعل البنيان من زُبَرِ الحديد، حتىٰ ملأ به ما بين الجبلين، ثم أفرغ عليه النحاس المذاب[2].

﴿٩٧﴾ ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أصل ﴿ٱسْطَٰعُوٓا۟﴾: استطاعوا، وحذفت التاء تخفيفًا. والضمير في ﴿يَظْهَرُوهُ﴾ للسُّدِّ، ومعنىٰ ﴿يَظْهَرُوهُ﴾: يَعلوه ويَصعَدوا علىٰ ظهره، فالمعنىٰ: أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا علىٰ السدِّ؛ لارتفاعه، ولا يَنقبوه؛ لقوَّته.

﴿٩٨﴾ ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ القائل ذو القرنين، وأشار إلىٰ الرَّدم.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ يعني: القيامةَ.

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أي: مبسوطًا مسوًّىٰ بالأرض.

﴿٩٩﴾ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ الضمير في ﴿تَرَكْنَا﴾ لله عز وجل.

و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَحتمل أن يريد به: يوم القيامة؛ لأنه قد تقدَّم ذكره، فالضمير في قوله:

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿خَرَاجًا﴾ وقرأ الباقون ﴿خَرْجًا﴾.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٣٩٠-٣٩٨) في ضمن أثر طويل عن ابن إسحاق، قال: حدثني من لا أتهم عن وهب بن منبِّه. قال ابن كثير (٥/ ١٩٥): «وقد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا عجيبا في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ما جرىٰ له، وفيه طول وغرابة ونكارة».

﴿بَعْضَهُمْ﴾ -على هذا- لجميع الناس. أو يريد بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم كمال السدِّ، والضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ -على هذا- ليأجوج ومأجوج. والأول أرجح؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، فيتصل الكلام.

و﴿يَمُوجُ﴾ عبارةٌ عن اختلاطهم واضطرابهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ **الصُّور**: هو القرن الذي يُنفَخ فيه يوم القيامة حسَبما جاء في الحديث[1]، يَنفخ فيه إسرافيل نفختين، إحداهما للصَّعق، والأخرىٰ للقيام من القبور.

(٩٦) ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها.

(٩٧) ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ﴾ عبارةٌ عن عمىٰ بصائرهم وقلوبهم، وكذلك ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾.



(١) أخرجه أحمد (٦٥٠٧)، والترمذي (٢٤٣٠) وحسنه، وأبو داود (٤٧٤٢)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٢٥٠)، وابن حبان (٧٣١٢)، والحاكم (٣٦٣١) وصححه ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن عمرٍو ﷺ.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ۝ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ۝ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ۝ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝﴾

(١٠٢) ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء، كما حكىٰ عنهم أنهم يقولون: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤١]. **والعباد هنا**: مَن عُبِد مع الله ممن لا يريد ذلك، كالملائكة وعيسىٰ بن مريم عليه السلام.

﴿أَعۡتَدۡنَا﴾ أي: يسَّرنا.

﴿نُزُلٗا﴾ ما ييسر[1] للضيف والقادم عند نزوله، **والمعنىٰ**: أن جهنم لهم بدل النُّزُل، كما أن الجنة نزلٌ في قوله: ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾. **ويَحتمل** أن يكون النزل موضع النزول.

(١٠٣) ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾ الآية في كفار العرب؛ لقوله: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾. **وقيل**: في الرهبان؛ لأنهم يتعبَّدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم، وهي لا تقبل منهم. وفي قوله: ﴿يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ﴾ تجنيس الخط، وهو الذي يسمىٰ تجنيس التصحيف[2].

---

(١) في أ، هـ: «ما يتيسر»، وفي ب: «تيسر».

(٢) تجنيس التصحيف: هو اتفاق الكلمتين في الخط لا في اللفظ، انظر المقدمة الأولىٰ، الباب العاشر.

(١٠٥) ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي: ليس لهم حسنةٌ توزن؛ لأن أعمالهم قد حبِطت.

(١٠٧) ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هي أعلىٰ الجنة حسَبما ورد في الحديث(١)، ولفظ الفردوس أعجمي معرَّب.

(١٠٨) ﴿حِوَلًا﴾ أي: تحوُّلًا وانتقالًا.

(١٠٩) ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الآيةَ؛ إخبارٌ عن اتِّساع علم الله تعالىٰ. **والكلمات**: هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، **فمعنىٰ الآية**: لو كتب علم الله بمداد البحر لنفِد البحر ولم ينفَدْ علم الله، وكذلك لو جيء ببحر آخَرَ مثلِه؛ وذلك لأن البحر متناهٍ وعلم الله غير متناهٍ(٢).

﴿بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ أي: زيادة، **والمدد**: هو ما يُمَدُّ به الشيء أي: يُكَثَّر.

(١١٠) ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ **إن كان الرجاء هنا علىٰ بابه**: فالمعنىٰ: يرجو حُسْنَ لقاءِ ربه، وأن يلقاه لقاءَ رضًا وقَبولٍ. **وإن كان الرجاء بمعنىٰ الخوف**: فالمعنىٰ: يخاف سوءَ لقاء ربه.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ **يحتمل** أن يريد الشرك بالله، وهو عبادة غيره؛ فيكون راجعًا إلىٰ قوله: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾. أو يريد الرياء؛ لأنه الشرك الأصغر. واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل علىٰ العموم في المعنيين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) [**التعليق ٦٩**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قولُ ابنِ جُزَيٍّ ﷺ: «إخبارٌ عن اتساعِ عِلْمِ الله تعالىٰ ...»، إلخ: أقولُ: هذا صريحٌ بتأويلِ كلامِ اللهِ بعِلْمِهِ؛ فالآيةُ عند المؤلِّفِ إخبارٌ عن سَعَةِ علمِ الله، لا عن دَوَام كَلَامِهِ، وقد بنىٰ هذا التأويلَ علىٰ قولِ الأشاعرةِ في «كلامِ اللهِ»: بأنه معنًىٰ نفسيٌّ غيرُ مسموعٍ منه؛ وذلك في قوله: «والكَلِماتُ: هي المعاني القائمةُ بالنَّفْسِ»، وهذا ظاهرٌ في أنَّ المؤلِّفَ يقرِّرُ القولَ بالمعنىٰ النَّفْسيِّ. وقولُ الأشاعِرةِ في كلامِ اللهِ قولٌ باطِلٌ مناقِضٌ لدَلَالةِ العقلِ والشرعِ؛ فهو - عندهم - معنًىٰ نفسيٌّ ليس بصوتٍ ولا حرفٍ، واحدٌ لا يتعدَّدُ، قديمٌ لا تتعلَّقُ به مشيئةُ اللهِ.

وهذا خلافُ ما عليه أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ مِن السلفِ ومَن تَبِعَهم؛ فكلامُ اللهِ - عند أهلِ السُّنَّة -: كلامٌ مسموعٌ؛ كما سَمِعَ موسىٰ كلامَ اللهِ مِن اللهِ؛ أي: بلا واسطةٍ، وهو متعدِّدٌ، فهو حروفٌ وكلماتٌ، وسُوَرٌ وآياتٌ، وهو سبحانه يتكلَّمُ بما شاء، إذا شاء، كيفَ شاء، متىٰ شاء؛ كما أخبَرَ أنه قالَ ويقولُ، ونادىٰ وينادي؛ كما دلَّت علىٰ ذلك الآياتُ، والله أعلم.

(كمل تفسير سورة الكهف، وبتمامها تمَّ جميع النصف من البقرة من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

يتلوه إن شاء الله تفسير سورة مريم عليها السلام)(١).

---

(١) كذا في ب، وورد في أ هكذا: «كمل الجزء الأول من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، ويتلوه الثاني إن شاء الله، ومن الله أرجو العون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».
وورد في ج هكذا: «كمل تفسير سورة الكهف، والحمد لله، وبتمامها تم السفر الأول، ويتلوه في الثاني إن شاء الله تعالىٰ سورة مريم عليها السلام، وصلىٰ الله علىٰ محمد».
ولم يرد في د، هـ.



سُورَةُ مَرْيَمَ عليها السلام (١)

كٓهيعٓصٓ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآءَ ۝١ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّاً ۝٢ قَالَ رَبِّ إِنِّے وَهَنَ اَ۬لْعَظْمُ مِنِّے وَاشْتَعَلَ اَ۬لرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً ۝٣ وَإِنِّے خِفْتُ اُ۬لْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِے وَكَانَتِ اِ۪مْرَأَتِے عَاقِراً فَهَبْ لِے مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً ۝٤ يَرِثُنِے وَيَرِثُ مِنَ ـالِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ۝٥ *يَٰزَكَرِيَّآءُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ اِ۪سْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيّاً ۝٦ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِے غُلَٰمٌ وَكَانَتِ اِ۪مْرَأَتِے عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ اَ۬لْكِبَرِ عُتِيّاً ۝٧ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ۝٨ قَالَ رَبِّ اِ۪جْعَل لِّيَ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ اَ۬لنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ۝٩ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ اَ۬لْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمُۥ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً ۝١٠ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ اِ۬لْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ اُ۬لْحُكْمَ صَبِيّاً ۝١١ وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيّاً ۝١٢ وَبَرّاً بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً ۝١٣ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ۝١٤

۝١ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قد تكلَّمنا في «البقرة» علىٰ حروف الهجاء. وقيل في هذا: إن الكاف من «كريم» أو «كبير» أو«كافٍ»، والهاء من «هادي»، والياء من «علي»، والعين من «عزيز» أو «عليم»، والصاد من «صادق». وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في دعائه: «يا كهيعص»[٢] فيَحتمل أن تكون الجملة عنده اسمًا من أسماء الله تعالىٰ، أو ينادِي بالأسماء

---

(١) في ب، ج هنا زيادة: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٥١)، والدارمي في النقض علىٰ المريسي (ص ٥٤) (ط: المكتبة الإسلامية)، وابن ماجه في التفسير -كما قال المزي في تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٨٤)- عن فاطمة ابنة علي -وهي فاطمة الصغرىٰ- عنه رضي الله عنه، واختلف في سماع فاطمة من أبيها، انظر: تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٦١)، وجامع التحصيل، للعلائي (٣١٨).

التي اقتُطعت منها هذه الحروف.

﴿ذِكۡرُ﴾ تقديره: هذا ذكر.

﴿عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ وصَفه بالعبودية تشريفًا له، وإعلامًا باختصاصه وتقريبه. ونصب ﴿عَبۡدَهُۥ﴾ على أنه مفعول لـ﴿رَحۡمَتِ﴾؛ فإنها مصدرٌ أُضيف إلى الفاعل، ونَصَب المفعولَ. وقيل: هو مفعول بفعلٍ مضمر، تقديره: رَحِم عبدَه، وعلى هذا يوقف على ما قبله، وهذا ضعيف، وفيه تكلُّفُ الإضمار من غير حاجة إليه، وقطعُ العامل عن العمل بعد تهيئته له.

﴿٣﴾ ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ يعني: دعاه.

﴿نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ أخفاه لأن الله يسمع الخفيَّ كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقربُ إلى الإخلاص، وأبعدُ من الرياء، أو لئلا يلومَه الناس على طلب الولد.

﴿٤﴾ ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ﴾ أي: ضعف.

﴿وَٱشۡتَعَلَ﴾ استعارةٌ للشيب، من اشتعال النار.

﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ أي: قد سعدتُ بدعائي لك فيما تقدَّم، فاستجب لي في هذا، فتوسَّلَ إلى الله بإحسانه القديم إليه.

﴿٥﴾ ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾ يعني: الأقاربَ، قيل: خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل: خاف أن يضيِّعوا الدِّين مِن بعده.

﴿مِن وَرَآءِي﴾ أي: مِن بعدي.

﴿عَاقِرٗا﴾ أي: عقيمًا.

﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ يعني: وارثًا.

﴿٦﴾ ﴿يَرِثُنِي﴾ قيل: يعني وِراثة المال. وقيل: وراثة العلم والنبوة، وهذا أرجح؛ لقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»[1].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٩٩٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه النسائي في الكبرى (٦٢٧٥) أيضا بهذا اللفظ من حديث عمر رضي الله عنه، وهو في الصحيحين من حديث أبي بكر رضي الله عنه بلفظ: «لا نورث، ما تركناه صدقة» أخرجه البخاري (٤٠٣٥)، ومسلم (١٧٥٨).

وكذلك يرثُ من آل يعقوب العلمَ والنبوة، **وقيل**: الملك. **ويعقوب هنا: هو يعقوب بن إسحاق على الأصحّ.**

﴿رَضِيّٗا﴾ أي: مرضيّ[1]، فهو فعيل بمعنى مفعول.

﴿٦﴾ ﴿سَمِيّٗا﴾ يعني مَن سُمِّي باسمه. **وقيل**: مثيلًا ونظيرًا. **والأوَّل أحسن هنا.**

﴿٧﴾ ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ تعجُّبٌ واستبعادٌ أن يكون له ولد مع شيخوخته وعُقْم امرأته، فسأل ذلك أولًا؛ لعلمه بقدرة الله عليه، وتعجَّب منه؛ لأنه نادرٌ في العادة. **وقيل**: سأله وهو في سنٍّ من يرجوه، وأُجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ.

﴿عُتِيّٗا﴾ **قيل**: يُبسًا في الأعضاء والمفاصل. **وقيل**: مبالغةٌ في الكِبَر.

﴿٨﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع رفْعٍ؛ أي: الأمرُ كذلك؛ تصديقًا له فيما ذَكر مِن كِبَره وعُقْم امرأته، وعلى هذا يوقف على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ، ثم يبتدأ: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾. **وقيل**: إن الكاف في موضع نصْبٍ بـ﴿قَالَ﴾ ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى مبهم يفسِّره: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾.

﴿٩﴾ ﴿ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ أي: علامةً على حمل امرأته.

﴿سَوِيّٗا﴾ أي: سليمًا غير أخرس، وانتصابه على الحال من الضمير في ﴿تُكَلِّمَ﴾، **والمعنى**: أنه لا يكلِّمُ الناس مع أنه سليم من الخَرَس. وقيل: إن ﴿سَوِيّٗا﴾ يرجع إلى الليالي؛ أي: مستوياتٍ.

﴿١٠﴾ ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: أشار، **وقيل**: كَتَبه في التراب؛ إذ كان لا يَقدِر على الكلام.

﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ **قيل**: معناه: صلُّوا، والسُّبْحة في اللغة: الصلاة. **وقيل**: قولوا[2]: سبحان الله.

﴿١١﴾ ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾ **التقدير**: قال الله ليحيى بعد وِلادته: يا يحيى.

﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: التوراة.

﴿بِقُوَّةٖۖ﴾ أي: في العلم به، والعمل به.

---

(١) في د: «مرضيًّا».

(٢) في أ، ب: «قوله».

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قيل: الحكمُ: معرفة الأحكام. وقيل: الحكمة. وقيل: النبوَّة.

﴿١٣﴾ ﴿وَحَنَانًا﴾ قيل: معناه: رحمةً. وقال ابن عباس: لا أدري ما الحنان![1]

﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي: طهارةً. وقيل: ثناءً، كما يزكِّي الشاهدُ.



(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٤٧٧) عن عكرمة عن ابن عباس ﵄.

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٥﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٦﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢٠﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢١﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴿٢٢﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٣﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٤﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٥﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٦﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٧﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٨﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢٩﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣٠﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣١﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٢﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٣﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٤﴾ وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٥﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٦﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٧﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾

﴿١٥﴾ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والكتاب: القرآن.

﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي: اعتزلت منهم، وانفردت.

﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: إلىٰ جهة الشرق[1]، ولذلك يصلِّي النصارىٰ إلىٰ المشرق.

---

(١) في ب: «المشرق».

(١٦) ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني: جبريل عليه السلام. وقيل: عيسىٰ عليه السلام. والأوَّل هو الصحيح؛ لأن جبريل هو الذي تمثَّل لها باتفاق.

(١٧) ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ لما رأت الملَك الذي تمثَّل لها في صورة البشر قد دخل عليها؛ خافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه: إن كنت ممن يتقي الله فابعُد عني؛ فإني أعوذ بالله منك. وقيل: إن ﴿تَقِيًّا﴾ اسم رجل معروف بالشرِّ عندهم، وهذا ضعيف بعيد.

(١٨) ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ الغلام الزكيُّ: هو عيسىٰ عليه السلام.

وقرئ: ﴿لِيَهَبَ﴾ بالياء[1]، والفاعل فيه هو ضمير الربِّ سبحانه وتعالىٰ. وقرئ بهمزة المتكلم، وهو جبريل عليه السلام، وإنما نسب الهبة إلىٰ نفسه لأنه هو الذي أرسله الله بها، أو يكون قال ذلك حكايةً عن الله تعالىٰ.

(١٩) ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغيُّ: هي المرأة المجاهرة بالزنا، ووزن بغيٍّ: فَعُول.

(٢٠) ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً﴾ الضمير للولد، واللام تتعلَّق بمحذوف تقديره: لنجعله آيةً فعَلْنا ذلك.

(٢١) ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: في بطنها، وكانت مدة حملها ثمانيةَ أشهر. وقال ابن عباس رضي الله عنهما[2]: حملته ووَلدته من ساعته[3].

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيدًا، وإنما بعُدت حياءً من قومها أن يظنوا بها الشرَّ.

(٢٢) ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ معناه: ألجأها، وهو منقول مِن «جاء» بهمزة التعدية.

﴿الْمَخَاضُ﴾ أي: النِّفاس.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ رُوي أنها احتضنت الجذع؛ لشدة وجع النفاس.

---

(١) قرأ أبو عمرو وورش عن نافع وقالون بخلف عنه: ﴿لِيَهَبَ﴾ بالياء، وقرأ الباقون وهو الوجه الثاني لقالون: ﴿لأهبَ﴾ بالهمز.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/ ٤٩٧)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٢). قال ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٢٢): «وهذا غريب».

(٣) في أ: «ساعة».

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ﴾ إنما تمنَّت الموت خوفًا من إنكار قومها، وظنِّهم بها الشرَّ، ووقوعِهم في ذمِّها، وتمني الموت جائزٌ في مثل هذا، وليس هذا من تمني الموت لضرٍّ نزل بالبدن؛ فإنه منهيٌّ عنه.

﴿وَكُنتُ نِسْياً﴾ النِّسْيُ: الشيء الحقير الذي لا يُوبَه له[١]، ويقال بفتح النون وكسرها[٢].

﴿٢٣﴾ ﴿فَنَادِيٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ قرئ «من» بفتح الميم وكسرها[٣]، وقد اختُلف على كلتا القراءتين: هل هو جبريل أو عيسى ﷺ؟ وعلى أنه جبريل: قيل: إنه كان تحتها كالقابلة، وقيل: كان في مكانٍ أسفلَ من مكانها.

﴿أَلاَّ تَحْزَنِي﴾ تفسيرٌ للنداء، فـ«أنْ» مفسِّرة.

﴿سَرِيّاً﴾ يعني: جدولًا، وهو ساقيةٌ من ماء كان قريبًا من جذع النخلة، وروي أن النبي ﷺ فسَّره بذلك[٤]. وقيل: يعني عيسى ﷺ؛ فإن السَّرِيَّ الرجلُ الكريم.

﴿٢٤﴾ ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ كان جذعًا يابسًا، فخلق الله فيه الرُّطَب؛ كرامةً لها وتأنيسًا. وقد استدلَّ بعض الناس بهذه الآية أن الإنسان ينبغي له أن يتسبَّب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهزِّ النخلة. والباء في ﴿بِجِذْعِ﴾ زائدة، كقوله: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٤].

﴿تَسَٰقَطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾ الفاعل بـ﴿تَسَٰقَطْ﴾ النخلة. وقرئ بالياء[٥]؛ والفاعل -على ذلك- الجذع. و﴿رُطَباً﴾ تمييز. والجنيُّ معناه: الذي طاب وصلح لأن يُجتنَى.

---

(١) في ج، د، هـ: «به».

(٢) قرأ حمزة وحفص عن عاصم بفتح النون، وقرأ الباقون بكسرها.

(٣) قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿مِن تحتِها﴾ بكسر الميم وخفض التاء، وقرأ الباقون ﴿مَن تحتَها﴾ بفتح الميم ونصب التاء.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٩) من حديث البراء مرفوعًا، وضعفه الهيثمي في المجمع (٧/ ١٤٩). وروي موقوفًا عن البراء، وهو أصح، أخرجه الطبري (١٥/ ٥٠٦)، والحاكم (٣٤١٣) وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٣٤٦) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٢٤)، والهيثمي في المجمع (٧/ ١٤٩).

(٥) هي قراءة الأعمش ويعقوب ﴿يَسَّاقَطْ﴾. المحرر الوجيز (٦/ ٢٣).

﴿٢٥﴾ ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ أي: كلي من الرطب، واشربي من ماء الجدول، وهو السَّرِي.

﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي: طيبي نفسًا بما فعل[1] الله لك من وِلادة نبي كريم، أو من تيسير المأكول والمشروب.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ هي «إنْ» الشرطية دخلت عليها «ما» الزائدة للتأكيد، و ﴿تَرَيِنَّ﴾ فعل خوطبت به المرأة، ودخلت عليه النون الثقيلة؛ للتأكيد.

﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتًا عن الكلام. وقيل: تعني: الصيام؛ لأن مِن شرطه في شريعتهم الصمت. وإنما أُمِرت بالصمت؛ صيانةً لها عن الكلام مع المتَّهِمين لها، و[2]لأن عيسىٰ تكلَّم عنها. وإخبارها[3] بأنها نذرت الصمت[4] كان بهذا الكلام. وقيل: بالإشارة. ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت.

﴿٢٦﴾ ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾ لما رأت الآيات علِمت أن الله سيبين عذرها، فجاءت به من المكان القَصيِّ إلىٰ قومها.

﴿شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي: شنيعًا، وهو من الفِرية.

﴿٢٧﴾ ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ كان هارون عابدًا من[5] بني إسرائيل، شُبِّهت به مريم في كثرة العبادة؛ فقيل لها: أخته، بمعنىٰ: أنها تشبهه. وقيل: كان أخاها من أبيها، وكان رجلًا صالحًا. وقيل: هو هارون النبي أخو موسىٰ عليه السلام، وكانت من ذريته، فـ«أخت» علىٰ هذا كقولك: «أخو بني فلان»؛ أي: واحد منهم. ولا يتصوَّر علىٰ هذا القول أن تكون أختَه من النسب حقيقةً؛ فإن بين زمانهما دهرًا طويلًا.

﴿٢٨﴾ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلىٰ ولدها ليتكلم، وصمتت هي كما أُمرت.

---

(١) في ج، د: «جعل».

(٢) في د: «أو».

(٣) في ب، هـ: «فإخبارها».

(٤) في هـ: «الصوم».

(٥) في د هـ: «في».

﴿كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ «كان» بمعنىٰ: يكون، والمهد: هو المعروف. وقيل: المهد هنا: حجرها.

(٢٩) ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: الإنجيل، أو التوراة والإنجيل.

(٣٠) ﴿مُبَارَكًا﴾ من البركة. وقيل: نفَّاع. وقيل: معلِّمٌ للخير. واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ هما المشروعتان. وقيل: الصلاة هنا: الدعاء، والزكاة: التطهير من العيوب.

(٣١) ﴿وَبَرًّا﴾ معطوف علىٰ ﴿مُبَارَكًا﴾، روي أن عيسىٰ ﵇ تكلم بهذا الكلام وهو في المهد، ثم عاد إلىٰ حالة الأطفال، علىٰ عادة البشر. وفي كلامه هذا ردٌّ علىٰ النصارىٰ؛ لأنه اعترف أنه عبد الله، وردٌّ علىٰ اليهود؛ لقوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

(٣٢) ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا؛ لتقدُّم السلام المنكَّر في قصة يحيىٰ ﵇، فهو كقولك: رأيت رجلًا فأكرمت الرجل. وقال الزمخشري: الصحيح أن هذا التعريف تعريضٌ بلعنة من اتَّهم مريم؛ كأنه قال: السلام كلُّه عليَّ لا عليكم، بل عليكم ضدُّه[1].

(٣٣) ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ بالرفع[2]: خبر مبتدأ تقديره: هذا قول الحق، أو بدلٌ، أو خبرٌ بعد خبر. وبالنصب: منصوب علىٰ المدح بفعل مضمر، أو علىٰ المصدرية من معنىٰ الكلام المتقدِّم.

﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يختلفون؛ فهو من المراء. أو: يشكُّون؛ فهو من المِرية. والضمير لليهود والنصارىٰ.

(٣٥) ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي﴾ من كلام عيسىٰ ﵇. وقرئ بفتح الهمزة[3]: تقديره: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه. وبكسرها: لابتداء الكلام. وقيل: هو من كلام النبي ﷺ، والمعنىٰ: يا محمد! قل لهم: ذلك عيسىٰ بن مريم، وإن الله ربي وربكم. والأوَّل أظهر.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ١٧).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم بنصب اللام، وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.

(٣٦) ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ هذا ابتداءُ إخبارٍ، والأحزاب: اليهود والنصارىٰ؛ لأنهم اختلفوا في أمر عيسىٰ اختلافًا شديدًا، فكذَّبه اليهود وعبده النصارىٰ، والحقُّ خلاف أقوالهم كلِّها.

﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ معناه: من تلقائهم، ومن أنفسهم، وأن الاختلاف لم يخرج عنهم.

﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: يومَ القيامة.

(٣٧) ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي: ما أَسمعَهم وما أبصرَهم يوم القيامة! علىٰ أنهم في الدنيا في ضلال مبين.

(٣٨) ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يومُ يؤتىٰ بالموت في صورة كبش فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت[1]. وقيل: هو يوم القيامة. وانتصاب ﴿يَوْمَ﴾ علىٰ المفعولية، لا علىٰ الظرفية.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يعني: في الدنيا، فهو متعلِّق[2] بقوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، أو بـ﴿أَنذِرْهُمْ﴾.



(١) بهذا ورد تفسيره في الحديث، أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) في ب، هـ: «يتعلق».

*﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50)﴾

(41) ﴿صِدِّيقًا﴾ بناءُ مبالغةٍ من الصدق، أو من التصديق، ووصفه بأنه صدِّيقٌ قبل الوحي، نبيٌّ بعدَه. ويَحتمل أنْ جَمع[1] الوصفين.

(42) ﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ يعني: الأصنام.

(43) ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أي: قويمًا.

(46) ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قيل: يعني: الرجم بالحجارة. وقيل: الشتم.

﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي: حينًا طويلًا، وعطف ﴿اهْجُرْنِي﴾ على محذوف، تقديره: احذر رجمي لك.

(47) ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ هو وداعٌ ومفارقة. وقيل: مسالمة، لا تحية؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ وعدٌ، وهو الذي أُشير إليه في قوله: ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة: 115]. قال ابن عطية: معناه: سأدعو الله أن يهديَك فيغفرَ لك بإيمانك؛ وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز[2]. وقيل: وعده أن يستغفر له مع كفره؛ ولعلَّه كان لم يعلم أن الله لا يغفر

(1) في ج زيادة «بين».
(2) انظر: المحرر الوجيز (6/ 39).

للكفار حتىٰ أعلمه الله بذلك، ويقوِّي هذا القول قوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٧]، ومِثْل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك»[١].

﴿حَفِيًّا﴾ أي: بارًّا متلطِّفًا.

﴿٤٨﴾ ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تعبدون.

﴿٤٩﴾ ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه عليهما السلام، وهبهما الله عوضًا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم.

﴿٥٠﴾ ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ النبوَّة. وقيل: المال والولد. واللفظ أعم من ذلك.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يعني: الثناءَ الباقيَ عليهم إلىٰ آخر الدهر.



(١) تقدم تخريجه.

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيئاً ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيئاً ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيئاً ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيئاً ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيئِينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَآءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمُ ءَايَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴿٥٨﴾ *فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اَضَاعُواْ الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَاتِيّاً ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴿٦٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴿٦٥﴾

﴿٥١﴾ ﴿مُخْلِصاً﴾ **بكسر اللام**[1]: أي: أخلص نفسه وأعماله لله. **وبفتحها**: أي: أخلصه الله للنبوَّة والتقريب.

﴿وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيئاً﴾ النبي أعم من الرسول؛ لأن النبيَّ كل مَن أَوحىٰ الله إليه، ولا يكون رسولًا حتىٰ يرسله الله إلىٰ الناس مع النبوة، فكل رسول نبيٌّ، وليس كل نبي رسولًا.

﴿٥٢﴾ ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ هو تكليم الله له. ﴿الطُّورِ﴾ هو الجبل المشهور بالشام.

﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكان علىٰ يمين موسىٰ ﷺ حين وقف عليه. **ويَحتمل أن يكون** من اليُمْن.

﴿نَجِيّاً﴾ **النجيُّ**: فعيل، وهو المنفرد بالمناجاة. **وقيل**: هو من النجاة. **والأول أصحُّ**.

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام، وقرأ الباقون بكسرها.

﴿٥٣﴾ ﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ «من»: سببية، أو للتبعيض. و﴿أَخَاهُ﴾ : على الأول: مفعول، وعلى الثاني: بدل.

﴿٥٤﴾ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ روي أنه وعد رجلًا إلى مكان، فانتظره فيه سنة(١). وقيل: الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبح في قوله: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وهذا على قول من قال: إن الذبيح هو إسماعيل.

﴿٥٦﴾ ﴿إِدْرِيسَ﴾ هو أول نبيٍّ بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من خط بالقلم، ونظر في علم النجوم، وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح عليه السلام.

﴿٥٧﴾ ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: رفعه الله إلى السماء، وهناك مات، وفي حديث الإسراء: أنه في السماء الرابعة(٢). وقيل: يعني: رِفعةَ النبوة وتشريفَ منزلته. والأول أشهر، ويرجِّحه الحديث.

﴿٥٨﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى كل مَن ذكر في هذه السورة، من زكرياءَ إلى إدريس عليهم السلام.

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّۧنَ﴾ «مِن» هنا للبيان، والتي بعدها للتبعيض.

﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يعني: نوحًا وإدريس عليهما السلام.

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني: إبراهيم عليه السلام.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يعني: إسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.

﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني: أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكريا ويحيى عليهم السلام.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يَحتمل العطفَ على «مِن» الأولى، أو الثانية.

﴿وَبُكِيًّا﴾ جمع باكٍ، ووزنه فُعُول.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١١) عن سفيان الثوري بلاغًا. وأخرجه الطبري (١٥/ ٥٦١) عن سهل بن عقيل أنه انتظره يوما وليلة. قال ابن عطية (٦/ ٤٣): «روي أنه وعد رجلا أن يلقاه في موضع، فجاء إسماعيل وانتظر الرجل يومه وليلته، فلما كان في اليوم الآخر جاء الرجل، فقال له: ما زلت هنا في انتظارك منذ أمس، وفي كتاب ابن سلام: أنه انتظره سنة، وهذا بعيد غير صحيح، والأول أصح».

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) عن أنس رضي الله عنه.

﴿٥٩﴾ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ يقال في عَقِب الخير: خلَف -بفتح اللام-، وفي عقب الشر: خلْف -بالسكون- وهو المعنيُّ هنا. واختُلف فيمن المراد بذلك؟ فقيل: النصارىٰ؛ لأنهم خلَفوا اليهود. وقيل: كلُّ من كفر وعصىٰ مِن بعد بني إسرائيل.

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قيل: تركوها، وقيل: أخرجوها عن أوقاتها.

﴿يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ الغيُّ: الخسران. وقد يكون بمعنىٰ الضلال؛ فيكون علىٰ حذف مضاف تقديره: يلقون جزاء غيٍّ.

﴿٦٠﴾ ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ استثناءٌ يَحتمل الاتصالَ والانقطاع.

﴿٦١﴾ ﴿بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ أي: أخبرَهم من ذلك[1] بما غاب عنهم.

﴿مَأۡتِيًّا﴾ وزنه مفعول؛ فقيل: إنه بمعنىٰ فاعل؛ لأن الوعد هو الذي يأتي. وقيل: إنه علىٰ بابه؛ لأن الوعد هو الجنة، وهم يأتونها.

﴿٦٢﴾ ﴿لَغۡوًا﴾ يعني: ساقطَ الكلام.

﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناءٌ منقطع.

﴿بُكۡرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل: المعنىٰ: أن زمانهم يُقدَّر بالأيام والليالي؛ إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل. وقيل: المعنىٰ: أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه، وعبَّر عن ذلك بالبُكرة والعشيِّ؛ علىٰ عادة الناس في أكلهم[2].

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ فقال له: «أبطأتَ عني واشتقتُ إليك»، فقال: «إني كنت أشْوَقَ، ولكني عبدٌ مأمور؛ إذا بُعثت نزلت وإذا حُبست احتَبست»، ونزلت هذه الآية[3].

---

(١) في ب، ج: «بذلك».

(٢) في هـ: «في كلامهم».

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤) عن عكرمة. وأخرجه البخاري (٣٢١٨) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟»، قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا﴾ الآية.

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: له ما قُدَّامنا وما خلفنا، وما نحن فيها[1] من الجهات والأماكن؛ فليس لنا الانتقال من مكان إلىٰ مكان إلَّا بأمر الله. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ : الدنيا إلىٰ النفخة الأولىٰ في الصور، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما بين النفختين.

وقيل: ما مضىٰ من أعمارنا، وما بقي منها، والحالُ التي نحن فيها. والأول أكثر مناسبةً لسبب الآية.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فعيل من النسيان بمعنىٰ الذُّهول. وقيل: بمعنىٰ الترك. والأوَّل أظهر.

﴿٦٥﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: مثيلًا ونظيرًا، فهو من المسامي والمضاهي. وقيل: مَن يُسمَّىٰ باسمه؛ لأنه لم يتسمَّ بالله غيره تعالىٰ.



(١) في ج، هـ: «فيه».

وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴿٧٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٦﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٧﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٨﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٩﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٨٠﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨١﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨٢﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٣﴾

﴿٦٦﴾ ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ هذه حكايةُ قولِ مَن أنكر البعث من القبور. **والإنسان هنا**: جنس يراد به الكفار.

وقيل: إن القائل لذلك أبيُّ بن خلف، وقيل: أمية بن خلف. والهمزة التي دخلت على ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ للإنكار والاستبعاد. واللام في قوله: ﴿لَسَوْفَ﴾ سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى[1].

والإخراج يراد به: البعث.

﴿٦٧﴾ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاجٌ على صحة البعث، وردٌّ على من أنكره؛ لأن النشأة الأولى دليلٌ على الثانية.

---

(١) قال في المحرر الوجيز (٦/ ٥٣): «واللام في قوله: ﴿لَسَوْفَ﴾ مجلوبةٌ على الحكاية لكلام مُعلِم بهذا المعنى، كأنَّ قائلًا قال للكافر: إذا متَّ يا فلان لسوف تخرج حيًّا، فقرَّره الكافرُ على الكلام على جهة الاستبعاد، وكرَّر الكلام حكايةً للقول الأول».

(٦٨) ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني: قُرَناءَهم من الشياطين الذين أضلُّوهم. **والواو**: للعطف، أو بمعنىٰ «مع»؛ فيكون ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ مفعولًا معه.

﴿جِثِيًّا﴾ جمع جاثٍ، ووزنه فُعُول، من قولك: جثا الرجل: إذا جلس جِلسة الذليل الخائف.

(٦٩) ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ **الشيعة**: الطائفة من الناس التي تتفق علىٰ مذهبٍ، أو اتِّباعِ إنسان. ومعنىٰ **الآية**: أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها، فيقدِّمه إلىٰ النار. **وقال بعضهم**: المعنىٰ: نبدأ بالأكبر جُرْمًا فالأكبر جُرمًا.

﴿أَيُّهُمْ﴾ **اختُلف في إعرابه**: **فقال سيبويه**: هو[1] مبنيٌّ علىٰ الضم؛ لأنه حُذِف العائدُ عليه من الصِّلة -وكان التقدير: «أيّهم هو أشدُّ»- فوجب البناء. **وقال الخليل**: هو مرفوع علىٰ الحكاية، تقديره: الذي يقال له أشدُّ[2]. **وقال يونس**: عُلِّق عنها الفعل، وارتفعت بالابتداء[3].

(٧٠) ﴿أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ **الصُّلِيُّ**: مصدرُ: صَلِيَ النارَ، ومعنىٰ **الآية**: أن الله يعلم من هو أولىٰ بأن يُصلَىٰ العذابَ.

(٧١) ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ **خطابٌ لجميع الناس عند الجمهور**. فأما المؤمنون فيدخلونها، ولكنها تَخمُد فلا تضرُّهم، **فالورود علىٰ هذا بمعنىٰ**[4]: الدخول، كقوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، و﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨].

وقيل: الورود بمعنىٰ القدوم عليها، كقوله: ﴿وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، **والمراد بذلك**: جواز الصراط. **وقيل: الخطاب للكفار**؛ فلا إشكال.

---

(١) موصول بمعنىٰ: الذي. الدر المصون، للسمين الحلبي (٧/ ٦٢١).

(٢) أعربها الخليل علىٰ أنها -﴿أيُّهم﴾- مبتدأ، و﴿أشدُّ﴾ خبره، وهي استفهامية، والجملة محكية بقولٍ مقدَّر، والتقدير: «لننزعن من كل شيعةٍ المقولِ فيه: أيُّهم أشدُّ». الدر المصون، للسمين الحلبي (٧/ ٦٢١).

(٣) فهي عنده في الأصل في محلِّ نصب بـ«ننزعنَّ»، إلا أنها عَلَّقت الفعلَ، فارتفعت بالابتداء وما بعدها خبرها كقول الخليل، ومذهب يونس أنه يجوِّز التعليق في سائر الأفعال، ولا يخصُّه بأفعال القلوب كما يخصه الجمهور. الدر المصون، للسمين الحلبي (٧/ ٦٢١-٦٢٢).

(٤) في أ، ب، هـ: «المعنىٰ».

﴿حَتْماً﴾ أي: أمرًا لا بدَّ منه.

(٧٢) ﴿ثُمَّ نُنَجِّي اِ۬لذِينَ اَ۪تَّقَواْ﴾ إن كان الورود بمعنى الدخول: فنجاة الذين اتقوا بكون النارِ عليهم بردًا وسلامًا، ثم بالخروج منها. وإن كان بمعنى المرور على الصراط: فنجاتهم بالجواز، والسلامة من الوقوع فيها.

(٧٣) ﴿أَيُّ اُ۬لْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً﴾ الفريقان: هم المؤمنون والكفار. والمقام: اسم مكان مِن قام. وقرئ بالضم[1]؛ من أقام. والنديُّ: المجلس.

ومعنى الآية: أن الكفار قالوا للمؤمنين: نحن خير منكم مقامًا؛ أي: أحسن حالًا في الدنيا، وأجمل مجلسًا؛ فنحن أكرم على الله منكم.

(٧٤) ﴿وَكَمَ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ ﴿كَمْ﴾ مفعول بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾. ومعنى الآية: ردٌّ على الكفار في قولهم المذكور؛ أي: ليس حُسْن الحال في الدنيا دليلًا على الكرامة عند الله؛ لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالًا منكم في الدنيا.

﴿هُمُۥٓ أَحْسَنُ﴾ قال الزمخشري: هذه الجملة في موضع نصب صفة لـ﴿كَمْ﴾[2].

﴿أَثَٰثاً﴾ أي: متاع البيت. وقال ابن عطية: هو اسمٌ عام في المال؛ العينِ والعَرْض[3] والحيوان[4]. وهو اسم جمع. وقيل: هو جمع، واحده أَثاثةٌ.

﴿وَرِءْياً﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء، معناه: منظر حسن، وهو من الرؤية، والرِّئْي: اسم المرئي. وقرئ بتشديد الياء من غير همز[5]، وهو تخفيف من الهمز، فالمعنى متفِقٌ. وقيل: هو من رِيِّ الشارب؛ أي: التنعُّم بالمشارب والمآكل.

---

(١) قرأ ابن كثير بضم الميم، والباقون بفتحها.

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٨٣).

(٣) في د: «والعُروض».

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٦٠).

(٥) قرأ قالون عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿وريًّا﴾ بتشديد الياء من غير همز، وقرأ الباقون ﴿ورِئْيًا﴾.

وقرأ ابن عباس: «زِيًّا» بالزاي[1].

﴿٧٥﴾ ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ أي: يمهله ويُملي له، واختُلف هل هذا الفعل دعاءٌ، أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيدًا؟

﴿٧٥﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا: غايةٌ للمدِّ في الضَّلال.

﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: عذابَ الدنيا.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ في مقابلة قولهم: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

﴿٧٦﴾ ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ ذُكر في «الكهف»[2].

﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: مرجعًا وعاقبة.

﴿٧٧﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل.

﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ كان قد قال: لئن بُعثتُ كما يزعم محمد ليكوننَّ لي هناك مال وولد[3].

﴿٧٨﴾ ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ الهمزة للإنكار، والردِّ علىٰ العاصي في قوله.

﴿٧٩﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ له عن كلامه.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنما جعله مستقبَلًا؛ لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل.

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نزيد له فيه.

﴿٨٠﴾ ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي: نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة، وهي المال والولد.

ووِراثتُها: هي بأن يَهلِك العاصي ويتركَها، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو رضي الله عنهما.

---

(١) ذكرها مكي في الهداية (٧/ ٤٥٨٠)، وابن عطية في تفسيره (٦/ ٦٢) بدون إسناد، وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٥٠٢): «وروىٰ سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس: ﴿هم أحسن أثاثا وزيا﴾ بالزاي».

(٢) انظر تفسير الآية (٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥) عن خباب رضي الله عنه.

﴿وَيَاتِينَا فَرْداً﴾ أي: بلا مال، ولا ولد، ولا ولي، ولا نصير.

(٨٢) ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ **قيل**: إن الضمير في ﴿يَكْفُرُونَ﴾ للكفار، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للمعبودين، فالمعنىٰ كقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٤].

وقيل: إن الضمير في ﴿يَكْفُرُونَ﴾ للمعبودين، وفي ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ للكفار، فالمعنىٰ كقولهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ معناه: يكون لهم خلاف ما أمَّلوه منهم، فيصير العزُّ الذي أمَّلوه ذِلةً. **وقيل**: معناه: أعداءً.



أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴿٨٤﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً ﴿٨٥﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْداً ﴿٨٦﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً ﴿٨٧﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْداً ﴿٨٨﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَداً ﴿٨٩﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدّاً ﴿٩٠﴾ يَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدّاً ﴿٩١﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَداً ﴿٩٢﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً ﴿٩٣﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْداً ﴿٩٤﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً ﴿٩٥﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْداً ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدّاً ﴿٩٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْماً لُّدّاً ﴿٩٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴿٩٩﴾

﴿٨٤﴾ ﴿أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ تضمَّن معنىٰ: «سلَّطنا»، ولذلك تعدَّىٰ بـ«علىٰ».

﴿تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ أي: تُزعجهم إلىٰ الكفر والمعاصي.

﴿٨٥﴾ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تستبطئ عذابَهم وتطلب تعجيلَه.

﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً﴾ أي: نعدُّ مدَّة بقائهم في الدنيا. وقيل: نعدُّ أنفاسهم.

﴿٨٦﴾ ﴿وَفْداً﴾ قيل: معناه: ركبانٌ[1]، ومعنىٰ الوفد لغة: القادمون، وعادتهم الركوب؛ فلذلك قيل ذلك. وقيل: مُكْرمون؛ لأن العادة إكرام الوفود.

﴿٨٧﴾ ﴿وِرْداً﴾ معناه: عطاشٌ[2]؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلَّا للعطش.

﴿٨٨﴾ ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ الضمير يَحتمل أن يكون للكفار، والمعنىٰ: لا يملكون أن يُشفع لهم، ويكون ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ استثناءً منقطعًا، بمعنىٰ «لكن».

---

(١) في د: «ركبانًا».

(٢) في د: «عطاشًا».

أو يكون الضمير للمتقين، فالاستثناء متصل، والمعنىٰ: لا يملكون أن يَشفعوا إلَّا لمن اتخذ عهدًا، أو لا يملكون أن يَشفع منهم إلَّا من اتخذ عهدًا.

أو يكون الضمير للفريقين؛ إذ قد ذُكِروا قبل ذلك؛ فالاستثناء -أيضًا- متصل، و﴿مَنِ مَنِ إتَّخَذَ﴾: يَحتمل أن يراد به الشافع، أو المشفوع له.

﴿عَهْداً﴾ يريد به: الإيمانَ والأعمال الصالحة. ويَحتمل أن يريد به: الإذن في الشفاعة، وهذا أرجح؛ لقوله: ﴿لاَّ تَنفَعُ اُلشَّفَٰعَةُ إِلاَّ مَنَ اَذِنَ لَهُ اُلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٦]. والظاهر أن ذلك إشارةٌ إلىٰ شفاعة محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها، ويقول غيره من الأنبياء: «نفسي نفسي»[١].

﴿٩٠﴾ ﴿شَيْئاً اِدّاً﴾ أي: شنيعًا[٢] صعبًا.

﴿٩١﴾ ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ أي: يتشقَّقنَ من قول الكفار: اتخذ الله ولدًا.

﴿هَدّاً﴾ أي: انهدامًا.

﴿٩٢﴾ ﴿اَن دَعَوْا﴾ أي: من أجل أن دعوا للرحمن وَلَدًا. وقرئ ﴿وُلْداً﴾ بضم الواو وإسكان اللام[٣]، وهي لغة.

﴿٩٤﴾ ﴿اِن كُلُّ مَن فِے اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ﴾ ردٌّ علىٰ مقالة الكفار، والمعنىٰ: أن الكل عبيده؛ فكيف يكون أحد منهم ولدًا له؟! و﴿اِن﴾ نافية، و﴿كُلُّ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿ءَاتِے اِلرَّحْمَٰنِ﴾.

﴿٩٧﴾ ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ اُلرَّحْمَٰنُ وُدّاً﴾ هو المحبة والقَبول الذي يجعله الله في القلوب لمن شاء من عباده. وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ[٤].

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) في هـ: «شيئًا».

(٣) قرأ حمزة والكسائي بضم الواو وإسكان اللام، وقرأ الباقون بفتح الواو واللام.

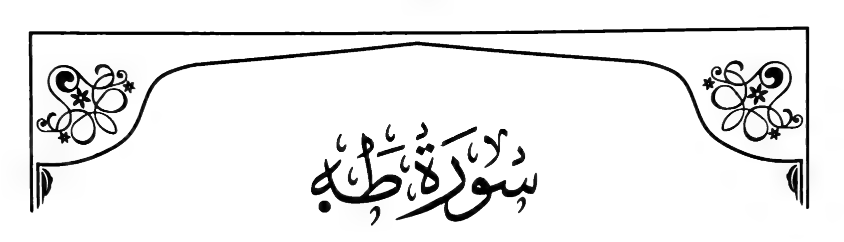
(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٤٨)، والكبير (١٢/ ١٢٢) عن ابن عباس ﷺ، وإسناده ضعيف كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ١٥١).

﴿٩٧﴾ ﴿يَسَّرْنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن، و﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك.

﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ جمع أَلَدَّ، وهو الشديد الخصومة والمجادلة، والمراد بذلك: قريش. وقيل: معناه: فُجَّارًا.

﴿٩٨﴾ ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ هو الصوت الخفي، والمعنى: أنهم لم يَبق منهم أثرٌ، وفي ذلك تهديد لقريش.





سورة طه

طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝

قيل في ﴿طه﴾: إنه من أسماء النبي ﷺ. **وقيل**: معناه: يا رجل. وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول «**البقرة**».

(١) ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ **قيل**: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورَّمت قدماه، فنزلت الآية؛ تخفيفًا عنه[1]، **فالشَّقاء على هذا**: إفراطُ التعب في العبادة.

(١) أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن علي ﷺ، كما في الدر المنثور (١٠/ ١٤١)، وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢/ ٣٤٨).

وقيل: المراد به: التأسُّف على كفر الكفار. واللفظ عام في ذلك كله، والمعنى: أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة؛ لأنه أنزل[١] عليه القرآن الذي هو سبب السعادة.

﴿٣﴾ ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ نصْبٌ على الاستثناء المنقطع. وأجاز ابن عطية أن يكون بدلًا من موضع ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ ؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله[٢]، ومنع ذلك الزمخشري؛ لاختلاف الجنسين[٣]. ويصح أن ينصب بفعل مضمر تقديره: أنزلناه تذكرةً.

﴿٤﴾ ﴿تَنزِيلًا﴾ نصبٌ على المصدرية، والعامل فيه: مضمر، أو ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾. وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾، ثم رجع إلى الغَيبة في قوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ الآيةَ، وذلك هو الالتفات.

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ جمع عُلْيا.

﴿٥﴾ ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ تكلَّمنا عليه في «الأعراف»[٤].

﴿٦﴾ ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾ هو في اللغة: التراب الندِيْ، والمراد به هنا: الأرض.

﴿٧﴾ ﴿وَإِن تَجْهَرْ﴾ مطابقة هذا الشرط لجوابه: كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السرَّ وأخفى.

﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ السرُّ: الكلام الخفيُّ، والأخفى: ما في النفس. وقيل: السر: ما في نفوس البشر، والأخفى: ما انفرد الله بعلمه.

﴿٨﴾ ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تكلَّمنا عليها في «الأعراف»[٥].

﴿٩﴾ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ لفظه استفهام، والمراد به: التنبيه.

---

(١) في ج: «نزل».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٧٩).

(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ١٢٤).

(٤) انظر تفسير الآية (٥٣).

(٥) انظر تفسير الآية (١٨٠).

﴿٩﴾ ﴿إِذْ رَءَا﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ : ﴿حَدِيثُ﴾ ؛ لأن فيه معنىٰ الفعل. وكان من قصة موسىٰ ﷺ: أنه رحَل بأهله من مدين يريد مصر، فسار بالليل واحتاج إلىٰ نار، فقدحه بزَنْدِه[١] فلم ينقدح، فرأىٰ نارًا فقصد إليها فناداه الله، وأرسله إلىٰ فرعون.

﴿ءَانَسْتُ نَاراً﴾ أي: رأيت.

﴿بِقَبَسٍ﴾ هو الجذوة من النار تكون علىٰ رأس العود والقصبة ونحوها.

﴿أَوَ اَجِدُ عَلَى اَلنَّارِ هُدىً﴾ يعني: هدىٰ إلىٰ الطريق من دليل أو غيره.

﴿١١﴾ ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أُمر بخلع نعليه؛ لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأُمر بخلع النجاسة. واختار ابن عطية: أن يكون أُمر بخلعهما ليتأدبَ، ويعظِّمَ البقعة المباركة، ويتواضعَ في مقام مناجاة الله[٢]، وهذا أحسن.

﴿بِالْوَادِ اِلْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهَّر.

﴿طُوىً﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه اسم للوادي[٣]، وإعرابه علىٰ هذا: بدل، ويجوز تنوينه؛ علىٰ أنه مكان، وتركُ صرفِه؛ علىٰ أنه بقعة.

والثاني: أن معناه: مرتين، فإعرابه علىٰ هذا: مصدر؛ أي: قُدِّس الوادي مرةً بعد مرة، أو نُودي موسىٰ مرةً بعد مرة.

﴿١٣﴾ ﴿وَأَقِمِ اِلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيَ﴾ قيل: المعنىٰ: لتذْكُرني فيها. وقيل: لأذكركَ بها. فالمصدر علىٰ الأول: مضاف للمفعول. وعلىٰ الثاني: مضاف للفاعل. وقيل: معنىٰ ﴿لِذِكْرِيَ﴾: عند ذكري، كقوله : ﴿أَقِمِ اِلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ اِلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: عند دلوك الشمس، وهذا أرجح؛ لأن النبي ﷺ استدل بالآية علىٰ وجوب الصلاة علىٰ الناسي إذا ذكرها[٤].

---

(١) في ج: «بزناده».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٨٢).

(٣) في ب: «الوادي».

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٧) ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾»، وأخرجه مسلم (٦٨٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

﴿١٥﴾ ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ اضطرب الناس في معناه: فقيل: ﴿أُخْفِيهَا﴾ بمعنى أُظهِرها، وأخفيت - على هذا- من الأضداد. وقال ابن عطية: هذا قول مختلٌّ[1]؛ وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالألف، من الإخفاء، وخفَى بغير ألف بمعنى: أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال: «أَخفيها» بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك في الشاذ[2].

وقال الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أَخفى بمعنى خفَى[3]؛ أي: أظهر، فلا يكون هذا القول مختلًّا على هذه اللغة.

وقيل: ﴿أَكَادُ﴾ بمعنى «أريد»، فالمعنى: أريد إخفاءها. وقيل: المعنى ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ﴾، وتمَّ هنا الكلام، بمعنى: أكاد أُنفِذها؛ لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال: ﴿أُخْفِيهَا﴾. وقيل: المعنى: أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم؟! وهذه الأقوال ضعيفة.

وإنما الصحيح أن المعنى: أن الله أَبْهم وقت الساعة فلم يُطْلِع عليه أحدًا[4]؛ حتى إنه كاد أن يُخفيَ وقوعَها؛ لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها؛ إذ أخبر بوقوعها، فالإخفاء على معناه المعروف في اللغة، و«كاد» على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه، وهذا المعنى هو اختيار المحققين.

﴿لِتُجْزَىٰ﴾ يتعلَّق بـ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ أي: بما تعمل.

﴿١٦﴾ ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ الضمير للساعة، أي: لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها. وقيل: الضمير للصلاة، وهو بعيد. والخطاب لموسى عليه السلام. وقيل: لمحمد ﷺ، وذلك بعيد.

﴿فَتَرْدَىٰ﴾ معناه: تَهلِك، والرَّدى: هو الهلاك، وهذا الفعل منصوب في جواب: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٨٥).

(٢) قرأ بها أبو الدرداء رضي الله عنه والحسن وابن جبير ومجاهد. البحر المحيط (١٥/ ٢٧).

(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ١٤٧).

(٤) في ب، هـ: «أحدٌ».

(١٦) ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا مِن قلبها حيةً، فمعنىٰ السؤال: تقرير علىٰ أنها عصا؛ ليتبينَ له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها، وبعد أن يقلبها.

وقيل: إنما سأله ليؤنسه ويَبسُطَه بالكلام.

(١٧) ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ معناه: أضرب بها الشجر؛ لينتثر[1] الورق للغنم.

﴿مَـَٔارِبُ﴾ أي: حوائجُ.

(١٩) ﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ أي: تمشي.

(٢٠) ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: أنها لما أخذها عادت كما كانت أول مرة. وانتصب ﴿سِيرَتَهَا﴾ علىٰ أنه: ظرف، أو مفعول بإسقاط حرف الجر.

(٢١) ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ **الجناح هنا**: الجنب؛ أي: تحت الإبط، وهو استعارة من جناح الطائر.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ روي أن يده خرجت وهي بيضاء كالشمس[2].

﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يريد من غير بَرص ولا عاهة.

(٢٣) ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَىٰ﴾ **يحتمل أن تكون** ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾: مفعولَ ﴿لِنُرِيَكَ﴾ ، وأن تكون صفةً للآيات. ويختلف المعنىٰ علىٰ ذلك.



---

(١) في ج: «لينتشر».

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦/ ٩٠) ولم أقف عليه مسندًا.

قَالَ رَبِّ اِشْرَحْ لِي صَدْرِے ﴿٢٤﴾ وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِے ﴿٢٥﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِے ﴿٢٦﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِے ﴿٢٧﴾ وَاجْعَل لِّے وَزِيراً مِّنَ اَهْلِے ﴿٢٨﴾ هَٰرُونَ أَخِے ﴿٢٩﴾ اَشْدُدْ بِهِۦ أَزْرِے ﴿٣٠﴾ وَأَشْرِكْهُ فِے أَمْرِے ﴿٣١﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ﴿٣٢﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴿٣٣﴾ اِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ﴿٣٤﴾ *قَالَ قَدُ اُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً اُخْرَىٰ ﴿٣٦﴾ إِذَ اَوْحَيْنَا إِلَىٰ اُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٧﴾ أَنِ اِقْذِفِيهِ فِے اِلتَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِے اِلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ اِلْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاخُذْهُ عَدُوٌّ لِّے وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّے ﴿٣٨﴾ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيَ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِے اُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَّكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰ اُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ اَلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِے أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيَ اِذْهَبَ اَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِے وَلَا تَنِيَا فِے ذِكْرِيَ ﴿٤١﴾ اِذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٢﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٣﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَّفْرُطَ عَلَيْنَا أَوَ اَنْ يَّطْغَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِے مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٥﴾ فَاتِيَٰهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِے إِسْرَآءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ اِتَّبَعَ اَلْهُدَىٰ ﴿٤٦﴾ إِنَّا قَدُ اُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ اَلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٧﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبُّنَا اَلذِے أَعْطَىٰ كُلَّ شَےْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ فَمَا بَالُ اُلْقُرُونِ اِلُاولَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّے فِے كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّے وَلَا يَنسَى ﴿٥١﴾ اَلذِے جَعَلَ لَكُمُ اُلَارْضَ مِهَٰداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ اَلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ أَزْوَٰجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٢﴾ كُلُواْ وَارْعَوْاْ اَنْعَٰمَكُمُۥ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِے اِلنُّهَىٰ ﴿٥٣﴾ *مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً اُخْرَىٰ ﴿٥٤﴾

﴿٢٤﴾ ﴿اِشْرَحْ لِي صَدْرِے﴾ **إن قيل:** لم قال ﴿اِشْرَحْ لِي﴾ ﴿وَيَسِّرْ لِيَ﴾، مع أن المعنى يصحُّ دون قوله: «لي»؟ **فالجواب:** أن ذلك تأكيدٌ وتحقيقٌ للرغبة.

﴿٢٦﴾ ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِے﴾ **العُقْدة:** هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في فيه[1]

(١) في د، هـ: «فمه».

وهو صغير، حين أراد فرعون أن يجرِّبه[1]. وإنما قال: ﴿عُقۡدَةٗ﴾ بالتنكير؛ لأنه طلب حلَّ بعضها؛ ليفقهوا قوله، ولم يطلب الفصاحة الكاملة.

﴿٢٩﴾ ﴿وَزِيرٗا﴾ أي: مُعينًا، وإعراب ﴿هَٰرُونَ﴾ : بدلٌ، أو مفعولٌ أول.

﴿٣١﴾ ﴿أَزۡرِي﴾ أي: ظهري، والمراد: القوة، ومنه: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: قوَّاه.

﴿٣٦﴾ ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾ أي: قد أعطيناك كلَّ ما طلبت من الأشياء المذكورة.

﴿٣٨﴾ ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ يحتمل أن يكون: وحيَ كلام بواسطة ملَك، أو وحيَ إلهام، كقوله: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨].

﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ إبهامٌ، يراد به تعظيم الأمر.

﴿٣٩﴾ ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ **الضمير الأول**: لموسىٰ ﵇، **والثاني**: للتابوت، أو لموسىٰ ﵇. **واليَمُّ**: البحر، والمراد به هنا: النيل. وكان فرعون قد ذُكر له أن هلاكه وخراب مُلكه علىٰ يدي غلامٍ من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولدٍ ذكَر يولد لهم، فأوحىٰ الله إلىٰ أمِّ موسىٰ أن تُلقيَه في التابوت وتُلقيَ التابوتَ في البحر، ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يُشرِف علىٰ النيل، فرأىٰ التابوت فأَمر به فسِيق إليه، وامرأته معه[2]، ففُتح فأشفقت عليه امرأته، وطلبت أن تتخذه ولدًا فأباح لها ذلك.

﴿يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥ﴾ هو فرعون.

﴿مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ أي: أحببتك. **وقيل**: أراد: محبة الناس فيه؛ إذ كان لا يراه أحدٌ إلَّا أحبَّه. **وقيل**: أراد: محبةَ امرأة فرعون ورحمتَها له. وقوله: ﴿مِّنِّي﴾ **يحتمل**: أن يتعلَّق بقوله: ﴿أَلۡقَيۡتُ﴾ ، أو يكون صفةً لـ﴿مَحَبَّةٗ﴾ فيتعلَّق بمحذوف[3].

﴿٣٩﴾ ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ أي: تُربَّىٰ ويُحسَن إليك بمرأىٰ مني وحفظٍ[4].

---

(١) في ج: «يذبحه».

(٢) في ج: «حوله».

(٣) قال في الكشاف (١٠/ ١٧٠): «وإما أن يتعلق بمحذوفٍ هو صفة لـ﴿محبةً﴾؛ أي: محبةً حاصلةً أو واقعةً مني».

(٤) [**التعليق ٧٠**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قولُهُ: «تُرَبَّىٰ ويُحْسَنُ إليك»: أقولُ: هذا صحيح؛ وهو الذي يقتضيه السياق، وتدُلُّ عليه الجملة؛ فقوله: «تُرَبَّىٰ»، هو معنىٰ «تُصْنَع». =

والعامل في ﴿لِتُصْنَعَ﴾ محذوفٌ.

﴿٤٠﴾ ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾: ﴿تُصْنَعَ﴾، أو ﴿أَلْقَيْتُ﴾، أو فعل مضمر تقديره: ومننًا عليك.

﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة، فطلبوا له مرضعة، فقالت أخته ذلك؛ ليُردَّ إلىٰ أمِّه.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني: القبطيَّ الذي وكزه فقضىٰ عليه.

﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعني: الخوف من أن يُطلَب بثأر المقتول.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ أي: اختبرناك اختبارًا حتىٰ ظهر منك أنك تصلح للنبوة والرسالة. وقيل: خلَّصناك من محنة بعد محنة؛ لأنه خلَّصه من الذبح، ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل. والفتون يَحتمل أن يكون: مصدرًا، أو جمع فتنة.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ يعني: الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب.

﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: بميقات محدود قدَّره الله[1] لنبوتك.

﴿٤١﴾ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ عبارةٌ عن الكرامة والتقريب؛ أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني[2].

= وقولُهُ: «بمَرْأىً منِّي»، يدلُّ له قولُهُ تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾؛ فدلَّت الآيةُ علىٰ إثباتِ العَيْنِ لله بلا كيفٍ؛ كما تفيدُهُ الإضافةُ، وعلىٰ أنَّ اللهَ يَرَىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وذِكْرُ الرؤيةِ يقتضي الحفظَ مِن كلِّ شَرّ.

ولم يتعرَّضِ المؤلِّف لإثباتِ العَيْنِ أو نَفْيِها؛ فلعلَّهُ آثَرَ الإمساكَ علىٰ طريقةِ أهلِ التفويضِ مِن النفاةِ لحقائقِ الصفات؛ وهو الغالِبُ عليه ﷺ في هذا الكتاب؛ كما تقدَّم، والله أعلم.

(١) في ب: «وقدرة الله».

(٢) [التعليق ٧١] قال الشيخ عبد الرحمن البرّاك: قولُهُ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾: «عبارةٌ عن الكرامةِ والتقريبِ ...»، إلخ: صحيحٌ.

وقولُهُ: «عبارةٌ»: أقولُ: أي: الاصطناعُ: عبارةٌ عن الكرامةِ والتقريبِ؛ أي: معناه الكرامةُ والتقريبُ؛ فـ﴿اصْطَنَعْتُكَ﴾ - كما قال المؤلِّف -: أي: استخلَصْتُكَ وجَعَلْتُكَ مَوضِعَ صنيعتي وإحساني.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿لِنَفْسِى﴾؛ أي: جعلتُكَ مِن خاصَّتي؛ كقولِه تعالىٰ عن المَلِكِ: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾؛ يعني: يُوسُفَ، ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف: ٥٤].

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ أي: لا تضعفا ولا تُقصِّرا، والونَىٰ: هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها.

﴿٤٤﴾ ﴿أَن يَفْرُطَ﴾ أي: يَعْجل بالشرِّ.

﴿٤٦﴾ ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ﴾ أي: سرِّحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسىٰ عليه السلام إلىٰ فرعون بالإيمان بالله، وبتسريح بني إسرائيل.

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ كان يعذبهم بذبح أبنائهم، وتسخيرِهم في خدمته، وإذلالهم.

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ يعني: قلْبَ العصا حية، وإخراجَ اليد بيضاءَ، وإنما وحَّدها وهما آيتان؛ لأنه أراد إقامة البرهان، وهو معنىٰ واحدٌ.

﴿وَالسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰٓ﴾ يَحتمل أن يريد: التحية، أو السلامة.

﴿٤٨﴾ ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ أفرد موسىٰ عليه السلام بالنداء بعد جمعه مع أخيه عليه السلام؛ لأنه الأصل في النبوة، وأخوه تابع له.

﴿٤٩﴾ ﴿الَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ المعنىٰ: أن الله أعطىٰ خلْقَه كلَّ شيء يحتاجون إليه، فـ﴿خَلْقَهُۥ﴾ علىٰ هذا بمعنىٰ[1] المخلوقين، وإعرابه: مفعول أول، و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ : مفعول ثان. وقيل: المعنىٰ: أعطىٰ كل شيء خِلْقته وصورته؛ أي: أكمل ذلك وأتقنه، فالخلق علىٰ هذا بمعنىٰ: الخِلقة، وإعرابه: مفعول ثان، و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مفعول أول. والمعنىٰ الأول أحسن.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: هدىٰ خَلقه إلىٰ التوصُّل لما أعطاهم، وعلَّمهم كيف ينتفعون به.

﴿٥٠﴾ ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ يَحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولىٰ: محاجَّةً ومناقضة لموسىٰ عليه السلام؛ أي: ما بالها لم تبعث كما يزعم موسىٰ؟ أو ما بالها لم تكن علىٰ دين موسىٰ؟ أو ما بالها كذَّبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسىٰ في قوله: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾. ويَحتمل أن يكون قال ذلك قطعًا للكلام الأول، ورَوَغانًا عنه وحَيْدةً؛ لـمَّا رأىٰ أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسىٰ عليه السلام عن الكلام في شأنها، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ ، ثم عاد إلىٰ وصف الله؛ رجوعًا إلىٰ الكلام الأول.

---

(١) في أ، ب: «علىٰ هذا المعنىٰ».

(٥٢) ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوحَ المحفوظ.

(٥٣) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي: فراشًا. وانظر كيف وصف موسىٰ عليه السلام ربَّه تعالىٰ بأوصاف لا يمكن فرعونَ أن يتَّصف بها، لا علىٰ وجه الحقيقة ولا علىٰ وجه المجاز، ولو قال له: هو القادر أو الرازق أو شبهَ ذلك؛ لأمكن فرعون أن يغالطَ[1] ويدعيَ ذلك لنفسه.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: أنهج[2] لكم فيها طرقًا[3] تمشون فيها.

﴿وَأَخْرَجْنَا﴾ يَحتمل أن يكون من كلام موسىٰ عليه السلام، علىٰ تقدير: يقول الله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجْنَا﴾. ويَحتمل أن يكون كلامُ موسىٰ تمَّ عند قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، ثم ابتدأ كلام الله.

﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: أصنافًا مختلفة.

(٥٤) ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ المعنىٰ: أنها تصلح لأن تُؤكل وتَرعاها الأنعام، وعبَّر عن ذلك بصيغة الأمر؛ لأنه أذن في ذلك، فكأنه أمر به.

﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ أي: العقول، واحدها نُهْية.

(٥٥) ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الضمير للأرض، يريد: خِلْقَةَ[4] آدم من تراب.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني: بالدفن عند الموت.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني: عند البعث.



(١) في ج، د: «يغالطه».
(٢) في ج، د: «نهج»، وهما بمعنىٰ واحد.
(٣) في ب، ج، د: «طريقًا».
(٤) في ج: «خلْقَهُ».

وَلَقَدَ اَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٥﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنَ اَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٦﴾ فَلَنَاتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَاناً سِوىً ﴿٥٧﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ اُلزِّينَةِ وَأَن يُّحْشَرَ اَلنَّاسُ ضُحىً ﴿٥٨﴾ فَتَوَلّيٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٥٩﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ اِفْتَرَىٰ ﴿٦٠﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ اُلنَّجْوَىٰ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُّخْرِجَٰكُم مِّنَ اَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ اُلْمُثْلَىٰ ﴿٦٢﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ اِيتُواْ صَفّاً وَقَدَ اَفْلَحَ اَلْيَوْمَ مَنِ اِسْتَعْلَىٰ ﴿٦٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنَ اَلْقَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالَ بَلَ اَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمُۥٓ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٥﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٦﴾ قُلْنَا لَا تَخَفِ اِنَّكَ أَنتَ اَلَاعْلَىٰ ﴿٦٧﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ اُلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٨﴾ فَأُلْقِيَ اَلسَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٦٩﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنَ اٰذَنَ لَكُمُۥٓ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ اُلذِي عَلَّمَكُمُ اُلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ اِلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَىٰ ﴿٧٠﴾ *قَالُواْ لَن نُّوثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ اَلْبَيِّنَٰتِ وَالذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ اِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ اِلْحَيَوٰةَ اَلدُّنْيَآ ﴿٧١﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ اَلسِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٢﴾ إِنَّهُۥ مَن يَّاتِ رَبَّهُۥ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٣﴾ وَمَن يَّاتِهِۦ مُومِناً قَدْ عَمِلَ اَلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ اُلدَّرَجَٰتُ اُلْعُلَىٰ ﴿٧٤﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا اَلَانْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٥﴾

﴿٥٥﴾ ﴿اَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني: الآيات التي رآها فرعون، وهي تسع آيات، وليس يريد جميع آيات الله على العموم؛ فالإضافة في قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ تجري مجرى التعريف بالعهد؛ أي: آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفًا لها.

﴿٥٧﴾ ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً﴾ يحتمل أن يكون الموعد: اسمَ مصدر، أو اسم زمان، أو اسم مكان. ويدلُّ على أنه اسم مكان: قوله: ﴿مَكَاناً سِوىً﴾ ، ولكن يَضْعف بقوله:

﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾؛ لأنه أجاب بظرف الزمان. ويدلُّ علىٰ أن الموعد اسمُ زمان: قوله: ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ ، ولكن يضعف بقوله: ﴿مَكَانًا سِوًى﴾. ويدلُّ علىٰ أنه اسم مصدر بمعنىٰ الوعد: قوله: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾؛ لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد، لا الزمان ولا المكان، ولكن يضعف ذلك بقوله: ﴿مَكَانًا﴾ وبقوله: ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾. فلا بدَّ علىٰ كل وجه من تأويل، أو إضمار.

ويَختلف إعراب[1] قوله : ﴿مَكَانًا﴾ باختلاف تلك الوجوه:

فأمَّا إن كان الموعد اسم مكان: فيكون قوله: ﴿مَوْعِدًا﴾ و ﴿مَكَانًا﴾ مفعولين لقوله[2]: ﴿اجْعَلْ﴾، ويطابقه قوله: ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ من طريق المعنىٰ، لا من اللفظ، وذلك أن[3] الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورةً.

وإن كان الموعد اسم زمان: فينتصب قوله: ﴿مَكَانًا﴾ علىٰ أنه ظرف مكان، والتقدير: موعدًا كائنًا في مكان.

وإن كان الموعد اسم مصدر: فينتصب ﴿مَكَانًا﴾ علىٰ أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد، أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله: ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ علىٰ حذف مضاف تقديره: موعدكم وعْدُ يوم الزينة[4].

وقرأ الحسن: «يومَ الزينة» بالنصب[5]، وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقديرِ محذوفٍ.

﴿مَكَانًا سِوًى﴾ معناه: مستوٍ في القرب منا ومنكم، وقيل: معناه: مستوٍ في الأرض[6]، ليس

---

(١) سقطت من أ، ب، هـ.

(٢) في ب: «بقوله».

(٣) في ب: «لأن».

(٤) انظر: الكشاف (١٠/ ١٩١).

(٥) المحرر الوجيز (٦/ ١٠٤).

(٦) في أ: «مستوي الأرض».

فيه انخفاض ولا ارتفاع. وقرئ بكسر السين وضمها[(١)]، والمعنى متَّفق.

﴿٥٨﴾ ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يوم عيدٍ لهم. وقيل: يوم عاشوراء.

﴿وَأَن يُحْشَرَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلزِّينَةِ﴾، فهو في موضع خفض. أو عطف على اليوم، فهو في موضع رفع. وقصَد موسى ﷺ أن يكون موعدُهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد؛ لتظهر معجزته ويتبيَّن الحقُّ للناس.

﴿٦٠﴾ ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ معناه: يُهلِككم، ويقال: سَحَت وأَسحت، وقد قرئ بفتح الياء وضمها[(٢)]، والمعنى متفق.

﴿٦٢﴾ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قرئ: ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ﴾ بالياء[(٣)]، ولا إشكال في ذلك. وقرئ بتخفيف ﴿إِنَّ﴾، وهي مخفَّفة من الثقيلة، وارتفع بعدها ﴿هَٰذَٰنِ﴾ بالابتداء.

وأما[(٤)] قراءة نافع وغيره بتشديد ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿هَٰذَٰنِ﴾: فقيل: ﴿إِنَّ﴾ هنا بمعنى: «نَعَمْ»، فلا تَنصِب، ومنه ما روي في الحديث: «إنَّ الحمدُ لله» بالرفع[(٥)]. وقيل: اسم ﴿إِنَّ﴾ ضمير الأمر والشأن، تقديره: إنَّ الأمرَ، و﴿هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر ﴿إِنَّ﴾. وقيل: جاء القرآن في هذه الآية بلغة بني الحارث بن كعب، وهي إبقاء التثنية بالألف في حال النصب والخفض[(٦)].

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتحهما.

(٣) قرأ أبو عمرو ﴿إنَّ هذينِ﴾، وقرأ حفص عن عاصم: ﴿إنْ هذانِ﴾ بتخفيف ﴿إنْ﴾ وكذلك ابن كثير إلا أنه شدد النون من ﴿هذانِّ﴾، وقرأ الباقون ﴿إنَّ هذانِ﴾ بتشديد ﴿إنَّ﴾ ورفع ما بعدها.

(٤) في أ، ب زيادة: «على».

(٥) أخرجه أبو جعفر النحاس بإسناده في إعراب القرآن (٣/ ٣١)، وفي إسناده عمرو بن جميع الكوفي، وهو متروك متهم بالوضع. ميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ٢٥١).

(٦) لشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ رسالةٌ بيَّن فيها أن إلزامَ اسمِ الإشارة المثنَّى الألفَ في الرفع والنصب والخفض على البناء: هي اللغة الفصيحة المعروفة، وهي لغةُ قريش الذين نزل القرآن بلغتهم، بل ولغة سائر العرب، وليست لغةَ بني الحارث بن كعب فحسْب الذين هم أهل نجران، واختار هذا التوجيه في الآية، وقال: «إنه لم يثبت أنه لغةُ قريش، بل ولا لغة سائر العرب؛ أنهم ينطقون في الأسماء المبهمة إذا ثُنِّيَتْ بالياء»، وانظر كلامه في مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٤٨) وما بعدها.

وقالت عائشة ﵂: **هذا مما لحن فيه كُتَّاب**[١] **المصحف**[٢].

﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ أي: يذهبا[٣] بسيرتكم الحسنة.

﴿٦٤﴾ ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي: اعزموا، وأنفذوه.

﴿٦٦﴾ ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ استدلَّ بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييلٌ لا حقيقةٌ. **وقال بعضهم**: إنَّ حيلةَ السَّحَرة في سعي الحبال والعصيِّ هي أنهم حشَوْها بالزِّئْبِق، وأوقدوا تحتها نارًا، وغطَّوا النار؛ لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيَّهم. **وقيل**: جعلوها للشمس، فلما أحسَّ الزِّئبِق بحرِّ النار أو الشمس سال، وهو في حشو الحبال والعصيِّ فحملها، فتخيَّل الناس أنها تمشي، فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانًا فابتلعها.

﴿٦٩﴾ ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ «ما» هنا موصولة، وهي اسم «إنَّ»، و﴿كَيْدُ﴾ خبرها.

﴿٧٠﴾ ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قدَّم هنا[٤] ﴿هَارُونَ﴾؛ لتعتدل[٥] رؤوس الآي، وتكونَ على الألف.

﴿٧١﴾ ﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.

﴿٧٢﴾ ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ معطوفٌ على ﴿مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾. **وقيل**: هي واو القسم.

﴿هَٰذِهِ الْحَيَاةَ﴾ نصْبٌ على الظرفية؛ أي: إنما قضاؤك في هذه الدنيا.

﴿٧٤﴾ ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ **قيل**: إن هذا وما بعده من كلام السحرة لفرعون؛ على وجه الموعظة. **وقيل**: هو من كلام الله.

---

(١) في أ، ب، هـ: «كاتب».

(٢) انظر تخريجه والتعليق عند تفسير الآية (١٦١) من سورة النساء.

(٣) في أ، ب: «يذهب».

(٤) زيادة من ج، د.

(٥) في ب، ج: «لتعدل».

وَلَقَدَ اَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسِيَ أَنِ إِسْرِ بِعِبَادِے بَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيفاً بِے اِ۬لْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَٰفُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشيٰ ﴿٧٦﴾ بَأَتْبَعَهُمْ بِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ بَغَشِيَهُم مِّنَ اَ۬لْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ بِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدِيٰ ﴿٧٧﴾ يَٰبَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ قَدَ اَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ اَ۬لطُّورِ اِ۬لَايْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ اُ۬لْمَنَّ وَالسَّلْوِيٰ ﴿٧٨﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلاَ تَطْغَوْاْ بِيهِ بَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِے وَمَنْ يَّحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِے بَقَدْ هَوِيٰ ﴿٧٩﴾ وَإِنِّے لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً ثُمَّ اَهْتَدِيٰ ﴿٨٠﴾ ۞وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسِيٰ ﴿٨١﴾ قَالَ هُمُۥٓ أُوْلَآءِ عَلَيٰٓ أَثَرِے وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضِيٰ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَإِنَّا قَدْ بَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ اُ۬لسَّامِرِيُّ ﴿٨٣﴾ بَرَجَعَ مُوسِيٰٓ إِلَيٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفاً قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً ﴿٨٤﴾ اَبَطَالَ عَلَيْكُمُ اُ۬لْعَهْدُ أَمَ اَرَدتُّمُۥٓ أَنْ يَّحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ بَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِے ﴿٨٥﴾ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ اِ۬لْقَوْمِ بَقَذَبْنَٰهَا بَكَذَٰلِكَ أَلْقَي اَ۬لسَّامِرِيُّ بَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُۥ خُوَارٌ بَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسِيٰ بَنَسِيَ ﴿٨٦﴾ أَبَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴿٨٧﴾ وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلاَ نَبْعاً ﴿٨٨﴾

﴿٧٦﴾ ﴿أَنِ إِسْرِ بِعِبَادِے﴾ يعني: بني إسرائيل، وأضافهم إلىٰ نفسه؛ تشريفًا لهم، وكانوا -فيما قيل- ست مئة ألف. ﴿يَبَساً﴾ أي: يابسًا، وهو مصدر وصف به.

﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشيٰ﴾ أي: لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه، ولا تخشىٰ الغرق في البحر.

﴿٧٧﴾ ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ إبهامٌ؛ لقصد التهويل.

﴿وَمَا هَدِيٰ﴾ **إن قيل**: إن قوله: ﴿وَأَضَلَّ بِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ يغني عن قوله: ﴿وَمَا هَدِيٰ﴾! **فالجواب**: أنه مبالغة وتأكيد. **وقال الزمخشري**: هو تهكُّم بفرعون في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمُۥٓ إِلاَّ سَبِيلَ اَ۬لرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩][1].

﴿٧٨﴾ ﴿يَٰبَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ﴾ خطابٌ لهم بعد خروجهم من البحر وإغراقِ فرعون.

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٢١٤).

وقيل: هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ. والأول أظهر.

﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسىٰ وبني[1] إسرائيل أن يسيروا إلىٰ جانب طور سيناء؛ ليكلِّم فيه ربه. والطور: هو الجبل، واختُلف: هل هذا الطور هو الذي رأىٰ فيه موسىٰ ﷺ النار في أول نبوَّته؟ أو[2] هو غيره؟

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ ذُكر في «البقرة»[3].

﴿٧٩﴾ ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: هلَك، وهو استعارة من السقوط من عُلْوٍ إلىٰ سُفْلٍ.

﴿٨٠﴾ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بدَّ، والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السنة. وقالت المعتزلة: لا يغفر إلَّا لمن تاب[4].

﴿ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ أي: استقام ودام علىٰ الإيمان والتوبة والعمل الصالح. ويَحتمل أن يكون الهدىٰ هنا: عبارةٌ عن نور وعلم، يجعله الله في قلب من تاب وآمن وعمل صالحًا.

﴿٨١﴾ ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ قَصص هذه الآية: أن موسىٰ ﷺ، لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلىٰ الطور، تقدَّم هو وحده؛ مبادرةً إلىٰ أمر الله، وطلبًا لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون ﷺ، فأمرهم السامريُّ حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسىٰ إلىٰ الطور دون قومه قال له الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾؟

وإنما سأل اللهُ موسىٰ ﷺ عن سبب استعجاله دون قومه؛ ليخبره موسىٰ بأنهم يأتون علىٰ أَثَره، فيخبرَه الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل.

---

(١) في ب، د: «بني» بلا واو، والمثبت هو الموافق لما في المحرر الوجيز (٦/ ١١٧)؛ فالآمر هو الله تعالىٰ.

(٢) في ب، ج زيادة «هل».

(٣) انظر تفسير الآية (٥٦).

(٤) [التعليق ٧٢] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ: «المغفِرةُ لمن تابَ: حاصِلةٌ ولا بُدَّ ...»، إلخ: صحيحٌ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]؛ وهذه الآيةُ لمن تاب، أمَّا مَن لم يَتُبْ، فما دُونَ الشركِ، فمغفرتُهُ مقيَّدةٌ بالمشيئة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقولُ المعتزِلة: «لا يُغفَرُ إلا لمن تاب»، بَنَوْا عليه القولَ بتخليدِ أهلِ الكبائرِ في النار.

وقيل: إنما سأله على وجه الإنكار لتقدُّمه وحده دون قومه، فاعتذر موسى بعذرين:

أحدهما: أن قومه على أَثَرِه؛ أي: قريب منه، فلم يتقدَّم عليهم بكثيرٍ يوجب العتاب.

والثاني: أنه إنما تقدَّم طلبًا لرضا الله.

﴿٨٣﴾ ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ رجلًا من بني إسرائيل، ويقال[1]: إنه ابن خال موسى. وقيل: لم يكن منهم، وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها: سامِرَة. وكان ساحرًا منافقًا.

﴿٨٤﴾ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ يعني: رجع من الطور، بعد كمال[2] الأربعين يومًا التي كلَّمه الله فيها.

﴿أَسِفاًۖ﴾ ذُكر في «الأعراف»[3].

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناًۖ﴾ يعني: ما وعدهم من الوصول إلى الطور.

﴿٨٥﴾ ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ يعني: المدة، وهذا الكلام توبيخٌ لهم.

﴿٨٦﴾ ﴿بِمَلْكِنَا﴾ قرئ بالفتح والضم والكسر[4]، ومعناه: ما أخلفنا موعدك بأن مَلَكْنا أمرنا، ولكن غُلِبنا بكيد السامريِّ، فيَحتمل أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم، ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم، أو اعتذروا بقلة ملْكهم لأنفسهم في النظر، وعدم توفيقهم للرأي السديد، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر.

﴿حُمِّلْنَآ أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا: الأحمال، سمِّيت أوزارًا؛ لثِقَلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار؛ أي: الذنوب.

وزينة القوم: هي حُليُّ القبط قومِ فرعون، كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل: أخذوه بعد هلاكهم، فقال لهم السامريُّ: اجمعوا هذا الحُليَّ في حفرة

(١) في ج: «يقال».

(٢) في ج: «إكمال».

(٣) انظر تفسير الآية (١٥٠).

(٤) قرأ نافع وعاصم بفتح الميم، وقرأ حمزة والكسائي بضمها، وقرأ الباقون بكسرها.

حتىٰ يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك، وأوقد السامريُّ نارًا علىٰ الحليِّ، وصاغ منه عجلًا. **وقيل**: بل خلق الله منه العجل، من غير أن يصنعه السامري، ولذلك قال لموسىٰ: ﴿فَقَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ .

﴿فَقَذَفْنَـٰهَا﴾ أي: قذفنا أحمال الحُليِّ في الحفرة.

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ كان السامريُّ قد رأىٰ جبريل عليه السلام، فأخذ من موطئ[1] فرسه قبضةً من تراب، وألقىٰ الله في نفسه أنه إذا جعلها علىٰ شيء مَواتٍ صار حيوانًا، فألقاها علىٰ العجل، فخار العجل؛ أي: صاح صياح العجول.

فالمعنىٰ: أنهم قالوا: كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقىٰ السامريُّ قبضةَ التراب.

﴿جَسَدًا﴾ أي: جسمًا بلا روح، **والخُوَار**: صوت البقر.

﴿فَقَالُواْ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ﴾ أي: قال ذلك بنو إسرائيل بعضُهم لبعض.

﴿فَنَسِيَ﴾ **يحتمل وجهين**:

أحدهما: أن يكون من كلام بني إسرائيل، والفاعل: موسىٰ؛ أي: نسي موسىٰ إلهَه هنا، وذهب يطلبه في الطور، والنسيان علىٰ هذا بمعنىٰ[2]: الذُّهول.

والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله تعالىٰ، والفاعل: السامريُّ؛ أي: نسي دينَه وطريقَ الحق، والنسيان علىٰ هذا بمعنىٰ: التَّرك.

﴿٨٩﴾ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ معناه: لا يردُّ عليهم كلامًا إذا كلَّموه، وذلك ردٌّ عليهم في دعوىٰ[3] الربوبية له. وقرئ ﴿يَرْجِعُ﴾ : **بالرفع**[4]، و«أنْ» مخففة من الثقيلة، **وبالنصب**، وهي مصدرية.



(١) في هـ: «وطء».

(٢) في أ، ب، هـ: «المعنىٰ».

(٣) في ب: «دعواهم».

(٤) قرأ الجمهور بالرفع، وهي قراءة السبعة، وقرأ أبو حَيْوَة في الشاذ بالنصب. البحر المحيط (١٥/ ١١٧).

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

﴿٩٢﴾ ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ «**لا**» زائدة للتأكيد، **والمعنىٰ**: ما منعك أن تتبعني في المشي إلىٰ الطور؟ أو تتبعني في الغضب لله، وشدَّة الزجر لمن عبد العجل، وقتالِهم بمن لم يعبده؟

﴿٩٤﴾ ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ ذُكر في «**الأعراف**»[1].

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ كان موسىٰ ﷺ قد أخذ بشَعر هارون ﷺ ولحيته من شدَّة غضبه، لـمَّا وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل.

﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: لو قاتلتُ[2] مَن عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلتَ: فرَّقتَ جماعتهم، وأدخلت العداوة بينهم، وهذا علىٰ أن يكون معنىٰ قوله: ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ في الزجر والقتال.

---

(١) انظر تفسير الآية (١٥٠).

(٢) في أ، ب، هـ: «قتلت».

أو: لو اتَّبعتك في المشي إلىٰ الطور لاتَّبعني بعضهم دون بعض، فتفرَّقت جماعتهم، وهذا علىٰ أن يكون معنىٰ ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ في المشي إلىٰ الطور.

﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يعني: قوله[1]: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

﴿٩٥﴾ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ أي: قال موسىٰ ما شأنك؟ ولفظ الخَطْب يقتضي انتهارًا؛ لأنه مستعمل في المكاره.

﴿٩٦﴾ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ أي: رأيت ما لم يروه، يعني: جبريلَ عليه السلام وفرسَه.

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: قبضت قبضةً من ترابٍ من أثرِ فرسِ الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: «من أثر فرس الرسول»[2]. وإنما سمَّىٰ جبريلَ بالرسول؛ لأن الله أرسله إلىٰ موسىٰ عليه السلام. والقبضة: مصدر قبَض، وإطلاقها علىٰ المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كـ«ضرْب الأمير».

ويقال: قبض بالضاد المعجمة: إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد المهملة: إذا أخذ بأطراف الأصابع، وقد قرئ كذلك في الشاذ[3].

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها علىٰ الحليِّ، فصار عِجلًا، أو علىٰ العجل فصار له خوار.

﴿٩٧﴾ ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ عاقب موسىٰ عليه السلام السامريَّ؛ بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته: لا مساس؛ أي: لا مماسَّة ولا إذاية. وروي أنه كان إذا مسَّه أحدٌ أصابت الحمىٰ له وللذي مسه، فصار هو يَبعُد عن الناس وصار الناس يَبعُدون عنه[4].

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ يعني: العذاب في الآخرة، وهذا تهديدٌ ووعيد.

---

(١) في د، هـ زيادة «له».

(٢) أخرجها الطبري (١/ ٦٦٩).

(٣) قرأ بها عبد الله بن مسعود وابن الزبير وأبي بن كعب رضي الله عنهم. المحرر الوجيز (٦/ ١٢٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (١٤/ ٥١١)، والزمخشري في الكشاف (١٠/ ٢٣٣) بدون نسبته إلىٰ قائل، ولم أقف عليه مسندًا.

﴿ظَلْتَ﴾ أصله ظَلِلْت، حذفت إحدىٰ اللامين، والأصل في معنىٰ ظل: أقام بالنهار، ثم استعمل في الدُّؤوب علىٰ الشيء[1] ليلًا ونهارًا.

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ من الإحراق بالنار. وقرئ بفتح النون وضم الراء[2]، بمعنىٰ: نَبرُده بالـمِبْرَدِ. وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة علىٰ أنها من هذا المعنىٰ؛ لأن الذهب لا يفنىٰ بالإحراق بالنار، **والصحيح**: أن المقصود بإحراقه بالنار إذابتُه وإفساد صورته، فيصحُّ حمل قراءة الجماعة علىٰ ذلك.

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ أي: نُلقيه في البحر، **والنَّسْف**: تفريق الغبار ونحوِه.

(٩٦) ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآيةَ؛ من كلام موسىٰ ﷺ لبني إسرائيل.

(٩٧) ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبةٌ من الله تعالىٰ لمحمد ﷺ، و﴿أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: أخبار المتقدِّمين.

﴿ذِكْرًا﴾ يعني: القرآن.

(٩٨) ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني: إعراض تكذيبٍ به.

﴿وِزْرًا﴾ **الوزر في اللغة**: الثِّقَل، ويعني هنا: العذابَ؛ لقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾، أو الذنوب؛ لأنها سبب العذاب.

(٩٩) ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بحِمْل؛ لثِقَله. **قال الزمخشري**: «ساءَ» تجري مجرىٰ «بئس»، ففاعلها مضمر يفسِّره: ﴿حِمْلًا﴾[3]. **وقال غيره**: فاعلها مضمر يعود علىٰ الوزر.

(١٠٠) ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ أي: يَنفخ الملَك في القرن. وقرئ: ﴿نَنفَخُ﴾ بالنون[4]؛ أي: بأمرنا.

---

(١) في ب، ج: «المشي».

(٢) قرأ بها علي وابن عباس ﷺ وابن وردان عن أبي جعفر ﴿لَنَحْرُقَنَّهُ﴾.

(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ٢٣٩).

(٤) قرأ أبو عمرو بالنون وفتحها وضم الفاء، وقرأ الباقون بالياء وضمها وفتح الفاء.

﴿زُرْقاً﴾ قيل: زرق الألوان كالسواد[1]. وقيل: زرق العيون من العمىٰ.

(١٠٣) ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً﴾ أي: يقول بعضهم لبعض في السرِّ: إن لبثتم في الدنيا إلَّا عشر ليال، وذلك لاستقلالهم مدَّة الدنيا. وقيل: يعنون لبثهم[2] في القبور.

(١٠٤) ﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً﴾ أي: يقول أعلمهم بالأمر -بالإضافة إليهم-: إن لبثتم إلَّا يومًا واحدًا، فاستقلَّ المدَّة أشدَّ[3] مما استقلَّها غيرُه.



(١) قال في المحرر الوجيز (٦/ ١٣٢): «قالت فرقة: أراد: زُرْقَ الألوان، وهي غايةٌ في التشويه؛ لأنهم يجيئون كلون الرماد، ومَهْيَعٌ كلام العرب أن يسمَّىٰ هذا اللون أزرق».

(٢) في أ، ب: «لبثتم».

(٣) في هـ: «أكثر».

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

﴿١٠٥﴾ ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي﴾ أي: يجعلها كالغبار، ثم يفرِّقها.

﴿١٠٦﴾ ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ الضمير في ﴿يَذَرُهَا﴾ للجبال، **والمراد**: مواضعها من الأرض، **والقاعُ الصَّفْصف**: المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ **المعروف في اللغة**: أن العِوَج بالكسر: في المعاني، وبالفتح: في الأشخاص، والأرض شخص؛ فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح، وإنما قاله بالكسر مبالغةً في نفيه؛ فإن الذي في المعاني أدقُّ من الذي في الأشخاص، فنفاه؛ ليكون غايةً في نفي العِوَج من كل وجهٍ.

﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ **الأَمْتُ**: هو الارتفاع اليسير.

﴿١٠٨﴾ ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾ **يعني**: الذي يدعو الخلق إلىٰ الحشر.

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ **أي**: لا يَعْوَجُّ أحدٌ عن اتباعِهِ والمشيِ نحوَ صوته. أو لا عوج لدعوته؛ لأنها حقٌّ.

﴿هَمْسًا﴾ هو الصوت الخفيُّ.

﴿١٠٩﴾ ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ **يحتمل أن يكون الاستثناء متصلًا**، و﴿مَنْ﴾ في موضع نصب بـ﴿تَنفَعُ﴾، وهي واقعة علىٰ المشفوع له، **فالمعنىٰ**: لا تنفع الشفاعة أحدًا إلَّا من أذن له الرحمن في أن يُشفَع له. **أو أن يكون الاستثناء منقطعًا**، و﴿مَنْ﴾ واقعة علىٰ الشافع، **والمعنىٰ**: لكن من أذن له الرحمن يَشفع.

﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ إن أريد بـ﴿مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ المشفوع فيه، فاللام في ﴿لَهُۥ﴾ بمعنىٰ: لأجله؛ أي: رضي قولَ الشافع لأجل المشفوع فيه. وإن أريد الشافع فالمعنىٰ: رضي قوله في الشفاعة.

﴿١١٠﴾ ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ الضميران لجميع الخلق[1]، والمعنىٰ ذُكر في آية الكرسيِّ[2].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ قيل: المعنىٰ: لا يحيطون بمعلوماته، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة: ٢٥٤]. والصحيح عندي: أن المعنىٰ لا يحيطون بمعرفة ذاته؛ إذ لا يَعرف الله علىٰ الحقيقة إلَّا الله، ولو أراد المعنىٰ الأوَّل لقال: ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثنىٰ ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ هناك، ولم يستثن هنا[3].

﴿١١١﴾ ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ أي: ذلَّت يوم القيامة.

﴿١١٢﴾ ﴿وَلَا هَضۡمٗا﴾ أي: بخسًا ونقصًا لحسناته.

﴿١١٣﴾ ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾ أي: تذكُّرًا. وقيل: شرفًا، وهو هنا بعيد.

﴿١١٤﴾ ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾ أي: إذ أقرأك جبريل القرآنَ[4] فاستمع إليه، واصبر حتىٰ يَفرغ، وحينئذ تَقرؤه أنت، فالآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]. وقيل: كان النبي ﷺ إذا أوحي إليه القرآن يأمر بكتْبه في الحين، فأُمر أن يتأنَّىٰ حتىٰ تفسَّر له المعاني[5]. والأول أشهر.



(١) في أ، ب، هـ: «الضمير للخلق».

(٢) انظر تفسير الآية (٢٥٤).

(٣) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٦).

(٤) لم ترد في أ، ب، هـ.

(٥) أخرج ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٧) عن مجاهد في قوله: ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ قال: لا تُمْلِه علىٰ أحد حتىٰ نُتِمَّه لك.

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْماً ﴿١١٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اِ۟سْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٤﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ اَلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٥﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٦﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٧﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ اِ۬لشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلَ اَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ اِ۬لْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١١٨﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ اِ۬لْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ اَجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٠﴾ قَالَ اَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً ﴿١٢١﴾ فَمَنِ اِتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٢﴾ وَمَنَ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِے فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ اَلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٣﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيَ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ﴿١٢٤﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ اَلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٥﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِے مَنَ اَسْرَفَ وَلَمْ يُومِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ اُ۬لْأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٦﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ اَلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِے مَسَٰكِنِهِمُۥٓ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي اِ۬لنُّهَىٰ ﴿١٢٧﴾

﴿١١٣﴾ ﴿عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: وصَّيناه أن لا يأكل من الشجرة.

﴿فَنَسِيَ﴾ يحتمل أن يريد النسيان الذي هو ضدُّ الذِّكْر، فيكون ذلك عذرًا لآدم عليه السلام، أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا يمكن غيره؛ لأن الناسيَ لا عقاب عليه[1].

وقد تقدَّم الكلام علىٰ قصة آدم عليه السلام وإبليس في «البقرة»[2].

﴿١١٥﴾ ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ اَلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ أي: لا تطيعاه فيخرجَكما من الجنة، فجعل المسبَّب موضع السبب.

وخصَّ آدم عليه السلام بقوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾؛ لأنه كان المخاطَبَ أولًا والمقصودَ بالكلام، وقيل: لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختصٌّ بالرجال.

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ١٣٧).

(٢) انظر تفسير الآية (٣٤) وما بعدها.

(١١٩) ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ **الظمأ**: هو العطش، **والضُّحِيُّ**[١]: هو البروز للشمس.

(١٢٠) ﴿يَخْصِفَانِ﴾ ذكر في «**الأعراف**»[٢]، وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في «**البقرة**»[٣].

(١٢٣) ﴿اهْبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي﴾ هي «**إنْ**» الشرطية دخلت عليها «**ما**» الزائدة، وجوابها ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ﴾.

(١٢٣) ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ أي: لا يضل في الدنيا، ولا يشقىٰ في الآخرة.

(١٢٤) ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: ضيِّقةً؛ **فقيل**: إن ذلك في الدنيا؛ فإن الكافر ضيق المعيشة؛ لشدَّة حرصه، وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية: لا يُعرِض أحدٌ عن ذكر الله إلَّا أظلم عليه وقته وتكدَّر عليه عيشه. **وقيل**: ذلك في البرزخ. **وقيل**: في جهنم بأكل الزقوم، **وهذا ضعيف**؛ لأنه ذَكَر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ يعني: أعمىٰ البصر.

(١٢٦) ﴿فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ من الترك، لا من الذهول.

(١٢٧) ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ أي: عذاب جهنم أشدُّ وأبقىٰ من المعيشة الضنك، ومن الحشر أعمىٰ.

(١٢٨) ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه: ألم يتبين لهم، والضمير لقريش، **والفاعل بـ**﴿يَهْدِ﴾ مقدَّر، تقديره: ألم يهد لهم الهُدَىٰ، أو الأمر. **وقال الزمخشري**: الفاعل الجملة التي بعده[٤]. **وقيل**: الفاعل ضمير الله عز وجل، ويدل عليه قراءة: «أفلم نهد» بالنون[٥]. **وقال الكوفيون**: الفاعل ﴿كَمْ﴾.

(١) في أ، ب: «والضحاء».
(٢) انظر تفسير الآية (٢١).
(٣) انظر تفسير الآية (٣٤) وما بعدها.
(٤) انظر: الكشاف (١٠/ ٢٦٩).
(٥) نسبها في البحر المحيط (١٥/ ١٦٢) إلىٰ ابن عباس رضي الله عنهما والسُّلمي.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ﴾ يريد: أن قريشًا يمشون في مساكن عاد وثمود، ويعاينون آثار هلاكهم.

﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ أي: ذوي العقول.



وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

﴿١٢٧﴾ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ **الكلمة هنا**: القضاء السابق، **والمعنى**: لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزامًا؛ أي: واقعًا بهم.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾ ؛ أي: لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزامًا، وإنما أَخَّره لتعتدل رؤوس الآي. **والمراد بالأجل المسمى**: يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري[1]. **وقيل**: المراد به: أجل الموت. **وقيل**: القيامة .

﴿١٢٨﴾ ﴿وَسَبِّحْ﴾ **يحتمل أن يريد بالتسبيح**: الصلاةَ، أو قولَ: «سبحان الله»، وهو ظاهر اللفظ.

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال؛ أي: وأنت حامدٌ لربك على أن وفَّقك للتسبيح. **ويحتمل أن يكون المعنى**: سبِّح تسبيحًا مقرونًا بحمد ربك، فيكون أمرًا بالجمع بين قول: «سبحان الله» وقول: «الحمد لله»، وقد قال رسول الله ﷺ: «**وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض**»[2].

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ **إشارةٌ إلى الصلوات الخمس عند من قال**: إن معنى ﴿وَسَبِّحْ﴾: الصلاة، **فالتي قبل طلوع الشمس**: الصبح، **والتي قبل غروبها**: الظهر والعصر،

(١) الذي في البخاري (٤٧٧٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه فسر ﴿لزامًا﴾ بيوم بدر، وليس الأجل المسمى!

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

ومن آناء الليل: العشاء الآخرة[1]، **وأطراف النهار**: المغرب والصبح. وكرَّر الصبح في ذلك؛ تأكيدًا للأمر بها.

وسمَّىٰ الطرفين أطرافًا لأحد وجهين: إما علىٰ نحو: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤][2]، وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف. **وآناءُ الليل**: ساعاته، واحدها: أَنْيٌ.

(١٣١) ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في «**الحجر**»[3]، **ومدُّ العينين**: هو تطويل النظر، ففي ذلك دليل[4] أن النظر غير الطويل معفوٌّ عنه.

﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شبه نعيم الدنيا بالزَّهْر وهو[5] النُّوَّار؛ لأن الزهرَ له منظرٌ حسن، ثم يذبل ويضمحلُّ. **وفي نصب** ﴿زَهْرَةَ﴾ **خمسة أوجه**:

[١] أن ينتصب بفعل مضمر علىٰ الذم.

[٢] أو يضمَّن ﴿مَتَّعْنَا﴾ معنىٰ: أعطينا، ويكون ﴿زَهْرَةَ﴾ مفعولًا ثانيًا له.

[٣] أو يكون بدلًا من موضع الجار والمجرور.

[٤] أو يكون بدلًا من ﴿أَزْوَاجًا﴾، علىٰ تقدير: ذوي زهرة.

[٥] أو ينتصب علىٰ الحال.

(١٣١) ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: نختبرهم.

(١٣٢) ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نسألك أن ترزقَ نفسَك ولا أهلَك، فتفرَّغْ أنت وأهلُك للصلاة؛ فنحن[6] نرزقك.

---

(١) في أ، ب، هـ: «المغرب والعشاء الآخرة».

(٢) أي: هو من باب وضع الجمع موضعَ التثنية عند أمن اللبس. الكشاف (١٠/ ٢٧٢)، والبحر المحيط (١٥/ ١٦٦-١٦٧)، والدر المصون (٨/ ١٢٢).

(٣) انظر تفسير الآية (٨٨).

(٤) في ب، د زيادة «علىٰ».

(٥) في أ، ب: «وهي».

(٦) في أ، هـ: «نحن».

وكان بعض السلف إذا أصاب أهلَه خصاصةٌ قال: «قوموا فصلوا؛ بهذا أمركم الله»، ويتلو هذه الآية[1].

(١٣٣) ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ **البينة هنا**: البرهان، **والصحف الأولىٰ**: هي التوراة والإنجيل وغيرهما[2] من كتب الله.

والضمير في ﴿قَالُواْ﴾ وفي ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ لقريش، لما اقترحوا علىٰ وجه العناد والتَّعنيت أجابهم الله بهذا الجواب، **والمعنىٰ**: قد جاءكم برهانُ ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ، فلأيِّ شيءٍ تطلبون آية أخرىٰ؟

ويَحتمل أن يكون المعنىٰ: قد جاءكم القرآن، وفيه من العلوم والقَصص ما في الصحف الأولىٰ، فذلك بينة وبرهانٌ علىٰ أنه من عند الله.

(١٣٤) ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ الآية؛ **معناها**: لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجوا علىٰ الله بأن يقولوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، و«**لولا**» **هنا**: عَرْضٌ، فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ.

(١٣٥) ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: قل كل واحد منا ومنكم منتظرٌ لما يكون من هذا الأمر.

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ تهديدٌ.

﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ المستقيم.



(١) ذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان (٦/ ٢٦٧) عن بكر بن عبد الله المزني.

(٢) في أ، ب، هـ: «وغيرها».



سورة الأنبياء عليهم السلام

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)﴾

(١) ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ **الناس**: لفظٌ[1] عام. **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: المراد به هنا: المشركون من قريش[2]؛ بدليل ما بعد ذلك؛ فإنه من صفاتهم. وإنما أخبر عن الساعة بالقرب؛ لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثرُ مما بقي لها، ولأن كل آتٍ قريبٌ.

(٢) ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ **يعني بالذكر**: القرآن، و﴿مُحْدَثٍ﴾ **أي**: محدث النزول[3].

---

(١) في أ، هـ: «لفظه».

(٢) عزاه إليه الزمخشري في الكشاف (١٠/ ٢٨٤)، ولم أقف عليه مسندًا.

(٣) [**التعليق ٧٣**] **قال الشيخ عبد الرحمن البراك**: قولُهُ: «يعني بالذِّكْرِ: القرآنَ، و﴿مُحْدَثٍ﴾؛ أي: محدَثَ النزولِ»: لا إشكالَ فيه؛ فالذِّكْرُ مِن أسماءِ القرآنِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. وقولُهُ: «أي: محدَثَ النزولِ»، موافِقٌ لما نقَلَهُ ابنُ جريرٍ عن أهلِ التأويلِ؛ فإنه قال: «ما يُحدِثُ اللهُ مِن تنزيلِ شيءٍ مِن هذا القرآنِ للناسِ»، وأسنَدَهُ إلى قتادةَ.

=

(٣) ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ الواو في ﴿أَسَرُّواْ﴾ ضمير فاعل، يعود على ما قبله، و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: بدل من الضمير. وقيل: إن الفاعل هو ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ، وجاء ذلك على لغة من قال: «أكلوني البراغيث»[(١)]، وهي لغة بني الحارث بن كعب، وقال سيبويه: لم تأت هذه اللغة في القرآن. ويَحتمل أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ : منصوبًا بفعل مضمر على الذمِّ، أو خبرَ ابتداء مضمر. والأول أحسن.

﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هذا الكلام في موضع نصب؛ بدلًا من ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ ؛ لأنه هو الكلام الذي تناجَوا به، والبشر المذكور في الآية: هو محمد ﷺ.

(٤) ﴿قُل رَّبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ إخبارٌ بأنه سمع ما تناجوا به على أنهم أسرُّوه. فإن قيل: هلَّا قال: «يعلم السر»؛ مناسَبةً لقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ ؟ فالجواب: أن القول يشمل السرَّ والجهر؛ فحصل به ذكر السرِّ وزيادة.

(٥) ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي: أخلاط منامات، وحَكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة؛ ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم.

﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: كما جاء الرسل المتقدِّمون بالآيات فليأتنا محمد بآية، فالتشبيه في الإتيان بالمعجزات.

(٦) ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ لما قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات، فلما رأوها ولم يؤمنوا هلكوا، ثم قال: ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال مَن قبلهم. ويَحتمل أن يكون المعنى: أن كل قرية

= وهذا موافِقٌ أيضًا لبعضِ أجوبةِ الإمامِ أحمَدَ ﵀؛ حِينَ احتجَّتِ المعتزِلةُ بهذه الآيةِ على أنَّ القرآنَ مخلوقٌ [ينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٣٨٥، ٤٠٠) ط. دار هجر]، والله أعلم.

ومع هذا نقول: إن ما قاله ابن جرير مع جلالة قدره وقدر من نقل عنه، وهو قتادة: متضمنٌ لصرف الكلام عن ظاهره، فمحدَث في الآية وصف للذكر لا للإنزال.

(١) وهي لغةُ من يُلحق بالفعل المسند إلى فاعلٍ مثنًّى أو جمعٍ علامةً تدلُّ على التثنية أو الجمع، واللغة الأفصح أن يُجرَّد الفعل -والحالة هذه- من العلامة. انظر: الدر المصون (٤/ ٣٧٠-٣٧١)، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢/ ٨٤-٨٥).

هلكت لم تؤمن، فهؤلاء كذلك، ولا يكون -على هذا- جوابًا لقولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾، بل يكون إخبارًا مستأنفًا على وجه التهديد.

و﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ في موضع الصفة لـ﴿قَرْيَةٍ﴾ ، والمراد: أهل القرية.

﴿٧﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ردٌّ على قولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ **والمعنى**: أن الرسل المتقدمين رجالٌ من البشر؛ فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولًا؟!

﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ **يعني**: أحبار أهل الكتاب.

﴿٨﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ أي: ما جعلنا الرسل أجسادًا غيرَ طاعمين، ووحَّد الجسد لإرادة الجنس، و﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ صفة لـ﴿جَسَدًا﴾ . وفي الآية ردٌّ على قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧].

﴿٩﴾ ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ يعني: المؤمنين.

﴿١٠﴾ ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم. **وقيل**: تذكيركم.



وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿١١﴾ ﴿قَصَمْنَا﴾ أي: أهلكنا، وأصله مِن: قَصْمِ الظهر أي: كسْرُه.

﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ يريد: أهل القرية. قال ابن عباس ﵄: هي قرية باليمن يقال لها: حَضُور، بعث الله إليهم رسولًا فقتلوه، فسلَّط الله عليهم بُختَ نَصَّر[1] ملكَ بابل، فأهلكهم الله بالقتل[2].
وظاهر اللفظ أنه علىٰ العموم؛ لأن «كم» للتكثير، فلا يريد قرية معينة.

---

(١) انظر التعليق عند تفسير الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.

(٢) أخرجه ابن مردويه في تفسيره -كما في الدر المنثور (١٠/ ٢٥٨)- من طريق الكلبي عن ابن عباس ﵄، والكلبي واهٍ. وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٤٧) عن وهب بن منبه.

﴿١٢﴾ ﴿يَرۡكُضُونَ﴾ عبارةٌ عن فرارهم، **فيَحتمل أن** يكونوا ركبوا الدوابَّ، ورَكَضوها؛ لتسرع الجري، **أو** شُبِّهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يَركض الدابة.

﴿١٣﴾ ﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾ أي: قيل لهم: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ﴾، **والقائل لذلك**: هم الملائكة، قالوه تهكُّمًا بهم، **أو** رجال بختِ نصَّر إن كانت القرية المعيَّنة، قالوا ذلك لهم خداعًا؛ ليرجعوا فيقتلوهم.

﴿مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ﴾ أي: نُعِّمتم.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾ تهكُّمٌ بهم وتوبيخ؛ أي: ارجعوا إلى نعيمكم[1] ومساكنكم؛ لعلكم تُسألون عما جرى عليكم. **ويَحتمل أن** يكون ﴿تُسۡـَٔلُونَ﴾ بمعنى: يَطلب لكم الناس معروفكم[2]، وهذا أيضًا تهكُّمٌ.

﴿١٤﴾ ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ﴾ الآيةَ؛ اعترافٌ وندم حين لم ينفعهم.

﴿١٥﴾ ﴿حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ شُبِّهوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى ﴿خَٰمِدِينَ﴾: موتى، وهو تشبيهٌ بخمود النار.

﴿١٦﴾ ﴿لَٰعِبِينَ﴾ حال منفية؛ أي: ما خلقنا السماوات والأرض لأجل اللعب، بل للاعتبار بها، والاستدلالِ على صانعها.

﴿١٧﴾ ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوًا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ **اللهو في لغة اليمَن**: الولد، **وقيل**: المرأة، و﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ أي: من[3] الملائكة ، **فالمعنى على هذا**: لو أردنا أن نتخذ ولدًا لاتخذناه من الملائكة، لا من بني آدم، فهو ردٌّ على من قال: المسيح ابن الله وعُزير ابن الله. **والظاهر أن** اللهو بمعنى اللعب؛ لاتصاله بقوله: ﴿لَٰعِبِينَ﴾. **وقال الزمخشري**: المعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ لهوًا لكان ذلك في قدرتنا، ولكن ذلك لا يليق بنا؛ لأنه مناقض للحكمة[4]. **وفي كلا القولين نظرٌ**.

---

(١) في أ، ب، هـ: «نِعَمكم».

(٢) عبارة الكشاف (١٠/ ٣٠٣): «يسألكم الوافدون عليكم والطُّماعُ، ويستمطرون سحائب أكفُّكم، ويَمترون [أي: يستدرُّون] أخلافَ معروفكم وأياديكم».

(٣) لم ترد في ب، ج.

(٤) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٠٦).

﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿إِن﴾: شرطيةً، وجوابها فيما قبلها، أو نافيةً. والأوَّل أظهر.

﴿١٨﴾ ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ الحق: عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل: عام في أضداد ذلك.

﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ أي: يَقمعه ويُبطله، وأصله من إصابة الدماغ.

﴿١٩﴾ ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعني: الملائكة.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يَعْيَوْن[1]، ولا يَمَلُّون.

﴿٢١﴾ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ «أم» هنا: للإضرابِ عما قبلها، والاستفهامِ علىٰ وجه الإنكار لما بعدها. و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يتعلَّق بـ﴿يُنشِرُونَ﴾ . والمعنىٰ: أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدرون أن يُنشِروا الموتىٰ من الأرض، فليست بآلهة في الحقيقة؛ لأن من صفة الإله القدرةَ علىٰ الإحياء والإماتة.

﴿٢٢﴾ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ هذا برهان علىٰ وحدانية الله تعالىٰ، والضمير في قوله: ﴿فِيهِمَآ﴾ للسماوات والأرض، و﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ صفة لـ﴿ءَالِهَةٌ﴾ ، و ﴿إِلَّا﴾ بمعنىٰ «غير».

فاقتضىٰ الكلام أمرين: أحدهما: نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحدًا. والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودلَّ علىٰ ذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾. وأما الأوَّل فكانت الآية تدلُّ عليه لو لم تذكر هذه الكلمة.

وقال كثير من الناس في معنىٰ الآية: إنها دليلُ التَّمانعِ الذي أورده الأصوليون، وذلك أنَّا لو فرضنا إلهين، فأراد أحدهما شيئًا وأراد الآخر نقيضَه، فإما أن تَنفُذَ إرادة كل واحد منهما، وذلك محال؛ لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحدٍ منهما، وذلك أيضًا محال؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معًا، ولأن ذلك يؤدِّي إلىٰ عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي تنفذ إرادته هو الإله، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد.

(١) في ب: «لا يلعبون».

وهذا الدليل إن سلَّمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصحُّ من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلَّا الله لفسدتا؛ لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألَا ترىٰ أنه لا يوجد مَلِكان اثنان بمدينة[١] واحدة، ولا والِيان[٢] لـخِطَّةٍ[٣] واحدة.

(٢٣) ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم؛ فأفعاله كلُّها جاريةٌ علىٰ الحكمة.

﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ لفَقْد العلَّتين.

(٢٤) ﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ كرَّر هذا الإنكار؛ استعظامًا للشرك، ومبالغةً في تقبيحه؛ لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، ولِيناط به ما ذكر بعده من تعجيز[٤] المشركين، وأنهم ليس لهم علىٰ الشرك برهان؛ لا من جهة العقل، ولا من جهة الشرائع.

﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ تعجيزٌ لهم. وقد تكلمنا علىٰ ﴿هَاتُواْ﴾ في «البقرة»[٥].

﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ ردٌّ علىٰ المشركين، **والمعنىٰ:**[٦] هذا الكتاب الذي معي، والكتب التي من قبلي ليس فيها ما يقتضي الإشراك بالله، بل كلها متفقة علىٰ التوحيد.

(٢٥) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ الآيةَ؛ ردٌّ علىٰ المشركين، والمعنىٰ: أن كل رسول إنما أتىٰ بـ«لا إله إلا الله».

(٢٦) ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة، وهم الذين قال فيهم بعض الكفار: إنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية؛ لأنها تناقض البنوَّة، ووصفهم بالكرامة؛ لأن ذلك هو الذي غرَّ الكفار حتىٰ قالوا فيهم ما قالوا.

---

(١) في ج: «المدينة».

(٢) في أ، ج، د: «وليان».

(٣) في ب: «بخطة».

(٤) في أ، هـ: «تعجيزهم»!

(٥) انظر تفسير الآية (١١٠).

(٦) في ج زيادة: «أنّ».

(٢٧) ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ﴾ أي: لا يتكلمون حتىٰ يتكلم هو؛ تأدُّبًا معه.

(٢٨) ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ أي: لمن ارتضىٰ أن يُشفَع له. **ويَحتمل أن تكون هذه الشفاعة:** في الآخرة، أو في الدنيا، وهي استغفارهم لمن في الأرض.

﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

(٢٩) ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية علىٰ فرض أن لو قالوا ذلك، ولكنهم لا يقولونه، وإنما مقصود[1] الآية الردُّ علىٰ المشركين. **وقيل:** إن الذي قال: «إني إله»: هو إبليس لعنه الله.



(١) في ب: «مقصد».

*﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾

﴿٣٠﴾ ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ **الرَّتْق**: مصدرٌ وُصِف به، ومعناه: الملتصق بعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح، **والفَتْق**: الفتح: **فقيل**: كانت السماء مُلْصقةً[1] بالأرض ففتقهما[2] الله بالهواء. **وقيل**: كانت السماوات[3] ملصقةً بعضها ببعض، والأرضون[4] كذلك، ففتقهما[5] الله سبعًا سبعًا. والرؤية في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ على هذا: رؤية قلب. **وقيل**: فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، والرؤية على هذا: رؤية عين.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: خلقنا من الماء كل حيوان، ويعني بالماء: المنِيَّ. وقيل: الماء الذي يُشرَب؛ لأنه سببٌ لحياة الحيوان، ويدخل في ذلك النبات باستعارة.

---

(١) في د، هـ: «ملتصقة».

(٢) في ب، ج: «ففتقها».

(٣) كذا في هامش د، وهامش هـ ورمز له بـ«خ»، وفي بقية النسخ: «السماء».

(٤) في ب، ج: «والأرض».

(٥) في هـ: «ففتحهما».

﴿٣١﴾ ﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني: الجبال.

﴿أَن تَمِيدَ﴾ تقديره: كراهةَ أن تميد.

﴿فِجَاجاً﴾ يعني: الطرق الكبار. وإعرابه عند الزمخشري: حال من السُّبُل؛ لأنه صفةٌ تقدَّمت على النكرة[١].

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني: في طُرقهم وتصرُّفاتهم.

﴿٣٢﴾ ﴿سَقْفاً مَّحْفُوظاً﴾ أي: حُفِظ من السُّقوط، ومن الشياطين.

﴿عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يعني: الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك.

﴿٣٣﴾ ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوضٌ عن الإضافة؛ أي: كلهم في فلك يسبحون، يعني: الشمس والقمر، دون الليل والنهار؛ إذ لا يوصف الليل والنهار بالسَّبْح في الفلك، فالجملة: في موضع حال من ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، أو مستأنَفةٌ[٢].

فإن قيل: لفظ ﴿كُلٌّ﴾ و﴿يَسْبَحُونَ﴾ جمعٌ، فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان؟

فالجواب: أنه أراد جنس مَطالعهما[٣] كل يوم وليلة، وهي كثيرة. قاله الزمخشري[٤]. وقال الغَزْنوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة. وعبَّر عنها بضمير الجماعة[٥] العقلاء في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ لأنه وصفهم بفعل العقلاء، وهو السَّبْح.

فإن قيل: كيف قال: ﴿فِي فَلَكٍ﴾ وهي أفلاك كثيرة؟

فالجواب: أنه أراد: كل واحد يَسْبَح في فلكه[٦]، وذلك كقولك[٧]: «كساهم الأمير

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٣٩).

(٢) في أ، ب: «مستأنف».

(٣) في ج: «مطالعها».

(٤) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٤٢).

(٥) في هـ: «جماعة»، ولم ترد في ب.

(٦) في أ، هـ: «فلك».

(٧) في أ، ج: «كقوله».

حُلَّةً»؛ أي: كسا كلَّ واحد منهم حلةً.

ومعنىٰ الفلك: جسم مستدير، **وقال بعض المفسرين:** إنه من موج، **وذلك بعيد، والحقُّ:** أنه لا تُعلم صفته وكيفيته إلَّا بإخبارٍ صحيح عن الشارع، وذلك غير موجود[1]. ومعنىٰ ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَجْرُون، أو يدورون، وهو مستعارٌ من السَّبْح بمعنىٰ العَوْم في الماء. وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين.

(٣٤) ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ **سببها:** أن الكفار طعنوا علىٰ النبي ﷺ بأنه بشر يموت[2]. **وقيل:** إنهم تمنَّوا موته؛ ليَشمَتوا به[3]، وهذا أنسب لما بعده.

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة ﴿فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ وقُدِّمت[4]؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام.

(٣٥) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: كلُّ نفسٍ مخلوقةٍ لا بدَّ لها أن تذوق الموت. والذَّوْق هنا استعارة.

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ أي: نختبركم بالفقر والغنىٰ، والمرض والصحة، وغير ذلك من أحوال الدنيا؛ ليظهر الصبر علىٰ الشر، والشكر علىٰ الخير، أو خلافُ ذلك.

﴿فِتْنَةً﴾ مصدرٌ من معنىٰ ﴿نَبْلُوكُم﴾.

(٣٦) ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذم، دلَّت علىٰ ذلك قرينة الحال؛ فإن الذكر قد يكون بذمٍّ أو مدح. والجملة تفسير للهُزْء؛ أي: يقولون: أهذا الذي..

﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال؛ أي: كيف ينكرون ذمَّك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحقُّ بالملامة. **وقيل:** معنىٰ ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾: تسميته بهذا الاسم؛ لأنهم أنكروها. والأول أغرق في ضلالهم.

---

(١) انظر التعليق عند تفسير الآية رقم (٣) من سورة الرعد.

(٢) ذكره في المحرر الوجيز (٦/ ١٦٥).

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٦/ ١٦٥)، وانظر: تفسير الثعلبي (١٨/ ١٤٣).

(٤) في ج: «وتقدمت».

(٣٧) ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ أي: خلق شديدَ الاستعجال، وجاءت هذه العبارة للمبالغة، كقولك: خُلِق حاتم من جُودٍ. **والإنسان هنا**: جنس. **وسبب الآية**: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها، والعذابَ الذي طلبوه[١]، فذكر الله هذا توطئةً لقوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ . **وقيل**: المراد هنا: آدم عليه السلام؛ لأنه لما وصل الروح إلىٰ صدره أراد أن يقوم. **وهذا ضعيف. وقيل**: ﴿مِنْ عَجَلٍۚ﴾ أي: من طين، **وهذا أضعف**.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ وعيدٌ، وجوابٌ علىٰ ما[٢] طلبوه من التعجيل.

(٣٨) ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية؛ تفسيرٌ لاستعجالهم.

﴿ٱلْوَعْدُ﴾ القيامة، أو نزول العذاب بهم.

(٣٩) ﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب «لو» محذوف.

﴿حِينَ﴾ مفعول به لـ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا.

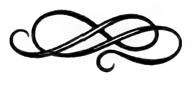
(٤٠) ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ **الضمير الفاعل**: للنار، **وقيل**: للساعة.

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تفجؤهم.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يؤخَّرون عن العذاب.

(٤١) ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ الآية؛ تسليةٌ بالتأسي.

﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط.



(١) لم أقف عليه.

(٢) في ب: «لما»، وفي أ: «ما» بدون «على».

*قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِۖ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمُۥٓ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۖ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿٤٢﴾ ﴿مَنْ يَكْلَؤُكُم﴾ أي: من يحفظكم من أمر الله؟ و«مَن» استفهامية. والمعنىٰ: تهديدٌ، وإقامةُ حجة؛ لأنهم لو أجابوا علىٰ هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ، ثم جاء قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بمعنىٰ: أنهم إذا سئلوا ذلك السؤال لم يجيبوا عنه؛ لأنه تقوم عليهم الحجة إن أجابوا، ولكنهم يعرضون عن ذكر الله؛ أي: عن الجواب الذي فيه ذكر الله. وقال الزمخشري: معنىٰ الإضراب هنا: أنهم معرضون عن ذكره، فضلًا عن أن يخافوا بأسه[1].

﴿٤٣﴾ ﴿أَمْ لَهُمُۥٓ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ أي: تمنعهم من العذاب، و ﴿أَمْ﴾ هنا للاستفهام، والمعنىٰ: الإنكار والنفي، وذلك أنه لما سألهم عمن يكلؤهم أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم، ثم احتجَّ عن ذلك بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ ، فإن من لا ينصر نفسه أولىٰ أن لا ينصر غيره.

﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار؛ أي: لا يُصْحَبون منا بنصرٍ ولا حفظ.

﴿٤٤﴾ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ أي: متعناهم بالنعم والعافية في الدنيا، فطغَوا بذلك ونسُوا عقاب الله. والإضراب بـ«بل» عن معنىٰ الكلام المتقدِّم؛ أي: لم يحملْهم علىٰ الكفر

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٥١).

والاستهزاء نصرٌ ولا حفظ، بل حملهم علىٰ ذلك أنا متَّعناهم وآباءهم.

﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾ ذُكِر في «الرعد»(١).

﴿٤٥﴾ ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ إشارةٌ إلىٰ الكفار، والصَّمَم استعارة في إفراط إعراضهم.

﴿٤٦﴾ ﴿نَفۡحَةٞ﴾ أي: خطْرةٌ، وفيها تقليل العذاب. والمعنىٰ: أنهم لو رأوا أقلَّ شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم.

﴿٤٧﴾ ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾ أي: العدْلَ، وإنما أفرد القسط، وهو صفة للجمع: لأنه مصدرٌ وُصِف به، كعَدْلٍ ورضًا، أو علىٰ تقدير: ذوات القسط. ومذهب أهل السنة: أن الميزان يوم القيامة حقيقة، له كِفَّتانِ ولسانٌ وعمودٌ توزن فيه الأعمال، والخِفَّة والثِّقَل متعلقة بأجسام؛ إما صحف الأعمال، أو ما شاء الله. وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارةٌ عن العدل في الجزاء(٢).

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قال ابن عطية: تقديره: لحساب يوم القيامة، أو لـحُكمه، فهو علىٰ حذف مضاف(٣). وقال الزمخشري: هو كقولك: كتبت الكتاب لستٍّ خَلَوْنَ من الشهر(٤).

﴿مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ أي: وزنُها، والرفع(٥) علىٰ أنَّ «كان» تامة، والنصب علىٰ أنها ناقصة واسمها مضمر.

﴿٤٨﴾ ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ هنا: التوراة. وقيل: التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة.

﴿٥٠﴾ ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ﴾ يعني: القرآنَ.



(١) انظر تفسير الآية (٤٢).

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (١١٠).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ١٧٣).

(٤) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٥٧).

(٥) قرأ نافع بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

*وَلَقَدَ ـاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ اِ۬لتَّمَاثِيلُ اُ۬لتِےٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمُۥٓ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِے ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمَ اَنتَ مِنَ اَ۬للَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ اُ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ اِ۬لذِے فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَيٰ ذَٰلِكُم مِّنَ اَ۬لشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذاً اِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمُۥٓ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ اَ۬لظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتيٗ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَاتُواْ بِهِۦ عَلَيٰٓ أَعْيُنِ اِ۬لنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَآنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمُۥٓ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَيٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمُۥٓ أَنتُمُ اُ۬لظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَيٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اِ۬للَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـٔاً وَلَا يَضُرُّكُمُۥٓ أُفّٖ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اِ۬للَّهِۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمُۥٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِے بَرْداً وَسَلَٰماً عَلَيٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٨﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْداً فَجَعَلْنَٰهُمُ اُ۬لَاخْسَرِينَ ﴿٦٩﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطاً اِلَي اَ۬لَارْضِ اِ۬لتِے بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّاٗ جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧١﴾ *وَجَعَلْنَٰهُمُۥٓ أَيِمَّةٗ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ اَ۬لْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ اَ۬لصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ اَ۬لزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٢﴾ وَلُوطاً ـاتَيْنَٰهُ حُكْماً وَعِلْماٗ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ اَ۬لْقَرْيَةِ اِ۬لتِے كَانَت تَّعْمَلُ اُ۬لْخَبَٰٓئِثَۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٖ فَٰسِقِينَ ﴿٧٣﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِے رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ اَ۬لصَّٰلِحِينَ ﴿٧٤﴾

﴿٥١﴾ ﴿رُشْدَهُۥ﴾ يعني: إرشادَه إلىٰ توحيد الله، وكسر الأصنام، وغيرِ ذلك.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل موسىٰ وهارون عليهما السلام. **وقيل**: آتيناه رشده قبل النبوة.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: عَلِمنا[1] أنه يستحقُّ ذلك.

﴿٥٢﴾ ﴿اِ۬لتَّمَاثِيلُ﴾ يعني: الأصنامَ، وكانت علىٰ صور بني آدم.

---

(١) في أ: «علمناه».

(٥٣) ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ اعترافٌ بالتقليد من غير دليل.

(٥٥) ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: هل[١] هذا الذي تقول جِدٌّ أو[٢] مزاحٌ؟! وانظر كيف عبَّروا[٣] عن الحق بالفعل، وعن اللَّعِب بالجملة الاسمية؛ لأنه أثبت عندهم.

(٥٦) ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ أي: خلقهن، والضمير للسماوات والأرض، والتماثيل[٤]، وهذا[٥] أليق بالردِّ عليهم.

(٥٧) ﴿بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾ يعني: خروجَهم إلىٰ عيدهم.

(٥٨) ﴿جُذَٰذًا﴾ أي: فُتاتًا، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح[٦]، وهو من الجذِّ بمعنىٰ القطع.

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ﴾ ترَكَ الصنم الكبير لم يكسره، وعلَّق القَدوم علىٰ يده[٧].

﴿إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ﴾ الضمير للصنم الكبير؛ أي: يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبُهم، فيظهر لهم أنه لا يقدر علىٰ شيء. وقيل: الضمير لإبراهيم عليه السلام، أي: يرجعون إليه فيبيِّن لهم الحق.

(٥٩) ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ قبلَه محذوف تقديره: فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة، فـ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾.

(٦٠) ﴿فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ﴾ أي: يذكرهم بالذمِّ، وبقوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾.

---

(١) لم ترد في أ، هـ.

(٢) في ج، د: «أم».

(٣) في ج، د: «عبر».

(٤) كذا في جميع النسخ الخطية! ولعل صواب العبارة: «أو للتماثيل»؛ ليستقيم الكلام مع ما بعده وهو قوله: «وهو أليق بالرد عليهم»؛ أي: كون الضمير للتماثيل أليق من كونه للسماوات والأرض، وهذا هو الموافق لعبارة الكشاف (١٠/ ٣٦٥) إذ قال: «الضمير في ﴿فطرهن﴾ للسماوات والأرض، أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم».

(٥) في ج، د: «وهو».

(٦) قرأ الكسائي بكسر الجيم، وقرأ الباقون من السبعة بضمها، وقرئ في الشاذ بفتحها، وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وأبو نُهيك وأبو السماك. المحرر الوجيز (٦/ ١٧٥).

(٧) في أ، ب، ج، هـ: «من يده»!

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ **قيل**: إن إعراب ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ منادىٰ[١]. **وقيل**: خبر ابتداء مضمر. **وقال الأعلم**[٢]: هو رفعٌ علىٰ الإهمال[٣]. **والصحيح أنه مفعول لم يسمَّ فاعله بـ﴿يُقَالُ﴾**؛ لأن المراد الاسمُ لا المسمَّىٰ. **وهذا اختيار ابن عطية**[٤] **والزمخشري**[٥].

﴿٦١﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي: يشهدون عليه بما فعل، أو يحضرون عقوبتنا له.

﴿٦٣﴾ ﴿فَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تبكيتَهم وإقامةَ الحجة عليهم، كأنه يقول: إن كان إلـهًا فهو قادر علىٰ أن يفعل، وإن لم يقدر فليس بإله، ولم يقصد الإخبار المحض؛ لأنه كَذِبٌ. **فإن قيل**: فقد جاء في الحديث: «**إن إبراهيم كذب ثلاث كَذَبات، إحداها**[٦] **قوله**: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾»[٧]؟

فالجواب: أن معنىٰ ذلك: أنه قال قولًا ظاهره الكذب، وإن كان القصدُ به معنىٰ آخر، ويدل علىٰ ذلك قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾؛ لأنه أراد به أيضًا تبكيتَهم وبيانَ ضلالهم.

﴿٦٤﴾ ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: رجعوا إليها بالفكرة والنظر، أو رجعوا إليها بالملامة.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر علىٰ شيء. أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وفي تعنيفه علىٰ أعين الناس.

---

(١) كأنهم أرادوا: الذي يقال له عندما يُدعىٰ: يا إبراهيم. المحرر الوجيز (٦/ ١٧٦).

(٢) هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسىٰ الشَّنْتَمري الإشبيلي، النحوي، ولد سنة (٤١٠هـ)، كان عالما بالعربية واللغة واسع الحفظ للأشعار ومعانيها، جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن، فكانت الرحلة إليه في وقته. لُقِّب بالأعلم؛ لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقًّا واسعا، وتوفي بإشبيليَة سنة (٤٧٦هـ). أنظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٦/ ٢٨٤٨).

(٣) قال ابن عطية في توضيح مراده: «لما رأىٰ وجوه الرَّفع كلها لا توضِّح المعنىٰ الذي قصدوه؛ ذهب إلىٰ رفعه بغير شيء، كما قد يَرفع التجرُّد والعُرُوُّ عن العوامل الابتداءَ» المحرر الوجيز (٦/ ١٧٦).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ١٧٦).

(٥) انظر: الكشاف (١٠/ ٣٧٠).

(٦) في د: «أحدها».

(٧) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿٦٥﴾ ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ استعارةٌ لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلىٰ الباطل والمعاندة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟! فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم، فهذه غاية الضَّلال في فعلهم، وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم. ويَحتمل أن يكون ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ بمعنىٰ رجوعهم عن[1] المجادلة إلىٰ الانقطاع؛ فإن قولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ اعترافٌ يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة. ويَحتمل علىٰ هذا أن يكون ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ حقيقةً؛ أي: أطرقوا من الخجل لـمَّا قامت عليهم الحجة.

﴿٦٦﴾ ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ تقدَّم الكلام علىٰ ﴿أُفٍّ﴾ في «الإسراء»[2].

﴿٦٧﴾ ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلىٰ التغلُّب عليه[3] بالظلم.

﴿٦٨﴾ ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَٰماً﴾ أي: ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة.

واختُلف كيف برَدت النار؟ فقيل: أزال الله عنها ما فيها من الحرِّ والإحراق. **وقيل**: دَفع عن جسم إبراهيم عليه السلام حرَّها وإحراقها، مع ترك ذلك فيها. **وقيل**: خَلق بينه وبينها حائلًا. **ومعنىٰ السلام هنا**: السلامة، وقد روي[4] أنه لو لم يقل: ﴿سَلَٰماً﴾ لهلَك إبراهيم بالبرد[5]. وقد أضربْنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم عليه السلام؛ لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه.

﴿٧٠﴾ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، خرج إليها من العراق. **وبركتُها**: بخِصْبها، وكثرة الأنبياء فيها[6].

---

(١) في أ: «من».

(٢) انظر تفسير الآية (٢٣).

(٣) لم ترد هذه الكلمة في ج، د.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٣٠٦) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وأخرجه أحمد في الزهد، ط. دار ابن رجب (١٧١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٤٨٢) عن علي رضي الله عنه.

(٥) في هـ: «من البرد».

(٦) «فيها» زيادة من ج، د.

(٧٢) ﴿نَافِلَةً﴾ أي: عطية، والتنفيل[1]: العطاء. وقيل: سماه نافلة؛ لأنه عطاءٌ بغير سؤال؛ فكأنه تبرُّع. وقيل: الهبة: إسحاق، والنافلة: يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله: ﴿هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، فأُعطي يعقوبَ؛ زيادةً على ما سأل. واختار بعضهم على هذا الوقف على ﴿إِسْحَٰقَ﴾؛ لبيان المعنى، وهذا ضعيف؛ لأنه معطوفٌ على كلِّ قولٍ.

(٧٣) ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يرشدون الناس بإذننا.

(٧٤) ﴿وَلُوطًا﴾ قيل: إنه انتصب بفعل مضمر يفسِّره ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ . والأظهر أنه انتصب بالعطف على ﴿مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ، أو[2] ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ . وانتصب ﴿نُوحًا﴾ و﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ وما بعدهم بالعطف أيضًا، وقيل: بفعل مضمر تقديره: اذكر.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ أي: حكمًا بين الناس، أو حكمةً.

﴿مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ هي سَدُوم[3] من أرض الشام.

(٧٥) ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: في الجنة، أو في أهل رحمتنا[4].



(١) في ب، ج: «والتنفل».

(٢) في ، د: «و».

(٣) في ب: «سدام».

(٤) [التعليق ٧٤] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: كلٌّ مِن التفسيرَيْنِ صحيحٌ، وإنْ كان الأوَّلُ هو الجاريَ على الظاهر. ويدُلُّ لصحَّةِ التفسيرَيْنِ: قولُه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، وقولُه: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، وقولُه سبحانه عن سُلَيْمانَ عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩]، وقال اللهُ في الحديثِ القُدْسيِّ للجَنَّةِ: «أَنْتِ رَحْمَتِي؛ أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي» [أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ]. والله أعلم.

وَ نُوحاً اِذْ نَادِىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ اَلْكَرْبِ اِلْعَظِيمِ ﴿٧٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ اَلْقَوْمِ اِلذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٧٦﴾ وَ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَٰنِ فِے اِلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ اُلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٧﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلّاً -اتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ اَلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٨﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلَ اَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٧٩﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ اَلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِے بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى اَلاَرْضِ اِلتِے بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَےْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨٠﴾ وَمِنَ اَلشَّيَٰطِينِ مَنْ يَّغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادِىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّے مَسَّنِيَ اَلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ اُلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرِىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا اَلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ اَلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِے رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ اَلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ *وَذَا اَلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادِىٰ فِے اِلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّے كُنتُ مِنَ اَلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ اَلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِے اِلْمُومِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَزَكَرِيَّآءَ إِذْ نَادِىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لاَ تَذَرْنِے فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ اُلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٨﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيِىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِے اِلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٨٩﴾ وَالتِے أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَابْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمُۥٓ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩١﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ اِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٢﴾

﴿٧٥﴾ ﴿نَادِىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: دعا قبل إبراهيم ولوط عليهما السلام.

﴿مِنَ اَلْكَرْبِ﴾ يعني: الغرقَ.

﴿٧٦﴾ ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ اَلْقَوْمِ﴾ تعدَّىٰ ﴿نَصَرْنَٰهُ﴾ بـ﴿مِنَ﴾: لأنه مطاوع «انتصر»[1] المتعدِّي

(١) كذا وردت العبارة في النسخ الخطية! والصواب: «لأن مطاوعه (انتصر)» يقال: نصرتُه فانتصر، وانظر: الكشاف (١٠/ ٣٨٠).

بـ«مِن»، أو تضمَّن[١] معنىٰ: نجَّيناه، أو أجزْناه.

﴿٧٧﴾ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ كان داود ﷺ نبيًّا ملكًا، وكان ابنه سليمان ﷺ حينئذٍ ابنَ[٢] أحد عشر عامًا.

﴿فِى ٱلْحَرْثِ﴾ قيل: زرع، وقيل: كَرْم، والحرث يقال فيهما.

﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ رعَتْ فيه بالليل.

﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ الضمير لداود وسليمان ﷺ والمتخاصمَينِ، وقيل: لداود وسليمان ﷺ خاصةً؛ علىٰ أن يكون أقلُّ الجمع اثنين.

﴿٧٨﴾ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ تخاصم إلىٰ داود رجلان، دخلت غنمُ أحدِهما علىٰ زرع الآخر بالليل فأفسدته، فقضىٰ داودُ بأن يأخذ صاحبُ[٣] الزرع الغنمَ، ووجْه هذا الحكم: أن قيمة[٤] الزرع[٥] مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان علىٰ سليمان وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال: يا نبيَّ الله لو حكمتَ بغير هذا كان[٦] أرفق للجميع!

قال: وما هو؟ قال: يأخذ صاحب الغنم الأرضَ؛ ليصلحها حتىٰ يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم ينتفعُ بألبانها وصوفها ونَسْلها، فإذا كمل الزرع رُدَّت الغنمُ إلىٰ صاحبها، والأرضُ بزرعها إلىٰ ربِّها، فقال له داود: وُفِّقتَ يا بنيَّ، وقضىٰ بينهما بذلك، ووجْه حكمِ سليمان: أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وأوجب علىٰ صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتىٰ يزول الضرر والنقصان. ويَحتمل أن يكون ذلك إصلاحًا، لا حكمًا.

(١) في ج: «أو ضُمِّن»، وسقطت من ب.

(٢) في أ، ب، ج، هـ: «من»!

(٣) في ب: «ربُّ».

(٤) في ب زيادة «هذا».

(٥) في د زيادة: «كانت».

(٦) في ب، د: «لكان».

واختَلف الناس: هل كان حكمهما باجتهادٍ أو وحي؟

فمن قال: كان باجتهاد: أجاز الاجتهاد للأنبياء، وروي أن داود ﷺ رجع عن حكمه لـمَّا تبين له أن الصواب خلافه.

وقد اختُلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء، وعلى القول بالجواز اختُلف: هل وقع أم لا؟ وظاهر قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ أنه كان باجتهادٍ، خصَّ الله سليمان ﷺ فيه بفهم القضية. **ومن قال: كان بوحي:** جعل حكم سليمان ﷺ ناسخًا لحكم داود ﷺ. **وأما حكم إفساد المواشي للزرع**[١] **في شرعنا:**

فقال مالك والشافعي[٢]: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون النهار؛ للحديث الوارد في ذلك[٣]، وعلى هذا يدلُّ حكم داود وسليمان ﷺ؛ لأن النَّفْش لا يكون إلَّا بالليل. **وقال أبو حنيفة:** لا يَضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار؛ لقوله ﷺ: «**العجماءُ جرْحُها جُبَارٌ**»[٤].

﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ **قيل:** يعني في هذه النازلة، وأنَّ داود ﷺ لم يخطئ فيها، ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدلُّ هذا القول على أنَّ كل مجتهد مصيبٌ[٥].

---

(١) في ج: «الزرعَ».

(٢) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٥/ ٣٣٧).

(٣) وهو ما أخرجه أحمد في مسنده (١٨٦٠٦) وأبو داود (٣٥٧٠)، والنسائي في الكبرى (٥٧٥٣) وابن ماجه (٢٣٣٢)، والحاكم (٢٣٠٣) وصححه ووافقه الذهبي: عن حرام بن مُحَيِّصة بن مسعود أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدته، فقضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل. وفي إسناد الحديث اختلاف فروي عن حرام بن محيصة عن البراء، وهو على هذا مرسل؛ فإن حرامًا لم يسمع من البراء، وروي موصولًا عن حرام بن محيصة عن أبيه عن البراء، أخرجه كذلك أحمد (٢٣٦٩٧)، وأبو داود (٣٥٦٩)، والنسائي في الكبرى (٥٧٥٤)، وابن حبان (٦٠٠٨). وصوَّب ابن عبد البر وغيره المرسل، وقال في التمهيد (١١/ ٨٢): «هذا الحديث وإن كان مرسلا فهو حديث مشهور أرسله الأئمة وحدث به الثقات واستعمله فقهاء الحجاز وتلقوه بالقبول». وانظر: البدر المنير (٩/ ١٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٩١٢)، ومسلم (١٧١٠) عن أبي هريرة ﷺ. والعجماء: الدابة، والجبار: الهدر. النهاية لابن الأثير (٢/ ٥٦٧).

(٥) القول الصحيح الذي عليه المحقِّقون في هذه المسألة: أن المصيب في مسائل الاجتهاد في الشريعة واحدٌ، وأن الشريعة راجعة إلى قول واحد يصيبه من أصابه ويخطؤه من أخطأه، فمن أصابه فله أجران أجر على =

وقيل: بل يعني: حكمًا وعلمًا في غير هذه النازلة، وهذا على القول بأنه أخطأ فيها، وأن المصيب واحد من المجتهدين.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كان هذا التسبيح قول: «سبحان الله»، **وقيل**: الصلاة معه إذا صلَّىٰ. وقدَّم الجبال على الطير؛ لأن تسبيحها أغرب؛ إذ هي جمادٌ.

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على أن نفعل هذا. **وقال ابن عطية**: معناه: كان ذلك في حقه؛ لأجل أن داود ﷺ استوجب ذلك منا[1].

(٧٩) ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ يعني: دروعَ[2] الحديد، وأول من صنعها داود ﷺ، **قال ابن عطية**: اللَّبوس في اللغة: السلاح[3]. **وقال الزمخشري**: اللَّبوس: اللِّباس[4].

﴿لِيُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي: لتَقِيَكم في القتال. وقرئ بالياء والتاء والنون[5]، **فالنون**: لله تعالى، **والتاء**: للصَّنعة، **والياء**: لداود، أو للبوس.

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: استدعاءٌ إلى الشكر.

(٨٠) ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ عطف ﴿ٱلرِّيحَ﴾ على ﴿ٱلْجِبَالَ﴾، **والعاصفة**: هي الشديدة. **فإن قيل**: كيف قال ﴿عَاصِفَةً﴾ وقال في «ص»: ﴿رُخَآءً﴾ [ص: ٣٥] أي: ليِّنة؟

فالجواب: أنها كانت في نفسها ليِّنةً طيبة، وكانت تسرع في جريها كالعاصف، فجَمعت الوصفين. **وقيل**: كانت رُخاءً في ذهابه، وعاصفةً في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة

= اجتهاده، وأجر على إصابته الحق، ومن أخطأه فله أجر واحد على اجتهاد، وخطؤه مغفور له، ويدل على هذا قوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر» [أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)]. انظر: قواطع الأدلة للسمعاني (٥/ ١٩)، ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥/ ٨٧) وما بعدها، والموافقات للشاطبي (٥/ ٥٩).

(١) المحرر الوجيز (٦/ ١٨٨).

(٢) في أ، ب: «درع».

(٣) المحرر الوجيز (٦/ ١٨٩).

(٤) الكشاف (١٠/ ٣٨٥)

(٥) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء، وقرأ شعبة عن عاصم بالنون، وقرأ الباقون بالياء.

المسافرين الإسراعُ في الرجوع. وقيل: كانت تشتدُّ إذا رَفعت البساط، وتلين إذا حملته.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني: أرض الشام، وكانت مسكنَه وموضعَ(١) مُلكه، فخصَّ في الآية الرجوع إليها؛ لأنه(٢) يدلُّ على الانتقال منها(٣).

﴿٨٢﴾ ﴿يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي: يَدخلون في الماء؛ ليستخرجوا له الجوهر من البحار.

﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أقلَّ من الغَوص، كالبنيان والخدمة.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أي: نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه. وقيل: معناه عالمين بعددهم.

﴿٨٣﴾ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ كان أيوب ﷺ نبيًّا من الروم، وقيل: من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير، فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك(٤) الأولاد فصبر، ثم سلَّط البلاءَ على جسمه فصبر إلى أن مرَّ به قوم فشمِتوا به، فحينئذٍ دعا إلى الله(٥) تعالى.

على أن قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ليس تصريحًا بالدعاء، ولكنه ذكَر نفسه بما يوجب الرحمة، ووصف ربَّه بغاية الرحمة؛ ليرحمه، فكان في ذلك من حسن التلطُّف ما ليس في التصريح بالطلب.

﴿٨٤﴾ ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ لما استجاب الله له أنبع(٦) له عينًا من ماء، فشرب منه واغتسل، فبرئ من المرض والبلاء.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ روي أنَّ الله أحيا أولاده الموتى(٧)، ورزقه مثلهم معهم في

---

(١) في ج، د: «وأرض».

(٢) في أ، ب: «فإنه».

(٣) قال في المحرر الوجيز (٦/ ١٩٠): «وخصَّص في هذه الآية انصرافه في سفَراته إلى أرضه؛ لأن ذلك يقتضي سفرَه إلى المواضع التي سافر إليها».

(٤) في ج: «هلك».

(٥) في د: «دعا الله».

(٦) في هـ: «فتح»

(٧) هذه الكلمة زيادة من ج، د.

الدنيا، وقيل: في الآخرة. وقيل: وَلَدت امرأته مثل عدد أولاده الموتىٰ، ومثلهم معهم. وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله.

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: رحمةً لأيوب، وذكرىٰ لغيره من العابدين؛ ليصبروا كما صبر، ويَحتمل أن تكون الرحمة والذكرىٰ معًا للعابِدِين.

﴿٨٥﴾ ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ قيل: هو إلياس عليه السلام، وقيل: زكريا عليه السلام، وقيل: نبيٌّ بُعِث إلىٰ رجل واحد[1]، وقيل: رجل صالح غير نبي. وسُمِّي ذا الكفل أي: ذا الحظِّ من الله، وقيل: لأنه تكفَّل لليسَع بالقيام بالأمر[2] مِن بعده.

﴿٨٦﴾ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ هو يونس عليه السلام، والنون: هو الحوت، نُسِب إليه؛ لأنه الْتقمه.

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ أي: مغاضبًا لقومه؛ إذ كان يدعوهم إلىٰ الله فيكفرون، حتىٰ أدركه ضجَرٌ منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]. ولا يصحُّ قول من قال: مغاضبًا لربه.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظن أن لن نضيِّق عليه، فهو من معنىٰ قوله: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٧]. وقيل: هو من القدر والقضاء؛ أي ظنَّ أن لن نقدِّر عليه بعقوبة. ولا يصح قول من قال: إنه من القدرة.

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قبل هذا الكلام محذوفٌ؛ لبيانه في غير هذه الآية، وهو: أنه لما خرج ركب السفينة فرُمِي في البحر، فالتقمه الحوت، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت. ويَحتمل أنْ عبَّر بالظلمات عن بطن الحوت؛ لشدَّة ظلمته، كقوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٦].

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿أَن﴾ مفسِّرة، أو مصدرية علىٰ تقدير: نادىٰ بأن. والظلم الذي اعترف به: كونه لم يصبر علىٰ قومه وخرج عنهم.

(١) في ب: «وحده».

(٢) في ب، هـ: «بأمره».

﴿٨٨﴾ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعني: من بطن الحوت، وأخرجه إلىٰ البرِّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون مطلقًا، أو يكون لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك[1] قال رسول الله ﷺ: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلَّا استجيب له»[2].

﴿٨٩﴾ ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد ولا وارث.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: إن لم ترزقني وارثًا فأنت خير الوارثين، فهو استسلامٌ لله.

﴿٩٠﴾ ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ يعني: وَلَدت بعد أن كانت عقيمًا، واسم زوجته: أشياع، قاله السهيلي[3].

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الضمير للأنبياء المذكورين.

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الرَّغَب: الرجاء، والرَّهَب: الخوف. وقيل: الرغب: أن ترفع إلىٰ السماء بطون الأيدي، والرهب: أن ترفع ظهورها[4].

﴿٩١﴾ ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران، ومعنىٰ ﴿أَحْصَنَتْ﴾: من العفة؛ أي: أعفَّته عن[5] الحرام والحلال، كقولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧].

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: أجرينا فيها روح عيسىٰ لـمَّا نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلىٰ نفسه؛ لأنه كان بأمره. والروح هنا: هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلىٰ نفسه؛ للتشريف، أو للملك.

﴿ءَايَةً﴾ أي: دلالة، ولذلك لم يثنِّ[6].

---

(١) في أ، هـ: «وكذلك».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٦٢)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٤١٧)، والحاكم (٤١٢١) وصححه ووافقه الذهبي، عن إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن سعد رضي الله عنه.

(٣) التعريف والإعلام للسهيلي (ص: ٢١١).

(٤) في ج، د: «ظهورهما».

(٥) في أ، ب، هـ: «من».

(٦) لأن حالهما بمجموعهما آيةٌ واحدة، وهي ولادتها إياه من غير فحل. الكشاف (١٠/ ٣٩٨).

(٩١) ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ﴾ أي: ملَّتكم ملة واحدة، وهو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين لمحمد ﷺ؛ أي: إنما بُعِث الأنبياء المذكورون بما أُمرتم به من الدين؛ لأن جميع الرسل متفقون في أصول العقائد.

(٩٢) ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ أي: اختلفوا فيه، وهو استعارةٌ مِن جَعْل الشيء قِطَعًا. والضمير للمخاطَبين قبلُ، فالأصل: تقطَّعتم.



فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُومِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٣﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٤﴾ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٥﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٧﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩٩﴾ *إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠٠﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٢﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠٩﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١٠﴾ قُل رَّبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١١﴾

﴿٩٣﴾ ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: لا إبطال لثواب عمله.

﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي: نكتب عمله في صحيفته.

﴿٩٤﴾ ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قرئ ﴿حِرْمٌ﴾ بكسر الحاء[1]، وهو بمعنى حرام. واختُلف في معنى الآية: فقيل: حرام بمعنى: ممتنع، (أي: ممتنعٌ)[2] على قرية (أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة، أو ممتنعٌ على قرية)[3] قد أهلكها الله أن يرجعوا

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف، وقرأ الباقون بفتح الحاء والراء وألف بعدها.

(٢) سقط من ب، ج، هـ.

(٣) سقط من أ، ب، هـ.

إلىٰ الدنيا. و﴿لَا﴾ زائدة في الوجهين.

وقيل: حرام بمعنىٰ: حتمٌ واقع لا محالة، ويُتصوَّر فيه الوجهان، وتكون ﴿لَا﴾ نافيةً فيهما، أي: حتمٌ عدمُ رجوعهم إلىٰ الله بالتوبة، أو حتم عدم رجوعهم إلىٰ الدنيا.

وقيل: المعنىٰ: ممتنعٌ علىٰ قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، و﴿لَا﴾ علىٰ هذا نافيةٌ أيضًا، ففيه ردٌّ علىٰ من أنكر البعث.

(٩٦) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا: حرف ابتداء، أو غايةٌ متعلِّقة بـ ﴿يَرْجِعُونَ﴾. وجواب ﴿إِذَا﴾: ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾، وقيل: الجواب: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾؛ لأن تقديره: يقولون يا ويلنا. و﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي: فُتِح سدُّها، فحذف المضاف.

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ **الحدَب**: المرتفع من الأرض، و﴿يَنسِلُونَ﴾: أي يسرعون. **والضمير**: ليأجوج ومأجوج؛ أي: يَخرجون من[1] كل طريق؛ لكثرتهم، **وقيل**: لجميع الناس.

(٩٧) ﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني:[2] القيامة.

﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾ «إذا» هنا للمفاجأة، **والضمير عند سيبويه**: ضمير القِصَّة، **وعند الفراء**: للأبصار. و﴿شَٰخِصَةٌ﴾ من الشخوص، وهو إحداد النظر من الخوف.

(٩٨) ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطابٌ للمشركين. **والحصَب**: ما توقد به النار، كالحطب، وقرأ عليُّ بن أبي طالب ﵁: «حطب جهنم»[3]. والمراد بـ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: الأصنام وغيرها، تُحرَق في النار؛ توبيخًا لمن عبدها.

﴿وَٰرِدُونَ﴾ الورود هنا: دخول[4].

(١٠٠) ﴿زَفِيرٌ﴾ ذُكر في «هود»[5].

---

(١) في ب: «على».

(٢) في ج زيادة: «يوم».

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٤١٢).

(٤) في هـ: «الدخول».

(٥) انظر تفسير الآية (١٠٦).

﴿لاَ يَسْمَعُونَ﴾ قيل: يُجعلون في توابيت من نار، فلا يسمعون شيئًا. وقيل: يُصِمُّهم الله كما يُعميهم.

(١٠١) ﴿إِنَّ ٱلذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ ﴿سَبَقَتْ﴾ أي: قُضيت في الأزل، و﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: السعادة. ونزلت الآية لما اعترض ابن الزِّبَعْرىٰ علىٰ قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فقال: إن عيسىٰ وعزيرَ والملائكةَ قد عُبدوا[1]. فالمعنىٰ: إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد، واللفظ مع ذلك علىٰ عمومه في كل مَن سبقت له السعادة.

(١٠٢) ﴿حَسِيسَهَا﴾ أي: صوتها.

(١٠٣) ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلَاكْبَرُ﴾ أهوال القيامة علىٰ الجملة، وقيل: ذَبح الموت، وقيل: النفخة الأولىٰ في الصور؛ لقوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْاَرْضِ﴾ [النمل: ٨٩].

(١٠٤) ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَٰبِ﴾ السِّجِلُّ: الصحيفة، والكتاب: مصدر؛ أي: كما يُطوَىٰ السجل ليكتب فيه، أو ليصان الكتاب الذي فيه.

وقيل: السجل: رجل كاتب، وهذا ضعيف. وقيل: هو ملَك في السماء الثانية، ترفع إليه الأعمال، وهذا أيضًا ضعيف.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ أي: كما قَدَرْنا علىٰ البَدْأة نَقدِر علىٰ الإعادة، فهو كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨]. وقيل: المعنىٰ: نعيدهم علىٰ الصورة التي بدأناهم[2] كما جاء في الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلًا»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[3]. والكاف متعلِّقة بقوله: ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾.

﴿فَٰعِلِينَ﴾ تأكيدٌ لوقوع البعث.

---

(١) أخرجه ابن مردويه -كما في تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٩)، والدر المنثور (١٠/ ٣٧١)- وعنه الحافظ الضياء في المختارة (١١/ ٣٤٥)، عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ. ورواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٥٣) عن عاصم بن بهدلة عن أبي رزين عن ابن عباس ﷺ.

(٢) في أ، ب، هـ: «بدأناهم».

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٥٩) عن ابن عباس ﷺ.

(١٠٥) ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ في الزبور هنا قولان:

أحدهما: أنه كتاب داود عليه السلام، والذِّكر هنا علىٰ هذا: التوراة التي أنزل الله علىٰ موسىٰ عليه السلام، أو ما في الزبور من ذكر الله تعالىٰ.

والقول الآخَر: أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله علىٰ جميع الأنبياء، والذكر علىٰ هذا: هو اللوح المحفوظ؛ أي: كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرد له، بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضىٰ الأمور كلها.

والأول أرجح؛ لأن إطلاق الزبور علىٰ كتاب داود عليه السلام أظهرُ وأكثر استعمالًا، ولأن الزبور مفردٌ، فدلالته علىٰ الواحد أرجح من دلالته علىٰ الجمع، ولأن النصَّ قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها[1] الصالحون.

﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأرض هنا علىٰ الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها. وقيل: الأرض المقدسة. وقيل: أرض الجنة. والأول أظهر.

والعباد الصالحون: أمَّة محمد ﷺ، ففي الآية ثناءٌ عليهم، وإخبارٌ بغيبٍ ظهر[2] مصداقُه في الوجود؛ إذ فتح الله لهذه الأمة مشارقَ الأرض ومغاربَها.

(١٠٧) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا خطاب لمحمد ﷺ، وفيه تشريف عظيم. وانتصاب ﴿رَحْمَةً﴾ علىٰ أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنىٰ علىٰ هذا: أن النبي ﷺ هو الرحمة. ويَحتمل: أن يكون مصدرًا في موضع الحال من ضمير الفاعل، تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين، أو يكون مفعولًا من أجله.

والمعنىٰ علىٰ كل وجه: أن الله رحم العالمين بإرسال محمد ﷺ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرىٰ، والنجاة من الشقاوة العظمىٰ، ونالوا علىٰ يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولىٰ، وعلمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة.

---

(١) في ج زيادة: «عبادي».

(٢) في أ، ب: «وإخبار بظهور غيب»!

فإن قيل: ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ عمومٌ، والكفار لم يُرحموا به؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم كانوا معرَّضين للرحمة به لو آمنوا، فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم.

والآخر: أنهم رُحِموا به؛ لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدِّمون من الطوفان والصيحة وشبه ذلك.

﴿١٠٩﴾ ﴿ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖ﴾ أي: أعلمتكم بالحق على استواءٍ في الإعلام، وتبليغٍ إلى جميعكم لم يختصَّ به واحد دون[1] آخر.

﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ «إن» هنا وفي الموضع الآخر نافيةٌ، و﴿أَدۡرِيٓ﴾ فعلٌ عُلِّق عن معموله؛ لأنه من أفعال القلوب، وما بعده في موضع المعمول من طريق المعنى؛ فيجب وصْلُه معه، والهمزة في قوله: ﴿أَقَرِيبٌ﴾ للتسوية، لا لمجرَّد الاستفهام. وقيل: يوقف على ﴿إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ في الموضعين، ويبتدأ بما بعده، وهذا خطأ؛ لأنه يَطلب ما بعده.

﴿١١٠﴾ ﴿لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ﴾ الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم.

﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ أي: إلى الموت، أو القيامة.

﴿١١١﴾ ﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب.



(١) في أ، ب زيادة: «واحد».



سورة الحج

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ۝٤ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۝٧ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٩ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠﴾

۝١ ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ تكلَّمنا على التقوى في أول «البقرة».

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي: شدَّتَها وهَوْلها[1]، كقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤]، أو تحريك الأرض حينئذ، كقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]. والجملة تعليلٌ للأمر بالتقوى. واختُلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك: في الدنيا بين يدي القيامة؟

(١) في أ، ب، هـ: «وهو هولها».

أو بعد أن تقوم القيامة؟ والأرجح: أن ذلك قبل القيامة؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل، لا بعد القيامة.

(٢) ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ العامل في الظرف ﴿تَذْهَلُ﴾. والضمير للزلزلة، وقيل: للساعة، وذلك ضعيف؛ لما ذكرنا، إلَّا أن يريد ابتداء أمرها.

﴿تَذْهَلُ﴾ الذُّهول: هو الذهاب عن الشيء مع دَهْشة.

﴿مُرْضِعَةٍ﴾ إنما لم يقل «مرضع»؛ لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع مُلْقِمةً ثدْيَها للصبي، والمرضع: التي شأنها أن تُرضِع، وإن لم تباشر الإرضاعَ في حال وصفها به، فقال: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾؛ ليكون ذلك أعظم في الذهول؛ إذ تنزع ثديها من فمِ الصبي حينئذ.

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ تشبيهٌ بالسُّكارىٰ؛ لشدَّة الغمِّ.

﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ نفيٌ لحقيقة السُّكر. وقرئ ﴿سَكْرَىٰ﴾[1]، والمعنىٰ متَّفق[2].

(٣) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ نزلت في النضر بن الحارث[3]، وقيل: في أبي جهل[4]. وهي تتناول كلَّ مَن اتصف بذلك.

﴿شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: شديدِ الإغواء، ويَحتمل أن يريد: شيطان الجن، أو الإنس.

(٤) ﴿كُتِبَ﴾ تمثيلٌ لثبوت الأمر، كأنه مكتوب. ويَحتمل أن يكون بمعنىٰ: قُضي، كقوله: كتَب الله.

﴿أَنَّهُۥ﴾ في موضع المفعول الذي لم يسَمَّ فاعله، و﴿فَأَنَّهُۥ﴾ عطفٌ عليه، وقيل: تأكيد[5].

﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: تبعه، أو اتخذه وليًّا. والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾، وفي ﴿أَنَّهُۥ﴾ في الموضعين،

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بفتح السين وإسكان الكاف من غير ألف، وقرأ الباقون بضم السين وفتح الكاف وألف.

(٢) في ج زيادة «عليه».

(٣) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٥٩) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٤) عن أبي مالك.

(٤) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦/ ٢١٤) قولًا، ولم أقف عليه مسندًا.

(٥) هكذا أعربها ابن عطية (٦/ ٢١٥) والزمخشري (١٠/ ٤٣٦) وصرح الطِّيبي في حاشيته بأن هذا موضع صعب من حيث الإعراب، وبسَط الكلام فيه. وانظر: البحر المحيط (١٥/ ٣١٠)، والدر المصون (٨/ ٢٢٧-٢٢٨).

وفي ﴿تَوَلَّاهُ﴾ : للشيطان. وفي ﴿يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾: للمتولِّي له. ويَحتمل أن تكون تلك الضمائر أوَّلًا لـ﴿مَن يُجَٰدِلُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ الآيةَ؛ معناها: إن شككتم في البعث الأُخراوي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خِلْقتكم؛ فتعلموا أن الذي قدَر علىٰ خِلْقتكم أول مرة، قادرٌ علىٰ أن يعيدكم ثانيَ مرة، وأن الذي قدَر علىٰ إخراج النبات من الأرض بعد موتها، قادر علىٰ أن يخرجكم من قبوركم.

﴿خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ إشارةٌ إلىٰ خلق آدم ﷺ، وأسند ذلك إلىٰ الناس؛ لأنهم من ذريته، وهو أصلهم.

﴿مِنْ عَلَقَةٍ﴾ العلقة: قطعةٌ من دمٍ جامدةٌ.

﴿مِن مُّضْغَةٍ﴾ أي: قطعة من لحم.

﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ التامة الخلقة، وغير المخلَّقة: غير التامة، كالسِّقْط. وقيل: المخلَّقة: المسوَّاة السالمة من النُّقصان.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ اللام تتعلَّق بمحذوف تقديره: ذكرنا ذلك لنبيِّن لكم قدرتنا علىٰ البعث.

﴿وَنُقِرُّ﴾ فعلٌ مستأنَف.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: وقتَ وضع الحمل، وهو مختلِفٌ، أقلُّه ستة أشهر إلىٰ ما فوق ذلك.

﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أفرده: لأنه أراد الجنس، أو أراد: نخرج كلَّ واحد منكم طفلًا.

﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ هو كمال القوَّة والعقل والتمييز، وقد اختُلف فيه من ثمان عشرة سنة إلىٰ خمس وأربعين.

﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ ذُكر في «النحل»[1].

﴿هَامِدَةً﴾ يعني: لا نبات فيها.

---

(١) انظر تفسير الآية (٧٠).

﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾ تحرَّكت بالنبات، وتخلخلت أجزاؤها لـمَّا دخلها الماء. ﴿وَرَبَتۡ﴾ انتفخت. ﴿زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ أي: صنف عجيب.

﴿٦﴾-﴿٧﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: ذلك المذكور، مِن أمر الإنسان والنبات، حاصلٌ بأن[1] الله هو الحق. هكذا قدَّره الزمخشري[2]، والباء على هذا سببية، وبهذا المعنى أيضًا فسَّرها ابن عطية[3]. ويَلزم على هذا أن لا يكون قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ﴾ معطوفًا على ذلك؛ لأنه ليس بسبب لما ذُكِر؛ فقال ابن عطية: قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ ليس بسبب لما ذكر؛ ولكن المعنى: أن الأمر مرتبطٌ بعضه ببعض، أو على تقدير: والأمر أن الساعة[4].

وهذان الجوابان اللذان ذكَر ابنُ عطية ضعيفان.

أما قوله: «إن الأمر مرتبط بعضه ببعض»، فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف، والعطف لا يصح. وأما قوله: «على تقدير: الأمرُ أن الساعة»؛ فذلك استئنافٌ، وقطعٌ للكلام الأول، ولا شكَّ أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة؛ فكيف يجعل ذكرها مقطوعًا مما قبله؟!

والذي يظهر لي: أن الباء ليست بسببية، وإنما يُقدَّر لها فعلٌ تتعلق به ويقتضيه المعنى، وذلك أن يكون التقدير: ذلك الذي تقدَّم من خِلْقة الإنسان والنبات شاهدٌ[5] بأن الله هو الحق، وبأنه يحيي[6] الموتى، وبأن الساعة آتية، فيصح عطف: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه الأشياء المذكورة بعد قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مما استدلَّ عليها بخِلْقة الإنسان والنبات.

---

(١) في هـ: «لأن».

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٤٥).

(٣) المحرر الوجيز (٦/ ٢١٨).

(٤) المحرر الوجيز (٦/ ٢١٨).

(٥) في د: «تشهد».

(٦) في ج: «محيي».

﴿٨﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ نزلت فيمن نزلت الأولى، وقيل: في الأخنس بن شَرِيق[1].

﴿٩﴾ ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ كنايةٌ عن المتكبِّر المعرض.

﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ إن كانت في النضر بن الحارث: فالخزي: أسره ثم قتله، وكذلك قتل أبي جهل.

﴿١٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي: يقال له: ذلك بما فعلتَ، وبعدل الله؛ لأنه لا يظلم العباد.



(١) ذكر ابن عطية في تفسيره (٦/ ٢١٨) عن النقاش أنه حكاه عن محمد بن كعب.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

﴿١١﴾ ﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ نزلت في قوم من الأعراب، كان أحدهم إذا أسلم فاتّفق له ما يعجبه في ماله وولده قال: هذا دينٌ حسَن، وإن اتّفق له خلاف ذلك تشاءم به، وارتدّ عن الإسلام[1].

فالحرف هنا: كنايةٌ عن المقصِد، وأصله: من الانحراف عن الشيء، أو من الحرف بمعنىٰ الطرَف؛ أي: أنه في طرفٍ من الدين لا في وسَطه.

﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ **خسارة الدنيا**: بما جرىٰ عليه فيها، **وخسارة الآخرة**: بارتداده، وسوء اعتقاده.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤٢)، والطبري (١٦/ ٤٧٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿١٢﴾ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ يعني: الأصنامَ، و﴿يَدْعُواْ﴾ بمعنىٰ: يعبد (في الموضعين)[1].

﴿١٣﴾ ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ فيها إشكالان: الأول: في المعنىٰ، وهو كونه وصَف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأنَّ ضَرَّها أكثر من نفعها، فنفىٰ الضرَّ ثم أثبته! والجواب: أن الضر المنفي أوَّلًا يراد به ما يكون مِنْ فِعْلها، وهي لا تفعل شيئًا، والضر الثاني يراد به: ما يكون بسببها من العذاب وغيره.

والإشكال الثاني: دخول اللام علىٰ «مَن»، وهي في الظاهر مفعول، واللام لا تدخل علىٰ المفعول! وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه:

أحدها: أن اللام مقدَّمة علىٰ موضعها، كأنَّ الأصل أن يقال: يدعو مَن لضرُّه أقرب من نفعه، فموضعها الدخول علىٰ المبتدإ.

وثانيها: أنَّ ﴿يَدْعُواْ﴾ هنا كُرِّر تأكيدًا لـ﴿يَدْعُواْ﴾ الأول، وتمَّ الكلام عنده، ثم ابتدأ قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾، فـ«من» مبتدأ، وخبره ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

وثالثها: أن معنىٰ ﴿يَدْعُواْ﴾: يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأىٰ مضرَّة الأصنام، فدخلت اللام علىٰ مبتدإ في أول الكلام.

﴿ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هنا: بمعنىٰ الوليِّ.

﴿ٱلْعَشِيرُ﴾ الصاحب؛ فهو من العِشْرة[2].

﴿١٤﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيةَ؛ لما ذكر أن الأصنام لا تنفع مَن عبدها؛ قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع، وهو دخول الجنة.

﴿١٥﴾ ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ السبب هنا: الحبل، والسماء هنا: سقف البيت وشبهه من الأشياء التي تُعلَّق[3] منها الحبال.

---

(١) لم ترد في ج، د، هـ.

(٢) في أ، ب، هـ: «العشيرة»!

(٣) في ج، د، هـ: «يعلق».

والقطع هنا يراد به: الاختناق بالحبل، يقال: قَطَع الرجلُ: إذا اختَنق. **ويَحتمل أن يراد به:** قَطْعُ الرِّجْل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق، وربطه في السقف.

والمراد بالاختناق هنا: ما يفعله من اشتدَّ غيظه وحسرته، أو طمِع فيما لا يصل إليه، كقولك للحسود: مُتْ كمدًا، أو اختنق؛ فإنك لا تقدر علىٰ غير ذلك.

وفي معنىٰ الآية قولان: الأول: أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ لمحمد ﷺ، **والمعنىٰ علىٰ هذا:** مَن كان مِن الكفار يظنُّ أن لن ينصر اللهُ محمدًا فليختنق بحبل؛ فإن الله ناصره ولا بدَّ؛ علىٰ غيظ الكفار. **فموجِب الاختناق:** هو الغيظ من نصرة محمد ﷺ.

والقول الثاني: أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ عائدٌ علىٰ ﴿مَن﴾ ، **والمعنىٰ علىٰ هذا:** مَن ظنَّ بسبب ضيق صدره وكثرة غمِّه أن لن ينصره الله فليختنق، وليمت بغيظه؛ فإنه لا يَقدِر علىٰ غير ذلك. **فموجب الاختناق علىٰ هذا:** القنوط، والتسخُّط من القضاء، وسوءُ الظنِّ بالله حتىٰ ييْس[1] مِن نصره، ولذلك فسَّر بعضهم ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ بمعنىٰ: أن لن يرزقه.

وهذا القول أرجح من الأول لوجهين: أحدهما: أن هذا القول مناسبٌ لمن يعبد الله علىٰ حرف؛ لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنِط، حتىٰ ظنَّ أن الله لا ينصره[2]، فيكون هذا الكلام متصلًا بما قبله، ويدلُّ عليه[3] قوله قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الأمور بيد الله؛ فلا ينبغي لأحد أن يتسخَّط من قضاء الله، ولا ينقلبَ إذا أصابته فتنة.

والوجه الثاني: أن الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ علىٰ هذا القول يعود علىٰ ما تقدَّم[4]، وأما في القول الأول فلا يعود علىٰ مذكورٍ قبله؛ لأن النبي ﷺ لم يُذكَر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه، ولا يدلُّ سياق الكلام عليه دلالةً ظاهرة.

---

(١) في ج: «ييأس».
(٢) في أ، ب: «أن لن ينصره».
(٣) في د: «علىٰ ذلك».
(٤) في ج، هـ: «تقدمه».

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ **الكيد هنا يراد به**: اختناقه، وسُمِّيَ كيدًا؛ لأنه وضعه موضع الكيد؛ إذ هو غاية حيلته. **والمعنىٰ**: إذا خنق نفسه فلينظر هل يُذهِب ذلك ما يَغيظه من الأمر؟ أي: ليس يُذهِبه.

(١٦) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن؛ أي: مثل هذا أنزلنا القرآن كلَّه آياتٍ بيِّناتٍ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ **قال ابن عطية**: «أنَّ» في موضع خبر الابتداء، والتقدير: الأمر أن الله[1]، **وهذا ضعيف**؛ لأن فيه تكلُّفَ إضمار، وقطعًا للكلام عن المعنىٰ الذي قبله.

وقال الزمخشري: التقدير: لأنَّ الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات[2]، فجعل «أنَّ» تعليلًا للإنزال، **وهذا ضعيف**؛ للفصل بينهما بالواو. **والصحيح عندي**: أن قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ معطوفٌ علىٰ ﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ ؛ لأنه مقدر بالمصدر، فالتقدير: أنزلناه آياتٍ بينات وهدًىٰ لمن أراد الله أن يهديَه.

(١٧) ﴿وَالصَّٰبِـِٔينَ﴾ ذُكر في «**البقرة**»[3]، وكذلك ﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ .

﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن الخير من النور والشرَّ من الظلمة.

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه الجملة هي خبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآيَةَ، وكُرِّرت ﴿إِنَّ﴾ مع الخبر للتأكيد. **وفَصْلُ اللهِ بينَهم**: بأن يبين لهم أنَّ الإيمان هو الحق، وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار.

(١٨) ﴿يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ دخل في هذا: مَن في السماوات مِن الملائكة، ومَن في الأرض مِن الملائكة والجنِّ، ولم يدخل الناس في ذلك؛ لأنه ذكَرهم في آخر الآية، إلَّا أن يكون ذكَرهم في آخرها علىٰ وجه التجريد.

---

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٢٢٤).

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٥٦).

(٣) انظر تفسير الآية (٦١).

وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف؛ لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به: الانقياد، **ثم إن الانقياد يكون علىٰ وجهين: أحدهما:** الانقياد لطاعة الله طوعًا. **والآخر:** الانقياد لما يُجرِي الله علىٰ المخلوقات من أفعاله وتدبيره، شاؤوا أو أبَوا.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ **إنْ جعلنا السجود بمعنىٰ الانقياد للطاعة؛** فيكون ﴿كَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ معطوفًا علىٰ ما قبله من الأشياء التي تسجد، ويكون قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ مستأنَفًا يراد به من لا ينقاد للطاعة، ويُوقَف علىٰ قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، **وهذا القول هو الصحيح.**

وإنْ جعلنا السجود بمعنىٰ الانقياد لقضاء الله وتدبيره؛ فلا يصح تفصيل الناس علىٰ ذلك إلىٰ من يسجد ومن لا يسجد؛ لأن جميعهم يسجد بذلك المعنىٰ.

فقيل[1]: إن قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ معطوف علىٰ ما قبله، ثم عطف عليه ﴿كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾، فالجميع علىٰ هذا يسجد، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ يقتضي ظاهره: أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود.

وتأوله الزمخشري علىٰ هذا المعنىٰ: بأن أعربَ ﴿كَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فاعلًا بفعل مضمر تقديره: يسجد سجود طاعة، أو مرفوعًا بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: مثاب[2]. **وهذا تكلُّف بعيد.**

﴿١٩﴾ ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ الإشارة إلىٰ المؤمنين والكفار علىٰ العموم، ويدلُّ علىٰ ذلك: ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس ﵄[3].

وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن

(١) في ج، د: «وقيل».

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٥٩).

(٣) في نسبة هذا القول إلىٰ ابن عباس ﵁ نظر! فابن عباس ﵁ يقول بأنها في المؤمنين وأهل الكتاب، لا عموم الكفار، وأما القول بأنها في المؤمنين والكفار علىٰ العموم، فهو قول مجاهد وعطاء والحسن البصري وعاصم والكلبي. انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٩١)، والمحرر الوجيز (٦/ ٢٢٨).

الحارث ﷺ، حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة[1]، فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات.

والـخَصْم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، والمراد به هنا: جماعة، والإشارة بـ ﴿هَٰذَانِ﴾ إلى الفريقين.

﴿ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه وفي صفاته، والضمير في ﴿ٱخْتَصَمُواْ﴾ لجماعة الفريقين.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةَ؛ حكَم بين الفريقين، بأن جعل للكفار النار، وللؤمنين الجنةَ المذكورة بعد هذا.

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾ أي: فصِّلت على قدر أجسادهم، وهو مستعارٌ من تفصيل الثياب.

﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ الماء الحارُّ.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: يُذاب، وذلك أن الحميم إذا صُبَّ على رؤوسهم وصل حرُّه إلى بطونهم، فأذاب ما فيها. وقيل: معنى ﴿يُصْهَرُ﴾: يُنضَج.

﴿مَّقَٰمِعُ﴾ جمع مِقْمَعة؛ أي: مِقْرَعة مِن حديد يُضرَبون بها، وقيل: هي السِّياط.

٢٢ ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدلٌ من المجرور قبله.

﴿وَذُوقُواْ﴾ التقدير: يقال لهم: ذوقوا.



(١) أخرجه البخاري (٣٩٦٦)، ومسلم (٣٠٣٣) عن أبي ذر ﷺ.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

﴿٢٣﴾ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ ﴿مِنْ﴾ لبيان الجنس، أو التبعيض. وفسَّرنا الأساور في «**الكهف**»(١).

﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ **بالنصب**(٢): مفعول بفعل مضمر؛ أي: يُعطَون لؤلؤًا، أو معطوف على موضع ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾؛ إذ هو مفعول. **وبالخفض**: معطوفٌ على ﴿أَسَاوِرَ﴾، أو على ﴿ذَهَبٍ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ **قيل**: هو «لا إله إلا الله»، واللفظ أعم من ذلك.

﴿صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: صراط الله، فالحميد اسم الله. **ويَحتمل أن يريد**: الصراطَ الحميدَ، وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك: مسجد الجامع.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ خبره محذوفٌ، يدلُّ عليه قوله: ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ . **وقيل**: الخبر ﴿يَصُدُّونَ﴾ على زيادة الواو، **وهذا ضعيف**. وإنما قال: ﴿يَصُدُّونَ﴾ بلفظ المضارع؛ ليدلَّ على الاستمرار على الفعل.

﴿سَوَآءً﴾ **بالرفع**(٣): مبتدأ، أو خبر مقدم، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ«جعلنا». **وقرئ بالنصب**؛ على أنه المفعول الثاني، و﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ فاعل به.

﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ **العاكف**: المقيم في البلد، **والبادي**: القادم عليه من غيره، **والمعنى**: أن الناس سواءٌ في المسجد الحرام، لا يختصُّ به أحد دون أحد(٤)، وذلك إجماعٌ.

---

(١) انظر تفسير الآية (٣١).

(٢) قرأ نافع وعاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالخفض.

(٣) روى حفص عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

(٤) في ج، هـ: «دون آخر».

وقال أبو حنيفة: حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء، وليس لأحد فيها ملك(١)، والمراد عنده بالمسجد الحرام: جميع مكة.

وقال مالك وغيره: ليست الدور في ذلك كالمسجد، بل هي متملَّكة(٢).

﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ الإلحاد: الميل عن الصواب. **والظلم هنا**: عام في المعاصي من الكفر إلىٰ الصغائر؛ لأن الذنوب بمكة أشدُّ منها في غيرها، **وقيل**: هو استحلال الحرام(٣). **ومفعول ﴿يُرِدْ﴾** محذوف، تقديره: مَن يُرِد أحدًا، أو مَن يرد شيئًا، و ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾: **حالان** مترادفان. **وقيل**: المفعول قوله: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ علىٰ زيادة الباء.



---

(١) وهو إحدىٰ الروايتين عن أحمد، وهي المذهب عن الأصحاب.

(٢) وهو قول الشافعي وأحمد في الرواية الأخرىٰ، اختارها ابن قدامة وابن أبي عمر وابن تيمية وابن القيم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١١/ ٧٢).

(٣) في ب، ج: «الحرم».

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

﴿٢٦﴾ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ العامل في «إذ» مضمر، تقديره: اذكر. و﴿بَوَّأْنَا﴾ أصله: باءَ بمعنىٰ رجَع، ثم ضوعف ليتعدَّىٰ، واستعمل بمعنىٰ: أنزلنا في الموضع، كقوله: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١]. إلَّا أن هذا المعنىٰ يشكل هنا؛ لقوله: ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾؛ فتعدَّىٰ الفعل باللام، وهو يتعدَّىٰ بنفسه، حتىٰ قيل: اللام زائدة، وقيل: معناه: هيَّأنا، وقيل: جعلنا. و﴿الْبَيْتِ﴾ هنا: الكعبة، وروي أنه كان آدم عليه السلام يعبد الله فيه، ثم دَرَس بالطوفان، فدلَّ الله إبراهيمَ عليه السلام علىٰ مكانه، وأمره ببنيانه[1].

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ ﴿أَن﴾: مفسِّرة، والخطاب لإبراهيم عليه السلام، وإنما فُسِّرت تبوئة البيت بالنهي عن الإشراك والأمرِ بالتطهير؛ لأن التبوئة إنما قُصِدت لأجل العبادة التي تقتضي ذلك.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ عامٌّ في التطهير من الكفر والمعاصي والأنجاس وغير ذلك.

﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ يعني: المصلين.

﴿٢٧﴾ ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ﴾ خطاب لإبراهيم عليه السلام، وقيل: لمحمد ﷺ، والأول هو الصحيح.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٠٩٠)، والطبري (٢/ ٥٥١) عن عطاء بن أبي رباح.

روي[1] أنه لما أُمِر بالأذان بالحج صَعِدَ علىٰ جبل أبي قُبيس، ونادىٰ: أيها الناس! إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحُجُّوا، فسمعه كل من يحج إلىٰ يوم القيامة، وهم في أصلاب آبائهم، وأجابه في ذلك الوقت كل شيء من جماد وغيره: «لبيك اللهم لبيك»، فجرَت التلبية علىٰ ذلك[2].

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ جمع راجِلٍ؛ أي: ماشيًا علىٰ رجليه.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ **الضامر** يراد به: ما يُركَب من فرس وناقة وغير ذلك، ووصفه بالضُّمور؛ لأنه لا يصل إلىٰ البيت إلَّا بعد ضموره. وقوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حال معطوف علىٰ حال؛ كأنه قال: رجالًا وركبانًا. واستدلَّ بعضهم بتقديم الرِّجال في الآية علىٰ أن المشي[3] إلىٰ الحج أفضل من الركوب[4]. واستدلَّ بعضهم بسقوط ذكر البحر من هذه الآية علىٰ أنه يسقط فرض الحج علىٰ من يحتاج إلىٰ ركوب البحر.

﴿يَأْتِينَ﴾ صفةٌ لـ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ لأنه في معنىٰ الجمع.

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريق بعيد.

﴿٢٦﴾ ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ التجارة، وقيل: أعمال الحج وثوابه، واللفظ أعم من ذلك.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ يعني: التسمية عند ذبح البهائم ونحرها في الضحايا والهدايا[5]. وقيل: يعني الذِّكرَ علىٰ الإطلاق. وإنما قال: ﴿اسْمَ اللَّهِ﴾ ؛ لأن الذاكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء.

﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عند مالك: يوم النحر وثانيه وثالثه خاصةً؛ لأن هذه هي أيام الضحايا

---

(١) في ب، د: «وروي».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٧) عن ابن عباس ﷺ. وأخرجه الطبري (١٦/ ٥١٥) عنه أيضا، ولكن فيه: «قام علىٰ الحجَر»، وليس: «علىٰ جبل أبي قبيس».

(٣) في أ، ب: «الماشي».

(٤) في أ: «الراكب».

(٥) في أ: «والهدي».

عنده[١]، ولم يُجِزْ ذبحَها بالليل؛ لقوله: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ﴾. **وقيل**: الأيام المعلومات: عشر ذي الحجة، ويوم النحر، والثلاثة[٢] بعده، **وقيل**: عشر ذي الحجة خاصةً. **وأما الأيام المعدودات؛ فهي** الثلاثة بعد يوم النحر. فيوم النحر من المعلومات، لا من المعدودات، واليومان بعده من المعلومات والمعدودات، ورابع النحر من المعدودات، لا من المعلومات.

﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ ندبٌ، أو إباحة. ويستحب أن يأكل الأقلَّ من الضحايا، ويتصدق بالأكثر.

﴿ٱلۡبَآئِسَ﴾ الذي أصابه البؤس، **وقيل**: هو المتكفِّف، **وقيل**: الذي يظهر عليه أثر الجوع.

﴿٢٧﴾ ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾ **التَّفَث في اللغة**: الوسَخ، **فالمعنى**: ليقضوا إزالة تفثهم بقصِّ الأظفار، والاستحدادِ، وسائرِ خصال الفطرة، والتنظفِ بعد أن يَحِلُّوا من الحج. **وقيل**: التفث: أعمال الحج. وقرئ بكسر اللام وإسكانها[٣]، وهي لام الأمر، وكذلك ﴿وَلۡيُوفُواْ﴾ ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾[٤].

﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾ **المراد هنا**: طواف الإفاضة عند جميع المفسرين، وهو الطواف الواجب.

﴿بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ أي: القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس. **وقيل**: **العتيق**: الكريم، كقولهم: فرس عتيق. **وقيل**: أُعتق من الجبابرة؛ أي: مُنع منهم. **وقيل**: **العتيق**: أي: لم يملكه أحد[٥] قط.

﴿٢٨﴾ ﴿ذَٰلِكَۖ﴾ هنا، وفي الموضع الثاني: مرفوعٌ على تقدير: الأمر ذلك، كما يقدِّم الكاتبُ جملةً من كتابه، ثم يقول: «هذا؛ وقد كان كذا». **وأجاز بعضهم الوقف على قوله**: ﴿ذَٰلِكَۖ﴾ **في ثلاثة مواضع من هذه السورة، وهي**:

[١] هذا.

---

(١) وهو قول أبي حنيفة وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٩/ ٣٦٧).

(٢) في أ: «والثالثة»، وفي ب: «وثالثة».

(٣) قرأ ابن عامر وأبو عمرو وورش عن نافع وقنبل عن ابن كثير بكسر اللام، وقرأ الباقون بإسكان اللام.

(٤) روى ابن ذكوان عن ابن عامر بكسر اللام فيهما، وقرأ الباقون بإسكانها.

(٥) في ج زيادة: «منهم».

[٢] و﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (١). لأنها جملة مستقلة؛ إذ هو خبر ابتداء مضمر. والأحسن: وصْلُها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر ابن الزبير؛ لأن ما بعدها ليس كلامًا أجنبيًّا. ومثلها:

[٣] ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ [الحج: ٥٨]. و﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ [الأنفال: ١٤] في «الأنفال». و﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ [ص: ٥٤] في «ص».

﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جمع حُرْمة، وهو ما لا يحلُّ هَتْكه من جميع الشريعة، فيَحتمل أن يكون هنا على العموم، أو يكون خاصًّا بما يتعلق بالحج؛ لأن الآية فيه.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ أي: التعظيم للحرمات خير.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما حرَّمه في غير هذا الموضع، كالميتة.

﴿ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس؛ كأنه قال: الرجس الذي هو الأوثان. والمراد: النهي عن عبادتها، أو عن الذبح تقرُّبًا إليها، كما كانت العرب تفعل.

﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ أي: الكذب، وقيل: شهادة الزور.

(٣١) ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيةَ؛ تمثيلٌ للمشرك بمن أهلك نفسه أشدَّ الهلاك.

﴿سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد.

(٣٢) ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قيل: هي الهدايا في الحج، وتعظيمُها: بأن تُختار سِمانًا عِظامًا غالية الأثمان. وقيل: مواضع الحج، كعرفة ومنى والمزدلفة، وتعظيمُها: إجلالها وتوقيرها والقصد إليها. وقيل: الشعائر: أمور الدين على الإطلاق، وتعظيمُها: القيام بها وإجلالها.

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفِعْلة التي يتضمَّنها الكلام، وهي مصدر ﴿يُعَظِّمْ﴾.

---

(١) في جميع النسخ ما عدا هـ زيادة: «و(ذلك ومن يشرك بالله)» باعتبارها الموضع الثالث! وهذا وهمٌ؛ فليست هناك آية بهذا النظم لا في سورة الحج ولا في غيرها، فلعل مراده أن الموضع الثالث هو الموضع الآتي، وهو ﴿ذلك ومن عاقب﴾.

وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوىٰ القلوب، فحذفت هذه المضافات(١).

﴿٣٣﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ **من قال:** إن شعائر **الله** هي الهدايا: **فالمنافع بها:** شرب لبنها، وركوبها لمن اضطر إليها، **والأجل المسمىٰ:** نحرها. **ومن قال:** إن شعائر **الله** مواضع الحج، **فالمنافع:** التجارة فيها، أو الأجر، **والأجل المسمىٰ:** الرجوع إلىٰ مكة لطواف الإفاضة.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ **من قال:** إن الشعائر الهدايا **فمحِلُّها:** موضع نحرها، وهو(٢) منىٰ ومكة، وخصَّ البيت بالذكر؛ لأنه أشرف الحرم، وهو المقصود بالهدي. و﴿ثُمَّ﴾ علىٰ هذا القول ليست للترتيب في الزمان؛ لأن محِلَّها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجُمل. **ومن قال:** إن الشعائر مواضع الحج، **فمحِلها:** مأخوذٌ من إحلال المحرم؛ أي: آخر ذلك كلِّه الطواف بالبيت، يعني: طواف الإفاضة؛ إذ به يَحِلُّ المحرم من إحرامه. **ومن قال:** إن الشعائر أمور الدين علىٰ الإطلاق؛ فذلك لا يستقيم مع قوله: ﴿مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾.



---

(١) الكشاف (١٠/ ٤٨٣).

(٢) في ج، هـ: «وهي».

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

﴿٣٤﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ أي: لكل أمة مؤمنة. والمنسك: اسم مكان؛ أي: موضعًا[1] لعبادتهم. ويَحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى: عبادةً، والمراد بذلك: الذبائح؛ لقوله: ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقرُّبًا إلى الأصنام.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ في وجه اتصاله بما قبله وجهان:

أحدهما: أنه لما ذَكر الأمم المتقدمة خاطبنا بقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾؛ أي: هو الذي شرع المناسك لكم، ولمن تقدَّم قبلكم.

والثاني: أنه إشارةٌ إلى الذبائح؛ أي: إلهكم إله واحد؛ فلا تذبحوا تقرُّبًا لغيره.

﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ الخاشعين، وقيل: المتواضعين. وقيل: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم[2]، وكذلك قوله بعد ذلك: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾. واللفظ فيهما أعم من ذلك.

﴿٣٥﴾ ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت.

﴿٣٦﴾ ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بَدَنة، وهو ما أُشعِر من الإبل، واختُلف هل يقال للبقرة بدنة؟ وانتصابه بفعل مضمر.

---

(١) في أ، ب: «موضعها».

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦/ ٢٤٨)، ولم أقف عليه مسندًا.

﴿مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ واحدها شعيرة، و﴿مِّن﴾ للتبعيض، وبذلك استدَلَّ من قال: إن شعائر الله المذكورة أوَّلًا على العموم في أمور الدين.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قيل: الخير هنا: المنافع المذكورة قبلُ، وقيل: الثواب، والصواب: العموم في خير الدنيا والآخرة.

﴿صَوَآفَّ﴾ معناه: قائماتٍ قد صَففْن أيديَهن وأرجلهن. وهو منصوب على الحال من الضمير المجرور، ووزنه فواعل، وواحده صافَّة.

﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: سقطت إلى الأرض عند موتها، يقال: وجب الحائط وغيره: إذا سقط.

﴿ٱلْقَانِعَ﴾ معناه: السائل، وهو من قولك: قنَع الرجل -بفتح النون-: إذا سأل. وقيل: معناه: المتعفِّف عن السؤال، فهو -على هذا- من قولك: قنِع -بالكسر-: إذا رضي بالقليل.

﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مُفْتعِل، يقال: اعتررت القومَ[1]: إذا تعرَّضتَ لهم. فالمعنى: أطعموا مَن سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله، أو أطعموا من تعفف عن السؤال بالكليَّة، ومن تعرَّض للعطاء.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ﴾ أي: كما أمرناكم بهذا كلِّه سخَّرناها لكم. وقال الزمخشري: التقدير: مثلَ التسخير الذي عَلِمْتم سخَّرناها لكم[2].

۞ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ المعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنَّما تصلون إليه بالتقوى؛ أي: بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ: ﴿يَنَالَ﴾ مبالغةً وتأكيدًا[3]، كأنه قال: لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله، وإنما يصل إليه التقوى منكم؛ فإن ذلك هو الذي طلب منكم، وعليه يحصل لكم الثواب.

---

(١) في ج، د: «بالقوم».

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٩٠).

(٣) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

وقيل: كان أهل الجاهلية يضرِّجون البيت بالدماء، فأراد المسلمون فعل ذلك، فنهوا عنه، ونزلت الآية[1].

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كُرِّر[2] تأكيدًا.

﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾ **قيل**: يعني قول الذابح: «بسم الله والله أكبر»، واللفظ أعم من ذلك.



(١) أخرجه الطبري (٨/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٥) عن ابن جريج

(٢) في ج زيادة «هنا».

*إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٧﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دِفَٰعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٣٩﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٠﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤١﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٢﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٣﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٤﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٦﴾

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة، فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرَّهم وأذاهم. وحذف مفعول ﴿يُدَٰفِعُ﴾؛ ليكون أعظم وأعمَّ. وقرئ ﴿يُدَٰفِعُ﴾ بالألف، و﴿يَدْفَعُ﴾ بسكون الدال من غير ألف[١]، وهما بمعنىً واحد؛ أجريتْ «فاعَلَ» مُجْرَىٰ «فَعَل»، كقولك: عاقبتُ اللصَّ. وقال الزمخشري: ﴿يُدَٰفِعُ﴾ معناه: يبالغ في الدفع عنهم؛ لأنه للمبالغة، وفعل المغالِب أقوىٰ[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ **الخوَّان**: مبالغةٌ في خائن، **والكفور**: مبالغةٌ في كافر. **قال الزمخشري**: هذه الآية علَّةٌ لما قبلها[٣].

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون الدال من غير ألف، وقرأ الباقون بالألف.

(٢) الكشاف (١٠/ ٤٩٢).

(٣) الكشاف (١٠/ ٤٩٢).

﴿٣٧﴾ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال، ونَسخت الموادَعة مع الكفار، وكان نزولها عند الهجرة. وقرئ ﴿أُذِنَ﴾: بضم الهمزة[1]؛ على البناء لما لم يسَمَّ فاعله، وبالفتح؛ على البناء للفاعل، وهو الله تعالى. والمعنى: أُذِن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه؛ لدلالة ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ عليه. وقرئ ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء وكسرها[2].

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا.

﴿٣٨﴾ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ يعني: الصحابة؛ فإن الكفار آذوهم وأضرُّوا بهم، حتى اضطرُّوهم إلى الخروج من مكة، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، ونسب الإخراج إلى الكفار؛ لأن الكلام في مَعْرِض إلزامهم الذنب، ووصفهم بالظلم.

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ قال ابن عطية: هو استثناء منقطع، لا يجوز فيه البدل عند سيبويه[3]. وقال الزمخشري: ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾ في محل الجر على الإبدال من ﴿حَقٍّ﴾[4].

﴿وَلَوْلَا دِفَٰعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ الآيةَ؛ تقويةٌ للإذن في القتال، وإظهار للمصلحة التي فيه، كأنه يقول: لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين، وذهب الدين. وقيل: المعنى: لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة. والأول أليق بسياق الآية. وقرئ: ﴿دِفَٰعُ﴾ بالألف[5]: مصدر دافع، وبغير ألف: مصدر دفَع.

﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ قرئ بالتخفيف، والتشديد[6]؛ للمبالغة.

﴿صَوَٰمِعُ﴾ جمع صَومَعة -بفتح الميم-، وهي موضع العبادة، وكانت للصابئين ولرهبان

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم بضم الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها.

(٢) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بفتح التاء، وقرأ الباقون بكسرها.

(٣) المحرر الوجيز (٦/ ٢٥٣).

(٤) الكشاف (١٠/ ٤٩٤).

(٥) قرأ نافع بالألف، وقرأ الباقون بغير ألف.

(٦) قرأ نافع وابن كثير بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد.

النصارىٰ، ثم سمِّي بها في الإسلام موضع الأذان. **والبِيَع**: جمع بِيعة -بكسر الباء-، وهي كنائس النصارىٰ.

والصَّلوات: شنائغ[1] اليهود، **وقيل**: هي مشتركة لكل أمة، **والمراد بها**: مواضع الصلوات. **والمساجد**: للمسلمين. **فالمعنىٰ**: لولا دفاع الله؛ لاستولىٰ الكفار علىٰ أهل الملل المتقدِّمة في أزمانهم، ولاستولىٰ المشركون علىٰ هذه الأمة، فهدموا مواضع عبادتهم.

﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ الضمير لجميع ما تقدَّم من المتعبَّدات، **وقيل**: للمساجد خاصة.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: مَن ينصر دينه وأولياءه، وهو وعد تضمَّن الحضَّ على القتال.

(٤١) **﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ الآيةَ؛ قيل**: يعني أمة محمد ﷺ، **وقيل**: الصحابة، **وقيل**: الخلفاء الأربعة؛ لأنهم الذين مُكِّنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به.

(٤٢) **﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآيةَ**؛ ضمير الفاعل لقريش، والخطاب للنبي ﷺ علىٰ وجه التسلية له، والوعيد لهم.

(٤٤) **﴿نَكِيرِ﴾** مصدر بمعنىٰ الإنكار.

(٤٥) **﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ العروش**[2]: السُّقُف، **فإن تعلَّق الجار بـ ﴿خَاوِيَةٌ﴾ فالمعنىٰ**: أن العروش سقطت، ثم سقطت[3] الحيطان عليها، فهي فوقها. **وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال فالمعنىٰ**: أنها خاوية مع بقاء عروشها.

---

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية (٦/ ٣٦٥): «شُنُوغَة: كنيس، معبد اليهود، وجمعه: شَنائِغ»، وهذه الكلمة مأنوسة، مألوفة الاستعمال عند أهل المغرب والأندلس، فقد استعملها ابن عطية في المحرر الوجيز عند تفسير هذه الآية، واستعملها ابن سهل الأندلسي الجيَّاني المالكي في كتابه الإعلام بنوازل الأحكام (ص: ٧٧٣)، وتجمع شنوغة علىٰ شنائغ وشُنُوغات.

(٢) في أ، ب، هـ: «العرش».

(٣) في ب: «العرش سقط ثم سقط».

﴿وَبِيرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: لا يُستقىٰ الماء منها؛ لهلاك أهلها. ورُوي أن هذه البئر هي الرسُّ، وكانت بعدَنٍ لأمة من بقايا ثمود[1]. والأظهر أنه لم يُرِد التعيين؛ لقوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾، وهذا اللفظ[2] يراد به التكثير.

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ أي: مبنيٍّ بالشِّيْدِ، وهو الجِصُّ، وقيل: المشيَّد: المرفوع البنيان[3].

﴿٤٦﴾ ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ دليلٌ علىٰ أن العقل في القلب، خلافًا للفلاسفة في قولهم: إنه في الدماغ.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ أي: لا تعمىٰ الأبصار عمًىٰ يُعتدُّ به، وإنما العمىٰ الذي يعتدُّ به عمىٰ القلوب. أو إن[4] هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم؛ ولكن عميت قلوبهم. فالمعنىٰ الأول: لقصد المبالغة، والثاني: خاصٌّ بهؤلاء القوم.

﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ مبالغةٌ، كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧].

﴿٤٧﴾ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير لكفار قريش.

﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إخبارٌ يتضمَّن الوعيد بالعذاب، وسماه وعدًا؛ لأن المراد به مفهوم.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ المعنىٰ: إن يومًا من أيام الآخرة مقداره[5] ألف سنة من أعوام الدنيا، ولذلك قال ﷺ: «يدخل الفقراءُ الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وذلك خمس مئة سنة»[6]. وقيل: المعنىٰ: إن يومًا واحدًا من أيام العذاب كألف سنة؛ لطول العذاب؛ فإن أيام البؤس طويلة، وإن كانت في الحقيقة قصيرةً. وفي كل واحد من الوجهين تهديدٌ للذين

(١) ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (ص ٢١٥) قولًا غير معزوٍّ.
(٢) في ب، هـ: «لفظ».
(٣) في ج: «البناء».
(٤) في أ، ج: «وأن».
(٥) في ب: «مقدار».
(٦) أخرجه أحمد (٨٥٢١)، والترمذي (٢٣٥٣) وصححه، والنسائي في الكبرىٰ (١١٢٨٥)، وابن ماجه (٤١٢٢)، وابن حبان (٦٧٦) عن أبي هريرة ﷺ.

استعجلوا العذاب، إلَّا أن الأول أرجح؛ لأن الألف سنةٍ فيه حقيقة. وقيل: إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض.

﴿٤٨﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ ذكر أوَّلًا القرىٰ التي أهلكها بغير إملاء، وذَكر هنا التي أهلكها بعد الإملاء. والإملاء: هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد. وعطف هذه الجملة بالواو علىٰ الجملة[1] المعطوفة قبلها بالواو، وقال في الأولىٰ: ﴿فَكَأَيِّن﴾؛ لأنه بدلٌ من قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.



(١) في أ، د، هـ: «الجمل».

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٧﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٠﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥١﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٣﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٤﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٥﴾﴾

﴿٤٩﴾ ﴿سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: سعوا فيها بالطعن عليها، وهو من قولك: سعىٰ في الأمر إذا جدَّ[1] فيه؛ لقصد إصلاحه أو إفساده.

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ بالألف[2] أي: مغالبين؛ كأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم، فصارت مفاعلة. وقرئ بالتشديد من غير ألف؛ ومعناه: أنهم يُعجِّزون الناس عن الإسلام؛ أي: يثبِّطونهم عنه.

﴿٥٠﴾ ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ النبيُّ أعم من الرسول، فكل رسول نبيٌّ وليس كل نبيٍّ رسولًا، فقدَّم الرسول؛ لمناسبته لقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وأخَّر النبي؛ لتحصيل العموم؛ لأنه لو اقتصر علىٰ ﴿رَّسُولٍ﴾ لم يدخل في ذلك من كان نبيًّا غير رسول.

﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ سبب هذه الآية: أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين، فلما بلغ إلىٰ قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ

(١) في أ: «أكدَّ»، وفي ج: «أخذ».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الجيم من غير ألف، وقرأ الباقون بالتخفيف والألف.

﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] ألقى الشيطان: «تلك الغرانقة العلى، منها الشفاعة ترتجى»، فسمع ذلك المشركون ففرحوا به، وقالوا: هذا محمد يذكر آلهتنا بما نريد[١].

واختُلف في كيفية إلقاء الشيطان: فقيل: إن الشيطان هو الذي تكلَّم بذلك، وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به؛ لأنه قرَّب صوته من صوت النبيِّ ﷺ حتى التبس الأمر. وقيل: إن النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الغلط والسهو؛ لأن الشيطان أنساه ووسوس في قلبه، حتى خرجت تلك الكلمات على لسانه من غير قصد.

والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة. والقول الأول أرجح؛ لأن النبي ﷺ معصومٌ في التبليغ.

فمعنى الآية: أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان.

واختلف في معنى ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ و﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ في هذه الآية: فقيل: تمنَّى بمعنى: تلا، والأمنيَّة: التلاوة؛ أي: إذا قرأ الكتاب[٢] ألقى الشيطان من عنده في تلاوته.

وقيل: هو من التمني؛ بمعنى: حب[٣] الشيء. وهذا المعنى أشهر في اللفظة؛ أي: تمنَّى النبي ﷺ مقاربةَ قومه واستئلافَهم، فألقى الشيطان ذلك الكلام في هذه الأمنيَّة؛ ليُعجبَهم ذلك.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يبطله، كقولك: نسخت الشمسُ الظلَّ.

﴿٥٣﴾ ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ متعلِّقٌ بقوله: ﴿فَيَنسَخُ﴾ و﴿يُحْكِمُ﴾.

﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أهل الشك، ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المكذِّبون. وقيل: الذين في قلوبهم مرض: عامة الكفار، ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: أشدُّهم كفرًا وعتوًّا، كأبي جهل.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/ ٦٠٧) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٠) عن سعيد بن جبير ومحمد بن كعب والضحاك وأبي العالية وغيرهم. قال ابن كثير (٥/ ٤٤١): «قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق.. ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم». وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٠-٢٩٢).

(٢) في أ، ب، هـ: «الكتب».

(٣) في د: «أحب».

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ يعني بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المذكورين قبلُ، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمر؛ ليقضيَ عليهم بالظلم. والشِّقاق: العداوة، ووصفه بـ﴿بَعِيدٍ﴾؛ لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير.

﴿٥٤﴾ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ قيل: يعني الصحابة. واللفظ أعم من ذلك.

﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الضمير عائد على القرآن. وقال الزمخشري: هو لتمكين الشيطان من الإلقاء[1].

﴿فَتُخْبِتَ﴾ أي: تخشع.

﴿٥٥﴾ ﴿فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ الضمير: للقرآن، أو للنبي ﷺ، أو إلقاء الشيطان.

﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني: يوم بدر، ووصفه بالعَقيم[2]؛ لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم؛ لأنهم يُقتَلون فيه. وقيل: هو يوم القيامة، والساعة مقدِّماته، ويقوِّي ذلك قولُه: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾، ثم تقسيمُ[3] الناس إلى أصحاب الجحيم، وأصحاب النعيم.



(١) الكشاف (١٠/ ٥١٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «بالعقم».

(٣) في أ، ب، هـ: «قسم».

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

﴿٥٨﴾ ﴿قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟﴾ روي أن قومًا قالوا: يا رسول الله قد عَلِمنا[1] ما أعطىٰ الله مَن قُتِل مِن الخير، فما لمن مات معك؟ فنزلت الآية مُعْلِمةً أن الله يرزق من قتل ومن مات معًا[2]، ولا يقتضي ذلك المساواةَ بينهم؛ لأن تفضيل الشهداء ثابت.

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ يَحتمل أن يريد به: الرزق في الجنة بعد يوم القيامة، أو رزق الشهداء في البرزخ، والأول أرجح؛ لأنه يعمُّ الشهداء والموتىٰ.

﴿٥٩﴾ ﴿مُّدْخَلًا﴾ يعني: الجنة.

﴿٦٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ تقديره هنا: الأمر ذلك، كما يقول الكاتب: «هذا وقد كان كذا..» إذا أراد أن يخرج إلىٰ حديث آخر.

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ سَمَّىٰ الابتداء عقوبةً باسم الجزاء عليها تجوُّزًا، كما تُسمَّىٰ العقوبةُ أيضًا باسم الذنب، ووعَد بالنصر لمن بُغِي عليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ إن قيل: ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن في ذكر هذين الوصفين إشعارًا بأن العفو أفضل من المعاقبة[3]، فكأنه حضَّ

---

(١) في أ، ب، هـ: «أعلمنا الله».

(٢) ذكره الزمخشري في تفسيره (١٠/ ٥١٧) ولم أقف عليه مسندًا.

(٣) في هـ: «العقوبة».

على العفو. والثاني: أن في ذكرهما إعلامًا بعفو الله عن المعاقِب حين عاقب، ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى.

﴿٥٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾ أي: ذلك النصر بسبب أن الله قادر، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل.

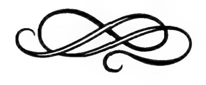
ومعنى **الإيلاج هنا**: أنه يُدخِل ظلمة هذا مكان ضوءِ هذا، ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا. **وقيل**: الإيلاج هو ما يَنقص من أحدهما ويزيد في الآخر.

﴿٦٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: ذلك الوصف الذي وُصِف الله به هو بسبب أنه الحق.

﴿٦١﴾ ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ **تصبح هنا**: بمعنى تصير.

وفَهِم بعضهم أنه أراد: صبيحة ليلة المطر، فقال: لا تصبح الأرض مخضرَّة إلَّا بمكة والبلاد الحارة. وأما على معنى تصير؛ فذلك عام في كل بلد.

والفاء للعطف، وليست بجواب، ولو كانت جوابًا لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لـ ـصبت الفعل، وكان المعنى نفي خضرتها، وذلك خلاف المقصود. وإنما قال ﴿تُصْبِحُ﴾ بلفظ المضارع؛ ليفيد بقاءها كذلك مدة.



أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٤﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٥﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٧﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦٨﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٦٩﴾ *وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٠﴾

﴿٦٣﴾ ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: البهائمَ والثمار والمعادن وغير ذلك.

﴿أَن تَقَعَ﴾ في موضع مفعول، علىٰ تقدير: عن أن تقع. وقال الزمخشري: كراهةَ أن تقع؛ فهو مفعول من أجله(١).

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل(٢) طيَّ السماء كوقوعها، أو يريد بإذنه لو شاء متىٰ شاء.

﴿٦٤﴾ ﴿أَحْيَاكُمْ﴾ أي: أوجدكم بعد العدم، وعبَّر عن ذلك بالحياة؛ لأن الإنسان قبل ذلك تراب، فهو جماد بلا روح، ثم أحياه بنفخ الروح.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ يعني: الموت المعروف.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يعني: البعث.

﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جَحُودٌ للنعم.

---

(١) الكشاف (١٠/ ٥٢٣).

(٢) في ب، هـ: «يجعل».

(٦٥) ﴿مَنسَكًا﴾ هنا: اسم مصدر؛ لقوله: ﴿نَاسِكُوهُ﴾، ولو كان اسم مكان لقال: «ناسكون فيه».

﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾ ضمير الفاعل للكفار، والمعنىٰ: أنه لا ينبغي لهم منازعة النبي ﷺ؛ لأن الحق قد ظهر بحيث لا يَسع[1] النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي، والمراد غير النهي.

وقيل: المعنىٰ: لا تنازعهم[2] فينازعوك، فحذف الأول؛ لدلالة الثاني عليه. ويَحتمل أن يكون نهيًا لهم عن المنازعة علىٰ ظاهر اللفظ.

﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في الدين والشريعة، أو في الذبائح.

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: ادع الناس إلىٰ عبادة ربك.

(٦٨) ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ الآية تقتضي موادعةً منسوخة بالقتال.

(٧٠) ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلىٰ معلومات الله[3].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يَحتمل أن تكون الإشارة: إلىٰ كَتْب المعلومات في الكتاب، أو إلىٰ الحكم في الاختلاف، والأول أظهر.

(٧١) ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني: الأصنام، والسلطان هنا: الحجة والبرهان.

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ قيل: إنه يعني: ما ليس لهم به علم ضروري، فنفىٰ أوّلًا البرهان النظري، ثم العلم الضروري. وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنىٰ، بل الأحسن نفي العلم الضروري والنظري معًا.

---

(١) في ج، د: «لا يُسمع».

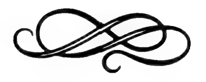
(٢) في أ، ب، هـ: «لا تنازعوهم».

(٣) [التعليق ٧٥] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُهُ: «يعني: اللَّوْحَ المحفوظَ»، صحيحٌ، وكذلك قوله: «والإشارةُ بـ«ذلك»: إلىٰ معلوماتِ الله»، صحيحٌ أيضًا، ومعلوماتُ اللهِ المشارُ إليها هي ما تضمَّنه الاسمُ الموصولُ في قولِه تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]؛ فكلُّ ما في السماءِ والأرضِ معلومٌ لله، ومكتوبٌ في أُمِّ الكتابِ اللوحِ المحفوظ.
والآيةُ دالَّةٌ علىٰ مرتبتَيْنِ مِن مراتبِ الإيمانِ بالقَدَرِ، وهما مرتبتا العِلْمِ والكتابةِ، والله أعلم.

﴿٧٢﴾ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾ أي: الإنكار لما يسمعون، فـ﴿الْمُنكَرَ﴾ مصدر، كالـمُكرَم بمعنى الإكرام. ويعرف ذلك في وجوههم: بعبوسها[١] وإعراضها.

﴿يَسْطُونَ﴾ من السَّطْوة، وهي سرعة البطش.

﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ يَحتمل: أن يكون ﴿النَّارُ﴾ مبتدأ، و﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ خبره. أو يكون ﴿النَّارُ﴾ خبر ابتداء مضمر[٢]، كأنَّ قائلًا قال: ما هو؟ فقيل: هو النار، ويكون ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ استئنافًا، وهذا أظهر.



(١) في أ: «العبوسها».

(٢) زيادة من د.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿٧٣﴾ ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي: ضربه الله؛ لإقامة الحجة على المشركين.

﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ تنبيهٌ بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى. والمعنى: أن الأصنام التي تعبدونها لا تَقدِر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تُعبَد من دون الله الذي خلق كل شيء؟! ثم أوضح عجزهم بقوله: ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ أي: لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه.

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ بيانٌ أيضًا لعجز الأصنام؛ بحيث لو اختطف الذباب منهم شيئًا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه. وقد قيل: إن المراد بما يَسلب الذباب منهم: الطِّيب الذي كانت العرب تجعل على الأصنام، واللفظ أعم من ذلك.

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ المراد بالطالب: الأصنام، وبالمطلوب: الذباب؛ لأن الأصنام تَطلب من الذباب ما[1] سلبته منها. وقيل: الطالب: الكفار، والمطلوب: الأصنام؛ لأن الكفار يطلبون الخير منهم.

﴿٧٤﴾ ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظَّموه حق تعظيمه.

(١) في أ، ب، هـ: «بما».

(٧٣) ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ ردٌّ على من أنكر أن يكون الرسول من البشر.

(٧٥) ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره[1]؛ للحديث الصحيح الوارد في ذلك[2]، خلافًا للمالكية.

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ عمومٌ في العبادات بعد ذكر الصلاة التي عبَّر عنها بالركوع والسجود، وإنما قدَّمها؛ لأنها أهم العبادات.

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ قيل: المراد صلة الرحم، وقال ابن عطية: هي في الندب فيما[3] عدا الواجبات، واللفظ أعم من ذلك كله.

(٧٦) ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ يَحتمل أن يريد: جهاد الكفار، أو جهاد النفس والشيطان والهوىٰ، أو العموم في ذلك كله.

﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ قيل: إنه منسوخ، كنسخ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] بقوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وفي ذلك نظر. وإنما أضاف الجهاد إلىٰ الله؛ ليبين بذلك فضله واختصاصَه بالله.

﴿اجْتَبَاكُمْ﴾ أي: اختاركم من بين الأمم.

﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: مشقة، وأصل الحرج: الضيق.

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ انتصب ﴿مِلَّةَ﴾ بفعل مضمر، تقديره: أعني بالدين ملةَ إبراهيم، أو: التزِموا ملةَ إبراهيم. وقال الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف، كأنه قال: «كمِلَّةِ[4]».

---

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٤/ ٢٢٤).

(٢) وهو حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أفضلت سورة الحج علىٰ سائر القرآن بسجدتين؟ قال: «نعم، فمن لم يسجدهما، فلا يقرأهما» أخرجه أحمد (١٧٣٦٤)، والترمذي (٥٧٨)، وأبو داود (١٤٠٢)، والحاكم (٨٠٥) وسكت عنه هو والذهبي، وقال الترمذي: «هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي»، وضعفه ابن حجر في البلوغ. وعن عمرو بن العاص ﷺ، أن النبي ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن، منها ثلاث في المفصَّل، وفي سورة الحج سجدتان. أخرجه أبو داود (١٤٠١)، وابن ماجه (١٠٥٧)، والحاكم (٨١١) وقال: «هذا حديث رواته مصريون قد احتج الشيخان بأكثرهم» ووافقه الذهبي، وحسَّنه النووي والمنذري، وضعفه عبد الحق. البدر المنير (٤/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٣) في أ، ب، هـ: «مما».

(٤) في هـ زيادة «إبراهيم».

وقال الزمخشري: انتصب بمضمون ما تقدَّم، كأنه قال: وسَّع عليكم توسعةَ ملة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف[1].

فإن قيل: لم يكن إبراهيم أبًا للمسلمين كلهم؟! **فالجواب**: أنه أبو رسول الله ﷺ، وكان أبًا لأمَّته؛ لأن أمة الرسول في حكم أولاده؛ ولذلك قرئ: ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وهو أبٌ لهم﴾[2]. وأيضًا؛ فإن قريشًا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم عليه السلام، وهم أكثر الأمة، فاعتبرهم دون غيرهم.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ الضمير لله تعالىٰ، ومعنىٰ ﴿مِن قَبْلُ﴾: في الكتب المتقدمة، ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: في القرآن. **وقيل**: الضمير لإبراهيم عليه السلام، والإشارة إلىٰ قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ومعنىٰ ﴿مِن قَبْلُ﴾ علىٰ هذا: من قبل وجودكم، وهنا يتمُّ الكلام علىٰ هذا القول، ويكون قوله: ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ مستأنفًا؛ أي: وفي هذا بلاغٌ.

والقول الأول أرجح، وأقلُّ تكلُّفًا، ويدلُّ عليه قراءة أبي بن كعب: «الله سماكم المسلمين»[3].

﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ تقدَّم معنىٰ هذه الشهادة في «**البقرة**»[4].

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ الظاهر أنها المكتوبة؛ لاقترانها مع الزكاة.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ معناه هنا: وليُّكم وناصركم؛ بدلالة ما بعد ذلك.



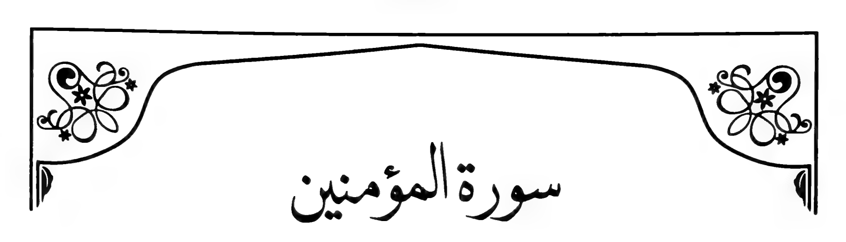
---

(١) الكشاف (١٠/ ٥٣).

(٢) هي في مصحف أبي رضي الله عنه، وقرأ بها ابن عباس رضي الله عنهما فيما أخرجه الحاكم (٣٥٥٦) وصححه، والبيهقي (١٣٤٢٠)، وقرأ بها مجاهد فيما رواه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٥).

(٣) ذكرها الزمخشري في الكشاف (١٠/ ٥٣٨) ولم أقف عليها مسندة.

(٤) انظر تفسير الآية (١٤٢).



سورة المؤمنين

قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١

۝٢ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ **الخشوع**: حالة في القلب، من الخوف والمراقبة والتذلُّل لعظمة المولىٰ جلَّ جلاله، ثم يظهر أثرُ ذلك علىٰ الجوارح، بالسكون والإقبال علىٰ الصلاة، وعدم الالتفات، وبالبكاء والتضرع.

وقد عدَّ بعض الفقهاء الخشوعَ في فرائض الصلاة؛ لأنه جعَله بمعنىٰ حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: «**لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقَل منها**»[1]. **والصواب: أن الخشوع أمرٌ زائدٌ علىٰ حضور القلب؛ فقد يحضر القلب ولا يخشع.**

۝٣ ﴿عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ **اللغو هنا**: الساقطُ من الكلام، كالسبِّ واللَّهوِ، والكلامُ بما لا يعني. وعددُ أنواع المنهيِّ عنه من الكلام عشرون نوعًا[2].

---

(١) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ١١٦): «لم أجده مرفوعًا.. ولابن المبارك في الزهد موقوفًا علىٰ عمار رضي الله عنه: «لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه»».

(٢) عدَّدها ابن جزيٍّ وتكلم عن تفاصيلها في كتابه «القوانين الفقهية» (ص: ٧٠٦)، وهي إجمالًا: (١) الغيبة، (٢) والبهتان، (٣) والكذب، (٤) واليمين الغموس، (٥) وشهادة الزور، (٦) والنميمة، (٧) والاستهزاء، (٨) وإطلاق ما لا يحل إطلاقه علىٰ الله أو رسوله أو الملائكة أو الأنبياء أو الصحابة، (٩) وكلام العوام في دقائق علم الكلام مما لا يعلمون، (١٠) والسحر، (١١) والفحش من الكلام، (١٢) والشعر والغناء، =

ومعنىٰ **الإعراض عنه**: عدم الاستماع إليه، والدخولِ فيه. **ويحتمل أن يريد**: أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولىٰ وأحرىٰ.

﴿٤﴾ ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ أي: مؤدُّون. **فإن قيل**: لم قال ﴿فَٰعِلُونَ﴾ ولم يقل: «مؤدُّون»؟ **فالجواب: أن الزكاة لها معنيان: أحدهما**: الفعل الذي يفعله المزكي؛ أي: أداء ما يجب علىٰ المال. **والآخر**: المقدار المخرَج من المال، كقولك: هذا زكاة مالي. **والمراد هنا: الفعل**؛ لقوله: ﴿فَٰعِلُونَ﴾. ويصح المعنىٰ الآخر علىٰ حذفٍ؛ تقديره: هم لأداء الزكاة فاعلون.

﴿٦﴾ ﴿عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ هذا المجرور يتعلق بفعلٍ يدلُّ عليه قوله: ﴿غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾؛ أي: لا يُلامُون علىٰ أزواجهم. ويمكن أن يتعلق بقوله: ﴿حَٰفِظُونَ﴾ علىٰ أن يكون ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنىٰ «عن».

﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ يعني: النساء المملوكات. **قال الزمخشري**: إنما قال ﴿مَا مَلَكَتۡ﴾ ولم يقل «من»؛ لأن الإناث يجرين مجرىٰ غير العقلاء[1].

﴿٧﴾ ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: ما سوىٰ الزوجات والمملوكات.

﴿٨﴾ ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ﴾ **يحتمل أن يريد**: أماناتِ الناس وعهدَهم، أو أمانةَ الله وعهدَه في دينه أو العموم. والأمانة أعم من العهد؛ لأنها قد تكون بعهدٍ، وبغير عهد متقدم.

﴿رَٰعُونَ﴾ أي: حافظون لها، قائمون بها.

﴿٩﴾ ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ المحافظةُ عليها: هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها. **فإن قيل**: كيف كرَّر ذكر الصلوات أوَّلًا وآخرًا؟ **فالجواب**: أنه ليس بتكرار؛ لأنه قد[2] ذكر أوَّلًا الخشوعَ فيها، وذكر هنا المحافظة عليها، فهما مختلفان. وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم؛ دلالةً علىٰ ثبوت فعلهم لها.

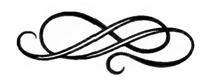
= (١٣) والمدح، (١٤) وكلام ذي الوجهين، (١٥) وتزكية الإنسان لنفسه، (١٦) وإفشاء السر، (١٧) والكذب في الوعد، (١٨) والجدال والخصام، (١٩) وذم الأشياء، (٢٠) والكلام فيما لا يعني.

(١) الكشاف (١٠/ ٥٥٠).

(٢) لم ترد في أ، هـ.

(١٠) ﴿الْوَارِثُونَ﴾ أي: المحصِّلون[1] للجنة، فالميراث استعارة. وقيل: إن الله جعل لكل إنسان مسكنًا في الجنة ومسكنًا في النار، فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة.

(١١) ﴿الْفِرْدَوْسَ﴾ مدينة الجنة، وهي جنة الأعناب. وأعاد الضمير عليها مؤنَّثًا؛ على معنى الجنة.



(١) كذا في هامش أ، وفي بقية النسخ: «المخلصون»، والمثبت هو الأقرب، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز (٦/ ٢٨٠).

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

﴿١٢﴾-﴿١٣﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ اختُلف هل يعني آدمَ عليه السلام؟ أو جنسَ بني آدم؟

﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ **السُّلالة**: هي ما يُسَلُّ من الشيء، أي: ما يستخرج منه، ولذلك قيل إنها الخلاصة، والمراد بها هنا: القطعة التي أُخذت من الطين وخلق منها آدم عليه السلام.

فإن أراد بالإنسان آدم: فالمعنىٰ: أنه خُلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ لا بدَّ أن يراد به ابن آدم؛ فيكون الضمير يعود علىٰ غير مَن ذكر أوَّلًا، ولكن يفسِّره سياق الكلام.

وإن أراد بالإنسان ابنَ آدم: فيستقيم عَوْدُ الضمير عليه، ويكون معنىٰ خَلْقِه من سلالةٍ من طين: أي: خَلْقُ أصْلِه، وهو أبوه آدم.

ويَحتمل عندي أن يراد بالإنسان الجنس الذي يعمُّ آدم وذريته، فأجمل ذكر الإنسان أوَّلًا، ثم فصَّله بعد ذلك إلىٰ الخِلْقة المختصَّة بآدم، وهي من طين، وإلىٰ الخِلْقة المختصَّة بذريته، وهي النطفة.

فإن قيل: ما الفرق بين ﴿مِن﴾ و﴿مِّن﴾؟ **فالجواب -علىٰ ما قال الزمخشري-**: أن الأول

للابتداء، والثاني للبيان، كقوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٢٨][1].

﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني: رَحِم الأمِّ. ومعنىٰ ﴿مَّكِينٍ﴾: متمكِّن، وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقِرَّة، لا من صفة المحلِّ المستقَرِّ فيه، ولكنه كقولك: «طريق سائرٌ» أي: يسير الناس فيه. وقد تقدَّم تفسير النطفة والمضغة والعلقة في أول «الحج»[2].

﴿١٤﴾ ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قيل: هو نفخ الروح فيه، وقيل: خروجه إلىٰ الدنيا، وقيل: استواء الشباب، وقيل: علىٰ العموم من نفخ الروح فيه إلىٰ موته.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ هو مشتقٌّ من البركة، وقيل: معناه: تقدَّس.

﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي: أحسن الخالقين خلْقًا، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه.

وفسَّر بعضهم ﴿ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ بالمقدِّرين؛ فرارًا من وصف المخلوق بأنه خالق. ولا يجب أن يُنفَىٰ عن المخلوق أنه خالق بمعنىٰ صانع، كقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٢]، وإنما الذي يجب أن يُنفَىٰ عنه معنىٰ الاختراع والإيجاد من العدم، فهذا هو الذي انفرد الله به[3].

---

(١) انظر: الكشاف (١٠/ ٥٥٦).

(٢) انظر تفسير الآية (٥).

(٣) [التعليق ٧٦] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: الخلقُ - في اللغةِ - يأتي بمعنىٰ: الإيجادِ بعدَ عَدَمٍ، ويأتي بمعنىٰ: التقديرِ؛ ومنه قولُ زُهَيْرِ بن أبي سُلْمَىٰ:

وَلأَنتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

وقد جاء المعنيانِ في القرآنِ فيما يضاف إلىٰ الله، ولكن المعنىٰ الأوَّل هو الأكثر، وشواهِدُهُ بتصاريفِ مادَّتِهِ لا تُحصَر: قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: ٣٨]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ﴿وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

ومِن الخَلْقِ بمعنىٰ التقديرِ: قولُهُ تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤]؛ فالخالقُ: هو المقدِّرُ لما يريدُ إيجادَهُ، والبارئُ: هو المُخرِجُ لِمَا قدَّره إلىٰ الوجودِ.

ويَحتمِلُ المعنيَيْنِ قولُهُ تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

ولم يأتِ في القرآنِ «الخَلْقُ» مضافًا إلىٰ غيرِ الله؛ إلا ما جاء في الخبرِ عن عيسىٰ عليه السلامُ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠]، والأظهرُ: أنَّ الخَلْقَ هنا بمعنىٰ التقديرِ؛ فهو عليه السلامُ لا يُوجِدُ طيرًا، وإنما يَخلُقُ ما هو كهَيْئةِ الطَّيْرِ؛ فينفُخُ فيه؛ فيكونُ طَيْرًا بإذنِ الله. =

﴿١٧﴾ ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ يعني: السماوات، وسماها طرائق؛ لأن بعضها طُورِقَ[1] فوق بعض كمُطارقة النعل[2]. وقيل: يعني الأفلاك؛ لأنها طرق للكواكب.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ يحتمل أن يريد بالخلق: المخلوقين، أو المصدر.

﴿١٨﴾ ﴿مَآءً بِقَدَرٍ﴾ يعني: المطرَ الذي ينزل من السماء، فتكون منه العيون والأنهار في الأرض. وقيل: يعني: أربعة أنهار، وهي النيل، والفرات، ودِجلة، وسَيحان، ولا دليل على هذا التخصيص. ومعنى ﴿بِقَدَرٍ﴾: بمقدار معلوم لا يزيد عليه[3] ولا يَنقص منه.

﴿٢٠﴾ ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ يعني: الزيتونَ. وإنما خصَّ النخيل والأعناب والزيتون بالذكر؛ لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع.

و﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾: جبل بالشام، وهو الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام، ونُسِب الزيتون إليه؛ لأنها فيه كثيرة. و﴿سَيْنَآءَ﴾ اسم الجبل، أضافه إليه، كقولك[4]: جبل أحد. وقرئ بفتح السين[5]، ولم ينصرف للتأنيث اللازم.

= وبهذا يُعلَمُ: أنه لم يأتِ «الخَلْقُ» بمعنى الإيجادِ في القرآنِ مضافًا لغيرِ اللهِ مطلَقًا، ولا يُستعمَلُ في لسانِ المسلِمِينَ إضافةُ الخَلْقِ لغيرِ الله، بل نفَى سبحانه وتعالى «الخَلْقَ» عن كلِّ ما يعبُدُهُ المشرِكُونَ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، حتى ما يَنحَتُهُ المشرِكونَ مِن الأصنامِ، أضاف اللهُ خَلْقَها إليه؛ قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦].

وعلى هذا: فلا يجوزُ إضافةُ مصنوعاتِ البشَرِ إلى صانعيها بلفظ (الخَلْق)، بل اللهُ خالِقُها بالأسبابِ التي خلَقَها وقدَّرها.

وعلى هذا: فتعقُّبُ المؤلِّفِ لمن قال: «﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]: أحسَنُ المقدِّرِينَ» -: ضعيفٌ.

وقول المؤلف: «مِن عدَم»، الصوابُ أن يقول: بعدَ عَدم، أو عنْ عدم.

وعبارةُ المؤلِّف: «مِن عدَمٍ»، في قوله: «وإنَّما الذي يجبُ أن يُنفَى عنه معنى الاختراعِ والإيجادِ مِن العدَمِ».

(١) في ب: «طرائق»، وفي ج: «طروق» والمثبت هو الصواب وهو الموافق لعبارة الكشاف (١٠/ ٥٦٣).

(٢) طارقَ النعل: إذا وضع بعضها على بعض، وركب بعضها على بعض. انظر: لسان العرب (١٢/ ٨٩).

(٣) في أ، ب، هـ: «عليها».

(٤) في ج، د: «كقوله».

(٥) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها.

وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للعُجْمة أو للتأنيث مع التعريف؛ لأن «فِعْلاء» بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث.

وقيل: معناه: مبارك، وقيل[١]: ذو شجرٍ، ويلزم على ذلك صرْفُه.

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ يعني: الزيتَ.

وقرئ ﴿تَنۢبُتُ﴾ بفتح التاء[٢]، فالمجرور على هذا في موضع الحال، كقولك: جاء زيد بسلاحه. وقرئ بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن أَنبت بمعنى نَبت. والثاني: حذف المفعول، تقديره: تُنبِت ثمرتَها بالدهن. والثالث: زيادة الباء.

﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ الصِّبغ: الغَمْس في الإدام.

﴿٢١﴾-﴿٢٢﴾ ﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، والمقصود بالذِّكْر: الإبل؛ لقوله: ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾. وقد تقدَّم في «النحل» ذكْرُ المنافعِ التي فيها[٣]، وتذكيرِها وتأنيثِها[٤].



(١) سقطت هذه الكلمة من أ، ب، هـ.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء، وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الباء.

(٣) انظر تفسير الآية (٥).

(٤) انظر تفسير الآية (٦٦).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اِ۟عْبُدُواْ اُ۬للَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ اَ۬لْمَلَؤُاْ اُ۬لَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَّتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ اَ۬للَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِےٓ ءَابَآئِنَا اَ۬لْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ اِ۟نصُرْنِے بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اِ۪صْنَعِ اِ۬لْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ اَ۬لتَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اِ۪ثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ اِ۬لْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِے فِے اِ۬لَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اَ۪سْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى اَ۬لْفُلْكِ فَقُلِ اِ۬لْحَمْدُ لِلَّهِ اِ۬لَّذِے نَجَّىٰنَا مِنَ اَ۬لْقَوْمِ اِ۬لظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِے مُنزَلاً مُّبَٰرَكاً وَأَنتَ خَيْرُ اُ۬لْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْناً ـاخَرِينَ ﴿٣١﴾

﴿٢٤﴾ ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾ استبعدوا أن تكون النبوَّة لبشر؛ فيا عجبًا منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر!

﴿يُرِيدُ أَن يَّتَفَضَّلَ﴾ أي: يطلب الفضل والرياسة عليكم.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي: بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله، أو بمثل الكلام الذي قال لهم، وهذا يدلُّ علىٰ أنه كان قبلَ نوح عليه السلام فترةٌ طويلة.

﴿٢٥﴾ ﴿بِهِۦ جِنَّةٞ﴾ أي: جنون، فانظر اختلافَ قولهم فيه؛ فتارة نسبوه إلىٰ طلب الرياسة، وتارة إلىٰ الجنون.

﴿حَتَّىٰ حِينٖ﴾ أي: إلىٰ وقت لم يعيِّنوه، ولكن أرادوا: وقتَ زوال جنونه علىٰ قولهم، أو وقتَ موته.

﴿٢٦﴾ ﴿اِ۟نصُرْنِے بِمَا كَذَّبُونِ﴾ تضمَّن هذا دعاءً عليهم؛ لأن نصرته إنما هي بإهلاكهم. وقد تقدَّم في «هود» تفسير ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾، و﴿فَارَ اَ۬لتَّنُّورُ﴾، و﴿لَا تُخَٰطِبْنِے﴾ [1].

---

(١) انظر تفسير الآية (٣٧) و(٤٠) من سورة هود.

(٢٧) ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أَدخِل فيها. وقد تقدَّم تفسير ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[١].

(٣٠) ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ «إن» مخفَّفة من الثقيلة، و﴿مُبْتَلِينَ﴾: اسم فاعل من ابتلىٰ، ويحتمل أن يكون بمعنىٰ[٢] الاختبار، أو إنزال البلاء.

(٣١) ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ قيل: إنهم عاد، ورسولهم هود عليه السلام؛ لأنهم الذين يلون قومَ نوح. وقيل: إنهم ثمود، ورسولهم صالح عليه السلام، وهذا أصحُّ[٣]؛ لقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾، وثمود هم الذين هَلَكوا بالصيحة، وأما عاد فهَلكوا بالريح.



(١) انظر تفسير الآية (٤٠) من سورة هود.

(٢) في ب، د: «من».

(٣) في أ، ب، هـ: «أصلح».

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ *قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

﴿٣٣﴾ ﴿مِن قَوْمِهِ﴾ قدَّم هذا المجرور على قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لئلا يُوهم أنه متَّصل بقوله: ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بخلاف قوله: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ في غير هذا الموضع[1].

﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ أي: نعَّمناهم.

﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يحتمل أنْ قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبيٌّ[2] من البشر، أو قالوه أنفةً من اتِّباع بشر مثلهم، وكذلك قول قوم نوح.

---

(١) انظر: درة التنزيل للإسكافي ص: ٩٣٥، وملاك التأويل لأبي جعفر ابن الزبير (٢/ ٨٧٥).

(٢) في د، هـ: «النبي».

﴿٣٥﴾ ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد.

﴿أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ﴾ كرَّر «أنَّ» توكيدًا[1] للأولى؛ و﴿مُّخْرَجُونَ﴾ خبرٌ عن الأولى.

﴿٣٦﴾ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ هذا من حكاية كلامهم. و﴿هَيْهَاتَ﴾: اسم فعل بمعنى: بَعُدَ، وقال الغزنوي[2]: هي للتأسُّف والتأوُّه. ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان[3]. وتارةً يجيءُ فاعله دون لام، كقوله:

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ وأهلُه[4]

وتارةً يجيء باللام، كهذه الآية.

قال الزَّجَّاج في تفسيره: البعد لما توعدون[5]؛ فنزَّله منزلة المصدر.

قال الزمخشري: وفيه وجه آخر؛ وهو أن يكون اللام لبيان المستبعَد ما هو، بعد التَّصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] لبيان المُهَيَّت به[6].

﴿٣٧﴾ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياة إلَّا حياتنا الدنيا، فوضع ﴿هِيَ﴾ موضع الحياة؛ لدلالة الخبر عليها.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعضٌ ويولد بعض، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر، ومرادهم: إنكار البعث.

---

(١) في د: «تأكيدًا».

(٢) صاحب كتاب «عين المعاني»، تقدم التعريف به في المقدمة الأولى من الكتاب، الباب السادس.

(٣) قراءة السبعة بفتح التاء، وقرأ أبو جعفر المدني بالكسر، وقرأ عيسى الهمْداني والأعرج بالإسكان، وقرأ أبو حيوة بالضم. المحرر الوجيز (٦/ ٢٩٤).

(٤) هذا صدر بيت لجرير بن عطية، كما في ديوانه (ص: ٣٨٥)، وعجزه: «وهيهات وصْلٌ بالعقيق تواصلُهْ» وروي البيت هكذا «فهيهات هيهات..»، وروي «فأيهات أيهات..» بالهمزة، وهما لغتان، والعرب تبدل الهمزة هاءً وبالعكس. انظر: تحفة المجد الصريح شرح كتاب الفصيح، لأبي جعفر اللَّبْلي (١/ ٢٤٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ١٣).

(٦) انظر: الكشاف (١٠/ ٥٨٢).

(٤٠) ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلٍ﴾[1] صفةٌ للزمان، والتقدير: عن زمانٍ قليلٍ يندمون.

(٤١) ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ يعني: هالكين كالغثاء، والغثاء: ما يحمله السيل من الورَق وغيرها مما يبلىٰ ويسوَدُّ، فشبَّه به الهالكين.

﴿فَبُعْداً﴾ مصدرٌ وُضع موضع الفعل بمعنىٰ: بَعِدُوا؛ أي: هَلكوا، والعامل فيه مضمرٌ لا يظهر.

(٤٤) ﴿تَتْرَا﴾ مصدرٌ وزنه: فَعْلَىٰ، ومعناه التواتر والتتابع، وهو موضوعٌ موضعَ الحال؛ أي: متواترين واحدًا بعد واحد. فمن قرأه بالتنوين[2]: فألفه للإلحاق، ومن قرأه بغير تنوين: فألفه للتأنيث فلم ينصرف، وتأنيثه لأن الرسل جماعة. والتاء الأولىٰ فيه بدلٌ من واو هي[3] فاء الكلمة.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: يتحدَّث الناس بما جرىٰ عليهم، ويَحتمل أن يكون جمعَ حديث، أو جمع أُحدُوثة، وهذا أليق؛ لأنها تقال في الشرِّ.

(٤٦) ﴿قَوْماً عَالِينَ﴾ أي: متكبرين.

(٤٧) ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ أي: خادمون[4] متذلِّلون.

(٤٩) ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لبني إسرائيل، لا لقوم فرعون؛ لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة.

(٥٠) ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ الرُّبوة: الموضع المرتفع، ويجوز فيها فتح الراء وضمُّها وكسرها[5]. واختُلف في موضع هذه الربوة: فقيل: بيت المقدس، وقيل: بغوطة دمشق،

---

(١) في أ، ب، ج: «وقيل»، وهو تصحيف، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٠/ ٥٨٤).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين.

(٣) في د: «وهي».

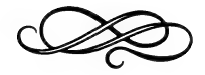
(٤) في د: «حامدون».

(٥) قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء، وقرأ الباقون من السبعة بضمها، وقرئ في الشاذ بكسرها، قرأ بها ابن عباس رضي الله عنهما ونصر عن عاصم. المحرر الوجيز (٦/ ٢٩٧).

وقيل: بفلسطين[1].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ **القرار**: المستوي من الأرض، فمعناه: أنها بسيطة يتمكَّن فيها الحرث والغِراسة، **وقيل**: القرار هنا: الثمارُ والحبوب.

والمعين: الماء الجاري؛ **فقيل**: إنه مشتقٌّ من قولك: مَعَن الماءُ: إذا كثر؛ فالميم على هذا أصلية، ووزنه فَعِيل، **وقيل**: إنه مشتق من العين؛ فالميم زائدة، ووزنه مفعول.



(١) في أ، ب، هـ: «فلسطين».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحاً اِنِّے بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌۖ ﴿٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمُۥٓ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٣﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبِۢ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٤﴾ فَذَرْهُمْ فِے غَمْرَتِهِمْ حَتَّيٰ حِينٍ ﴿٥٥﴾ اَيَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٦﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِے اِ۬لْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ *إِنَّ ٱلذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَالذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُومِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَالذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٦٠﴾ وَالذِينَ يُوتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ اَنَّهُمُۥٓ إِلَيٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِے اِ۬لْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً اِلَّا وُسْعَهَاۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِے غَمْرَةٖ مِّنْ هَٰذَاۖ وَلَهُمُۥٓ أَعْمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٤﴾ حَتَّيٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ اُ۬لْيَوْمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٦﴾ قَدْ كَانَتَ ـ اٰيَٰتِے تُتْلَيٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَيٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٧﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِراً تُهْجِرُونَ ﴿٦٨﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ اُ۬لْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَاتِ ءَابَآءَهُمُ اُ۬لْاَوَّلِينَ ﴿٦٩﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٧٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧١﴾ وَلَوِ اِتَّبَعَ اَ۬لْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ اِ۬لسَّمَٰوَٰتُ وَالْاَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلَ اَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٞ وَهُوَ خَيْرُ اُ۬لرَّٰزِقِينَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمُۥٓ إِلَيٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٧٤﴾ وَإِنَّ اَ۬لذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالْاَخِرَةِ عَنِ اِ۬لصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٥﴾ *وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِے طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدَ اَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اَ۪سْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٧﴾ حَتَّيٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ اِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٨﴾

﴿٥٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة متفرِّقة، وإنما المعنى: أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك. وقيل: الخطاب لمحمد ﷺ، وأقامه مقام الجماعة، وهذا بعيد.

﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلَذَّات،

فالأمر للإباحة(١).

(٥٣) ﴿وَأَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ قرئ ﴿أَنَّ﴾(٢): بالكسر على الاستئناف. وبالفتح على معنى: لِأَنَّ، وهي متعلِّقة بقوله آخِرًا: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، وقيل: تتعلَّق بفعل مضمر تقديره: واعلموا. والأمَّة هنا: الدين، وهو ما اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره.

(٥٤) ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ أي: افترقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿زُبُرٗا﴾ جمع زَبور، وهو الكتاب(٣)، والمعنى: أنهم افترقوا في اتِّباع الكتب، فاتبعت طائفة التوراة، وطائفة الإنجيل، وغير ذلك، أو وضعوا كتبًا(٤) من عند أنفسهم.

(٥٥) ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾ الضمير لقريش، والغَمْرة: الجهل والضلال، وأصلها من غَمْرة الماء(٥).

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا: يوم بدر، أو يوم موتهم.

(٥٦) ﴿أَيَحۡسَبُونَ﴾ الآيَةَ؛ ردٌّ عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خيرٌ لهم وأنها بسبب رضا الله عنهم(٦).

(٥٧) ﴿نُسَارِعُ لَهُمۡ﴾ هذا خبر «أنَّ»، والضمير الرابط محذوفٌ، تقديره: نسارع به.

﴿بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن ذلك استدراجٌ لهم، ففيه معنى التهديد.

(٦١) ﴿يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ قيل: معناه يُعطُون ما أَعطوا من الزكوات(٧) والصدقات. وقيل: إنه

---

(١) انظر التعليق عند تفسير الآية (٥) من سورة المائدة.

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، وابن عامر بتخفيف النون ساكنة.

(٣) في أ، هـ: «الكتب».

(٤) في ب، ج: «كتابًا».

(٥) قال في الكشاف (١٠/ ٥٩٣): «الغَمْرة: الماء الذي يغمر القامة، فضُربتْ مثلًا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم، أو شُبِّهوا باللاعبين في غمرة الماء؛ لما هم عليه من الباطل».

(٦) في أ: «ولسبب رضا الله عنهم»، وفي ب: «وبسببها رضيَ الله عنهم».

(٧) في أ، د: «الزكاة».

عامٌّ في جميع أعمال البرِّ؛ أي: يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم، وقد روت عائشة هذا المعنىٰ عن النبي ﷺ[١]، إلَّا أنها قرأت: «يَأْتون ما أَتوا» بالقصر[٢]، فيَحتمل أن يكون الحديث تفسيرًا لهذه القراءة. وقيل: إنه عامٌّ في الحسنات والسيئات؛ أي: يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلىٰ الله.

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ «أَنَّ»: في موضع المفعول من أجله، أو في موضع المفعول بـ ﴿وَجِلَةٌ﴾؛ إذ هي في معنىٰ: خائفة.

﴿٦١﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فيه معنيان: أحدهما: أنهم يبادرون إلىٰ فعل الطاعات. والآخر: أنهم يتعجَّلون ثواب الخيرات، وهذا مطابق للآية المتقدِّمة[٣]؛ لأنه أُثبِت فيه ما نُفِي عن الكفار من المسارعة[٤].

﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ فيه المعنيان المذكوران في ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾. وقيل: معناه: سبقت لهم السعادة في الأزل.

﴿٦٢﴾ ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني: أن هذا الذي وَصف به الصالحين غيرُ خارج عن الوُسْع والطاقة. وقد تقدَّم الكلام علىٰ تكليف ما لا يطاق في «البقرة»[٥].

﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ يعني: صحائف الأعمال، ففي الكلام تهديدٌ، وتأمينٌ من الظلم والحيف.

﴿٦٣﴾ـ﴿٦٤﴾ ﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: في غفلة من الدين بجملته، وقيل: من القرآن، وقيل: من الكتاب المذكور، وقيل: من الأعمال التي وَصف بها المؤمنين.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٢٦٣)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، والحاكم (٣٤٨٦) وصححه ووافقه الذهبي، عن عائشة ﵂ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم ﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾».

(٢) أخرجها الطبري (١٧/ ٧٠).

(٣) الآية المتقدمة قوله تعالىٰ في الكفار: ﴿أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين، نسارع لهم في الخيرات﴾.

(٤) انظر: الكشاف وتعليق الطِّيبي (١٠/ ٥٩٧).

(٥) في تفسير آخر آية منها.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: لهم أعمال سيئة دون الغَمْرة التي هم فيها، فالمعنىٰ: أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ -علىٰ هذا- إلىٰ الغمرة، وإنما أشار إليها بالتذكير[1]؛ لأنها في معنىٰ الكفر.

وقيل: الإشارة إلىٰ قوله: ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾؛ أي: لهم أعمال سيئة غير (ذلك المعنىٰ)[2] المشار إليه حسَبما اختُلف فيه.

﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ قيل: هو إخبار عن أعمالهم في الحال، وقيل: عن الاستقبال، وقيل: المعنىٰ: أنهم يتمادون علىٰ عملها حتىٰ يأخذهم الله، فجعل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ غايةً لقوله: ﴿عَٰمِلُونَ﴾.

﴿مُتْرَفِيهِم﴾ أي: أغنياءَهم[3] وكبراءَهم.

﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ أي: يستغيثون ويصيحون. فإن أراد بالعذاب قتلَ[4] المترفين يوم بدر: فالضمير في ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ لسائر قريش؛ أي: ناحوا وصاحوا[5] علىٰ القتلىٰ. وإن أراد بالعذاب شدائدَ الدنيا أو عذاب الآخرة: فالضمير لجميعهم.

(٦٦) ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ تقديره: يقال لهم يوم العذاب: لا تجأروا، ويَحتمل أن يكون هذا القول حقيقةً، أو[6] يكون بلسان الحال[7]. ولفظه نهيٌ، ومعناه: أن الجُؤَار لا ينفعهم.

(٦٧) ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ أي: ترجعون إلىٰ وراء، وذلك عبارةٌ عن إعراضهم عن الآيات، وهي القرآن.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بالتأكيد».

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

(٣) في أ، ب، هـ: «أعيانهم».

(٤) في أ، هـ: «قتال».

(٥) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٦) في ج، د: «وأن».

(٧) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٣٤).

﴿٦٨﴾ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ **قيل**: إن الضمير عائدٌ على المسجد الحرام، أو على الحرم وإن لم يُذْكَر؛ ولكنه يفهم من سياق الكلام، **والمعنى**: أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام؛ لأنهم أهله ووُلَاته.

وقيل: إنه عائد على القرآن؛ من حيث ذُكِرت الآيات، **والمعنى على هذا**: أن القرآن يحدث لهم عتوًّا وكِبْرًا[1].

وقيل: إنه يعود على النبي ﷺ، وهو على هذا متعلِّق بـ﴿سَٰمِرًا﴾.

﴿سَٰمِرًا﴾ مشتقٌّ من السَّمَر، وهو الجلوس بالليل للحديث، وكانت قريش تجتمع[2] بالليل في المسجد، فيتحدَّثون، وكان أكثرُ حديثهم سبَّ النبي ﷺ، و﴿سَٰمِرًا﴾ مفرد بمعنى الجمع، وهو منصوب على الحال، فمن جعل الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للنبي ﷺ، **فالمعنى**: أنهم سامرون بذكره وسبِّه.

﴿تُهْجِرُونَ﴾ **من قرأ بضم التاء وكسر الجيم**[3] **فمعناه**: تقولون الهُجْر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام. **ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم**: فهو من الهَجْر -بفتح الهاء-؛ أي: تَهجرون الإسلام، والنبيَّ ﷺ، والمؤمنين، أو من قولك: هَجَر المريض: إذا هَذَىٰ؛ أي: تقولون اللغو من القول.

﴿٦٩﴾ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ **يعني**: القرآن، وهذا توبيخٌ لهم.

﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ **معناه**: أنَّ النبوَّة ليست ببدْعٍ فينكرونها، بل قد جاءت آباءَهم الأولين، فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام وغيرهم.

﴿٧٠﴾ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ﴾ **المعنى**: ألم يعرفوا محمدًا ﷺ، ويعلموا أنه أشرفُهم حسَبًا، وأصدقُهم حديثًا، وأعظمُهم أمانةً، وأرجحهم عقلًا؛ فكيف ينسبونه إلى الكذب أو إلى

---

(١) في د: «وتكبرًا».

(٢) في ب: «يجتمعون».

(٣) قرأ نافع بضم التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الجيم.

الجنون أو غير ذلك من النقائص؟ مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفىٰ علىٰ كل ذي عقل سليم أنه عين الصواب.

﴿٧١﴾ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ **الاتِّباع هنا**: استعارة، **والحق** هنا يراد به: الصواب والأمر المستقيم، **فالمعنىٰ**: لو كان الأمر علىٰ ما تقتضي أهواؤهم من الشرك بالله واتباع الباطل لفسدت السماوات والأرض، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقيل: إن الحق في الآية هو الله تعالىٰ، **وهذا بعيد في المعنىٰ**، وإنما حمَله عليه أنْ جعَل الاتِّباع حقيقةً ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما الحق هنا هو المذكور في قوله: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ **يحتمل أن يريد**: بتذكيرهم ووعظهم، أو بفخرهم وشرفهم، **وهذا أظهر**.

﴿٧٢﴾ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ **الخَرْج**: هو الأجرة، ويقال فيه: خَراج، والمعنىٰ واحد، وقد قرئ[1] بالوجهين في الموضعين[2]، فهو كقوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ [الطور: ٣٨، القلم: ٤٦]؛ أي: لست تسألهم أجرًا فيثقلَ عليهم اتباعك.

﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي: رزق ربك خير من أموالهم؛ فهو يرزقك ويغنيك عنهم.

﴿٧٤﴾ ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ أي: عادلون ومعرضون[3] عن الصراط المستقيم المذكور.

﴿٧٥﴾ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ﴾ الآيةَ؛ **قال الأكثرون**: نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله ﷺ علىٰ قريش بالقحط فنالهم الجوع حتىٰ أكلوا الجلود وغيرها[4]، **فالمعنىٰ**: لو رحمناهم بالخِصْب، وكشفنا ما بهم من ضرٍّ القحط والجوع؛ لتمادوا علىٰ طغيانهم.

---

(١) في أ، ب: «وقد روي».

(٢) قرأ ابن عامر: ﴿خَرْجًا فخَرْجُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿خَرَاجًا فخَرَاجُ﴾، وقرأ الباقون: ﴿خَرْجًا فخَرَاجُ﴾

(٣) في أ، ب، هـ: «ويعرضون».

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٩٣) والنسائي في الكبرىٰ (١١٢٨٩)، وابن حبان (٩٦٧)، والحاكم (٣٤٨٨) وصححه ووافقه الذهبي، عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ.

وفي هذا عندي نظر؛ فإنَّ الآية مكية باتفاق، وإنما دعا النبي ﷺ علىٰ قريش بعد الهجرة حسَبما ورد في الحديث[(١)].

وقيل: المعنىٰ: لو رحمناهم بالردِّ إلىٰ الدنيا بعد موتهم لعادوا لما نهوا عنه.

وهذا القول لا يَلزم عليه ما لزم علىٰ الآخر، ولكنه خارج عن معنىٰ الآية.

(٧٧) ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ **قيل**: إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط، وإن الباب ذا العذاب الشديد المتوعَّد به بعد هذا: يوم بدر. وهذا مردود بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر. **وقيل**: إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر، والباب المتوعَّد به هو القحط.

وقيل: الباب ذو العذاب الشديد: عذاب الآخرة، وهذا أرجح، ولذلك وصفه بالشدَّة؛ لأنه أشد من عذاب الدنيا، وقال: إنهم فيه مبلسون؛ أي يائسون[(٢)] من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة، كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١١].

﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ أي: ما تذلَّلوا لله عز وجل. وقد تقدَّم الكلام علىٰ هذه الكلمة في «آل عمران»[(٣)].

﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إن قيل: هلَّا قال: «فما استكانوا وما تضرعوا»، أو «فما يستكينون وما يتضرعون» باتِّفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال؟

فالجواب: أن ﴿مَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ عند العذاب الذي أصابهم، و﴿مَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ حتىٰ يفتح عليهم بابُ عذابٍ شديد، فنفىٰ الاستكانة فيما مضىٰ، ونفىٰ التضرُّع في الحال والاستقبال[(٤)].



(١) أخرجه البخاري (٤٨٢١) ومسلم (٢٧٩٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في ب: «آيسون».

(٣) انظر تفسير الآية (١٤٦).

(٤) انظر: الكشاف (١٠/ ٦١٥).

وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾

﴿٧٨﴾ ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ «ما» زائدة، و﴿قَلِيلٗا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: شكرًا قليلًا تشكرون. وذكَر السمع والبصر والأفئدة -وهي القلوب-؛ لعظيم[1] المنافع التي فيها؛ فيجب شكر خالقها، ومِن شكره: توحيده واتباع رسوله ﷺ، ففي ذكرها تعديد نعمةٍ وإقامة حجة.

﴿٧٩﴾ ﴿ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: نشركم فيها.

﴿٨٠﴾ ﴿وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ أي: هو فاعله ومختصٌّ به، فاللام للاختصاص. وقد ذُكر في «البقرة» معنىٰ اختلاف الليل والنهار[2].

﴿٨١﴾-﴿٨٢﴾ ﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ أي: قالت قريش مثلَ قول الأمم المتقدِّمة، ثم فسَّر قولهم بإنكارهم للبعث، وإليه الإشارة بقولهم: ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾. وقد ذُكر

(١) في ج: «العظم».

(٢) انظر تفسير الآية (١٦٣).

الاستفهامان في «الرعد»[1]، و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في «الأنعام»[2].

﴿٨٥﴾ ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ هذه الآيات[3] توقيف لهم على أمور لا يمكنهم إلَّا الإقرار بها، وإذا أقرُّوا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة.

﴿٨٦﴾_﴿٨٧﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرئ في الأول ﴿لِلَّهِ﴾ باللام بإجماع؛ جوابًا لقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾، وكذلك قرأ الجمهور الثانيَ والثالث، وذلك على المعنى؛ لأن قوله: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في معنى: «لمن هي». وقرأ أبو عمرٍو الثانيَ والثالث بالرفع على اللفظ.

﴿٨٩﴾ ﴿مَلَكُوتُ﴾ مصدرٌ في بنائه مبالغةٌ.

﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ الإجارة: المنع من الإنسان[4]، يقال : أجرتُ فلانـًا على فلان: إذا منعتَه من مضرَّته وإهانته، فالمعنى: أن الله تعالى يُغيث من شاء ممن شاء، ولا يغيث أحدٌ منه أحدًا.

﴿٩٠﴾ ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: تُخدَعون عن الحق، والخادعُ لهم الشيطان، وذلك تشبيهٌ بالسحر في التَّخليط والوقوع في الباطل.

ورُتِّبت هذه التوبيخات الثلاثة بالتدريج، فقال أوَّلًا: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ، ثم قال ثانيًا: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وذلك أبلغُ؛ لأن فيه زيادةَ تخويف، ثم قال ثالثًا: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ ، وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره.

﴿٩١﴾ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ يعني: فيما يَنسبون لله من الشركاء والأولاد، ولذلك ردَّ عليهم بنفي ذلك.

﴿٩٢﴾ ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ هذا برهان على الوَحدانية، وبيانه أن يقال: لو كان مع الله إلهٌ آخرُ لانفرد كل واحد منهما بمخلوقاته عن مخلوقات الآخر، واستبدَّ كل واحد

(١) انظر تفسير الآية (٦).

(٢) انظر تفسير الآية (٢٦).

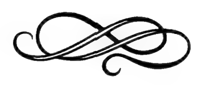
(٣) في أ، ب، د: «الآية».

(٤) في أ، ب، هـ: «الإهان» كذا! والمثبت موافق لعبارة المحرر الوجيز (٦/ ٣١٦).

منهما بمُلكه، وطلب غلَبةَ الآخر والعلوَّ عليه، كما ترىٰ[١] حال ملوك الدنيا، ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطةً بعضُها ببعض حتىٰ كأن العالم كلَّه كُرَةٌ واحدة: علمنا أن مالكه ومدبِّره واحد، لا إله غيره. وليس هذا البرهان بدليل التمانع كما فهم ابن عطية[٢] وغيره، بل هو دليل آخر.

فإن قيل: «إذًا» لا تدخل إلَّا علىٰ كلامٍ هو جزاءٌ وجواب، فكيف دخلت هنا ولم يتقدَّم قبلها شرطٌ ولا سؤال سائل؟ **فالجواب**: أن الشرط محذوفٌ تقديره: لو كان معه آلهة، وإنما حُذِف لدلالة قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍ﴾، وهو جواب للكفار الذين وقع الردُّ عليهم[٣].

(٩٢) ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ **بالرفع**[٤]: خبر ابتداء، **وبالخفض**: صفة لله.



(١) في ج، د: «نرىٰ».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٨/ ٣١٧).

(٣) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٢).

(٤) قرأ نافع وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم برفع الميم، وقرأ الباقون بالخفض.

*قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ *أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿٩٤﴾ـ﴿٩٥﴾ ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ الآيةَ؛ معناها: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يدعوَ لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قُضِي أن يرىٰ ذلك، وفيها تهديدٌ للظالمين وهم الكفار.

و«إن» شرطية، و«ما» زائدة، وجواب الشرط: ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ ، وكرَّر قوله: ﴿رَبِّ﴾ مبالغةً في الدعاء والتضرُّع.

﴿٩٧﴾ ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ قيل: التي هي أحسن: لا إله إلا الله ، والسيئةُ: الشرك. والأظهر أنه أمرٌ بالصَّفح والاحتمال وحسن الخلق، فهو محكَمٌ غير منسوخ، وإنما نُسِخ

ما يقتضيه من مسالمة الكفار.

﴿٩٧﴾ ﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ يعني: نزَغاته ووَسواسه[١]، وقيل: يعني الجنون، واللفظ أعمُّ من ذلك.

﴿٩٨﴾ ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ معناه: أن يكونوا معه، وقيل: يعني: حضورَهم[٢] عند الموت.

﴿١٠٠﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قال ابن عطية: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا حرف ابتداءٍ[٣]؛ أي ليست غايةً لما قبلها. وقال الزمخشري: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ تتعلَّق بـ﴿يَصِفُونَ﴾؛ أي: لا يزالون كذلك حتىٰ يأتيهم الموت[٤].

﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ يعني: الرجوعَ إلىٰ الدنيا، وخاطب ربَّه مخاطبةَ الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري[٥] وغيره، ومِثْلُه قول الشاعر:

ألَا فـــارحموني يـــا إلـــهَ محمَّـــدٍ[٦]

وقيل: إنه نادىٰ ربَّه ثم خاطب الملائكة.

﴿١٠١﴾ ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قيل: يعني فيما تركتُ من المال. وقيل: فيما تركتُ من الإيمان؛ فهو كقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام: ١٥٩]، والمعنىٰ: أن الكافر رغب أن يرجع إلىٰ الدنيا؛ ليؤمن ويعمل صالحًا في الإيمان الذي تركه أوَّل مرة.

﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ له عما طلب.

---

(١) في ب، ج: «ووساوسه».

(٢) في أ، ب: «بحضورهم».

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٣٢٠).

(٤) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٥).

(٥) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٦).

(٦) هذا صدر بيت وتمامه: «فإن لم أكن أهلًا فأنت له أهلُ»، أورده الزمخشري في الكشاف (١٠/ ٦٢٦)، ولم أقف علىٰ قائله.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يعني: قولَه: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾، فسمَّىٰ هذا الكلام كلمةً، وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يقول هذه الكلمة لا محالةَ؛ لإفراط ندمه وحسرته، فهو إخبار بقوله. والثاني: أن المعنىٰ: أنها كلمة يقولها، ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئًا. والثالث: أن يكون المعنىٰ: أنه يقولها كاذبًا فيها، ولو رجع إلىٰ الدنيا لم يعمل صالحًا.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي فيما يستقبلون من الزمان. والضمير للجماعة المذكورين في قوله: ﴿جَآءَ أَحَدَهُمُ﴾.

﴿بَرْزَخٌ﴾ يعني: المدة التي بين[1] الموت والقيامة، وهي تَحُول بينهم وبين الرجوع إلىٰ الدنيا. وأصل البرزخ: الحاجز بين شيئين.

۝١٠١ ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المعنىٰ: أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة؛ لاشتغال كل أحد بنفسه، كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٥]، فتكون الأنساب كأنها معدومةٌ.

﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضًا؛ لاشتغال كل أحد بنفسه.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧، الطور: ٢٣]؟ فالجواب: أن ترك التساؤل عند النفخة الأولىٰ، ثم يتساءلون بعد ذلك؛ فإن يوم القيامة يومٌ طويل فيه مواقف مختلفة[2].

۝١٠٤ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تصيبهم بالإحراق.

﴿كَٰلِحُونَ﴾ الكُلُوح: انكشاف الشفتين عن الأسنان، وكثيرًا ما يجري ذلك للكلاب، وقد يجري[3] للكباش إذا شويت رؤوسها، وفي الحديث: «إن شفَة الكافر ترتفع في

(١) في أ، ب، هـ: «بعد».

(٢) انظر: الكشاف (١٠/ ٦٢٩).

(٣) في أ، ب، هـ: «تجري».

النار[1] حتىٰ تبلغ وسَط رأسه»[2] ، وفي ذلك عذابٌ وتشويه.

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: ما قُدِّر علينا[3] من الشقاء. وقرئ: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾[4]، والمعنىٰ واحد.

﴿١٠٨﴾ ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ كلمةٌ تستعمل في زجر الكلاب، ففيها إهانةٌ وإبعاد.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: لا تكلمونِ في رفع العذاب، فحينئذ ييأسون من ذلك، أعاذنا الله من ذلك برحمته.

﴿سُخْرِيًّا﴾ بضم السين[5] من السُّخْرة بمعنىٰ التَّخديم، وبالكسر: من السَّخَر بمعنىٰ الاستهزاء، وقد يقال هذا بالضم. وقرئ هنا بالوجهين؛ لاحتمال المعنيين، علىٰ أن معنىٰ الاستهزاء هنا أليقُ؛ لقوله: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

﴿١١٢﴾ ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: في جوف الأرض أمواتًا، وقيل: أحياءً في الدنيا. فأجابوا بأنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم؛ لاستقصار[6] المدة، ولما هم فيه من العذاب بحيث لايعدُّون شيئًا.

﴿١١٣﴾ ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ أي: اسأل من يَقدِر علىٰ أن يَعُدَّ، وهو: مَن عُوفي مما ابتلوا به، أو يعنون الملائكة.

﴿١١٤﴾ ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ معناه: أنه قليلٌ بالنسبة إلىٰ بقائهم في جهنم خالدين[7] أبدًا.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بالنار».

(٢) أخرجه أحمد (١١٨٣٦)، والترمذي (٣١٧٦) وقال: «حسن صحيح غريب»، والحاكم (٢٩٧١) وصححه وسكت عنه الذهبي، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: «تشويه النار فتَقَلَّص شفته العالية حتىٰ تبلغ وسَط رأسه، وتسترخي شفته السفلىٰ حتىٰ تضرب سُرَّته».

(٣) في أ: «ما قدرنا عليهم».

(٤) قرأ حمزة والكسائي ﴿ شَقَاوَتُنَا ﴾، وقرأ الباقون ﴿ شِقْوَتُنَا ﴾.

(٥) قرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها.

(٦) في ج، د: «لاستقصارهم».

(٧) في ج، د زيادة: «فيها».

(١١٦) ﴿عَبَثًا﴾ أي: باطلًا، والمعنىٰ: إقامة حجة علىٰ الحشر للثواب والعقاب.

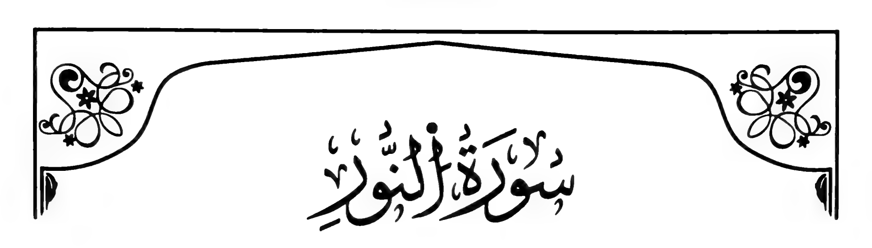
(١١٨) ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي: لا حجة ولا دليل، والجملة صفةٌ لقوله: ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، وجواب الشرط: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن.

وانظرْ كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين؛ ليبين البَوْن[1] بين الفريقين، والله أعلم.

---

(١) في د، هـ: «الفرق».



سُورَةٌ اَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَۖ (١) اَلزَّانِيَةُ وَالزَّانِے فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلاَ تَاخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِے دِينِ اِ۬للَّهِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اِ۬لَاخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ اَلْمُومِنِينَۖ (٢) اَلزَّانِے لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً اَوْ مُشْرِكَةٗۖ وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَآ إِلاَّ زَانٍ اَوْ مُشْرِكٞۖ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى اَلْمُومِنِينَۖ (٣) وَالذِينَ يَرْمُونَ اَلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةٗ وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً اَبَداٗۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْفَٰسِقُونَ (٤) إِلاَّ اَلذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اَللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞۖ (٥) وَالذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمُۥ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ اَلصَّٰدِقِينَ (٦) وَالْخَٰمِسَةُ أَن لَّعْنَتُ اُ۬للَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ اَلْكَٰذِبِينَۖ (٧) وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا اَلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ اَلْكَٰذِبِينَ (٨) وَالْخَٰمِسَةُ أَنْ غَضِبَ اَللَّهُ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ اَلصَّٰدِقِينَۖ (٩) وَلَوْلاَ فَضْلُ اُ۬للَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ اَللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌۖ (١٠)

(١) ﴿سُورَةٌ اَنزَلْنَٰهَا﴾ **السورة**: خبر ابتداء مضمر، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: فيما أُنزِل عليكم سورة. و﴿اَنزَلْنَٰهَا﴾ صفة للسورة.

﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ أي: فرَضنا الأحكام التي فيها، وقرئ بالتشديد[1] للمبالغة.

﴿ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ﴾ يعني: ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال. وقيل: معنى ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ هنا: ليس فيها مُشْكل .

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء، وقرأ الباقون بالتخفيف.

﴿٢﴾ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾: يراد بهما الجنس، وقدَّم الزانية؛ لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر؛ فإنه كان منهنَّ إماء وبغايا يجاهرن[1] بذلك.

وإعراب ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ كإعراب: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٤٠]، وقد ذكر في «المائدة».

وهذه الآية ناسخةٌ بإجماع لما في سورة «النساء» من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة، ومن الأذىٰ في الأخرىٰ[2].

ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس علىٰ عمومه؛ فإنَّ جلْد المئة إنما هو حدُّ الزانية والزاني إذا كانا مسلمَين حُرَّين[3] غيرَ محصنين. فيخرج منها الكفار؛ فيُرَدُّون إلىٰ أهل دينهم. ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة.

فأما العبد والأمة: فحدُّهما خمسون جلدةً، سواءٌ كانا محصنين أو غير محصنين. وأما المحصنان الحرَّان فحدُّهما الرجم. هذا علىٰ مذهب مالك.

وأما الكلام علىٰ الآية بالنظر إلىٰ سائر المذاهب: فاعلم أن لفظ هذه الآية ظاهرهُ العموم في المسلمين والكافرين، وفي الأحرار والعبيد والإماء، وفي المحصن وغير المحصن، ثم إن العلماء خصَّصوا من هذا العموم أشياءَ؛ منها باتفاق، ومنها باختلاف.

فأما الكفار: فرأىٰ أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدَّهم جلدُ مئة؛ أُحصِنوا أو لم يُحصَنوا؛ أخذًا بعموم الآية. ورأىٰ الشافعي[4] أن حدَّهم كحدِّ المسلمين؛ الجلدُ إن لم يُحصَنوا، والرجم إن أُحصِنوا؛ أخذًا بالآية، وبرجم النبي ﷺ لليهودي واليهودية إذْ زنيا[5].

---

(١) في أ، ب، ج، هـ: «يجاهرون».

(٢) انظر تفسير الآية (١٦).

(٣) في ب زيادة: «بالِغين».

(٤) وأحمد، فالإسلام عندهما ليس شرطًا في الإحصان. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ٢٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٣٥)، ومسلم (١٦٩٩) من حديث ابن عمر ﷺ.

ورأىٰ مالك أن يُرَدُّوا إلىٰ أهل دينهم؛ لقوله في سورة «النساء»: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥]، فخصَّ نساء المسلمين؛ علىٰ أنها قد نسخَتها هذه، ولكن بقيت في محلها.

وأما العبد والأمة: فرأىٰ أهل الظاهر أن حدَّ الأمة خمسون جلدةً؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]، وأن حدَّ العبد الجلدُ مئةً؛ لعموم الآية. وقال غيرهم: يُجلَد العبد خمسين؛ بالقياس علىٰ الأَمَة؛ إذ لا فرق بينهما.

وأما المحصن: فقال الجمهور: حكمه الرجم، فهو مخصوص من هذه الآية، وبعضهم يسمي هذا التخصيص نسخًا، ثم اختلفوا في المخصِّص أو الناسخ: فقيل: الآيةُ التي ارتفع لفظها وبقي حكمها، وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما أَلبتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم»[1]. وقيل: الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم.

وقال أهل الظاهر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: يُجلد المحصن بالآية، ثم يُرجم بالسنة[2]، فجمعوا عليه الحدَّين، ولم يجعلوا الآية منسوخةً بالرجم[3]، ولا مخصَّصةً. وقال الخوارج: لا رجمَ أصلًا؛ فإن الرجم ليس في كتاب الله. ولا يُعتدُّ بقولهم. وظاهر الآية الجلد دون تغريب، وبذلك قال أبو حنيفة.

وقال مالك[4] بالجلد والتغريب سَنةً؛ للحديث، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام»[5]. ولا تغريب علىٰ النساء ولا علىٰ العبيد عند مالك[6].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أثر علي أخرجه أحمد (٩٤٢)، والنسائي في الكبرىٰ (٧١٠٢)، والحاكم (٨٠٨٧) وصححه ووافقه الذهبي، عن الشعبي عن علي رضي الله عنه أنه جلد شراحة يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة، فقال: جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأخرجه البخاري (٦٨١٢) ولم يذكر فيه الجلد.

(٣) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٤) والشافعي وأحمد وجمهور أهل العلم. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ٢٥٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٦٩٠) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٦) وقال أحمد بتغريب النساء دون العبيد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ٢٥٤، ٢٦٤).

وصفة الجلد:

عند مالك: في الظهر، والمجلودُ جالسٌ. **وقال الشافعي**(١): يفرَّق علىٰ جميع الأعضاء، والمجلود قائم. وتُستَر المرأة بثوبٍ لا يقيها الضرب. ويجرَّد الرجل عند مالك، وقال قوم: يجلد علىٰ قميص(٢).

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ **قيل:** يعني: في إسقاط الحدِّ؛ أي: أقيموه ولا بدَّ، **وقيل:** في تخفيف الضرب، **وقيل:** في الوجهين.

فعلىٰ القول الأول: يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرِّح، وهو مذهب مالك والشافعي(٣). **وعلىٰ القول الثاني والثالث:** يكون الضرب في الزنا أشدَّ.

واختُلف: هل يجوز أن تُجمَع مئةُ سوط ويضرب بها ضربة واحدة؟ فمنعه مالك. وأجازه أبو حنيفة؛ لما ورد في قصة أيوب(٤) عليه السلام. وأجازه الشافعي(٥) للمريض؛ لورود ذلك في الحديث(٦).

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بذلك: توبيخ الزُّناة، والغلظة عليهم.

واختُلف في أقل ما يجزئ من الطائفة؟ **فقيل:** أربعة؛ اعتبارًا بشهادة الزنا(٧)، وهو قول

---

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ١٨٤).

(٢) وبه قال أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ١٨٧).

(٣) ومذهب أحمد: أن الجلد في الزنىٰ أشدُّ الجلد، ثم جلد القاذف. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ١٩٠).

(٤) سيأتي عند تفسير الآية رقم (٤٠) من سورة داود ﷺ.

(٥) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ١٩٤).

(٦) وهو حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن سعيد بن سعد بن عبادة، قال: كان بين أبياتنا إنسان مُخْدَجٌ [أي: ناقص الخلق] ضعيف، لم يُرَعْ أهلُ الدار إلا وهو علىٰ أمَة من إماء الدار يَخبُث بها، وكان مسلما، فرَفع شأنَه سعدٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «اضربوه حدَّه» قالوا: يا رسول الله، إنه أضعف من ذلك، إن ضربناه مئة قتلناه قال: «فخذوا له عِثْكَالًا فيه مئة شِمْراخ، فاضربوه به ضربة واحدة، وخلوا سبيله». أخرجه أحمد (٢١٩٣٥)، والنسائي في الكبرىٰ (٧٢٦٨)، وابن ماجه (٢٥٧٣)، والبيهقي (١٧٠٠٩). وأخرجه أبو داود (٤٤٧٢) عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن بعض أصحاب النبي ﷺ. قال ابن عبد الهادي في المحرر (٥٩٨): «وإسناده جيد»، وقال ابن حجر في البلوغ (٣١٥): «وإسناده حسن».

(٧) في أ، ب: «الزناة».

ابن أبي زيد. **وقيل**: عشرة. **وقيل**: اثنان[1]، وهو مشهور مذهب مالك. **وقيل**: واحد[2].

﴿٣﴾ ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية؛ **معناها**: ذمُّ الزناة، وتشنيعُ الزنا، وأنه لا يقع فيه إلَّا زانٍ أو مشركٌ، ولا يوافقه عليه من النساء إلَّا زانية أو مشركة، و﴿يَنكِحُ﴾ على هذا بمعنىٰ: يجامع.

وقيل: معناها: لا يحلُّ لزانٍ أن يتزوج إلَّا زانيةً أو مشركة، ولا يحلُّ لزانية أن تتزوج إلَّا زانيًا أو مشركًا، ثم نُسِخ هذا الحكم، وأُبيح لهما التزوُّجُ ممن شاءَا[3]. **والأول هو الصحيح**.

﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **الإشارةُ** بـ﴿ذَٰلِكَ﴾: إلىٰ الزنا؛ أي: حُرِّم الزنا علىٰ المؤمنين. **وقيل**: الإشارة إلىٰ تزوُّج المؤمن غيرِ الزاني لزانية؛ فإن قومًا منعوا أن يتزوَّجها، وهذا علىٰ القول الثاني في الآية قبلها، وهو بعيد. وأجاز تزوُّجها مالك وغيره، وروي عنه كراهته[4].

﴿٤﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ هذا حدُّ القذف، وهو الفِرْية التي عبَّر الله عنها هنا بالرمي.

و﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ هنا يراد به: العفائف من النساء، وخصَّهنَّ بالذِّكر؛ لأن قذفهنَّ أكثرُ وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنىٰ؛ إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء علىٰ أن حكم الرجال والنساء هنا واحدٌ. **وقيل**: إن المعنىٰ: يرمون الأنفس المحصنات؛ فيعمُّ اللفظُ -علىٰ هذا- النساءَ والرجال.

ويُحتاج هنا إلىٰ الكلام في القذف، والقاذف، والمقذوف، والشهادة في ذلك:

فأما القذف: فهو الرَّمي بالزنا؛ اتفاقًا. أو بفعلِ قوم لوط عند مالك والشافعي[5]؛ لعموم لفظ الرمي في الآية، خلافًا لأبي حنيفة. أو النفيُ من النَّسَب. ومذهب مالك أن التعريض

---

(١) في أ، ب، ج: «اثنين».

(٢) وهو مذهب الحنابلة، أنه واحد مع الذي يقيم الحد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ٢٠٦، ٢٦١).

(٣) في د: «شاؤوا».

(٤) ومذهب أحمد أنه يحرم نكاح الزانية حتىٰ تتوب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ٣٣٥).

(٥) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ٣٧٤).

بذلك كلِّه كالتصريح[١]، خلافًا للشافعي وأبي حنيفة[٢].

وأما القاذف: فيُحدُّ؛ سواءٌ كان مسلمًا أو كافرًا؛ لعموم الآية، وسواءٌ كان حرًّا أو عبدًا. إلَّا أن العبد والأمة إنما يحدَّان[٣] أربعين عند الجمهور، فنصَّفوا حدَّهما؛ قياسًا على تنصيفه في الزنا، خلافًا للظاهرية. ولا يحدُّ الصبي ولا المجنون؛ لكونهما غيرَ مكلَّفَين.

وأما المقذوف: فمذهب مالك[٤]: أنه يشترط فيه: الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عما رُمِي به، والتمكُّن من الوطء؛ تحرُّزًا من المجبوب وشبهه، فلا يحدُّ عنده مَن قذف صبيًّا أو كافرًا أو مجنونًا أو عبدًا أو مَن لا يمكنه الوطء. وقد قيل: يحدُّ مَن قذف واحدًا منهم؛ لعموم الآية. واتُّفِقَ على اشتراط البراءة مما رُمي به.

وأما الشهادة التي تُسقِط حدَّ القذف: فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقذوف عبدٌ أو كافرٌ[٥]، أو يشهد أربعة شهود ذكور عدول على المعاينة لما قُذِف به كالـمِرْوَدِ في الـمُكْحلة، ويؤدُّون الشهادةَ مجتمعين.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ **تقدَّم قبل هذا الاستثناء ثلاثةُ أحكام؛** وهي الحدُّ، وردُّ شهادة القاذف، وتفسيقُه.

فاتُّفِق على أن الاستثناء راجعٌ إلى التَّفسيق، وأن ذلك يزول عنه بالتوبة. واتُّفِق على أنه لا يرجع إلى الحدِّ، وأنه لا يَسقط عنه بالتوبة.

واختُلف هل يرجع إلى ردِّ الشهادة أم لا؟ فقال مالك[٦]: إذا تاب قُبِلت شهادته، خلافًا لأبي حنيفة. وتوبته: هو صلاح حاله في دينه، وقيل: إكذاب نفسه.

---

(١) وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وهي المذهب عند الأصحاب.

(٢) في الرواية الأخرى، وهو ظاهر كلام الخرقي، واختيار غلام الخلال. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ٣٨٩).

(٣) في ب: «يجلد».

(٤) وهو مذهب أحمد، إلا أن عنده في اشتراط البلوغ روايتين، والمذهب عند الأصحاب أنه لا يشترط. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٦/ ٣٥١).

(٥) في ب، ج، د: «عبدًا أو كافرًا».

(٦) والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٩/ ٣٩٠).

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ هذه الآية في قذف الرجل لامرأته؛ فيجب اللِّعان بذلك. وسببها: أن رجلًا قال يا رسول الله: الرجل يجد مع امرأته رجلًا؛ أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فسكت عنه نبيُّ الله ﷺ، ثم عاد فقال مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «قد أُنزل فيك وفي صاحبتك، فائتني[1] بها» فتلاعنَا، وفرَّق رسول الله ﷺ بينهما[2].

ومُوجِب اللعان عند مالك شيئان: أحدهما: أن يدَّعيَ الزوج أنه رأىٰ امرأته تزني. والآخر: أن ينفيَ حملها ويدعي الاستبراء قبله[3].

فإذا تلاعن الزوج تعلَّقت به ثلاثة أحكام:

[١] نفي حدِّ القذف عنه.

[٢] وانتفاء نسب الولد منه.

[٣] ووجوب حدِّ الزنا عليها إن لم تلاعن، فإن تلاعنت سقط الحدُّ عنها.

ولفظ الآية عامٌّ في الزوجات؛ الحرائرِ والمماليك، والمسلماتِ والكافرات، والعدولِ وغيرهم، وبذلك أخذ مالك[4]. واشترط مالك في الزوج: الإسلامَ. واشترط أبو حنيفة: أن يكونا مُسلمَين حرَّين عدلين[5].

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ الصَّٰدِقِينَ﴾ أي: يقول الزوج أربعَ مرَّات: «أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني»، أو «أشهد بالله ما هذا الحمل مني، ولقد زنت، وإني في ذلك لمن الصادقين»، ثم يقول في الخامسة: «لعنة الله عليَّ إن كنت من الكاذبين». وزاد أشهب: أن يقول: «أشهد بالله الذي لا إله إلا هو».

---

(١) في أ، ب، هـ: «فأتني».

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٠٨)، مسلم (١٤٩٢) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) وموجِب اللعان عند أحمد وغيره: أن يقذف امرأته بالزنىٰ. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٤٠٧).

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٣٩٢).

(٥) وهو رواية عن أحمد، اختارها الخرقي. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٣/ ٣٩٣).

وانتصب: ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِاللَّهِ﴾ علىٰ المصدرية، والعامل فيه: ﴿شَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾. وقرئ بالرفع[١]، وهو خبر ﴿شَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ .

وقوله: ﴿بِاللَّهِ﴾ و﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ مِن صلَة ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ﴾، أو من صلة[٢]﴿شَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾.

﴿٧﴾ ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ قرئ بنصب ﴿ٱلْخَٰمِسَةُ﴾ هنا وفي الموضع الثاني[٣]، وانتصب: بفعل مضمر تقديره: ويشهد الشهادةَ[٤] الخامسة، أو بالعطف علىٰ ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ﴾ علىٰ قراءة النصب. وقرئ بالرفع: علىٰ الابتداء، أو عطف علىٰ ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ﴾ بقراءة الرفع.

وقرئ ﴿أَن لَّعْنَتُ﴾، و﴿أَنْ غَضِبَ﴾: بتشديد ﴿أَنَّ﴾ ، ونصب اسمها[٥]. وتخفيفها، ورفع اللعنة والغضب علىٰ الابتداء[٦].

﴿٨﴾ ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ **العذابُ هنا:** حدُّ الزنا؛ أي: يدفعه الْتِعان المرأة، وهو[٧] أن تقول أربع مرات: «أشهد بالله ما زنيت، وإنه في ذلك لمن الكاذبين»، ثم تقول في الخامسة: «غضب الله عليها إن كان من الصادقين».

ويتعلَّق بالْتِعانها ثلاثة أحكام:

[١] دفع الحدِّ عنها.

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم برفع العين، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) في ج: «لا مِن صلة».

(٣) اتفق القراء السبعة علىٰ قراءة ﴿الْخَامِسَةُ﴾ بالرفع في الموضع الأول، وقرئ في الشاذ بالنصب هنا، قرأ بها طلحة بن مصرف وأبو عبد الرحمن والحسن والأعمش، وأما في الموضع الثاني فروىٰ حفص ﴿والْخَامِسَةَ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. المحرر الوجيز (٦/ ٣٤٥).

(٤) سقطت هذه الكلمة من أ، ب.

(٥) وهي قراءة السبعة سوىٰ نافع.

(٦) وهي قراءة نافع، إلا أنه قرأ ﴿غَضِبَ اللهُ﴾ بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الجلالة بعدُ، وقرأ يعقوب من العشرة ﴿أنْ غَضَبُ اللهِ﴾ بفتح الضاد ورفع الباء وخفض الهاء.

(٧) في أ، ب، هـ: «وهي».

[٢] والتفريق بينها وبين زوجها.

[٣] وتأبيد التحريم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ جواب «لولا» محذوف هنا وفي الموضع الآخَر، تقديره: «لولا فضل الله عليكم لوَاخذكم[1]»، أو نحو هذا.



(١) كذا رُسمت في النسخ المخطوطة بالواو، قال في «المصباح المنير» في مادة (أ خ ذ): «أخذه بذنبه: عاقبه عليه، وآخذه بالمد مؤاخذةً كذلك، والأمر منه آخِذْ بمد الهمزة، وتبدل واوًا في لغة اليمن فيقال: واخذه مواخذةً، وقرأ بعض السبعة: ﴿لا يُوَاخِذُكُم الله﴾ بالواو على هذه اللغة».

﴿اِنَّ اَ۬لذِينَ جَآءُو بِالِافْكِ عُصْبَةٞ مِّنكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرّاٗ لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٞ لَّكُمْ لِكُلِّ اِ۪مْرِےٕ مِّنْهُم مَّا اَ۪كْتَسَبَ مِنَ اَ۬لِاثْمِ وَالذِے تَوَلّ۪يٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ اَ۬لْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراٗ وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۖ فَإِذْ لَمْ يَاتُواْ بِالشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ اَ۬للَّهِ هُمُ اُ۬لْكَٰذِبُونَۖ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اُ۬للَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِے اِ۬لدُّنْيا وَالَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِے مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ اِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٞ وَتَحْسِبُونَهُۥ هَيِّناٗ وَهُوَ عِندَ اَ۬للَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اُ۬للَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَداً اِن كُنتُم مُّومِنِينَۖ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اُ۬للَّهُ لَكُمُ اُ۬لَايَٰتِۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌۖ ﴿١٨﴾ اِنَّ اَ۬لذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ اَ۬لْفَٰحِشَةُ فِے اِ۬لذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٞ فِے اِ۬لدُّنْيا وَالَاخِرَةِۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَۖ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اُ۬للَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ اَ۬للَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞۖ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ ﴿اِنَّ اَ۬لذِينَ جَآءُو بِالِافْكِ عُصْبَةٞ مِّنكُمْ﴾ **الإفك**: أشدُّ الكذب.

ونزلت هذه الآية وما بعدها إلىٰ تمام ستَّ عشرةَ آيةً في شأن عائشة ﵂ وبراءتها مما رماها به أهل الإفك، **وذلك أن الله برَّأ أربعة بأربعة:**

[١] برَّأ يوسف ﵇ بشهادة الشاهد من أهلها.

[٢] وبرأ موسىٰ ﵇ من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه.

[٣] وبرأ مريم ﵍ بكلام ولدها في حجرها.

[٤] وبرأ عائشة ﵂ من الإفك بإنزال[1] القرآن في شأنها.

ولقد تضمَّنت هذه الآيات الغايةَ العظمىٰ في الاعتناء بها، والكرامة لها، والتَّشديد علىٰ من قذفها.

---

(١) في أ، ب: «فأنزل».

وقد خرَّج حديثَ الإفك البخاري ومسلم وغيرهما[١]، واختصاره: أن عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فضاع لها عِقْدٌ، فتأخرت على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له صفوان بن المعطَّل رضي الله عنه، فرآها فنزل عن ناقته وتنحَّى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: «ما بال رجال رموا أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلَّا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلَّا خيرًا»، وسأل جارية عائشة، فقالت: والله ما أعلم عليها إلَّا ما يعلمه الصَّائغ على تبر الذهب الأحمر.

والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، ولم يُذْكَر في الحديث من أهل الإفك إلَّا أربعة، وهم: عبد الله بن أبيٍّ ابنُ سلول رأس المنافقين، وحَمْنة بنت جحش، ومِسْطَح بن أُثاثة، وحسان بن ثابت، وقيل: إن حسَّانَ لم يكن منهم.

وارتفاع ﴿عُصْبَةٌ﴾ لأنه خبر ﴿إِنَّ﴾. واختار ابن عطية أن يكون ﴿عُصْبَةٌ﴾ بدلًا من الضمير في ﴿جَآءُو﴾، ويكون الخبر: ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾؛ على تقدير: إن حديث الذين جاؤوا بالإفك[٢]. والأول أظهر.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للمسلمين، والخير في ذلك من خمسة أوجه:

[١] تبرئة أم المؤمنين رضي الله عنها.

[٢] وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها.

[٣] والأجر الجزيل لها في الفرية[٣] عليها.

[٤] وموعظة المؤمنين.

[٥] والانتقام من المفترين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٣٥٣).

(٣) في ب: «بالفرية».

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ هو عبد الله بن أُبيٍّ ابنُ سلولٍ المنافقُ، وقيل: الذي بدأ بهذه الفرية، وهو غير معين. والعذاب العظيم هنا: يَحتمل أن يراد به: الحدُّ، أو عذاب الآخرة.

﴿١٢﴾ ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ ﴿لَّوْلَآ﴾ هنا: عَرْضٌ، والمعنىٰ: أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمرَ علىٰ أنفسهم؛ فإن كان ذلك يبعد في حقِّهم فهو في حق عائشة ﷺ أبعدُ؛ لفضلها.

وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوبَ الأنصاري، فقال لزوجته: أكنت أنت تفعلين ذلك؟ قالت: لا والله! قال: فعائشة أفضل منك، قالت: نعم[(١)].

فإن قيل: لم قال: ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾ بلفظ الخطاب، ثم عدل إلىٰ لفظ الغَيْبة في قوله: ﴿ظَنَّ ٱلْمُومِنُونَ﴾، ولم يقل: «ظننتم»؟ فالجواب: أن ذلك الْتفاتٌ، قُصِد به المبالغة، والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدِّق المؤمن علىٰ المؤمن شرًّا[(٢)].

﴿١٣﴾ ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ ﴿لَّوْلَا﴾ هنا عَرْضٌ، والضمير في ﴿جَآءُو﴾ لأهل الإفك، ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء.

﴿١٤﴾ ﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ يقال: أفاض في الحديث وخاض فيه: إذا أكثر الكلام فيه.

﴿١٥﴾ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ : ﴿مَسَّكُمْ﴾ أو ﴿أَفَضْتُمْ﴾. ومعنىٰ ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾: يأخذه بعضكم من بعض.

وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتابٌ لهم علىٰ خوضهم في حديث الإفك، وإن كانوا لم يصدقوه؛ فإن الواجب كان الإغضاءُ عن ذكره والتركُ له بالكلية، فعاتبهم علىٰ ثلاثة أشياء، وهي: تلقِّيه بالألسنة؛ أي: السؤال عنه وأخذه من المسؤول. والثاني: قولهم ذلك. والثالث: أنهم حسِبوه هيِّنًا وهو عند الله عظيم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢١٢) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٤٦) عن محمد بن إسحاق بن يسار، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار. وأخرجه الواقدي -كما في تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧)- عن أفلح مولىٰ أبي أيوب.

(٢) انظر: الكشاف (١١/ ٣٤).

وفائدة قوله: ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ و﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾: الإشارة إلىٰ أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب؛ إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أي: كان الواجب أن تبادروا إلىٰ إنكار هذا الحديث أول سماعكم[1] له.

و﴿لَوْلَآ﴾ أيضًا في هذه الآية عَرْضٌ، وكان حقُّها أن يَلِيَها الفعل من غير فاصل بينهما، ولكنه فصل بينهما بقوله: ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾؛ لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف: الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلىٰ إنكار ذلك الكلام في أول وقتٍ سمعوه[2].

ومعنىٰ ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾: ما ينبغي لنا ولا يحلُّ لنا أن نتكلم بهذا.

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهٌ لله عن أن تكون زوجة رسوله ﷺ علىٰ ما قال أهل الإفك. وقال الزمخشري: هو بمعنىٰ التعجُّبِ من عِظَم الأمر، والاستبعادِ له، والأصل في ذلك أن يسبِّحَ الله عند رؤية العجائب[3].

﴿بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ البهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغِيبة: أن يقال ما فيه.

﴿١٧﴾ ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ تقديره: يعظكم كراهةَ أن تعودوا، ثم عظَّم الأمر وأكَّده بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ الإشارة بذلك إلىٰ المنافقين الذين أحبُّوا أن يَشيع حديث الإفك، ثم هو عامٌّ في غيرهم ممن اتصف بصفتهم. والعذاب في الدنيا الحدُّ.

وأما عذاب الآخرة؛ فقد ورد في الحديث أن من عوقب في الدنيا علىٰ ذنب لم يعذَّب[4]

---

(١) في أ، ب: «أن يبادروا.. سماعهم».

(٢) في ج: «سمعتموه».

(٣) انظر: الكشاف (١١/ ٤١).

(٤) في د: «يعاقب».

عليه في الآخرة[١]، **فأَشكل اجتماع الحدِّ مع عذاب الآخرة في هذا الموضع، فيَحتمل**: أن يكون القاذف يعذَّب في الآخرة، ولا يُسقِط الحدُّ عنه عذابَ الآخرة، بخلاف سائر الحدود. أو يكون هذا مختصًّا بمن قذف عائشة رضي الله عنها؛ فإنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من أذنب ذنبًا ثم تاب منه قُبِلت توبته إلَّا من خاض في أمر عائشة[٢]. أو يكون[٣] لمن مات مصِرًّا غيرَ تائب. أو يكون للمنافقين.



(١) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٢٨)، والثعلبي في تفسيره (١٩/ ١١٤-١١٥)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥٣)، وفي إسناده راوٍ لم يسمَّ. مجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ١٨٦).

(٣) في أ، ب: «تكون».

*يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿٢١﴾ ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ذُكِر في «**البقرة**»[1].

﴿بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ ذُكِر في «**النحل**»[2].

﴿زَكَىٰ﴾ أي: تطهَّر من الذنوب، وصلَح دينُه[3].

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ معنىٰ ﴿يَأْتَلِ﴾: يحلف؛ فهو من قولك: آليتُ: إذا حلفتَ. **وقيل**: معناه: يُقصِّر؛ فهو من قولك: أَلَوْتُ أي: قصَّرتُ؛ ومنه: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨]. **والفضل هنا**: يَحتمل أن يريد به: الفضلَ في الدين، أو الفضل في المال؛ وهو أن يَفْضُل له عن مقدار ما يكفيه. **والسعة**: هي اتساع المال. ونزلت الآية بسبب أنَّ أبا بكر الصديقَ ﷺ حلف أن لا يُنفق علىٰ مِسْطَحٍ، لـمَّا تكلم في حديث الإفك، وكان ينفق عليه لمسكنته، ولأنه قريبه، وكان ابنَ بنت خالته[4]،

---

(١) انظر تفسير الآية (١٦٧).

(٢) انظر تفسير الآية (٩٠).

(٣) في د: «حاله».

(٤) في أ، ب، ج: «ابن خالته»، والمثبت هو الصواب كما في الإصابة لابن حجر (١٠/ ١٣٩).

فلما نزلت الآية رَجَع إلىٰ مسطحٍ النفقةَ والإحسان، وكفَّر عن يمينه[١]. قال بعضهم: هذه أرجىٰ آية في القرآن[٢]؛ لأن الله أوصىٰ بالإحسان إلىٰ القاذف. ثم إن لفظ الآية علىٰ عمومه في أن لا يحلف أحدٌ علىٰ ترك عمل صالح.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: كما تحبون أن يَغفر الله لكم؛ كذلك اغفروا أنتم لمن أساءَ إليكم. ولما نزلت قال أبو بكر ﷺ: «إني لأحبُّ أن يغفر الله لي»، ثم ردَّ النفقة إلىٰ مسطح[٣].

(٢٣) ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ معنىٰ ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ هنا: العفائف ذواتُ الصَّوْن. ومعنىٰ ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: السَّليمات الصدور؛ فهو من الغفلة عن الشرِّ.

﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ﷺ، ولذلك لم يَذكر فيه توبةً، قال[٤] ابن عباس ﷺ: كلُّ مذنب تقبل توبته إذا تاب إلَّا من خاض في حديث عائشة[٥]. وقيل: الوعيد لكل قاذف، والعذاب العظيم يَحتمل أن يراد به: الحدُّ أو عذاب الآخرة.

(٢٤) ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ العامل فيه: ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾، وكرَّر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تأكيدًا. وقيل: العامل فيه ﴿عَذَابٌ﴾ ، أو فعل مضمر.

(٢٥) ﴿دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: جزاءَهم الواجبَ لهم.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ هذه الآية تدلُّ علىٰ أن ما قبلها في المنافقين؛ لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين. ومعنىٰ ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ : الظاهر الذي لا شك فيه.

(٢٦) ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية؛ معناها: أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيِّبات من النساء للطيِّبين من الرجال؛ ففي ذلك ردٌّ علىٰ أهل الإفك؛ لأن النبي ﷺ هو

---

(١) في ضمن حديث الإفك وتقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في ضمن حديث الإفك (٢٧٧٠) عن عبد الله بن المبارك.

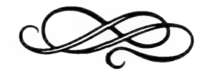
(٣) في ضمن حديث الإفك وتقدم تخريجه.

(٤) في ب، ج، د، هـ: «فقال».

(٥) تقدم تخريجه قريبًا.

أطيب الطيِّبين؛ فزوجته[1] أطيب الطيِّبات. وقيل:[2] المعنىٰ: أن الخبيثات[3] من الأعمال للخبيثين من الناس، والطيِّبات من الأعمال للطيِّبين من الناس؛ ففيه أيضًا ردٌّ علىٰ أهل الإفك؛ لأن عائشة ﵂ لا يليق بها إلَّا الطيبات من الأعمال، بخلاف ما قاله أهل الإفك. وقيل: المعنىٰ: أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك إلىٰ أهل الإفك؛ أي: أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلَّا خبيث مثلهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ الإشارة بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلىٰ الطيبين والطيبات، والضمير في ﴿يَقُولُونَۖ﴾ للخبيثات و الخبيثين، والمراد: تبرئة عائشة ﵂ مما رميت به.



(١) في أ، ب، هـ: «وزوجته».

(٢) في أ، ب، هـ زيادة: «إن».

(٣) في ب: «الخبائث».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَانِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٞ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُوذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ اُرْجِعُواْ فَارْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمْۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ *قُل لِّلْمُومِنِينَ يَغُضُّواْ مِنَ اَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۖ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمُۥٓۖ إِنَّ اَللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُومِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنَ اَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوَ ـابَآئِهِنَّ أَوَ ـابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوَ اَبْنَآئِهِنَّ أَوَ اَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوِ اِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ اُ۟وْلِے اِ۬لِارْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ اِ۬لنِّسَآءِۖ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۖ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً اَيُّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلاَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمُۥٓۖ إِنْ يَّكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ وَالذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمُۥٓ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراًۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلذِےٓ ءَاتِيكُمْۖ وَلاَ تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ اِنَ اَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَنْ يُّكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدَ اَنزَلْنَآ إِلَيْكُمُۥٓ ءَايَٰتٖ مُّبَيَّنَٰتٖ وَمَثَلاٗ مِّنَ ٱلذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٗ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٧﴾ ﴿لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَانِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۖ﴾ هذه الآية أمرٌ بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعمُّ بذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأمِّ؛ خِيفةَ أن يراها عُريانة[1]. ومعنى ﴿تَسْتَانِسُواْ﴾: تستأذنوا، وهو

(١) عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ سأله رجل، فقال: يا رسول الله، أستأذنُ على أمي؟ فقال: نعم، قال الرجل: إني معها في البيت، فقال رسول الله ﷺ: «استأذن عليها»، فقال الرجل: إني خادمها، فقال له رسول الله ﷺ: «استأذن عليها، أتحب أن تراها عريانة؟» قال: لا، قال: «فاستأذن عليها». =

مأخوذ من قولك: آنستُ الشيءَ: إذا عَلِمتَه؛ **فالاستئناس**: أن يستعلم هل يريد أهلُ الدار الدخول أم لا؟

وقيل: هو مأخوذ من الأُنس ضد الوَحْشة.

وقرأ ابن عباس: «حتىٰ تستأذنوا»[(١)].

والاستئذان واجب، وأما السَّلام فلا ينتهي إلىٰ الوجوب.

واختُلف أيُّهما يقدَّم؟

فقيل: يقدِّم السلام، ثم يستأذن؛ فيقول: «السلام عليكم»، ثم يقول: «أأدخل؟».

وقيل: يقدِّم الاستئذان؛ لتقديمه في الآية.

وليس في الآية عدد الاستئذان، وجاء في الحديث أن يستأذن ثلاثَ مرات[(٢)]، وهو تفسير للآية.

(٢٩) ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ **سبب هذه الآية**: أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمَّق قومٌ؛ فكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلِّمون ويستأذنون، فأباحت هذه الآية دخولها بغير استئذان[(٣)]. واختُلف في البيوت غير المسكونة المذكورة في هذه الآية:

فقيل: هي الفنادق التي في الطرق، ولا يسكنها أحد، بل هي موقوفة ليأويَ إليها كلُّ ابن سبيل، **والمتاع علىٰ هذا**: التمتع بالنزولِ فيها والمبيتِ وغير ذلك.

وقيل: هي الخِرَب التي تُدخَل للبول والغائط، **والمتاع علىٰ هذا**: حاجة الإنسان.

= أخرجه مالك في الموطأ (٢٧٢٠)، والطبري (١٧/ ٢٤٤). وهو مرسل، قال ابن عبد البر في التمهيد (١٦/ ٢٢٩): «وهو مرسل صحيح، مجتمع علىٰ صحة معناه».

(١) أخرجها الطبري (١٧/ ٢٣٩)، والحاكم (٣٤٩٦) وصححه ووافقه الذهبي، وصحح ابن حجر في الفتح (١١/ ٨) إسناد الطبري. وقال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٨): «وهذا غريب جدا عن ابن عباس».

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٥)، ومسلم (٢١٥٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦/ ٣٧١)، ولم أقف عليه مسندًا.

وقيل: هي حوانيت القَيْسَارِيَّة[1]، والمتاع على هذا: الثياب والبُسط وشبهُها. **وهذا القول خطأ**؛ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع.

﴿٣٠﴾ ﴿قُل لِّلْمُومِنِينَ يَغُضُّواْ مِنَ اَبْصٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ إعرابها كإعراب ﴿يُقِيمُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] في «إبراهيم»، وقد ذُكِر. و﴿مِنَ اَبْصٰرِهِمْ﴾ للتبعيض. **والمراد**: غضُّ البصر عما يَحرم، والاقتصار به على ما يحلُّ. **وقيل**: معنى التبعيض فيه: أن النظرة الأولى لا حرج فيها، ويُمنَع ما بعدها. وأجاز الأخفش أن تكون ﴿مِنَ﴾ زائدة. **وقيل**: هي لابتداء الغاية؛ لأن البصر مفتاح القلب.

والغضُّ المأمور به: هو عن النظر إلى العورات، أو إلى ما لا يحلُّ من النساء، أو إلى كتاب الغير وشبه ذلك مما يُستَر. **وحفظ الفروج المأمور به**: هو عن الزنا، **وقيل**: أراد ستر العورة، **والأظهر** أن الجميع مراد.

﴿٣١﴾ ﴿وَقُل لِّلْمُومِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنَ اَبْصٰرِهِنَّ﴾ تؤمر المرأة بغضِّ بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعًا. واختُلف هل يجب عليها غضُّ بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا؟ وعن سائر جسد المرأة أم لا؟ فعلى القول بذلك: تشتمل الآية عليه. والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال.

﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ﴾ نهى عن إظهار الزينة بالجملة، ثم استثنى الظاهر منها، وهو ما لا بدَّ من النظر إليه عند حركتها، أو إصلاح شأنها، وشبه ذلك. **فقيل**: ﴿إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ﴾ يعني: الثيابَ؛ فعلى هذا: يجب سَترُ جميع جسدها. (**وقيل**: الثياب والوجه)[2]. **وقيل**: الثياب والوجه والكفَّان، وهو مذهب مالك؛ لأنه أباح كشف وجهها وكفَّيها في الصلاة[3]. وزاد أبو حنيفة: القدمين.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ **الجيوب**: هي التي يقول لها العامة: أطواق.

---

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية (٨/ ٤٣٥): «قيسارية:.. ميدان عام يقام فيه سوق، أو هي بالأحرى: بناية مربعة في شكل رواق الدير، فيها حجرات ومخازن وحوانيت للتجار».

(٢) سقط من أ، ج، د. ومثبت في ب، هـ وهو قولٌ في تفسير الآية كما في المحرر الوجيز (٦/ ٣٧٤).

(٣) وهو مذهب الشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ٢٠٦).

وسببها: أن النساء كنَّ في ذلك الزمان يلبسن ثيابًا واسعة[(١)] الجيوب يظهر منها صدورهنَّ، وكنَّ إذا غطين رؤوسَهن بالأخمرة سدلْنَها من وراء الظهر، فيبقىٰ الصدر والعنق والأذنان لا سِتر عليها، فأمرهنَّ الله بِلَيِّ الأخمرة علىٰ الجيوب؛ ليستر جميع ذلك.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ **الآيةَ؛ المراد بالزينة هنا: الباطنة، فلما ذَكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذي المحرم من الزينة الظاهرة؛ ذَكر في هذه ما أباح أن يراه** الزوج وذو المحارم[(٢)] من الزينة الباطنة. وبدأ بالبُعولة -وهم الأزواج-؛ **لأن اطِّلاعهم يقع علىٰ أعظم من هذا، ثم ثنَّىٰ بذوي المحارم، وسوَّىٰ بينهم في إبداء الزينة، ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب.**

والمراد بالآباء: كل من له وِلادة من والدٍ وجدٍّ، **وبالأبناء**: كل من عليه وِلادة من ولدٍ وولدِ ولد. ولم يَذكر في هذه الآية من ذوي المحارم: العمَّ والخال: ومذهب جمهور العلماء: جواز رؤيتِهما للمرأة؛ لأنهما من ذوي المحارم. وكره ذلك قوم. **وقال الشَّعبيُّ[(٣)]: إنما لم يذكر العمَّ والخال؛ لئلا يصفَا زينة المرأة لأولادهما.**

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني[(٤)]: جميع المؤمنات؛ فكأنه قال: أو صنفِهن، ويخرج عن ذلك: نساء الكفار.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يدخل في ذلك: الإماء المسلمات والكتابيات. **وأما العبيد: ففيهم ثلاثة أقوال:** منع رؤيتهم لسيدتهم، وهو قول الشافعي. والجواز[(٥)]، وهو قول ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم[(٦)]. والجواز بشرط أن يكون العبد وغْدًا[(٧)]، وهو مذهب مالك،

---

(١) في ج: «واسعات».

(٢) في هـ: «المحرم».

(٣) في أ، ج: «الشافعي» وهو خطأ، الصواب أنه الشعبي، كما في تفسير الطبري (١٩/ ١٧٣).

(٤) في ب: «يدخل».

(٥) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ٣٨).

(٦) أثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٥٥٧)، وأثر عائشة رضي الله عنها أخرجه ابن أبي شيبة (٢٠٩٤٧)، والبيهقي (١٣٥٤٦).

(٧) المراد بالوغد: القبيح المنظر (شرح مختصر خليل للخرشي (٣/ ٢٢١))، وفي المدونة (٤/ ٥٢) سأل ابن القاسم الإمام مالكًا عن الوغد فقال: «الذي لا منظر له ولا خَطْب فذلك الوغد».

وإنما أَخذ جوازه من قوله: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ﴾. واختُلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبيِّ أم لا؟ علىٰ قولين.

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ **شَرط في رؤية غير ذوي المحارم شرطين:**

أحدهما: أن يكونوا[1] تابعِين، ومعناه: أن يَتْبَع لشيءٍ يُعطاه كالوكيل والمتصرِّف، ولذلك قال بعضهم: هو الذي يتبعك وهِمَّتُه بطنُه. **والآخر:** أن لا يكون لهم إِربةٌ في النساء، كالخَصِيِّ والمخنَّث والشيخ الهَرِم والأحمق. فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلَّا باجتماع الشرطين، وقيل: بأحدهما. ومعنىٰ ﴿ٱلۡإِرۡبَةِ﴾: الحاجة إلىٰ الوطء.

﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أراد بـ﴿ٱلطِّفۡلِ﴾: الجنس، ولذلك وصفه بالجمع، ويقال: طفل: ما لم يراهق الحُلُم. و ﴿يَظۡهَرُواْ﴾ معناه: يطَّلعون بالوطء علىٰ عورات النساء، فمعناه: الذين لم يطؤوا النساء. **وقيل:** الذي لا يدرون ما عوراتُ النساء. **وهذا أحسن.**

﴿وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ روي أن امرأةً كان لها خَلخالان، فكانت تضرب بهما؛ فيسمعُهما الرجال، فنهىٰ الله عز وجل عن ذلك. **قال الزجاج:** إسماع صوت الزينة أشدُّ تحريكًا للشهوة من إبدائها[2].

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ التوبة واجبة علىٰ كل مكلف؛ بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة. **وفرائضها ثلاثة:**

[١] الندم علىٰ الذنب؛ مِن حيث عُصِي به ذو الجلال[3]، لا من حيث أضرَّ ببدن أو مال.

[٢] والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان، من غير تأخير ولا توانٍ.

[٣] والعزم أن لا يعود إليها أبدًا، ومهما قُضِي عليه بالعَوْد أحدث عزمًا مجدَّدًا.

---

(١) في أ: «يكونا»!

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٠).

(٣) في ب، د: «عَصىٰ به ذا الجلال».

وآدابها ثلاثة:

[١] الاعتراف بالذنب مقرونًا بالانكسار.

[٢] والإكثار من التضرُّع والاستغفار.

[٣] والإكثار من الحسنات لمحْوِ ما تقدَّم من السيئات.

ومراتبها سبع:

[١] فتوبة الكفار: من الكفر.

[٢] وتوبة المخلِّطين[١]: من الذنوب الكبائر[٢].

[٣] وتوبة العدول: من الصغائر.

[٤] وتوبة العابدين: من الفَتَرات.

[٥] وتوبة السالكين: من عِلل القلوب والآفات.

[٦] وتوبة أهل الورع: من الشبهات.

[٧] وتوبة أهل المشاهدة: من الغَفَلات.

والبواعث على التوبة سبعة:

[١] خوف العقاب.

[٢] ورجاء الثواب.

[٣] والخجل من الحساب.

[٤] ومحبة الحبيب.

[٥] ومراقبة الرقيب القريب.

[٦] وتعظيم المقام.

[٧] وشكر الإنعام.

---

(١) في ج، د: «المخلصين».

(٢) في أ، ب: «الكبار».

﴿٣٢﴾ ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ الأيامىٰ: جمع أَيِّمٍ، ومعناه: الذين لا أزواج لهم رجالًا كانوا أو نساء، أبكارًا أو ثيِّباتٍ. والخطاب هنا: للأولياء والحكام؛ أمرهم الله بتزويج الأيامىٰ، فاقتضىٰ ذلك النهيَ عن عضلهنَّ من التزويج. وفي الآية دليلٌ علىٰ عدم استقلال النساء بالإنكاح، واشتراطِ الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي[١]، خلافًا لأبي حنيفة.

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ يعني: الذين يَصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناثهم. **وقال الزمخشري**: ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بمعنىٰ: الصلاح في الدين، قال: وإنما خصهم الله بالذكر؛ ليَحفظ عليهم صلاحهم[٢]. والمخاطبون هنا ساداتهم[٣]. ومذهب الشافعي[٤]: أن السيد يُجبَر علىٰ تزويج عبيده؛ لهذه الآية، خلافًا لمالك. ومذهب مالك: أن السيد يُجبِر عبده وأمته علىٰ النكاح، خلافًا للشافعي[٥].

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ وعَد الله بالغنىٰ للفقراء الذين يتزوَّجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود ﷺ: التمسوا الغنىٰ في النكاح[٦].

﴿٣٣﴾ ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ أمرٌ بالاستعفاف، وهو الاجتهاد في طلب العفَّة عن الحرام لمن لا يقدر علىٰ التزوُّج. فقوله: ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ معناه: لا يجدون استطاعة علىٰ التزوُّج بأيِّ وجهٍ تعذَّر التزوج. وقيل: معناه: لا يجدون صَداقًا للنكاح. والمعنىٰ الأول أعم، والثاني أليق بقوله: ﴿حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾.

---

(١) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ١٥٥).

(٢) انظر: الكشاف (١١/ ٧٣-٧٥).

(٣) في ج، د، هـ: «سادتهم».

(٤) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٤/ ٤٣٧).

(٥) ومذهب أحمد: له أن يجبر إماءَه الصغار والكبار، وعبيده الصغار دون الكبار. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ١٣٠-١٣٣).

(٦) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٧٥).

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ﴿الْكِتَٰبَ﴾ **هنا**: مصدرٌ بمعنىٰ الكتابة، وهي مقاطعة العبد علىٰ مالٍ مُنَجَّمٍ، فإذا أدَّاه خرج حرًّا، وإن عجَز بقي رقيقًا. **وقيل**: إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزىٰ، سأل[1] مولاه أن يكاتبه فأبىٰ عليه[2]. وحكمها مع ذلك عامٌّ؛ فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر علىٰ الندب عند مالك[3] والجمهور.

وقال الظاهرية وغيرهم: هو علىٰ الوجوب، وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب ﷺ لأنس بن مالك ﷺ حين سأله مملوكُه سيرينُ الكتابة، فتلكَّأ أنس، فقال له عمر: لتكاتبنَّه أو لأُوجعنك بالدِّرَّة[4]. وإنما حمله مالك علىٰ الندب؛ لأن الكتابة كالبيع، فكما لا يجبر علىٰ البيع لا يجبر عليها.

واختُلف هل يُجبِر السيدُ عبده علىٰ الكتابة أم لا؟ علىٰ قولين في المذهب.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ **الخير هنا**: القوة علىٰ الأداء بأيِّ وجهٍ كان، **وقيل**: هو المال الذي يؤدِّي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس، **وقيل**: هو الصَّلاح في الدين.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَىٰكُمْ﴾ هذا أمرٌ بإعانة المكاتَب علىٰ كتابته، واختُلف فيمن المخاطب بذلك؟ **فقيل**: هو خطاب للناس أجمعين، **وقيل**: للولاة، والأمر علىٰ هذين القولين: للندب.

وقيل: هو خطاب لسادات المكاتَبين، وهو علىٰ هذا القول: ندْبٌ عند مالك، ووجوبٌ عند الشافعي[5].

---

(١) كذا وردت الكلمة في جميع النسخ الخطية! والصواب: «سأله مولاه»، وحويطب من سادات قريش وليس من العبيد، ومولاه الذي سأل الكتابة اسمه صبيح. انظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ٦٥٦، ٥/ ٢١٨).

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦/ ٣٨١) عن النقاش.

(٣) وأحمد في إحدىٰ الروايتين، وهي ظاهر المذهب، وفي الرواية الأخرىٰ: أنه علىٰ الوجوب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩/ ١٩١).

(٤) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٧٦). قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٣): «إسناده صحيح».

(٥) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩/ ٣٥٠).

فإن كان الأمر للناس: فالمعنىٰ: أن يعطوهم صدقات[1] من أموالهم.

وإن كان للولاة: فيعطوهم من الزكوات[2].

وإن كان للسَّادات[3]: فيَحُطُّوا عنهم من كتابتهم، وقيل: يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة.

وعلىٰ القول بالحطِّ من الكتابة؛ اختُلف في مقدار ما يُحَطُّ؟

فقيل: الربع[4]، وروي ذلك عن رسول الله ﷺ[5].

وقيل: الثلث.

وقال مالك والشافعي: لا حدَّ في ذلك، بل أقلُّ ما ينطلق عليه[6] شيء، إلَّا أن الشافعيَّ يُجبِره علىٰ ذلك، ولا يُجبِره مالك.

وزمان الحطِّ عنه: في آخِر الكتابة عند مالك[7]، وقيل: في أول نَجْم.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ معنىٰ ﴿ٱلْبِغَآءِ﴾: الزنا، نهىٰ الله المسلمين أن يُجبروا مملوكاتهم علىٰ ذلك. وسبب الآية: أن عبد الله بن أبيٍّ ابنَ سلولٍ المنافقَ كان له جاريتان، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة، ويضربهما علىٰ ذلك، فشكتا ذلك إلىٰ

---

(١) في د، هـ: «صدقة».

(٢) في أ، د: «الزكاة».

(٣) في أ، ب: «للسادة».

(٤) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩/ ٣٥٢).

(٥) عن أبي عبد الرحمن السلمي -واسمه: عبد الله بن حبيب- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ قال: «ربع الكتابة». أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٨٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٨٩)، ومن طريق عبد الرزاق النسائي في الكبرىٰ (٥٠١٧)، والحاكم (٣٥٠١)، والبيهقي (٢١٦٦٧). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.. وقد أوقفه أبو عبد الرحمن علىٰ علي في رواية أخرىٰ»، ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٤): «وهذا حديث غريب، ورفعه منكر، والأشبه أنه موقوف علىٰ علي رضي الله عنه»، وصوب وقفه أيضا النسائي والبيهقي وغيرهم. البدر المنير (٩/ ٧٤٩).

(٦) في د زيادة: «اسم».

(٧) وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (١٩/ ٣٥٤).

النبي ﷺ فنزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله[١].

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ هذا الشرط راجعٌ إلىٰ إكراه الفتيات علىٰ الزنا؛ إذ لا يتصوَّر إكراهُهن إلَّا إذا أردن التحصُّن، وهو التعفُّف. وقيل: هو راجع إلىٰ قوله: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ﴾ . وذلك بعيد.

﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: ما تكسِبه الأمةُ بفرجها، وما تلده من الزنا. ويتعلَّق ﴿لِّتَبْتَغُوا﴾ بقوله: ﴿لَا تُكْرِهُوا﴾.

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المعنىٰ: غفورٌ لهنَّ رحيم بهن، لا يؤاخذهنَّ بالزنا؛ لأنهن أُكرهن عليه. ويَحتمل أن يكون المعنىٰ: غفور رحيم للسيد الذي يُكرههن إذا تاب من ذلك.

(٣٤) ﴿ءَايَاتٍ مُّبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياء[٢]: أي بيَّنها الله، وبالكسر: مبيِّنات للأحكام والحلال والحرام.

﴿وَمَثَلًا﴾ يعني: ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا؛ لأنه كان حرامًا في كل ملة، أو في براءة عائشة ﵂، كما برَّأ يوسف ومريم ﵉.



(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٩) من حديث جابر ﵁.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة عن عاصم بفتح الياء، وقرأ الباقون بكسرها.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٦﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٨﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٣٩﴾﴾

﴿٣٥﴾ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **النور يطلق حقيقةً**: على الضوء الذي يدرك بالأبصار، **ومجازًا**: على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء؛ **فتأويل الآية**: الله ذو نور السماوات والأرض. أو وصف نفسه بأنه نور، كما تقول: زيدٌ كَرَمٌ: إذا أردت المبالغة في أنه كريم.

فإن أراد بالنور المدرَك بالأبصار: فمعنى ﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم. أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به، كما تظهر الأشياء بالضوء.

ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الله نَوَّرَ السماواتِ والأرضَ» بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو[1]؛ أي: جعل فيهما النور.

(١) ذكرها الثعلبي في تفسيره (١٩/ ٢٤١)، وأبو حيان في البحر المحيط (١٦/ ٨٢) ولم أقف عليها مسندة.

وإن أراد بالنور المدرَك بالقلوب: فمعنىٰ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: جاعل النور في قلوب أهل السماوات والأرض، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما[1]: معناه: هادي أهلِ السماوات والأرض[2].

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٩٥) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٣) من طريق علي بن أبي طلحة عنه رضي الله عنهما.

(٢) [التعليق ٧٧] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّف رحمه الله: «﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ «النُّورُ»: يُطلَقُ حقيقةً: علىٰ الضَّوْءِ الذي يُدرَكُ بالأبصارِ، ومجازًا: علىٰ المعاني التي تُدرَكُ بالقلوبِ ...»، إلخ:

أقولُ: النُّورُ نوعانِ: مخلوقٌ، وغيرُ مخلوقٍ هو صفةُ اللهِ تعالىٰ؛ قال ابن القيِّم رحمه الله:

وَالنُّـــورُ ذُو نَـــوْعَيْنِ مَخْلُـــوقٌ وَوَصْـــــفٌ مَـــا هُمَـــا وَاللهِ مُتَّحِـــدَانِ

وَكَـــذَلِكَ المَخْلُـــوقُ ذُو نَـــوْعَيْنِ مَحْـــسُوسٌ وَمَعْقُـــولٌ هُمَـــا شَـــيْئَانِ

وعلىٰ ذلك: فما ذكره المؤلِّف من أن النُّور نوعان: حسيٌّ ومعنويٌّ؛ هو صحيحٌ ومعلوم؛ وهما نَوْعَا النُّورِ المخلوقِ؛ كما سبَقَ في كلامِ ابنِ القيِّم، وهذا يقتضي أنَّ معنىٰ: «اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ»؛ أي: مُنوِّرُهما بالنُّورِ الحِسِّيِّ والمعنويِّ:

بالنُّورِ الحسيِّ؛ وهو: ما خلَقَهُ فيهما مِن الأنوار؛ كالشمسِ والقمرِ والنجوم.

وبالنُّورِ المعنويِّ؛ وهو: هُدَاهُ الذي يجعَلُهُ في قلوبِ أنبيائِهِ وأوليائِهِ وملائكتِه.

هذا؛ وقد سمَّىٰ الله وَحْيَهُ الذي بعَثَ به رسلَهُ: نُورًا وهدًىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]، وقال في الوحي: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، ونظائرُ هذا متعدِّدة؛ وهذا معنىٰ ما جاء عن ابن عبَّاس؛ قال: «نُورُ السمواتِ والأرضِ؛ أي: هادي أهلِ السمواتِ والأرضِ»؛ كما ذكَرَهُ المؤلِّف رحمه الله.

وقد جاء في السُّنَّةِ نظيرُ ما في آيةِ النور؛ قال ﷺ: «وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ» [أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩)؛ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما].

وإذا كان اللهُ مُنوِّرَ السمواتِ والأرضِ، والنُّورُ كمالٌ، فهو أحقُّ أن يكونَ النُّورُ صفةً له؛ إذْ كلُّ كمالٍ ثبَتَ للمخلوقِ لا نقصَ فيه، فالخالقُ أولىٰ به، ومُعطِي الكمالِ أحقُّ به.

ولكنْ لم يثبُتْ أنَّ «النُّورَ» اسمٌ مِن أسمائِهِ تعالىٰ؛ بَلِ الاسمُ الذي نطَقَ به الكتابُ والسُّنَّةِ: «نُورُ السمواتِ والأرضِ»؛ فيُدعَىٰ بهذا الاسمِ؛ كما دعا به الرسول ﷺ.

وأمَّا قولُ المؤلِّف: «أو وصَفَ نفسَهُ بأنه نُورٌ»:

فهذا لا يَصِحُّ؛ لأنَّ لفظَ النُّورِ في الآيةِ مقيَّدٌ بالإضافةِ إلىٰ السمواتِ والأرضِ؛ فلم يقُلْ تعالىٰ: «اللهُ نُورٌ»، بل قال: «نُورُ السمواتِ والأرضِ»، وتقدَّم معنىٰ: نُورِ السمواتِ والأرضِ.

وهذا الاسمُ: «نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ»، نظيرُ: «رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأرضِ»، و«قَيُّومِ السمواتِ والأرضِ»، لكنْ «قيُّوم» جاء في القرآنِ معرَّفًا غيرَ مضاف، وفي السُّنَّةِ جاء مضافًا وغيرَ مضاف، واللهُ أعلم.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ **المشكاة: هي الكَوَّة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديدَ الإضاءة، وقيل: المشكاة: العمود الذي يكون المصباح على رأسه، والأول أصح وأشهر.**

والمعنىٰ: صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح، علىٰ أعظم ما يتصوَّره البشر من الإضاءة والإنارة. وإنما شبهه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلىٰ إدراكه. **وقيل:** الضمير في ﴿نُورِهِۦ﴾ عائدٌ علىٰ محمد ﷺ، **وقيل:** علىٰ القرآن، **وقيل:** علىٰ المؤمن، وهذه الأقوال ضعيفة؛ لأنه لم يتقدَّم ما يعود عليه الضمير.

فإن قيل: كيف يصح أن يقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾، والمضاف غير المضاف إليه؟ **فالجواب:** أن ذلك يصحُّ مع التأويل الذي قدَّمناه؛ أي: الله ذو نور السماوات والأرض. أو كما تقول: زيدٌ كَرَمٌ، ثم تقول: يَنْعَش الناسَ بكرمه[1].

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ **المصباح:** هو الفَتيل بناره، **والمعنىٰ:** أنه في قنديل من زجاج؛ لأن الضوء فيه أزهر، لأنه جسم شفاف.

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ شبه الزجاجة في إنارتها بكوكب دريٍّ، وذلك يَحتمل معنيين: إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها. وإما أن يريد أنها في نفسها شديدةُ الضوء؛ لصفائها ورقَّة جوهرها، وهذا أبلغ؛ لاجتماع نورها مع نور المصباح. **والمراد بالكوكب الدرِّيِّ:** أحد الدراريِّ المضيئة؛ كالمشتري، والزُّهَرة، وسهيل، ونحوها. **وقيل:** أراد الزُّهَرة. ولا دليل علىٰ هذا التخصيص.

وقرأ نافع ﴿دُرِّىٌّ﴾ بضم الدال وبشدِّ الياء من غير همز[2]، **ولهذه القراءة وجهان:** إما أن

---

(١) أي: يرفعهم من الفقر إلىٰ الغنىٰ. انظر: شرح الفصيح لابن درستويه (ص: ٨٣).

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي ﴿دِرِّيءٌ﴾ بكسر الدال مع المد والهمز، وقرأ حمزة وشعبة عن عاصم بضم الدال وبالمد والهمز، وقرأ الباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همز.

ينسب الكوكب إلىٰ الدُّرِّ لبياضه وصفائه. أو يكون مسهَّلًا من الهمز. وقرئ بالهمز وكسر الدال، وبالهمز وضم الدال، وهو مشتقٌّ من الدَّرء بمعنىٰ الدفع[١].

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ من قرأ[٢] ﴿يُوقَدُ﴾ بالياء، أو ﴿تَوَقَّدَ﴾ بالفعل الماضي: فالفعل مسند إلىٰ المصباح، ومن قرأ ﴿تُوقَدُ﴾ بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلىٰ الزجاجة. والمعنىٰ: يوقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة: لكثرة منافعها، أو لأنها تنبت في الأرض المباركة، وهي الشام.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قيل: يعني: أنها بالشام، فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام. وقيل: هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصةً للشرق فتسمىٰ شرقية، ولا للغرب فتسمىٰ غربية، بل هي غربية شرقية؛ لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب. وقيل: إنها في وسَط دَوْحة، فهي لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب. وقيل: إنها من شجر الجنة، ولو كانت في الدنيا لكانت شرقيةً أو غربية.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ مبالغةٌ في وصف صفائه وحسنه.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني: اجتماعَ نورِ المصباح وحسنِ الزجاجة وطيب الزيت، والمراد بذلك: كمال النور الممثَّل به.

﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يوفق الله من يشاء لإصابة الحق.

﴿٣٦﴾ ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يعني: المساجدَ، وقيل: بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن، والأول أصحُّ. والجارُّ يتعلَّق بما قبله؛ أي: كمشكاة في بيوت، أو تُوقَد في بيوت. وقيل: بما بعده، وهو ﴿يُسَبِّحُ﴾، وكرر الجارَّ بعد ذلك تأكيدًا. وقيل: بمحذوف؛ أي: سبِّحوا في بيوت.

---

(١) أي: يدرأ الظلامَ بضوئه. الكشاف (١١/ ١٠٣).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿تَوَقَّدَ﴾ بتاء مفتوحة وفتح الواو وتشديد القاف وفتح الدال، وقرأ نافع وابن عامر وحفص: ﴿يُوقَدُ﴾ بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال، وقرأ الباقون كذلك ولكنهم بالتاء مؤنثًا ﴿تُوقَدُ﴾.

﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ **المراد بالإذن: الأمرُ. ورفعها: بناؤها، وقيل: تعظيمها.**

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ **أي: غُدْوةً وعشيَّةً**[1]، **وقيل: أراد الصبح والعصر، وقيل: صلاة الضحىٰ والعصر.**

﴿رِجَالٌ﴾ **فاعل** ﴿يُسَبِّحُ﴾ **علىٰ القراءة بكسر الباء**[2]. **وأما علىٰ القراءة بالفتح: فهو مرفوع بفعل مضمر يدلُّ عليه الأول.**

﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ **أي: لا تَشغَلهم. ونزلت الآية في أهل الأسواق** الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركوا كلَّ شغل وبادروا إليها[3]. والبيع من التجارة، ولكنه خصَّه بالذِّكْر تجريدًا؛ كقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٧]، أو أراد بالتجارة الشراء.

﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ **أي: تضطرب من شدة الهول والخوف. وقيل: تفْقهُ القلوب وتُبصِر الأبصار بعد العمىٰ؛ لأن الحقائق تنكشف حينئذ. والأول أصح؛ كقوله:** ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]. وفي قوله: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ﴾ تجنيس.

(٣٨) ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ **متعلِّق: بما قبله، أو بفعل من معنىٰ ما قبله**[4].

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ **تقديره: جزاءَ أحسنِ ما عملوا.**

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ **يعني: زيادةً علىٰ ثواب أعمالهم.**

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ **ذُكِر في «البقرة»**[5].

---

(١) في ج: «وعشيًّا».

(٢) قرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم بفتح الباء، وقرأ الباقون بكسرها.

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٢٢) والطبراني في الكبير (٩/ ٢٥٣) عن ابن مسعود ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٣): «وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٤) تقديره: فعلوا ذلك ويُسِّروا لذلك ونحو هذا. المحرر الوجيز (٦/ ٣٩٣).

(٥) انظر تفسير الآية (٢١٠).

(٣٩) **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ﴾ لما ذَكر الله حال المؤمنين؛ أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكفَّار: الأول: يقتضي حالَ أعمالهم في الآخرة، وأنها لا تنفعُهم، بل يضمحلُّ ثوابها كما يضمحل السراب. والثاني: يقتضي حالَ أعمالهم في الدنيا، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي بعضها فوق بعض.**

والسَّراب: هو ما يرىٰ في الفلَوات من ضوء الشمس في الهَجيرة حتىٰ يَظهر كأنه ماءٌ يجري علىٰ وجه الأرض. **والقِيعة:** جمع قاعٍ، وهو المنبسط من الأرض، **وقيل:** القيعة بمعنىٰ القاع، وليس بجمع.

﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ الظَّمآن: العطشان؛ أي: يظن العطشان أن السراب ماء، فيأتيه ليشربَه، فإذا جاءه خاب ما أمَّل، وبطَل ما ظنَّ، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعْه فهي كالسراب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ ضمير الفاعل: للظمآن، **وضمير المفعول:** للسراب، أو لموضع السراب. أو يكون **ضمير الفاعل:** للكافر، **وضمير المفعول:** لعمله.

﴿لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ أي: شيئًا يُنتفع به، أو شيئًا موجودًا علىٰ العموم؛ لأنه معدوم. **ويَحتمل أن يكون:** ضمير الفاعل: للظمآن، وضمير المفعول: للسراب. أو ضمير الفاعل: للكافر، وضمير المفعول: لعمله.

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ ضمير الفاعل في **﴿وَجَدَ﴾** للكافر، والضمير في **﴿عِندَهُۥ﴾** لعمله. **والمعنىٰ:** وجد الله عنده بالجزاء، أو وجد زبانية الله[1][2].

---

(١) في أ، ب: «زِبْنِيَّةَ الله» وهو مفرد الزبانية، وفي ج: «زبانيته».

(٢) [**التعليق ٧٨**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك:** قولُ المؤلِّفِ ﷺ: «وجَدَ اللهَ عندَهُ بالجزاءِ»؛ أي: وجَدَ جزاءَ عمَلِهِ الذي أعدَّه اللهُ له: أقولُ: هذا معنًىٰ صحيحٌ؛ ولا يمنعُ أنْ يكونَ مِن معنىٰ الآيةِ: أنَّ الكافرَ يَجِدُ اللهَ يومَ القيامةِ؛ أي: يَلْقَاهُ، فيوبِّخُهُ علىٰ كُفْرِه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠]، ولكن المؤلف لا يقرُّ هذه العنديةَ المتضمنةَ للقاء اللهِ؛ لأنَّ من ينفي العلوَّ، ويقول بأن الله في كلِّ مكانٍ لا يكون بعضُ المخلوقاتِ عندَه أو أقربَ إليه من بعضٍ، وهو ما يقتضيه مذهب المؤلف، كما تقدم في مواضع. والله أعلم.

(٤٠) ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ **هذا هو المثل الثاني، وهو عطف علىٰ قوله:** ﴿كَسَرَابٍ﴾. والمشبَّه بالظلمات: أعمال الكفَّار؛ أي: هم من الضلال والحيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب.

﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ منسوب إلىٰ اللُّجِّ، وهو معظم الماء.

وذهب بعضهم إلىٰ أن أجزاء هذا المثال[1] قوبلت به أجزاء الممثَّل به؛ فالظلمات: أعمال الكافر، والبحر اللجي: صدره، والموج: جهله، والسحاب: الغطاء الذي علىٰ قلبه. وذهب بعضهم إلىٰ أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة. وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغةٌ، كما أن في وصف النور المذكور قبلها مبالغة.

﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ **المعنىٰ**: مبالغة في وصف الظلمة، والضمير في ﴿أَخْرَجَ﴾ وما بعده: للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة.

واختُلف في تأويل الكلام: فقيل: المعنىٰ: إذا أخرج يده لم يقارِب رؤيتَها، فنفَىٰ الرؤية ومقاربتَها. وقيل: بل رآها بعد عسر وشدة؛ لأنَّ كاد إذا نُفِيت تقتضي الإيجاب، وإذا أُوجِبت تقتضي النفي.

وقال ابن عطية: إنما ذلك إذا دخل حرف النفي علىٰ الفعل الذي بعدها، فأما إذا دخل حرف النفي علىٰ «كاد» كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ﴾ فإنه يَحتمل النفي والإيجاب[2].

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُوراً﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد، فالنور كنايةٌ عن الهدىٰ والإيمانِ في الدنيا. وقيل: أراد: في الآخرة؛ أي: من لم يرحمْه الله فلا رحمةَ له. **والأول أليق بما قبله.**



(١) في ج، د: «المثل».

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣٩٥).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ *أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

﴿٤١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **الرؤية هنا بمعنى: العلم. والتسبيح:** التنزيه والتعظيم، وهو من العقلاء بالنطق، **وأما تسبيح الطير وغيرها مما لايعقل: فقال الجمهور:** إنه حقيقي، ولا يَبعد أن يُلهمها الله التسبيح، كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء. **وقيل:** تسبيحه ظهور الحكمة فيه.

﴿صَافَّاتٍ﴾ **يَصففْنَ** أجنحتَهنَّ في الهواء.

﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ **الضمير في** ﴿عَلِمَ﴾: لله، أو لـ﴿كُلٌّ﴾، **والضمير في** ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾: لـ﴿كُلٌّ﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿يُزْجِي﴾ **معناه:** يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سَوْق كل ثقيلٍ، كالسحاب.

﴿رُكَامًا﴾ متكاثفًا، بعضه فوق بعض. ﴿الْوَدْقَ﴾ المطر.

﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ **أي:** من بينه، وهو جمع خَلَلٍ، كجبل وجبال.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ **قيل**: **إن الجبال هنا حقيقةٌ، وإن الله جعل في السماء جبالًا من برَدٍ. وقيل**: **إنه مجاز، كقولك**: **عند فلان جبالٌ من مالٍ أو علمٍ؛ أي**: **هي في الكثرة مثل الجبال. و﴿مِنَ﴾ في قوله**: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: لابتداء الغاية، وفي قوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ كذلك، وهي بدلٌ من الأولى، أو تكون للتبعيض؛ فتكون مفعول ﴿يُنَزِّلُ﴾. و﴿مِنۢ﴾ في قوله: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾: لبيان الجنس، أو للتبعيض؛ فتكون مفعول ﴿يُنَزِّلُ﴾، **وقال الأخفش**: هي زائدة. **وذلك ضعيف**. وقوله: ﴿فِيهَا﴾ صفة للجبال، والضمير يعود على السماء.

﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ **السَّنا بالقصر**: الضوء، **وبالمدِّ**: المجد والشرف.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ **أي**: يأتي بهذا بعد هذا.

﴿٤٣﴾ ﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ **يعني**: بني آدم والبهائم والطيور؛ **لأن ذلك كلَّه يَدِبُّ**.

﴿مِّن مَّآءٍ﴾ **يعني**: المنيَّ، **وقيل**: الماء الذي في الطين الذي خُلِق منه آدم عليه السلام وغيره.

﴿عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحيَّات والحوت.

﴿٤٥﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ الآية؛ نزلت في المنافقين، **وسببها**: أن رجلًا من المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه، ودعاه إلى كعب بن الأشرف[١].

﴿٤٧﴾ ﴿مُذْعِنِينَ﴾ **أي**: منقادين طائعين؛ لقصد الوصول إلى حقوقهم.

﴿٤٨﴾ ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ توقيفٌ يراد به التوبيخ، وكذلك ما بعده.

﴿أَن يَحِيفَ﴾ **معناه**: أن يجور، **والحَيْف**: الميل، وأسنده إلى الله؛ لأن الرسول إنما يحكم بأمر[٢] الله وشرعه.



(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦/ ٤٠٢) ولم أقف عليه مسندًا.

(٢) في أ: «بما أمر».

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٢﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٤﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٥﴾

﴿٤٩﴾ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية؛ معناها: إنما الواجب أن يقول المؤمنون: «سمعنا وأطعنا» إذا دُعوا إلىٰ الله ورسوله. وجعَل الدعاء إلىٰ الله؛ من حيث هو إلىٰ شرعه.

﴿٥٠﴾ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية؛ **قال ابن عباس** ﵄: معناها: ﴿مَنْ يُطِعِ اللَّهَ﴾: في فرائضه، ﴿وَرَسُولَهُ﴾: في سننه[1]، ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾: فيما مضىٰ من ذنوبه، ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: فيما يُستقبل[2].

وسأل بعض الملوك عن آيةٍ كافية جامعة، فذُكِرت له هذه الآية. وسمعها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال: إنها جمعت كلَّ ما في التوراة والإنجيل[3].

﴿٥١﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: حلفوا، والضمير للمنافقين.

﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: بالغوا في اليمين وأكّدوها.

---

(١) في ج، د: «سنته».

(٢) ذكره الزمخشري في تفسيره (١١/ ١٢٨)، ولم أقف عليه مسندًا.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٨).

﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ يعني: إلىٰ الغزو.

﴿قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾ نهىٰ عن اليمين الكاذبة؛ لأنه قد عرف أنهم يحلفون علىٰ الباطل.

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف؛ أي: طاعة معروفة أمثلُ وأولىٰ بكم. أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: المطلوب منكم طاعة معروفة لا يُشَكُّ فيها.

(٥٤) ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يعني: تبليغ الرسالة.

﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ يعني: السمع والطاعة واتِّباع الشريعة.

(٥٥) ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وعدٌ ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة. وقيل: إن المراد بالآية: خلافةُ أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ ﷺ؛ لقول رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»[1]، وانتهت الثلاثون إلىٰ آخر خلافة عليٍّ ﷺ.

فإن قيل: أين القَسَم الذي جاء قولُه: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ جوابًا له؟ فالجواب: أنه محذوف، تقديره: وعدهم الله وأقسم، أو جعل الوعد بمنزلة القسَم؛ لتحقُّقِه.



(١) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦) وحسَّنه، والنسائي في الكبرىٰ (٨٠٩٩)، وابن حبان (٦٦٥٧)، والحاكم (٤٤٣٨) وصححه وسكت عنه الذهبي، عن سفينة ﷺ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَئْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَئْذِنُوا كَمَا اسْتَئْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾ *وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٥٦﴾ ﴿لِيَسْتَئْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ **قيل**: المراد بـ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: الرجال خاصة، **وقيل**: النساء خاصة؛ لأن الرجال يَستأذنون في كل وقت، **وقيل**: الرجال والنساء.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يعني: الأطفال غير البالغين.

﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ نصبٌ على الظرفية لأنهم أُمروا[1] بالاستئذان في ثلاثة مواطن. فمعنى الآية: أن الله أمر المماليك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وهي: قبل الصبح، وحين القائلة وسَط النهار، وبعد صلاة العشاء الآخرة؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجرِّدين للنوم في غالب أمرهم.

(١) في ج: «لأنه أمر».

وهذه الآية محكمة، وقال ابن عباس ﷺ: ترك الناس العمل بها[1]. **وحملها بعضهم على الندب.**

﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾ يعني: تتجرَّدون.

﴿ٱلظَّهِيرَةِ﴾ وسَط النهار.

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾ جمع عورة؛ من الانكشاف، كقوله: ﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣]. ومَن رفع ﴿ثَلَٰثُ﴾[2] **فهو خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم؛ أي: تنكشفون فيها. ومَن نصبه فهو بدلٌ مِن ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾.**

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدِّمة؛ أي: ليس عليكم ولا على المماليك والأطفال جناحٌ في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة.

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ تقديره: المماليك والأطفال طوافون عليكم؛ فلأجل ذلك لم يؤمروا بالاستئذان[3] **في كل وقت.**

﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بدلٌ من ﴿طَوَّٰفُونَ﴾؛ أي: بعضكم يطوف على بعض. وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ أي: بعضكم طائفٌ[4] **على بعض، أو فاعل بفعل مضمر**[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٣٢) من طريق سعيد بن جبير عنه. وليس مراد ابن عباس ﷺ أن هذه الآية منسوخة، وإنما مراده الإنكار على الناس ترك العمل بها. قال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٨٢): «ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلا جدا، أنكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس..» ثم ذكر هذا الأثر وآثارًا أخرى تبيِّن هذا المقصود.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) في أ، ب، هـ: «فلأجل ذلك يؤمر بالاستئذان»! والمثبت هو الصواب الذي يستقيم به المعنى. انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤٠٧)، والكشاف (١١/ ١٤١).

(٤) في أ، ب، د: «يطوف»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف.

(٥) انظر: الكشاف (١١/ ١٤٥)، وتقدير الفعل المضمر: «يطوف».

﴿٥٩﴾ ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها؛ أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال.

﴿٦٠﴾ ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ جمع قاعد، وهي العجوز: فقيل: هي التي قعدت عن الولد. وقيل: التي قعدت عن التصرُّف. وقيل: التي إذا رأيتها استقذرتها.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يُبِح لغيرهنَّ من وضع الثياب. قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنما أبيح لهنَّ وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء[1]. وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ إنما أباح الله لهنَّ وضع الثياب، بشرط أن لا يقصِدْنَ إظهار زينة، والتبرُّج: هو الظهور.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ المعنىٰ: أن استعفافَهنَّ عن وضع الثياب المذكورة خيرٌ لهنَّ من وضعها، والأَولىٰ لهنَّ أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء من السِّتر.

﴿٦١﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية؛ اختُلف في المعنىٰ الذي رَفع الله فيه الحرج عن الأعمىٰ والأعرج والمريض في هذه الآية: فقيل:

هو في الغزو؛ أي: لا حرج عليهم في تأخُّرهم[2] عنه، وقوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مقطوعٌ من الذي قبله علىٰ هذا القول؛ كأنه قال: ليس علىٰ هؤلاء الثلاثة حرجٌ في ترك الغزو، ولا عليكم حرج في الأكل.

وقيل: الآية كلُّها في معنىٰ الأكل، واختَلف الذاهبون إلىٰ ذلك: فقيل: إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنَّبون الأكل مع الناس؛ لئلا يتقذَّرَهم[3] الناس، فنزلت الآية مبيحةً لهم

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٦٢) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٠).

(٢) في ب، ج، هـ: «تأخيرهم».

(٣) في أ، ب، هـ: «يستقذرهم».

الأكل مع الناس[(١)]. وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلىٰ الغزو، وخلَّفوا أهل هذه الأعذار في بيوتهم؛ كانوا[(٢)] يتجنَّبون أكل مال الغائب، فنزلت الآية في ذلك[(٣)]. وقيل: إن الناس كانوا يتجنَّبون الأكل معهم تقذُّرًا، فنزلت الآية، وهذا ضعيف؛ لأن رفْع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم. وقيل: إنَّ رفْع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم[(٤)] منه أعذارهم من الجهاد وغيره.

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أباح الله تعالىٰ للإنسان الأكلَ من هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة علىٰ ترتيبهم. ولم يذكر فيهم الابن؛ لأنه دخل في قوله: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ ؛ لأن بيتَ ابن الرجل بيتُه؛ لقوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»[(٥)].

واختلَف العلماء فيما ذُكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة: فذهب قوم إلىٰ أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلَّا بإذنه، والناسخ قولُه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقولُه ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلَّا عن طيب نفس منه»[(٦)]. وقيل: الآية محكمة، ومعناها: إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك، وقيل: بإذن وبغير إذن.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٦٦) عن الضحاك.

(٢) في أ، هـ: «فكانوا».

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٣٦٨) عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

(٤) في أ، ب، هـ: «يمنعهم».

(٥) أخرجه أحمد (٦٩٠٢)، وأبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩٢) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وأخرجه ابن ماجه (٢٢٩١) من حديث جابر رضي الله عنه. وأخرجه ابن حبان (٤١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها. وللحديث طرق أخرىٰ ذكرها ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٦٦٤) وذكر أن أصح طرقه طريق عائشة رضي الله عنها.

(٦) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥)، والبيهقي (١١٦٦٠)؛ والدارقطني (٢٨٨٦) من حديث علي بن زيد بن جدعان -وهو ضعيف- عن أبي حرة الرقاشي عن عمه. وأخرجه أحمد (٢١٠٨٢) من حديث عمرو بن يثربي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٥): «ورجال أحمد ثقات». وللحديث طرق أخرىٰ، صحَّح الحفاظ بعضها، ذكرها ابن الملقِّن في البدر المنير (٦/ ٦٩٣).

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ **يعني**: الوكلاءَ والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتح مخازنِ أموال ساداتهم، فأُبيح[1] لهم الأكل منها. **وقيل**: المراد: ما ملك الإنسان من مفاتح نفسه. وهذا ضعيف.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ **الصديق** يقع على الواحد والجماعة، كالعدوِّ، والمراد به هنا: جمْعٌ ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله: ﴿ءَابَآئِكُمْ﴾ و﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ وغير ذلك. وقرَن الله الصديق بالقرابة؛ لقرب مودَّته، **وقال ابن عباس** رضي الله عنهما: الصديق أوكد من القرابة[2].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ إباحةٌ للأكل في حال الاجتماع والانفراد؛ لأنَّ بعض العرب كان لا يأكل وحده أصلًا؛ خيفةً من البخل، فأباح لهم الله ذلك.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: إذا دخلتم بيوتًا مسكونةً فسلِّموا علىٰ مَن فيها من الناس، وإنما قال: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بمعنىٰ: صنفكم؛ كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

وقيل: المعنىٰ: إذا دخلتم بيوتًا خاليةً فسلموا علىٰ أنفسكم؛ بأن يقول الرجل: «السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين».

وقيل: يعني بالبيوت: المساجد، فأمر[3] بالسلام علىٰ من فيها، فإن لم يكن فيها أحدٌ فليسلمْ علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ الملائكة وعلىٰ عباد الله الصالحين.



---

(١) في ج: «فأباح الله».

(٢) ذكره النقاش كما في المحرر الوجيز (٦/ ٤١١) ولم أقف عليه مسندًا.

(٣) في ج: «وأمر»، وفي د: «أمر»، وفي هـ: «والأمر».

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٢﴾

﴿٦٠﴾ ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ الآية؛ **الأمرُ الجامع**: هو الذي يجمع له الناس؛ للمشورة فيه، أو للتعاون عليه. ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق بالمدينة؛ فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون من غير استئذان[1].

﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي: لبعض حوائجهم.

﴿٦١﴾ ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ **في معناها ثلاثة أقوال:**

الأول: أن الدعاء هنا يراد به: دعاء النبي ﷺ إياهم؛ ليجتمعوا إليه في أمرٍ جامع، أو في قتال وشبه ذلك؛ **فالمعنى**: أن إجابتكم له إذا دعاكم[2] واجبةٌ عليكم، بخلاف إذا دعا بعضُكم بعضًا، فهو كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، **ويقوي هذا القولَ**: مناسبتُه لما قبله من الاستئذان والأمرِ الجامع.

والقول الثاني: أن المعنى: لا تدعوا الرسول ﷺ باسمه، كما يدعو بعضكم بعضًا باسمه؛ بل قولوا له: «يا رسول الله» أو «يا نبي الله»؛ تعظيمًا له ودعاءً بأشرف أسمائه.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٤٠٨) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي، وعثمان بن يهوذا، أحد بني عمرو بن قريظة، عن رجال من قومه.

(٢) في ج، د: «إجابتهم له إذا دعاهم».

وقيل: المعنىٰ: لا تحسبوا دعاءَ الرسول عليكم كدعاء بعضكم علىٰ بعض، أي: دعاؤه عليكم مجابٌ فاحذروه. ولفظ الآية بعيدٌ من هذا المعنىٰ علىٰ أن المعنىٰ صحيح.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ **يعني:** الذي ينصرفون عن حفر الخندق. **واللِّواذ:** الرَّوَغان والمخالفة، **وقيل:** الانصراف في خُفية.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ الضمير لله أو[1] لرسوله ﷺ.

واختُلف في ﴿عَنْ﴾ **هنا: فقيل:** إنها زائدةٌ، وذلك ضعيف. **وقال ابن عطية: معناه:** يقع خلافهم بعد أمره، كما تقول: كان المطر عن ريح[2]. **وقال الزمخشري:** يقال: خالفه إلىٰ الأمر: إذا ذهب إليه دونه، وخالفه عن الأمر: إذا صدَّ الناس عنه؛ فمعنىٰ ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾: يصدُّون الناس عنه؛ فحَذف المفعول؛ لأن الغرض ذكر المخالف[3].

﴿فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **الفتنة:** في الدنيا بالرزايا، أو بالفضيحة، أو القتل، **والعذاب:** في الآخرة.

﴿٦٤﴾ ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت ﴿قَدْ﴾ للتأكيد، وفي الكلام معنىٰ الوعيد. **وقيل:** معناها: التقليل علىٰ وجه التهكُّم. **والخطاب:** لجميع الخلق، أو للمنافقين خاصة.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني: المنافقين. والعامل في الظرف: ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾.

---

(١) في أ، ب، هـ: «و»، والمثبت موافق لما في الكشاف (١١/ ١٦٤)..

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤١٥).

(٣) انظر: الكشاف (١١/ ١٦١).



سورة الفرقان

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾

﴿١﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة، وهو فعل مختصٌّ بالله تعالىٰ لم يُنْطَق له بمضارع.

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وذلك علىٰ وجه التَّشريف له والاختصاص.

﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ **الضمير** لمحمد ﷺ، أو للفرقان، **والأول أظهر. وقوله:** ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عمومٌ يشمل الإنس والجن ممن كان في عصره، وممن يأتي بعده إلىٰ يوم القيامة. وتضمَّن صدرُ هذه الآية إثباتَ النبوة والتوحيد، والردَّ علىٰ من خالف في ذلك.

﴿٢﴾ ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ﴿خَلَقَ﴾: عبارةٌ عن الإيجاد بعد العدم، **والتقدير**: عبارةٌ عن إتقان الصَّنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره وصفته وزمانه ومكانه ومصلحته وأجله، وغير ذلك.

﴿٣﴾ ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالىٰ.

(٤) ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ يعنون: قومًا من العبيد، منهم: عدَّاسٌ ويسارٌ وأبو فُكَيهةَ الرُّوميُّ.

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْماً وَزُوراً﴾ أي: ظلموا النبي ﷺ فيما نَسبوا إليه، وكذَبوا في ذلك عليه.

(٥) ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطَره الأوَّلون في كتبهم، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث.

﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي كتبها له كاتبٌ، ثم صارت تملىٰ عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفار. وقال الحسن: إنه من قول الله علىٰ وجه الردِّ عليهم[1]. ولو كان كذلك لقال: «أَكتَتَبها» بفتح الهمزة لمعنىٰ[2] الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا. وينبغي علىٰ قول الحسن أن يوقف علىٰ ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

(٦) ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ ردٌّ علىٰ الكفار في قولهم، ويعني[3] بالسرِّ: ما أسرَّه الكفار من أقوالهم. أو يكون ذلك علىٰ معنىٰ التنصُّل والبراءة مما نسبه الكفار إليه من الافتراء؛ أي: أن الله يعلم سرِّي؛ فهو العالم بأني ما افتريتُ عليه، بل هو أنزله عليَّ. فإن قيل: ما مناسبة قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ لما قبله؟

فالجواب: أنه لما ذكر أقوال الكفار أعقبها بذلك؛ ليبين أنه غفور رحيم في كونه لم يَعْجَلْ عليهم بالعقوبة بل أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم.

(٧) ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ الآيةَ، قال هذا الكلام قريشٌ؛ طعنًا علىٰ النبي ﷺ، وقد ردَّ[4] الله عليهم بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]. وقولهم: ﴿هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾: علىٰ وجه التهكُّم، كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الشعراء: ٢٦]، أو يعنون: الرسول بزعمه.

---

(١) ذكره الزمخشري في تفسيره (١١/ ١٧٤) ولم أقف عليه مسندًا.

(٢) في د: «بمعنىٰ».

(٣) في أ، ب: «يعني» بدون واو.

(٤) في ج: «رده».

ثم ذَكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وما بعده، ثم وصفهم بالظلم. وقد ذكرنا معنىٰ ﴿مَّسْحُورًا﴾ في «سبحان»[1].

(٩) ﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يَقدِرون علىٰ الوصول إلىٰ الحق؛ لبعدهم عنه، وإفراطِ جهلهم.



(١) انظر تفسير الآية (٤٧).

*تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُوراً وَٰحِداً وَادْعُواْ ثُبُوراً كَثِيراً ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِے وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيراً ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَّسْـُٔولاً ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِے هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِے لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلَا نَصْراً وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِے ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴿٢٠﴾

﴿١٠﴾ ﴿خَيْراً مِّن ذَٰلِكَ﴾ الإشارة إلىٰ ما ذكره الكفار من الكنز والجنة في الدنيا.

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يعني: جناتِ الآخرة وقصورَها. وقيل: يعني: جناتٍ وقصورًا في الدنيا، ولذلك قال: ﴿إِن شَآءَ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ أي: إذا رأتهم جهنم، وهذه الرؤية يَحتمل أن تكون: حقيقةً، أو مجازًا بمعنىٰ: صارت منهم بقَدْر ما يُرَىٰ علىٰ البعد.

﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾ التغيُّظ لا يسمع، وإنما المسموع أصواتٌ دالة عليه، ففي لفظه تجوُّزٌ. والزفير: صوتٌ ممدودٌ كصوت الحمار.

﴿١٣﴾ ﴿مَكَاناً ضَيِّقاً﴾ تُضيَّق عليهم زيادةً في عذابهم.

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي مربوطٌ بعضهم إلىٰ بعض، ورُوي أن ذلك بسلاسلَ من نار[1].

(١) ذكره ابن عطية في تفسيره (٦/ ٤٢٢) ولم أقف عليه مسندًا.

﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ **الثبور**: الويل، وقيل: الهلاك. ومعنىٰ دعائهم ثبورًا: أنهم يقولون: يا ثبوراه! كقول القائل: واحسرتىٰ! وا أسفىٰ!

﴿١٤﴾ ﴿لاَّ تَدْعُواْ اُلْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً﴾ تقديره: يقال لهم ذلك، أو يكون حالهم يقتضي ذلك، وإن لم يكن ثَمَّ قولٌ. وإنما دَعوا ثبورًا كثيرًا؛ لأن عذابهم دائمٌ، فالثبور يتجدَّد عليهم في كل حين.

﴿١٥﴾ ﴿قُلْ اَذَٰلِكَ خَيْرٌ اَمْ جَنَّةُ اُلْخُلْدِ﴾ إنما جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن الكلام توقيفٌ وتوبيخٌ، وإنما يُمنَع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنىٰ إذا كان الكلام خبرًا.

﴿١٦﴾ ﴿وَعْداً مَّسْـُٔولاً﴾ أي سأله المؤمنون، أو الملائكة في قولهم: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [غافر: ٧]. **وقيل**: معناه: وعدًا واجب الوقوع؛ لأنه قد حتَمه[١].

﴿١٧﴾ ﴿وَيَقُولُ ءَآنتُمُۥٓ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِے هَٰٓؤُلَآءِ﴾ القائل لذلك هو الله عز وجل. **والمخاطَب**[٢] هم المعبودون مع الله علىٰ العموم، **وقيل**: الأصنام خاصَّةً. والأول أرجح؛ لقوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ اِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، وقوله: ﴿ءَآنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اِتَّخِذُونِے وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اِ۬للَّهِ﴾ [المائدة: ١١٨].

﴿أَمْ هُمْ ضَلُّواْ اُلسَّبِيلَ﴾ ﴿أَمْ﴾ هنا معادِلةٌ لما قبلها، والمعنىٰ: أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلُّوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تُضلِّوهم أنتم؟ ولأجل ذلك بيَّن هذا المعنىٰ بقوله: ﴿هُمْ﴾؛ ليُحقِّقَ[٣] إسنادَ الضلال إليهم. وإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمور؛ ليوبِّخ الكفار الذين عبدوهم.

﴿١٨﴾ ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِے لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنَ اَوْلِيَآءَ﴾ القائل لهذا: هم المعبودون؛ قالوه علىٰ وجه التبرِّي ممن عبدهم كقولهم: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ﴾[سبأ: ٤١]،

(١) فهو لذلك مُعدٌّ أن يُسأل ويقتضىٰ أي: يُطلب. المحرر الوجيز (٦/ ٤٢٤)

(٢) في ب، د: «والمخاطبون».

(٣) في أ، ب: «ليتحقق».

والمراد بذلك: توبيخ الكفار يومئذ، وإقامة الحجة عليهم.

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ معناه: أن إمتاعهم بالنعم في الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته.

﴿قَوْماً بُوراً﴾ أي: هالكين، وهو من البَوَار بمعنىٰ: الهلاك. واختُلف: هل هو جمع بائرٍ؟ أو مصدرٌ وُصِف به، ولذلك يقع علىٰ الواحد والجماعة؟

﴿١٩﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ هذا خطابٌ خاطب الله به المشركين يوم القيامة؛ أي: قد كذَّبكم[1] آلهتكم التي عبدتم من دون الله، وتبرؤوا منكم. وقيل: هو خطاب للمعبودين؛ أي: كذَّبوكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا. وقيل: هو خطاب للمسلمين؛ أي: قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة. وقرئ «بما يَقُولُونَ» بالياء من أسفل[2]. والباء في قوله: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾: علىٰ القراءة بالتاء: بدلٌ من الضمير في ﴿كَذَّبُوكُم﴾. وعلىٰ القراءة بالياء كقولك: كتبتُ بالقلم؛ أي: كذَّبوكم بقولهم.

﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلاَ نَصْراً﴾ قرئ ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء من فوق[3]، ويحتمل علىٰ هذا: أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين، والصَّرف علىٰ هذين الوجهين: صرْفُ العذاب عنهم. أو يكون الخطاب للمسلمين، والصرف علىٰ هذا: ردُّ التكذيب. وقرئ بالياء، وهو مسندٌ إلىٰ المعبودين أو المشركين، والصرف: صرف العذاب.

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ خطاب للكفار، وقيل: للمؤمنين، وقيل: علىٰ العموم.

﴿٢٠﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ تقديره: وما أرسلنا رسلًا أو رجالًا قبلك، وعلىٰ هذا المفعولِ المحذوفِ يعود الضميرُ في قوله: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾. وهذه الآية ردٌّ علىٰ الكفار في استبعادهم بعثَ رسولٍ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

---

(١) في د: «كذبوكم».

(٢) قرئ بها في الشاذ، قرأ بها أبو حيوة وابن الصَّلت عن قنبل. المحرر الوجيز (٦/ ٤٢٧)، والبحر المحيط (١٦/ ١٧٤).

(٣) روىٰ حفص عن عاصم بالتاء، وقرأ الباقون بالياء.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ هذا خطابٌ لجميع الناس؛ لاختلاف أحوالهم، فالغني فتنةٌ للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يَحسده ويكفر به.

﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ تقديره: لننظر[1] هل تصبرون.

(١) في ب، هـ: «لينظر».

*وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

﴿٢١﴾ ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ **قيل**: معناه لا يخافون، **والصحيح**: أنه على بابه؛ لأن لقاء الله يُرجىٰ ويُخاف.

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله، وحينئذ يؤمنون[1]، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ الآية؛ أي: طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه. وقوله: ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: كما تقول: فلان عظيم في نفسه، أي: عند نفسه، أو بمعنىٰ أنهم أضمروا الكفر[2] في أنفسهم.

﴿٢٢﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرىٰ لهم يوم يرونهم، فالعامل في ﴿يَوْمَ﴾: معنىٰ ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾[3]، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل.

---

(١) في أ، ب، هـ: «يؤمنوا».

(٢) في أ، ب، هـ: «الكبر»، وعبارة الكشاف (١١/ ٢٠٨): «معناه: أضمروا الاستكبار عن الحق؛ وهو الكفر والعناد في قلوبهم».

(٣) أي: يوم يرون الملائكة يُمنعون البشرىٰ أو يَعدَمونها. الكشاف (١١/ ٢١٠).

﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً﴾ **الضمير في** ﴿يَقُولُونَ﴾: **إن كان للملائكة: فالمعنىٰ أنهم يقولون للمجرمين**: حجرًا محجورًا؛ أي: حرامًا عليكم الجنة أو البشرىٰ. **وإن كان الضمير للمجرمين: فالمعنىٰ أنهم يقولون: حجرًا؛ بمعنىٰ عَوْذًا؛ لأن العرب كانت تتعوَّذ بهذه الكلمة إذا رأت ما تكره**[1]. **وانتصابه بفعل متروكٍ إظهارُه؛ نحو: معاذ الله.**

(٢٣) ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ﴾ **أي: قصَدنا إلىٰ أعمالهم؛ فلفظ القدوم مجازٌ. وقيل: هو قدوم الملائكة، أسنده الله إلىٰ نفسه؛ لأنه عن أمره**[2].

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً﴾ **عبارةٌ عن عدم قَبول ما عملوا من الحسنات، كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم؛ لأن الإيمان شرطٌ في قبول الأعمال. والهَباء: هي الأجرام الدقيقة**[3] **من الغبار التي لا تظهر إلَّا حين تدخل الشمس علىٰ موضع ضيِّقٍ كالكَوَّة. والمنثور: المتفرِّق**[4].

---

(١) في ج، د: «تتعوذ بهذه الكلمة مما تكره».

(٢) [**التعليق ٧٩**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ** ﷺ: «قصَدْنا إلىٰ أعمالِهم؛ فلفظُ القدومِ مجازٌ»:
أقولُ: قولُهُ: «قَدِمْنا؛ أي: قصَدْنا»، هو معنىٰ ما جاء عن السلف؛ إذْ قالوا في تفسيرِ الآيةِ: قَدِمْنا؛ أي: عَمَدْنا، والمقتضِي لهذا التفسيرِ هو تعديَةُ الفعلِ بـ «إلىٰ»؛ فـ «قَدِمَ» مضمَّنٌ معنىٰ: قصَدَ أو عمَدَ، والفعلُ المضمَّنُ لمعنَىٰ فعلٍ آخَرَ يفيدُ معنىٰ الفعلَيْنِ؛ كما هو معلومٌ؛ وعليه: فقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ﴾، يفيد معنىٰ «قَدِمَ»، الذي فيه معنىٰ: أَتَىٰ، أو جاءَ، وفيه معنىٰ: عمَدَ أو قصَدَ.
وعلىٰ هذا: فليس في الآيةِ مجازٌ، بل في الآيةِ تضمينُ الفعلِ معنىٰ فعلٍ آخَرَ؛ كما تقدَّم.
وعُلِمَ مما تقدَّم: أنه يُمكِنُ أن يُستدَلَّ بالآيةِ علىٰ إثباتِ المَجيءِ لله، لكنَّ إضافةَ الفعلِ إلىٰ صيغةِ الجمعِ تفيدُ مجيءَ الملائكةِ أيضًا؛ كما جاء الخبَرُ عن الأمرَيْنِ - مجيءِ اللهِ، ومجيءِ ملائكتِهِ - في غيرِ موضعٍ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠].
ولهذا يشيرُ قولُ المؤلِّف: «وقيل: هو قدومُ الملائكةِ»؛ أي: مجيئُهم، والقائلُ بذلك الأشبَهُ أنه مِن نفاةِ الصفاتِ الفعليَّةِ عن الله؛ كالمجيءِ والإتيانِ.
والحقُّ: أنه تعالىٰ يجيءُ كما يشاءُ؛ كما أخبَرَ عن نفسِهِ في عددٍ مِن الآياتِ، والأظهَرُ: أنَّ منها هذه الآيةَ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣].

(٣) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

(٤) في ج، د، هـ: «المفترق».

(٢٤) ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن هذا مستقرٌّ وهذا مستقرٌّ.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ هو مَفْعِلٌ من النوم في القائلة، وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء علىٰ ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقتَ القائلة في الأمكنة الباردة. وقيل: إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار، فيَقِيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

(٢٥) ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَامِ﴾ هو يوم القيامة، وانشقاق السماء: انفطارها. ومعنىٰ ﴿بِالْغَمَامِ﴾: أي: يخرج منها الغمام، وهو سحابٌ رقيق أبيض، وحينئذ تنزل الملائكة إلىٰ الأرض.

(٢٧) ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ عضُّ اليدين: كنايةٌ عن الندم والحسرة. **والظالم هنا:** عقبة بن أبي معيط، **وقيل:** كل ظالم. **والظلم هنا:** بمعنىٰ الكفر.

﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ هو محمد ﷺ، أو اسم جنس علىٰ العموم.

(٢٨) ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ روي: أن عقبة جنَح إلىٰ الإسلام فنهاه أُبيُّ بن خلف، أو أمية بن خلف؛ فهو فلان[1]. **وقيل:** إن عقبة نهىٰ أُبيَّ بن خلف عن الإسلام، فالظالم علىٰ هذا: أُبيٌّ، وفلانٌ: عقبة[2]. **وإن كان الظالم علىٰ العموم:** فـ﴿فُلَانًا﴾ علىٰ العموم؛ أي: خليلُ كلِّ كافر.

(٢٩) ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ **يَحتمل أن يكون هذا من قول الظالم، أو ابتداءَ إخبارٍ من قول الله تعالىٰ. ويَحتمل أن يراد بالشيطان:** إبليس، أو الخليل المذكور.

(٣٠) ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ **قيل:** إن هذا حكاية قوله ﷺ في الدنيا، **وقيل:** في الآخرة.

﴿مَهْجُورًا﴾ من الـهَجر؛ بمعنىٰ: البُعد والترك، **وقيل:** من الـهُجْر -بضم الهاء-؛ أي: قالوا فيه الهُجر حين قالوا: إنه شعر وسحر، **والأول أظهر.**

(٣١) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ العدو هنا جمعٌ، والمراد: تسلية النبي ﷺ بالتأسي بغيره من الأنبياء.

---

(١) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤١) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٤) عن مجاهد. وأخرجه الطبري أيضا عن الشعبي (١٧/ ٤٤٠-٤٤١).

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٤١) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٤) من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وعدٌ لمحمد ﷺ بالهدىٰ والنصرة.

(٣٢) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هذا من اعتراضات قريش؛ فإنهم قالوا: لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل.

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هذا جوابٌ لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفرَّقًا؛ لنثبِّت به فؤاد محمد ﷺ؛ بحفظه، ولو نزل جملة واحدة لتعذَّر عليه حفظه؛ لأنه أميٌّ لا يقرأ، فحفظ المفرَّق عليه أسهل. وأيضًا؛ فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل كلُّ جزءٍ منه عند[1] حدوث سببه. وأيضًا؛ منه ناسخ ومنسوخ، ولا يتأتَّىٰ ذلك فيما ينزل جملةً واحدةً.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: فرَّقناه تفريقًا، فإنه نزل بطول عشرين سنة. وهذا الفعل معطوف علىٰ الفعل المقدَّر الذي يتعلَّق به ﴿كَذَٰلِكَ﴾، وبه يتعلَّق ﴿لِنُثَبِّتَ﴾.

(٣٣) ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ الآيةَ؛ معناها: لا يوردون عليك سؤالًا أو اعتراضًا إلَّا أتيناك في جوابه بالحقِّ والتفسيرِ الحسن الذي يُذهِب اعتراضَهم ويبطل شبهتهم.

(٣٤) ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يعني: الكفار، وحَشْرُهم علىٰ وجوههم حقيقةٌ؛ لأنه جاء في الحديث: قيل يا رسول الله: كيف يُحشر الكافر علىٰ وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا علىٰ رجليه قادرًا علىٰ أن يُمشِيَه في الآخرة علىٰ وجهه؟!»[2].

﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾ يَحتمل أن يريد بالمكان: المنزلةَ والشرف، أو الدار والمسكن في الآخرة.



(١) في أ، ب، هـ: «علىٰ».

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) عن أنس ﷺ.

*وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

﴿٣٥﴾ ﴿وَزِيرًا﴾ أي: مُعينًا.

﴿٣٦﴾ ﴿إِلَى ٱلْقَوْمِ﴾ يعني: فرعونَ وقومه. وفي الكلام حذفٌ تقديره: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم.

﴿٣٧﴾ ﴿كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ تأويلُه كما ذُكر في قوله في «هود»: ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ [هود: ٥٨].

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ يَحتمل أن يريد بالظالمين مَن تقدَّم، ووَضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر؛ لقصْد وصفهم بالظلم، أو يريد الظالمين على العموم.

﴿٣٨﴾ ﴿وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ معنى الرَّسِّ في اللغة: البئر، واختُلف في أصحاب الرس، فقيل: هم من بقية ثمود، وقيل: من أهل اليمامة، وقيل: من أهل أنطاكِيَة، وهم أصحاب ياسين. واختُلف في قصتهم: فقيل: بُعِث إليهم نبيٌّ، فرموه في بئر فأهلكهم الله. وقيل: كانوا حول بئر لهم، فانهارت بهم فهَلَكوا.

﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ يقتضي التكثيرَ والإبهام، والإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى المذكور قبلُ من الأمم.

﴿٣٩﴾ ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾ أي: بيَّنَّا له.

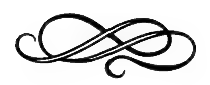
﴿تَبَّرْنَا﴾ أي: أهلكنا.

(٤٠) ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ الضمير في ﴿أَتَوْا﴾ لقريش وغيرهم من الكفار. **والقرية**: قرية قوم لوط. و﴿مَطَرَ السَّوْءِ﴾: الحجارة. ثم وقَفَهم على رؤيتهم لها؛ لأنها في طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كُفْرهم بالنُّشور. و﴿يَرْجُونَ﴾ كقوله: ﴿يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وقد ذُكِر.

(٤١) (٤٢) ﴿أَهَذَا الَّذِي﴾ حكايةُ قولهم على وجه الاستهزاء، فالجملة في موضع معمولٍ[١] لقولٍ محذوف يدلُّ عليه ﴿هُزُوًا﴾. وقوله: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ استئنافُ جملةٍ أخرى، وتمَّ كلامهم، واستأنفَ كلامَ الله تعالى في قوله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآيةَ؛ على وجه التهديد لهم.

(٤٣) ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: أطاع هواه حتى صار[٢] كأنه إله.

(٤٤) ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول، وهؤلاء لهم عقول ضيَّعوها. أو لأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضرَّ الأشياء وهو العقاب.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «مفعول».

(٢) في د زيادة: «له».

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُوراً ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِے أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ نُشُراً بَيْنَ يَدَےْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِے كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَاداً كَبِيراً ﴿٥٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِے مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ اُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِے خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَراً فَجَعَلَهُۥ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيراً ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ اَجْرٍ اِلَّا مَن شَآءَ اَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِے لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيراً ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِے خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِے سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيراً ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اُسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَامُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً ۩ ﴿٦٠﴾

﴿٤٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلىٰ صنع ربك وقدرته.

﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ قيل: مدَّه من طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس؛ لأن الظل حينئذ علىٰ الأرض كلها. واعترضه ابن عطية بأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال «ظِلٌّ» بالليل، واختار أن مدَّ الظل ما بين أول الإسفار إلىٰ طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير[1]. وقيل:[2] ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: أي: جعله يمتدُّ وينبسط.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِناً﴾ أي: ثابتًا غيرَ زائل، لكنه جعله يزول بالشمس. وقيل: معنىٰ ساكن: غير منبسط علىٰ الأرض، بل يلتصق[3] بأصل الحائط أو الشجرة ونحوها.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦/ ٤٤٢).

(٢) في ج، د زيادة: «معنىٰ».

(٣) في ج، د: «ملتصق».

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ **قيل**: معناه: أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض، ومتى يزول عن مكان إلى آخر، فيبنون على ذلك انتفاعَهم به وجلوسَهم فيه. **وقيل**: معناه: لولا الشمس لم يُعرَف أن الظل شيءٌ؛ لأن الأشياء إنما تُعرَف بأضدادها.

(٤٦) ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قَبْضُه: نَسْخُه وزواله بالشمس. ومعنى ﴿يَسِيرًا﴾: شيئًا بعد شيء، لا دَفْعةً واحدة. **فإن قيل**: ما معنى «ثم» في هذه المواضع الثلاثة؟

فالجواب: أنه يَحتمل أن تكون للترتيب في الزمان، أي: جعل الله هذه الأحوال حالًا بعد حال، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال، وأن[1] الثاني أعظمُ من الأول، والثالث أعظم من الثاني.

(٤٧) ﴿ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبَّه ظلام الليل باللباس؛ لأنه يستر كل شيء كاللباس.

﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ **قيل**: راحة، **وقيل**: موتًا؛ لقوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٣٩]، ويدلُّ عليه مقابلته بالنشور.

(٤٨) ﴿ٱلرِّيَٰحَ نُشْرًا﴾ ذُكر في «**الأعراف**»[2].

﴿مَآءً طَهُورًا﴾ مبالغةٌ في طاهر. **وقيل**: معناه: مطهِّر للناس في الوضوء وغيره، وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماءٌ طهورٌ؛ أي: مُطهِّر، وكل مُطهِّر طاهرٌ، وليس كل طاهر مُطهِّرًا.

(٤٩) ﴿وَأَنَاسِيَّ﴾ **قيل**: جمع إنسيٍّ، **وقيل**: جمع إنسان، **والأول أصح**.

(٥٠) ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ الضمير للقرآن، **وقيل**: للمطر، **وهو بعيد**.

(٥١) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ أي: لو شئنا لخفَّفنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرسل، ولكنا خصَصْناك بها كرامةً لك؛ فاصبر عليها.

(٥٢) ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ الضمير: للقرآن، أو لما دلَّ عليه الكلام المتقدم[3].

---

(١) في ج، د: «بأن كان».

(٢) انظر تفسير الآية (٥٦).

(٣) أي: جاهدهم بسبب كونك نذيرَ كافة القُرى. الكشاف (١١/ ٢٦٢).

﴿٥٣﴾ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ اضطرب الناس في هذه الآية؛ لأنه لا يُعْلَم في الدنيا بحرٌ مِلْحٌ وبحر عَذْبٌ، وإنما البحار المعروفة ماؤها مِلْحٌ: فقال ابن عباس رضي الله عنهما: أراد بالبحرِ الملحِ الأجاجِ: بحرَ الأرض، وبالبحر العذبِ الفراتِ: بحرَ السحاب[1]. وقيل: البحر الملح: البحر المعروف، والبحر العذب: مياه الأرض. (وقيل: البحر الملح: جميع الماء المِلْح من الآبار وغيرها، والبحر العذب: هو مياه الأرض)[2] من الأنهار والعيون.

ومعنى الفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأُجاج: نقيضه. واختُلف في معنى مَرْجهما: فقيل: جعلهما متجاورين متلاصقين. وقيل: أَسال أحدَهما في الآخر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً﴾ أي: فاصلًا يفصل بينهما، وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا يختلطان. وقيل: هذا البرزخ يعلمه الله، ولا يراه البشر.

﴿٥٤﴾ ﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَراً﴾ إن أراد بالبشر آدم: فالمراد بالماء: الماء الذي خُلِط مع التراب فصار طينًا. وإن أراد بالبشر بني آدم: فالمراد بالماء: المنيُّ الذي يُخلَقون منه.

﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَباً وَصِهْراً﴾ النسب والصهر يَعُمَّان كل قربى؛ فالنسب: أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم، قَرُبَ ذلك أو بَعُدَ، والصهر: هو الاختلاط بالتناكح. وقيل: أراد بالنسب: الذكورَ؛ أي: ذوي[3] نسب يُنتَسب إليهم، وأراد بالصهر: الإناث؛ أي ذوات صهر يُصاهَر بهنَّ، فهو كقوله: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٨].

﴿٥٥﴾ ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيراً﴾ الكافر هنا: الجنس، وقيل: المراد أبو جهل. والظهير: المعين؛ أي: يعين الشيطان على ربه بالعداوة والشرك. ولفظه يقع للواحد والجماعة، كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

﴿٥٧﴾ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لا أسألكم على الإيمان أُجرةً ولا منفعة لنفسي.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ٢٠٠).

(٢) سقط من أ، ب، هـ.

(٣) في ب، د: «ذو».

﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ معناه: إنما أسألكم أن تتخذوا إلىٰ ربكم سبيلًا بالتقرُّب إليه وعبادته، فالاستثناء منقطع. وقيل: المعنىٰ: إلَّا أن تتخذوا إلىٰ ربكم سبيلًا بالصدقة، فالاستثناء علىٰ هذا متصل. والأول أظهر. وفي الكلام محذوف تقديره: إلَّا سؤال من شاء، أو ما أشبه ذلك.

﴿٥٨﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ قرأ هذه الآية بعض السلف فقال: لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق؛ فإنه يموت[١].

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي قل: «سبحان الله وبحمده»، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به.

ومعنىٰ ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: بحمده أقول ذلك. ويَحتمل أن يكون المعنىٰ: سبِّحه مُلْتبسًا[٢] بحمده، فهو أَمْرٌ بأن يجمع بين التسبيح والحمد.

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ يَحتمل أن يكون المراد بهذا: بيانَ حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم. أو يكون المراد: تهديد العباد؛ لعلم[٣] الله بذنوبهم.

﴿٥٩﴾ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ذكر في «الأعراف»[٤].

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر ابتداء مضمر، أو بدلٌ من الضمير في ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾.

﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ فيه معنيان:

أحدهما -وهو الأظهر-: أن المراد: اسأل عنه من هو خبيرٌ عارفٌ به، فانتصب ﴿خَبِيرًا﴾ علىٰ المفعولية، وهذا الخبير المسؤول: هو جبريل ﵇، و[٥]العلماء، وأهل الكتاب. والباء في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ يَحتمل أن تتعلقَ بـ﴿خَبِيرًا﴾، أو تتعلق بالسؤال، ويكون معناها علىٰ هذا معنىٰ «عن».

---

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين، ط. المنهاج (٨/ ١٩٩) عن أبي أيوب سليمان الخوَّاص.

(٢) في أ، ب، د: «متلبسًا».

(٣) في د: «بعلم».

(٤) انظر تفسير الآية (٥٣).

(٥) في ج، د: «أو».

والمعنىٰ الثاني: أن المراد: اسأل بسؤاله خبيرًا؛ أي: إن سألته تعالىٰ تجده خبيرًا بكل شيء، فانتصب ﴿خَبِيراً﴾ علىٰ الحال، وهو كقولك: «لو رأيت فلانًا رأيت به أسدًا» أي: رأيت برؤيته أسدًا.

(٦٠) ﴿فَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لما ذكر الرحمن في القرآن أنكرته قريش، وقالوا: لا نعرف الرحمن، وكان مُسيلِمة الكذاب قد تسمَّىٰ بالرحمن، فقالوا علىٰ وجه المغالطة: إنما الرحمن الرجل الذي باليمامة.

﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ تقديره: لما تأمرنا أن نسجد له.

﴿وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ الضمير الفاعل[1] في زادهم يعود علىٰ المقول وهو ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾.



(١) في أ، ب، هـ: «المفعول».

*﴿تَبَارَكَ ٱلذِے جَعَلَ فِے ٱلسَّمَآءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ۝٦١ وَهُوَ ٱلذِے جَعَلَ ٱليْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنَ اَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوَ اَرَادَ شُكُوراً ۝٦٢ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلاَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰماً ۝٦٣ وَالذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَٰماً ۝٦٤ وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ۝٦٥ اِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ۝٦٦ وَالذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً ۝٦٧ وَالذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ـاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلتِے حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ۝٦٩ اِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَٰلِحاً فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ۝٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَاباً ۝٧١ وَالذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاماً ۝٧٢ وَالذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً ۝٧٣ وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنَ اَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ۝٧٤ اُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰماً ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ۝٧٦ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّے لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ۝٧٧﴾

۝٦١ ﴿بُرُوجاً﴾ يعني: المنازل الاثني عشر، وقيل: الكواكب العظام.

﴿سِرَٰجاً﴾ يعني: الشمس. وقُرئ بضم السين والراء على الجمع[1]، يعني: جميع الأنوار، ثم خصَّ القمر بالذكر تشريفًا.

۝٦٢ ﴿جَعَلَ ٱليْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف هذا هذا، وقيل: هو من الاختلاف؛ لأن هذا أبيض وهذا أسود. والخلفة اسم الهيئة[2]، كالرِّكْبة والجِلسة، فالأصل: جعلهما ذوَيْ خِلفةٍ.

﴿لِّمَنَ اَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ قيل: معناه: يَعتبر في المصنوعات. وقيل: يتذكَّر لما فاته من

---

(١) قرأ حمزة والكسائي ﴿سُرُجًا﴾ بضم السين والراء من غير ألف، وقرأ الباقون بكسر السين وفتح الراء وألف.

(٢) في ج، د: «للهيئة».

الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه بالنهار، أو فاته بالنهار فيستدركه[1] بالليل، وهذا قول عمر بن الخطاب[2] وابن عباس[3] رضي الله عنهم.

(٦٣) ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: عباده المرضيُّون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة. و﴿عِبَادُ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾، أو قوله في آخر السورة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾.

﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي: رفقًا ولينًا بحلم ووقار، ويَحتمل أن يكون ذلك وصفَ مشْيِهم على الأرض، أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبَّر بالمشي على الأرض عن جميع تصرُّفهم مدةَ حياتهم.

﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ أي: قالوا قولًا سديدًا؛ ليدفع الجاهل برفق، وقيل: معناه: قالوا للجاهل: «سلامًا»؛ أي: هذا اللفظ بعينه، بمعنى: سلمنا منكم. قال بعضهم: هذه الآية منسوخة بالسيف. وإنما يصح النسخ في حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحِلْم عنهم فمستحسنٌ غير منسوخ.

(٦٥) ﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ وما بعده: يَحتمل أن يكون: من كلامهم، أو من كلام الله عز وجل.

﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي: هلاكًا وخسرانًا، وقيل: ملازمًا.

(٦٧) ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ الإقتار: هو التضييق في النفقة والشُّح، وضده: الإسراف، فنهى عن الطرفين، وأمر بالتوسُّط بينهما، وهو القَوَامُ، وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف، وإن قلَّ.

(٦٨) ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ أي: عقابًا، وقيل: الأَثَام: الإثم؛ فمعناه: يلق جزاء أثامٍ، وقيل: الأثام: وادٍ في جهنم. والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ذُكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا.

---

(١) في أ: «فيستذكره».

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٨٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٧٤٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٨٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٨).

(٦٩) ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾ **قيل**: نزلت في الكفار لأنهم المخلَّدون في النار بإجماع، فكأنه قال: الذين يجمعون بين الشرك[1] والقتل والزنا. **وقيل**: نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون. فأما على مذهب المعتزلة: فالخلود على بابه. وأما على مذهب أهل السنة: فالخلود عبارة عن طول المدة.

(٧٠) ﴿إِلاَّ مَن تَابَ﴾ **إن قلنا**: إن الآية في الكفار فلا إشكال فيها؛ لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا. **وإن قلنا**: إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصحُّ، **واختلف**: هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا؟

﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ **قيل**: يوفِّقهم الله لفعل الحسنات بدلًا مما[2] عملوا من السيئات. **وقيل**: إن هذا التبديل في الآخرة، أي: يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات.

(٧١) ﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً﴾ أي: متابًا مقبولًا مرْضيًّا عند الله، كما تقول: لقد قلتَ يا فلان قولًا، أي: قولًا حسنًا.

(٧٢) ﴿لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لا يشهدون بالزور، وهو الكذب؛ فهو من الشهادة. **وقيل**: معناه: لا يحضرون مجالس الزور واللهو، فهو على هذا من المشاهدة والحضور، **والأول أظهر**.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ **اللغو**: هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه. ومعنى ﴿مَرُّوا كِرَاماً﴾ أعرضوا عنه واستحيوا، ولم يدخلوا مع أهله؛ تنزيهًا لأنفسهم عن ذلك.

(٧٣) ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ أي: لم يُعرضوا عن آيات الله، بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم، فالنفي للصَّمم والعمى، لا للخرور عليها.

(٧٤) ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ **قيل**: معناه اجعل أزواجَنا وذريَّاتِنا مطيعين لله، **وقيل**: أدخلهم معنا الجنة، واللفظ أعم من ذلك.

---

(١) في ج، د: «الإشراك».

(٢) في أ، ب، هـ: «عما».

﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ أي: قدوةً يَقتدي بنا المتقون، فـ«إمامٌ»: مفرد يراد به الجنس. وقيل: هو جمعُ آمٍّ؛ أي: متَّبِع.

(٧٥) ﴿الْغُرْفَةَ﴾ يعني: غرفة الجنة؛ فهو اسم الجنس.

(٧٧) ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ﴾ يَحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ نافيةً أو استفهامية.

وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى: لا يبالي الله بكم لولا عبادتكم له، فالدعاء بمعنى العبادة، وهذا قريب من معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الثاني: أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى: لا يبالي الله بكم، ولكنه[1] يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه. ويكون على هذين القولين خطابًا لجميع الناس من المؤمنين والكافرين؛ لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه، أو خطابًا للمؤمنين خاصةً؛ لأنهم هم الذين يعبدون الله ويدعونه، ولكن يضعف هذا بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

الثالث: أنه خطاب للكفار خاصةً، والمعنى على هذا: ما يعبأ بكم ربي لولا أنه يدعوكم إلى دينه، والدعاء على هذا بمعنى: الأمر بالدخول في الدين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول.

وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطابٌ لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين.

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾ أي سوف يكون العذاب لِزامًا (أي: لازمًا)[2] ثابتًا. وأضمر العذاب وهو اسم كان[3]؛ لأنه جزاء التكذيب المتقدِّم. واختُلف: هل يُراد بالعذاب هنا: القتل يوم بدر، أو عذاب الآخرة؟

---

(١) في أ، ب، هـ: «ولكن».

(٢) لم ترد في أ، ب، هـ.

(٣) للعلم به. الكشاف (١١/ ٣٠٩).



سورة الشعراء

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

﴿١﴾ ﴿طسٓمٓ﴾ تكلَّمنا على حروف الهجاء في أول «**البقرة**». **ويختصُّ**[1] **هذا: أنه قيل**: الطاء من «ذي الطَّول»، والسين من «السميع» أو «السلام»، والميم من «الرحيم» أو «**المنعم**».

﴿بَٰخِعٌ﴾ ذُكر في «**الكهف**»[2].

﴿٤﴾ ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ **الأعناق**: جمع عُنق، وهي الجارحة المعروفة. وإنما جمع ﴿خَٰضِعِينَ﴾ جمع العقلاء لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء، أو[3] لأنه وصَفها بفعل لا يكون إلَّا من العقلاء.

وقيل: **الأعناق**: الرؤساء من الناس شُبِّهوا بالأعناق كما يقال لهم: رؤوسٌ وصدور، وقيل: هم الجماعات من الناس، فلا يَحتاج جمع ﴿خَٰضِعِينَ﴾ إلى تأويل.

﴿٥﴾ ﴿مُحْدَثٍ﴾ يعني به: محدثَ الإتيان[4].

---

(١) في أ، ب، هـ: «ويخص».

(٢) انظر تفسير الآية (٦).

(٣) في ج، د: «و».

(٤) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٧٣).

(٥) ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ الآيةَ؛ تهديدٌ.

(٦) ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي: من كلِّ صنفٍ من النبات، فيعمُّ ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعىٰ. ووصفه بالكرَم؛ لما فيه من الحسن والمنافع.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة إلىٰ ما تقدَّم من النبات، وإنما ذكره بلفظ الإفراد؛ لأنه أراد: إنَّ في كل واحد آيةً، أو أشار إلىٰ مصدر قوله: ﴿أَنبَتْنَا﴾.



وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾

﴿١٣﴾ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ **بالرفع**[1]: عطفٌ على ﴿أَخَافُ﴾، أو استئنافٌ. **وقرئ بالنصب؛ عطفًا على** ﴿يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ **أي: اجعله معي رسولًا أستعين به.**

﴿١٤﴾ ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾ **يعني: قَتْلَه للقبطيِّ.**

﴿١٥﴾ ﴿قَالَ كَلَّا﴾ **أي: لا تخفْ أن يقتلوك.**

﴿إِنَّا مَعَكُم﴾ **خطابٌ لموسىٰ وأخيه ومن كان معهما، أو علىٰ جعل الاثنين جماعةً.**

﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ **لفظه جمعٌ، وورد مورد تعظيم الله تعالىٰ. ويَحتمل أن تكون الملائكة هي**

(١) قراءة السبعة بالرفع، وقرأ يعقوب بالنصب.

التي تستمع بأمر الله؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع، وإنما يوصف بالسمع[1]. والأول أحسن، وتأويله: أن في الاستماع اعتناءً واهتمامًا بالأمر ليست في صيغة «سامعون».

والخطاب في قوله: ﴿مَعَكُم﴾ لموسىٰ وهارون وفرعون وقومه. وقيل: لموسىٰ وهارون خاصةً؛ علىٰ معاملة الاثنين معاملةَ الجماعة، وذلك علىٰ قول من يرىٰ أن أقل الجمع اثنان.

﴿إِنَّا رَسُولُ﴾ إن قيل: لم أفرده وهما اثنان؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول: أنَّ التقدير: كلُّ واحدٍ منَّا رسول. الثاني: أنهما جُعِلا كشخص واحد؛ لاتفاقهما في الشريعة، ولأنهما

---

(١) [التعليق ٨٠] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ ﷺ: «﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾، لفظُهُ جمعٌ، وورَدَ مَورِدَ تعظيمِ اللهِ تعالىٰ ...»، إلخ: أقولُ: قولُه: «ورَدَ مَورِدَ تعظيمِ الله»؛ معناه: أنَّ اللهَ ذكَرَ نفسَهُ بصيغةِ الجمعِ وهو واحدٌ؛ للدَّلَالةِ علىٰ عظمتِهِ تعالىٰ، وهذا معنًىٰ صحيحٌ؛ فإنه تعالىٰ:

- يذكُرُ نَفْسَهُ بصيغةِ المفرَدِ، مُظهَرًا أو مُضمَرًا؛ للدَّلَالةِ علىٰ التوحيدِ.

- ويذكُرُ نَفْسَهُ بصيغةِ الجمعِ، مُظهَرًا أو مُضمَرًا؛ للدَّلَالةِ علىٰ عظمتِهِ؛ لكثرةِ أسمائِهِ وصفاتِهِ، وكثرةِ عبيدِهِ وجنودِهِ، وشواهدُ هذا في القرآن كثيرةٌ؛ كما في هذه الآية: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، وكقولِه تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقولِه: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]، وقولِه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقولِه تباركَ اسمُه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وقولِه: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١].

وقد يراد بهذه الصيغةِ الملائكةُ؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، فالمرادُ: قراءةُ جبريلَ، وقولِه سبحانه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، والمرادُ: قربُ الملائكةِ الحافِظِينَ الكاتبِينَ لعمَلِ العبدِ.

وقد تدُلُّ هذه الصيغةُ علىٰ الأمرَيْنِ معًا: علىٰ التعظيمِ، وعلىٰ إرادةِ الملائكة، ومِن ذلك هذه الآيةُ: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]؛ فاللهُ يَستمِعُ، والملائكةُ يَستمِعُونَ؛ كما قال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقولُ المؤلِّفِ: «إنَّ اللهَ لا يُوصَفُ بالاستماعِ، وإنَّما يُوصَفُ بالسمع»: هذا غَلَطٌ منه ﷺ؛ منشؤُهُ نفيُ الأفعالِ الاختياريَّةِ عن الله، وهي التي تكونُ بمشيئتِهِ تعالىٰ، وهو المعروفُ مِن مذهبِ الأشاعرة؛ كيف وقد أخبَرَ تعالىٰ عن نفسِهِ في هذه الآيةِ بصيغةِ الجمعِ بأنه مُستمِعٌ؟! ويَشهَدُ لذلك: ما جاء في السُّنَّةِ، وهو قولُهُ ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كَأَذَنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّىٰ بِالقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ»[أخرجه مسلم (٧٩٣)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ]، وقولُهُ: «مَا أَذِنَ»؛ أي: ما استمَعَ، والأَذَنُ - بالتحريك - الاستماعُ؛ فالاستماعُ فِعْلٌ مِن اللهِ يكونُ بمشيئتِهِ؛ فهو تعالىٰ يَسمَعُ جميعَ الأصوات، ويَستمِعُ لما شاء منها، ومِن ذلك: ما جاء في الآيةِ والحديثِ؛ فالاستماعُ أخصُّ مِن السماع؛ فكلُّ استماعٍ متضمِّنٌ للسماع، دون العَكْس، والله أعلم.

أخوان؛ فكأنهما واحد. **الثالث**: أن ﴿رَسُولُ﴾ هنا مصدرٌ وُصِف به، فلذلك يُطلَق[1] على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال: رسولٌ: بمعنىٰ رسالة، بخلاف قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَآ﴾ [طه: ٤٦]؛ فإنه بمعنىٰ: المرسَل.

﴿١٦﴾ ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: **أطلقهم**.

﴿١٧﴾ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ قصد فرعونُ بهذا الكلام المنَّ علىٰ موسىٰ عليه السلام، والاحتقارَ له.

﴿١٨﴾ ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسىٰ عليه السلام. **ويعني بالفَعْلة**: قتلَه للقبطي.

والواو في قوله: ﴿وَأَنتَ﴾: **إن كانت للحال** فقوله: ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معناه: كافرٌ بهذا الدين الذي جئتَ به؛ لأن موسىٰ عليه السلام إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة، وقد كان قبل ذلك مؤمنًا، ولم يعلم بذلك فرعون، **وقيل**: معناه من الكافرين بنعمتي. **وإن كانت الواو للاستئناف**: فيَحتمل أن يريد: من الكافرين بديني، أو من الكافرين بنعمتي.

﴿١٩﴾ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ **القائل هنا**: هو موسىٰ عليه السلام، والضمير في قوله: ﴿فَعَلْتُهَآ﴾ لقتله القبطي. **واختُلف في معنىٰ قوله**: ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: **فقيل**: معناه: من الجاهلين بأن وكْزَتي تقتُله. **وقيل**: معناه: من الناسين، فهو كقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقوله: ﴿إِذًا﴾ صلةٌ في الكلام، وكأنها بمعنىٰ حينئذٍ. **قال ذلك ابن عطية**[2].

﴿٢٠﴾ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ أي: من فرعون وقومه، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفرده في قوله: ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾[3].

---

(١) في ج، د: «أُطلق».

(٢) المحرر الوجيز (٦/ ٤٧٥).

(٣) هذه الآية ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ بعد ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ وليست قبلها، فلو قال: «جمع ضمير الخطاب مع إفراده في قوله..» لاستقامت العبارة، كما هي عبارة الكشاف (١١/ ٣٣٩).

﴿٢٢﴾ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ﴾ معنىٰ ﴿عَبَّدتَّ﴾: ذلَّلتَ واتخذتهم عبيدًا، فمعنىٰ هذا الكلام: أنك عددتَ نعمةً عليَّ تعبيدَ بني إسرائيل، وليست في الحقيقة بنعمة، إنما كانت نقمة؛ لأنك كنت تذبح أبناءهم، ولذلك وصلتُ أنا إليك فربَّيتني.

فالإشارة بقوله: ﴿تِلْكَ﴾ إلىٰ التربية. و﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾: في موضع رفعٍ عطفُ بيان علىٰ ﴿تِلْكَ﴾، أو في موضع نصبٍ علىٰ أنه مفعول من أجله.

وقيل: معنىٰ الكلام: تربيتُك نعمةٌ عليَّ؛ لأنك عبَّدت بني إسرائيل وتركتني. فهي في المعنىٰ الأول إنكارٌ لنعمته، وفي الثاني اعترافٌ بها.

﴿٢٣﴾-﴿٢٩﴾ ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ أجابه موسىٰ عليه السلام بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فقال: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾؟ تعجُّبًا من جوابه، فزاد موسىٰ عليه السلام في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ لأن وجود الإنسانِ وآبائِه أظهرُ الأدلة[1] عند العقلاء وأعظم البراهين؛ فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلُّون[2] بها علىٰ وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها، ونسب موسىٰ عليه السلام إلىٰ الجنون مغالطةً منه، وأبدىٰ الازدراء والتهكُّم في قوله: ﴿رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ فزاد موسىٰ عليه السلام في إقامة الحجة بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾؛ لأن طلوع الشمس وغروبَها آيةٌ ظاهرة لا يمكن أحدًا جحدُها، ولا أن يدعيَها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة علىٰ نمروذ، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلىٰ الاستعلاء والتغلُّب فهدَّده بالسجن، فأقام موسىٰ عليه السلام عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطُّفٍ؛ طمعًا في إيمانه، فقال: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام، وتقديره: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين؟

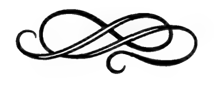
---

(١) في ب، ج، د، هـ: «دلالة».

(٢) في أ، ب، هـ: «يستدلون».

وقد تقدَّم في «**الأعراف**»[1] ذكر العصا واليد، و ﴿مَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ و﴿أَرۡجِهۡ﴾ ، و﴿حَٰشِرِينَ﴾.

فإن قيل: كيف قال أوَّلًا: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، ثم قال آخرًا: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾؟ **فالجواب**: أنه لايَنَ أوَّلًا طمعًا في إيمانهم، فلما رأىٰ منهم العناد والمغالطة وبَّخهم بقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾.



(١) انظر تفسير الآية (١٠٦) وما بعدها.

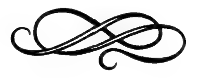
قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنَ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٤﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهِۦ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٥﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٦﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٧﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٨﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ الْغَٰلِبِينَ ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ السَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَٰلِبُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٤﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٥﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٧﴾ قَالَ ءَآمَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٨﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ *قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

﴿٣٧﴾ ﴿لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ﴾ هو يوم الزينة.

﴿٣٩﴾ ﴿نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ﴾ أي: نتبعهم في نصرة ديننا، لا في عمل السحر.

﴿٤٣﴾ ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ قسمٌ أقسموا به. وقد تقدَّم في «الأعراف»[1] تفسير ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾، وما بعد ذلك.

﴿٥٠﴾ ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا يضرُّنا ذلك؛ لأننا ننقلب إلى الله.



(١) انظر تفسير الآية (١١٦) وما بعدها.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

﴿٥٢﴾ ﴿أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ يعني: بني إسرائيل.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إخبارٌ باتباع فرعون.

﴿٥٤﴾ ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ الشِّرذمة: الطائفة من الناس، وفي هذا احتقارٌ لهم، على أنه رُوي أنهم كانوا ستَّ مئة ألف، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير.

﴿٥٧﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ يعني: التي بمصر. والعيون: الخُلْجان الخارجة من النيل، و[1]كانت ثَمَّ عيون في ذلك الزمان، وقيل: يعني الذهب والفضة، وهو بعيد.

﴿٥٨﴾ ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجالس الأمراء والحكَّام، وقيل: المنابر، وقيل: المساكن الحِسان.

﴿٥٩﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع خفضٍ؛ صفةً لـ﴿مَقَامٍ﴾، أو في موضع نصبٍ، على تقدير: أخرجناهم مثلَ ذلك الإخراج، أو في موضع رفعٍ، على أنه خبر ابتداء تقديره: الأمرُ كذلك.

﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أورثهم الله مواضع فرعون بمصر. على أن التواريخ لم يُذكر فيها مُلْك بني إسرائيل لمصر، وإنما المعروف أنهم مَلَكوا الشام، فتأويله على هذا: أورثهم مثل ذلك بالشام.

---

(١) في أ، ب، د: «أو».

(٦٠) ﴿وَأَتْبَعُوهُم﴾ أي: لحقوهم، وضمير الفاعل لفرعون وقومه، وضمير المفعول لبني إسرائيل.

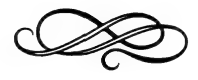
﴿مُّشْرِقِينَ﴾ معناه: داخلين في وقت الشروق، وهو طلوع الشمس، **وقيل**: معناه: نحو المشرق، وانتصابه على الحال.

(٦١) ﴿تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ وزن ﴿تَرَآءَا﴾ تفاعل، وهو مشتقٌّ من الرؤية، **والجمعان**: جمع موسىٰ وجمع فرعون، أي: رأىٰ بعضهم بعضًا.

(٦٣) ﴿فَانفَلَقَ﴾ تقدير الكلام: فضرب موسىٰ البحر فانفلق.

﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كل جزء منه، **والطَّود**: الجبل. ورُوي: أنه صار في البحر اثنا عشر طريقًا، لكل سبط من بني إسرائيل طريقٌ.

(٦٤) ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ يعني بـ﴿ٱلْآخَرِينَ﴾: فرعون وقومه، ومعنىٰ: ﴿أَزْلَفْنَا﴾: قرَّبناهم من البحر ليغرقوا. و﴿ثَمَّ﴾ ظرفٌ يراد به هنا: حيث انفلق البحر، وهو بحر القُلْزُوم.



وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ اُ۬لْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ اَلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ اَلذِے خَلَقَنِے فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالذِے هُوَ يُطْعِمُنِے وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالذِے يُمِيتُنِے ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ *وَالذِےٓ أَطْمَعُ أَنْ يَّغْفِرَ لِے خَطِيٓـَٔتِے يَوْمَ اَلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِے حُكْماً وَأَلْحِقْنِے بِالصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّے لِسَانَ صِدْقٍ فِے اِ۬لْأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِے مِن وَّرَثَةِ جَنَّةِ اِ۬لنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ اَ۬لضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِے يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنَ اَتَى اَ۬للَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ اِ۬لْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ اِ۬لْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اِ۬للَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِے ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ اِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ اِ۬لْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا اَ۬لْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوَ اَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ اَ۬لْمُومِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اُ۬لرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

﴿٧٠﴾ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما سألهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام؛ ليبينَ لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء، ويقيمَ عليهم الحجة.

﴿٧١﴾ ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً﴾ **إن قيل**: لم صرَّحوا بقولهم ﴿نَعْبُدُ﴾ ، مع أن السؤال -وهو قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾- يغني عن التصريح بذلك، وقياسُ مثل هذا: الاستغناء بدلالة السؤال كقوله: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً﴾[النحل: ٣٠]؟

فالجواب: أنهم صرَّحوا بذلك علىٰ وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام، ثم زادوا قولهم: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ مبالغةً في ذلك.

﴿٧٤﴾ ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ اعترافٌ بالتقليد المحض.

﴿٧٧﴾ ﴿إِلَّا رَبَّ اَلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناءٌ منقطع، **وقيل**: متصل؛ لأن في آبائهم مَن عبد الله تعالىٰ.

(٨٠) ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسند المرَض إلىٰ نفسه والشفاءَ إلىٰ الله؛ تأدُّبًا مع الله.

(٨٢) ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ قيل: أراد كذباته[1] الثلاثة الواردة في الحديث[2]، وهي قوله في سارة زوجته: «هي أختي»، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وقيل: أراد الجنس علىٰ الإطلاق؛ لأن هذه الثلاث من المعاريض فلا إثم فيها.

(٨٤) ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناءً جميلًا.

(٨٨) ﴿لَا يَنفَعُ﴾ وما بعده: منقطع عن كلام إبراهيم عليه السلام، وهو من كلام الله تعالىٰ، ويحتمل أن يكون أيضًا من كلام إبراهيم عليه السلام.

(٨٩) ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قيل: سليم من الشرك والمعاصي، وقيل: الذي يلقىٰ ربه وليس في قلبه شيء غيره. وقيل: بقلب لَديغٍ من خشية الله، والسَّليم: هو اللديغ لغة. وقال الزمخشري: هذا من بِدَع[3] التفاسير[4].

وهذا الاستثناء: يحتمل أن يكون متصلًا، فيكون: ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ مفعولًا بقوله: ﴿لَا يَنفَعُ﴾، والمعنىٰ علىٰ هذا: أن المال لا ينفع إلَّا من أنفقه في طاعة الله، وأن البنين لا ينفعون إلَّا من علَّمهم الدين وأوصاهم بالحق.

ويَحتمل أيضًا أن يكون متصلًا، ويكون قوله: ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ بدلًا من قوله: ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ علىٰ حذف مضاف تقديره: إلَّا مالُ من أتىٰ الله وبنوه. ويحتمل أن يكون منقطعًا بمعنىٰ: «لكن».

(٩٠) ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: قُرِّبت.

(٩١) ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ يعني: المشركين؛ بدلالة ما بعده.

---

(١) في ج، د: «كلماته».

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في أ، ب، د، هـ: «بديع»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف.

(٤) الكشاف (١١/ ٣٨١).

(٩٤) ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا﴾ كبكبوا: مضاعف مِن «كَبَّ»[١] كُرِّرت حروفه؛ دلالة على تكرير معناه، أي: كبَّهم الله في النار مرةً بعد مرة. والضمير للأصنام، و﴿الْغَاوُنَ﴾ هم المشركون، وقيل: الضمير للمشركين، و﴿الْغَاوُنَ﴾ هم الشياطين.

(٩٨) ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: نجعلكم سواءً معه.

(٩٩) ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يعني: كبراءهم، وأهل الجُرْم والجُرْأة منهم.

(١٠١) ﴿حَمِيمٍ﴾ أي: خالص الودِّ. قال الزمخشري: جمَع الشفعاء ووحَّد الصديق؛ لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الأصدقاء[٢].



(١) في ب، ج: «مضاعف مركب»!

(٢) الكشاف (١١/ ٣٨٦).

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ اِ۬لْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُۥٓ أَخُوهُمْ نُوحٌ اَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
ءَامِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ اَجْرٍ اِنَ اَجْرِيَ إِلَّا عَلَيٰ رَبِّ
اِ۬لْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞قَالُوٓاْ أَنُومِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ اَ۬لَارْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا
عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمُۥٓ إِلَّا عَلَيٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ
اِ۬لْمُومِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَ اَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ اَ۬لْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ اَ۬لْمُومِنِينَ ﴿١١٨﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي اِ۬لْفُلْكِ اِ۬لْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ اُ۬لْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَ۬لْعَزِيزُ اُ۬لرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

﴿١٢٨﴾ ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ **الرِّيع**: المكان المرتفع، **وقيل**: الطريق.

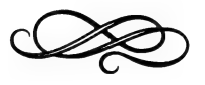
﴿ءَايَةً﴾ **يعني**: المبانيَ الطِّوال، **وقيل**: أبراج الحمام.

﴿١٢٩﴾ ﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مَصنع، وهو ما أُتقِن صُنْعُه من المباني، **وقيل**: مآخذ الماء.

﴿١٣٢﴾-﴿١٣٣﴾ ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ﴾ الآيةَ: تفسير لقوله ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فأَبْهَمَ أوَّلًا، ثم فسَّره.

﴿١٣٧﴾ ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ **بضم الخاء واللام**[1]: أي: عادتهم، **والمعنى**: أنهم قالوا: ما هذا الذي نحن عليه من ديننا ومبانينا[2] إلَّا عادة الناس الأوَّلين.

وقرئ بفتح الخاء وإسكان اللام، ويَحتمل على هذا وجهين: أحدهما: أنها بمعنى الخِلْقة، **والمعنى**: ما هذه الخلقة التي نحن عليها إلَّا خِلْقة الأولين. **والآخر**: أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، **والمعنى**: ما هذا الذي جئتَ به إلَّا كذب الأولين.



(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الخاء وإسكان اللام، وقرأ الباقون بضمهما.

(٢) سقطت هذه الكلمة من أ، ب، هـ.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ *أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

﴿١٤٦﴾ ﴿أَتُتْرَكُونَ﴾ تخويفٌ لهم، معناه: أتطمعون أن تُتركوا في النعم علىٰ كفركم.

﴿١٤٨﴾ ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ **الطَّلع**: عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكِمِّ، **والهضيم**: اللين الرَّطْب، **فالمعنىٰ**: أنَّ طَلْعها يتمُّ ويَرطب. **وقيل**: هو الرَّخْص[1] أول ما يخرج، **وقيل**: الذي ليس فيه نوىٰ.

فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات، والجنات تحتوي علىٰ النخل؟ **فالجواب**: أن ذلك تجريدٌ، كقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٧]. ويَحتمل أنه أراد: الجنات التي ليس فيها نخل، ثم عَطف عليها النخل.

﴿١٤٩﴾ ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ ذكر في «**الأعراف**»[2].

﴿فَرِهِينَ﴾ قرئ بألف وبغير ألف[3]، وهو منصوب علىٰ الحال من الفاعل في ﴿تَنْحِتُونَ﴾. وهو مشتق من الفَراهة وهي النشاط والكَيْس، **وقيل**: معناه: أقوياء، **وقيل**: أَشِرين بَطِرين.

---

(١) الرَّخْص: الشيء الناعم. كما في القاموس المحيط.

(٢) انظر تفسير الآية (٧٣).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بغير ألف، وقرأ الباقون بألف.

(١٥٣) ﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ مبالغةٌ في المسحورين، وهو من السِّحْر -بكسر السين-. **وقيل:** من السَّحر -بفتح السين- وهي الرِّئة، **والمعنىٰ علىٰ هذا:** إنما أنت بشر.

(١٥٥) ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ أي: حظٌّ من الماء.

(١٥٧) ﴿فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ﴾ لما تغيرت ألوانهم حسَبما أخبرهم صالح عليه السلام ندموا حين لم تنفعهم الندامة، فأخذتهم الصيحة التي ماتوا منها، وهي العذاب المذكور هنا.



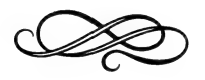
كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

﴿١٦٨﴾ ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: من المبغِضين. وفي قوله: ﴿قَالَ﴾ ، و﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ ضربٌ من ضروب التجنيس.

﴿١٦٩﴾ ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: نجِّني من عقوبة عملهم، أو اعصمني من عملهم، والأول أرجح.

﴿١٧١﴾_﴿١٧٣﴾ ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني: امرأة لوط.

﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ذُكر في «الأعراف»[1]، وكذلك ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾.



(١) انظر تفسير الآية (٨٢).

كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لَيْكَةَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ اَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ اَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنَ اَجْرٍ اِنَ اَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ *أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِالْقُسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْاَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُواْ ٱلذِے خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ ٱلْاَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ اِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ اِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

﴿١٧٦﴾ ﴿أَصْحَٰبُ لَيْكَةَ﴾ **قرئ بالهمز وخفض التاء**[1]، مثل الذي في «**الحجر**» و«ق»، ومعناه: الغَيْضة من الشجر.

وقرئ هنا وفي «ص» **بفتح اللام والتاء: فقيل**: إنه مسهَّلٌ من الهمز. **وقيل**: إنه اسم بلدهم، ويقوِّي هذا القول بأنه -علىٰ هذه القراءة بفتح التاء- غير منصرف، فدلَّ[2] ذلك علىٰ أنه اسمٌ عَلَمٌ. **وضعَّف ذلك الزمخشري**، وقال: إن «لَيْكَة» اسمٌ لا يُعرف[3].

﴿١٧٧﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ **لمْ يقل هنا «أخوهم» كما قال في قصة نوح وغيره!**

فقيل: إن شعيبًا عليه السلام بُعث إلىٰ مدين، وكان من قبيلتهم، فلذلك قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ [الأعراف: ٨٥]، وبعث أيضًا إلىٰ أصحاب الأيكة ولم يكن منهم، فلذلك لم يقل «أخوهم»، فكان شعيبٌ عليه السلام علىٰ هذا مبعوثًا إلىٰ قبيلتين[4].

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر هنا وفي «ص»: ﴿لَيْكَةَ﴾ بلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها ولا همزة بعدها وبفتح تاء التأنيث وصلًا، وقرأ الباقون بألف وصل مع إسكان اللام وهمزة مفتوحة بعدها وخفض تاء التأنيث.

(٢) في ج، د: «يدل».

(٣) الكشاف (١١/ ٤١١).

(٤) في أ، ب: «القبيلتين».

وقيل: إن أصحاب الأيكة هم مدين، ولكنه قيل[1] «أخوهم» حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يقل «أخوهم» حين نسبهم إلىٰ الأيكة التي هلكوا فيها؛ تنزيهًا[2] لشعيبٍ عليه السلام عن النسبة إليها.

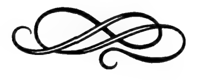
﴿١٨١﴾ ﴿مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكيل والوزن.

﴿١٨٢﴾ ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾ الميزان المعتدل.

﴿١٨٤﴾ ﴿وَالْجِبِلَّةَ﴾ يعني: القرونَ والأمم المتقدِّمة.

﴿١٨٩﴾ ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ هي سحابة[3] من نار أحرقتهم، فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظُّلة.

فإن قيل: لم كرَّر قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ مع كل قصة؟ **فالجواب**: أن ذلك أبلغُ في الاعتبار، وأشدُّ تنبيهًا للقلوب، وأيضًا فإن كل قصة منها كأنها كلامٌ قائم مستقل بنفسه، فخُتمت بما خُتمت به صاحبتها.



(١) في د: «قال».

(٢) في ج: «تشريفًا».

(٣) في ج، د: «سحابٌ».

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ *وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٠﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١١﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٢﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٤﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٥﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٦﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٧﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢١٩﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢٠﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢١﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٢﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٦﴾

﴿١٩٢﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الضمير للقرآن.

﴿١٩٣﴾ ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

﴿١٩٤﴾ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ إشارةٌ إلىٰ حفظه إياه؛ لأن القلب هو الذي يَحفظ.

﴿١٩٥﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ يعني: كلام العرب، وهو متعلق بـ﴿نَزَلَ﴾، أو ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

﴿١٩٦﴾_﴿١٩٧﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المعنىٰ: أن القرآن مذكورٌ في كتب المتقدِّمين، ففي ذلك دليلٌ علىٰ صحته، ثم أقام الحجة علىٰ قريش بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ والمعنىٰ: أنَّ عِلْمَ بني إسرائيل بأنه من عند الله آيةٌ لكم وبرهان،

والمراد: مَن أسلم مِن بني إسرائيل، كعبد الله بن سلَام ﷺ، وقيل: الذين كانوا يبشرون بمبعثه ﷺ.

(١٩٨) ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ الآية؛ ﴿ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم، وهو الذي لا يتكلم، سواءٌ كان إنسانًا أو بهيمةً أو جمادًا. والأعجميُّ: المنسوب إلىٰ العَجَم، وقيل: هو بمعنىٰ الأعجم.

ومعنىٰ الآية: أن القرآن لو نزل علىٰ من لا يتكلم، ثم قرأه عليهم لم يؤمنوا؛ لإفراط عنادهم، ففي الآية[١] تسليةٌ للنبيِّ ﷺ عن كفرهم به مع وضوح برهانه.

(٢٠٠)-(٢٠١) ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ معنىٰ ﴿سَلَكْنَـٰهُ﴾: أدخلناه. والضمير للتكذيب الذي دلَّ عليه ما تقدَّم من الكلام، أو للقرآن، أي: سلكناه في قلوبهم مكذَّبًا به. وتقدير قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل هذا السَّلْك سلكناه. و﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يحتمل أن يريد به: قريشًا، أو الكفارَ المتقدِّمين. و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: تفسيرٌ للسَّلْك الذي سَلك[٢] في قلوبهم.

(٢٠٣) ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ تمنَّوا أن يؤخَّروا حين لم ينفعهم التمني.

(٢٠٤) ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ توبيخٌ لقريش علىٰ استعجالهم بالعذاب في قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال:٣٢] وشبه ذلك.

(٢٠٥) ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ﴾ المعنىٰ: أن مدَّة إمهالهم لا تغني مع نزول العذاب بعدها، وإن طالت مدةَ سنين؛ لأن كل ما هو آتٍ قريبٌ. قال بعضهم: ﴿سِنِينَ﴾ يراد[٣] به عمر الدنيا.

(٢٠٨) ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ المعنىٰ: أن الله لم يهلك قومًا إلَّا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولًا فأنذرهم فكذبوه.

---

(١) في ج، د، هـ: «ذلك».

(٢) في ج: «سلكه».

(٣) في ج، د: «يريد».

﴿٢٠٩﴾ ﴿ذِكْرَىٰ﴾ منصوبٌ على المصدر من معنى الإنذار، أو على الحال من الضمير من ﴿مُنذِرُونَ﴾، أو على المفعول من أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر.

﴿٢١٠﴾ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ الضمير للقرآن، وهذا ردٌّ على من قال: إنه كهانة نزلت[1] بها الشياطين على محمد ﷺ.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ما يمكنهم ذلك ولا يقدرون عليه. ولفظ «ما ينبغي» تارةً يستعمل بمعنى: لا يمكن، و[2] بمعنى: لا يليق.

﴿٢١١﴾ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ تعليلٌ لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة؛ لأنهم مُنعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ، وقد كان أمر الكهان كثيرًا منتشرًا قبل ذلك.

﴿٢١٣﴾ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ عشيرة الرجل: هم قرابته الأدنَون، ولما نزلت هذه الآية أنذر النبي ﷺ أقاربه فقال: «يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار»، ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية[3].

قال الزمخشري: في معناها قولان: أحدهما: أنه أُمر بأن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس. والآخر: أنه أُمر أن لا يأخذه ما يأخذُ القريبَ من الرأفة بقريبه، ولا يُحابيهم بالإنذار[4].

﴿٢١٤﴾ ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ عبارةٌ عن لين الجانب والرفق وعن التواضع.

﴿٢١٧﴾ ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي: حين تقوم في الصلاة، ويَحتمل أن يريد سائر التصرفات.

﴿٢١٨﴾ ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ معطوفٌ على الضمير المفعول في قوله: ﴿يَرَىٰكَ﴾، والمعنى: أنه يراك حين تقوم وحين تسجد. وقيل: معناه: يرى صلاتك مع المصلين، ففي ذلك

---

(١) في ج: «تنزلت».

(٢) في د: «وتارةً».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤، ٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الكشاف (١١/ ٤٣٠).

إشارةٌ إلىٰ الصلاة في[1] الجماعة. وقيل: يرىٰ تقلُّب بصرك في المصلين خلفك؛ لأنه ﷺ كان يراهم من وراء ظهره.

(٢٢٢) ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هذا جواب السؤال المتقدِّم وهو قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، والأفَّاك: الكذَّاب، والأثيم: الفاعل للإثم، ويعني بذلك الكهان.

وفي هذا ردٌّ علىٰ من قال: إن الشياطين تنزلت علىٰ محمد ﷺ بالكهانة؛ لأنها لا تتنزَّل إلَّا علىٰ أفاكٍ أثيم، وكان ﷺ في غاية الصدق والبرِّ.

(٢٢٣) ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ معناه: يستمعون، والضمير يَحتمل: أن يكون للشياطين؛ بمعنىٰ: أنهم يستمعون إلىٰ الملائكة. أو يكون للكهان؛ بمعنىٰ: أنهم يستمعون إلىٰ الشياطين.

وقيل: ﴿يُلْقُونَ﴾ بمعنىٰ: يلقون المسموعَ، والضمير يحتمل أيضًا علىٰ هذا: أن يكون للشياطين؛ لأنهم يلقون الكلام إلىٰ الكهان. أو يكون للكهان؛ لأنهم يلقون الكلام إلىٰ الناس.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ يعني: الشياطينَ، أو الكهانَ؛ لأنهم يَكْذِبون فيما يخبرون به عن الشياطين.

﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ لما ذَكر الكهان ذكر الشعراء؛ ليبين أن القرآن ليس بكهانة ولا شعر؛ لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة.

وأراد: الشعراء الذين يُلقون من الشعر ما لا ينبغي، كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك، وقيل: أراد شعراء الجاهلية، وقيل: شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم.

و﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ قيل: هم رواة الشعر، وقيل: هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار؛ لما فيها من اللغو والباطل، وقيل: هم الشياطين.

---

(١) في ج، د: «مع».

(٢٢٥) ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارةٌ وتمثيل؛ أي: يذهبون في كل وجهٍ من الكلام الحق والباطل، ويُفْرِطون في التجوُّز حتىٰ يَخرجوا[1] إلىٰ الكذب.

(٢٢٦) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآيةَ؛ استثناءٌ من الشعراء يعني به: شعراء المسلمين؛ كحسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف. وقيل: إن هذه الآية مدنية.

﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ قيل: معناه: ذكروا الله في أشعارهم، وقيل: يعني الذكرَ علىٰ الإطلاق.

﴿وَانتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ إشارةٌ إلىٰ ما قاله حسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره من الشِّعر في هجو الكفار بعد أن هجا الكفارُ النبي ﷺ والمسلمين.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وعيدٌ للذين ظلموا، والظلم هنا: بمعنىٰ الاعتداء علىٰ الناس؛ لقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾.

وعَمِل ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ في ﴿أَيَّ﴾ لتأخُّره، وقيل: إن العامل في ﴿أَيَّ﴾: ﴿سَيَعْلَمُ﴾[2].

---

(١) في ج: «يخرجون».

(٢) قال في الدر المصون (٨/ ٥٦٧): «قوله: ﴿أيَّ منقلب﴾ منصوب علىٰ المصدر، والناصب له ﴿ينقلبون﴾ وقُدِّم لتضمنه معنىٰ الاستفهام، وهو معلَّق لـ﴿سيعلم﴾ سادًّا مسدَّ مفعوليها».



طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدىً وَبُشْرىٰ لِلْمُومِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُوتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمُۥٓ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ *وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيَ ءَانَسْتُ نَاراً سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ اَوَ اٰتِيكُم بِشِهَابِ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسىٰ لَا تَخَفِ اِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناًۢ بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ اِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمُۥٓ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

﴿١﴾ **﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ عطَف الكتاب علىٰ القرآن كعطف الصفات بعضِها علىٰ بعض، وإن كان الموصوف واحدًا.**

﴿٢﴾ **﴿هُدىً وَبُشْرىٰ﴾ في موضع نصْبٍ علىٰ المصدر، أو في موضع رفْعٍ علىٰ أنه خبر ابتداء مضمر.**

﴿٣﴾ **﴿وَهُم بِالْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ تَحتمل هذه الجملة: أن تكون معطوفة، فتكون بقية صلة ﴿ٱلذِينَ﴾. أو تكون مستأنَفةً وتمَّت الصلة قبلها. ورجَّح الزمخشري هذا[1].**

---

(١) الكشاف (١١/ ٤٥٤).

﴿٤﴾ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيَّرون.

﴿٥﴾ ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني: في الدنيا، وهو القتل يوم بدر. ويَحتمل أن يريد عذاب الآخرة، والأول أرجح؛ لأنه ذَكر الآخرة بعد ذلك.

﴿٦﴾ ﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: تُعطاه.

﴿٧﴾ ﴿ءَانَسْتُ﴾ ذكر في «طه»[1]، وكذلك ﴿قَبَسٍ﴾. والشِّهاب: النجم، شبَّه القبس به. وقرئ[2] بإضافة ﴿بِشِهَابٍ﴾ إلىٰ ﴿قَبَسٍ﴾، وبالتنوين، علىٰ البدل أو الصفة. فإن قيل: كيف قال هنا: ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ وفي الموضع الآخر: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ [طه: ٩]، والفرق بين الترجي والتسويف: أن التسويف متيقَّن الوقوع بخلاف الترجي؟ فالجواب: أنه قد يقول الراجي: «سيكون كذا» إذا قوي رجاؤه.

﴿تَصْطَلُونَ﴾ معناه: تستدفئون بالنار من البرد، ووزنه تفتعِلون، وهو مشتقٌّ مِن صَلِيَ بالنار، والطاء فيه بدل من التاء.

﴿٨﴾ ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ﴿أَنۢ﴾ مفسِّرة، و﴿بُورِكَ﴾ من البركة، و﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: يعني مَن في مكان النار، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: مَن حول مكانها: يريد الملائكة الحاضرين وموسىٰ ﵇. وقال الزمخشري: والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض، وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام[3].

﴿وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسىٰ ﵇، أو يكون مستأنَفًا. وعلىٰ كلا الوجهين قُصد به: تنزيه الله مما عسىٰ أن يخطر ببال السامع في معنىٰ النداء، و[4]في قوله: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؛ إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيه الله عنه[5].

---

(١) انظر تفسير الآية (٩).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتنوين، وقرأ الباقون بالإضافة.

(٣) الكشاف (١١/ ٤٦٤).

(٤) في أ، ج: «أو».

(٥) [التعليق ٨١] قال الشيخ عبد الرحمن البرّاك: قولُ المؤلِّفِ ﵀: «﴿وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨]، يَحتمِلُ أن يكونَ مما قيل في النداءِ لموسىٰ عليه السلام ...»، إلخ:

=

﴿١٠﴾ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هذه الجملة معطوفةٌ علىٰ قوله: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؛ لأن المعنىٰ: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك؛ فكلاهما تفسيرٌ للنداء.

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ **الجان**: الحية، **وقيل**: الحية الصغيرة، وعلىٰ هذا يُشكل قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ [الأعراف: ١٠٦]! **والجواب**: أنها ثعبان في جِرْمها، جانٌّ في سرعة حركتها.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع، أو لم يلتفت.

﴿١١﴾ ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ **استثناء منقطع**، تقديره: لكن مَن ظلم من سائر الناس، لا من المرسلين. **وقيل**: **إنه متصل**؛ علىٰ القول بتجويز الذنوب علىٰ الأنبياء، **وهذا بعيد**؛ لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب، وأيضًا فإن تسميتَهم ظالمين شنيعٌ (علىٰ القول بتجويز الذنوب عليهم)(١).

﴿بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أي: عمل عملًا صالحًا.

= **أقولُ**: الأظهَرُ: أنَّ ذلك مِن جملةِ ما قِيلَ لموسىٰ عليه السلامُ في النداءِ، وهو مع ذلك دالٌّ علىٰ تنزيهِ اللهِ عن كلِّ نقص، والتنزيهُ: هو مدلولُ الكلمةِ في كلِّ مواردها، وفي هذا تعليمٌ لموسىٰ عليه السلام ما يستحِقُّهُ الربُّ مِن التنزيه؛ كما علَّمه تعالىٰ ما يستحِقُّهُ من الإلهيَّةُ والربوبيَّةُ والتنزيهُ عن الشركِ في قولِه: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٣-١٤]، وقولِه: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وأمَّا قولُ المؤلِّفِ: «أو يكونَ مستأنَفًا؛ وعلىٰ كلا الوجهَيْنِ: قُصِدَ به تنزيهُ اللهِ»:

فهذا القَدْرُ مِن عبارتِهِ صحيحٌ، ولا إشكالَ فيه؛ ولكنه - عفا الله عنه - قيَّد التنزيهَ بقولِه: «مما عسىٰ أن يخطُرَ ببالِ السامعِ في معنىٰ النداءِ ...»، إلخ، وقد أجمَلَ وأبهَمَ ما عسىٰ أن يخطُرَ ببالِ السامعِ مِن معنىٰ النداءِ، وكذا لم يوضِّحْ ما قاله بعضُ الناسِ في الآيةِ مما يجبُ تنزيهُ اللهِ عنه.

ولهذا صار كلامُهُ غامضًا لا يفيدُ السامعَ معنىٰ محدَّدًا، ولا يَفهَمُ مرادَهُ إلا مَن يَعرِفُ مذهبَهُ في كلامِ الله.

وإذْ قد عُلِمَ مما تقدَّم: أنَّ المؤلِّفَ علىٰ طريقةِ الأشاعرةِ، ومذهبُ الأشاعرةِ في كلامِ اللهِ: أنه معنًىٰ نفسيٌّ قديمٌ، ليس بصوتٍ ولا حرفٍ، ولا يكونُ بمشيئتِهِ -: **فالذي يَحذَرُهُ المؤلِّفُ**: أن يُفهَمَ مِن لفظِ النداءِ: أنَّ كلامَهُ تعالىٰ بصوتٍ؛ لأنَّ النداءَ: هو الخطابُ بصوتٍ رفيعٍ مسموعٍ، ومذهَبُ أهلِ السُّنَّةِ: أنَّ كلامَ اللهِ يكونُ بصوتٍ، مناداةً ومناجاةً؛ فاللهُ نادىٰ موسىٰ وناجاه.

وأمَّا قولُهُ: «قال بعضُ الناسِ فيه ما يجبُ تنزيهُ اللهِ عنه»، فلعلَّه يريدُ قولَ مَن قال: «المرادُ بـ«مَنْ فِي النَّارِ»: هو اللهُ»؛ وهذا القولُ يَستعظِمُهُ مَن لم يَعرِفْ مرادَ مَن قال ذلك مِن السلفِ؛ فقد جاء عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «أَنْ بُورِكَ»: أنْ قُدِّسَ، وأنَّ النارَ هي نُورٌ، وبمعرفةِ ذلك يزولُ الإشكال.

(١) في هامش ب بدل هذه العبارة: «ولو علىٰ القول بتجويز الذنوب الصغائر عليهم» وصحح عليه.

(١٢) ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر في «طه»[1].

﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ متصل بقوله: ﴿أَلْقِ﴾ و﴿أَدْخِلْ﴾، تقديره: نيسِّر لك ذلك في جملة تسع آيات. وقد ذُكرت الآيات التسع في «الإسراء»[2].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلِّق بفعل محذوف يقتضيه الكلام، تقديره: اذهب بالآيات التسع إلىٰ فرعون.

(١٣) ﴿مُبْصِرَةً﴾ أي: ظاهرةً واضحة الدلالة، أَسند الإبصار لها مجازًا، وهو في الحقيقة لمتأمِّلها.

(١٤) ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقَّنوا أنها الحق، فكُفْرهم عنادٌ، ولذلك قال فيه: ﴿ظُلْمًا﴾، والواو فيه واو الحال، وأضمرت بعدها «قد».

﴿وَعُلُوًّا﴾ يعني: تكبُّرًا.



(١) انظر تفسير الآية (٢١)، ولم يذكر هناك معنىٰ الجيب هناك، وإنما ذكر تفسير بقية الآية، وذكر تفسير الجيب في سورة القصص آية (٣٢).

(٢) انظر تفسير الآية (١٠١).

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْماً وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِے فَضَّلَنَا عَلَيٰ كَثِيرٖ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُومِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَےْءٍ اِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ *وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَالِانسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّيٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَيٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيَ أَنَ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِے أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَيٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنَ اَعْمَلَ صَٰلِحاً تَرْضِيٰهُ وَأَدْخِلْنِے بِرَحْمَتِكَ فِے عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَاباً شَدِيداً اَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَاتِيَنِّے بِسُلْطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكُثَ غَيْرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ اِنِّے وَجَدتُّ إِمْرَأَةٗ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَےْءٖ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِے يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِے ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ *قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ إِذْهَب بِّكِتَٰبِے هَٰذَا فَأَلْقِهِۦٓ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّيَ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ اِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَاتُونِے مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

﴿١٦﴾ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ أي: ورث عنه النبوة والعلم والملك.

﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: فُهِّمنا من أصوات الطير المعانيَ التي في نفوسها.

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَےْءٍ﴾ عمومٌ معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ التكثير، كقولك: فلان يقصده كل أحد. وقوله: ﴿عُلِّمْنَا﴾ ﴿وَأُوتِينَا﴾ يحتمل أن يريد نفسه وأباه، أو نفسه خاصةً علىٰ وجه التعظيم؛ لأنه كان ملكًا.

﴿١٧﴾ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان ﷺ اختلافًا شديدًا، تركنا ذكره؛ لعدم صحته.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُكَفُّون ويردُّ أولهم إلىٰ آخرهم، ولا بدَّ لكل ملك أو حاكم من وَزَعَةٍ يَدفعون الناس.

(١٨) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ ظاهر هذا: أن سليمان عليه السلام وجنودَه كانوا مشاةً بالأرض أو ركبانًا، حتىٰ خافت منهم النملة. ويَحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح، وأحسَّت النملة بنزولهم في وادي النمل.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ النمل حيوان فَطِنٌ، قويُّ الحِس، يدَّخر قُوتَه، ويقسم الحبة بقسمين؛ لئلا تنبت، ويقسم حبة الكُزْبُر بأربع قطع؛ لأنها تنبت إذا قسمت علىٰ اثنين، ولإفراط إدراكها قالت هذا القول، ورُوي أن سليمان عليه السلام سمعه، وكان بينه وبينها ثلاثة أميال[1]، وذلك لا يسمعه البشر إلَّا من خصَّه الله بذلك.

﴿ٱدْخُلُواْ﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء؛ لأنها أمرتهم بما يُؤمر به العقلاء.

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يَحتمل أن يكون جوابًا للأمر، أو نهيًا بدلًا من الأمر؛ لتقارب المعنىٰ.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الضمير لسليمان عليه السلام وجنوده، والمعنىٰ: اعتذارٌ عنهم لو حَطَموا النمل؛ أي: لو شعَروا بهم لم يَحطِموهم.

(١٩) ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ تبسَّم لأحد أمرين:

أحدهما: سرورُه بما أعطاه الله.

والآخر: ثناءُ النملة عليه وعلىٰ جنوده، فإن قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وصفٌ لهم بالتقوىٰ والتحفُّظ من مضرَّة الحيوان.

(٢٠) ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ اختلَف الناس في معنىٰ تفقُّده للطير: فقيل: ذلك عنايةً بأمور ملكه. وقيل: لأن الطير كانت تُظِلُّه، فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه.

﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ فإنه نظر إلىٰ مكان الهدهد فلم يبصره، ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أي: لا أراه ولعله حاضرٌ وستره ساتر، ثم عَلم أنه غائب فأخبر بذلك.

---

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣/ ٢٩٩).

﴿٢١﴾ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ روي أن تعذيبه للطير كان بنتف ريشه[1].

﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي حجةٍ بينة.

﴿٢٢﴾ ﴿فَمَكُثَ﴾ أي: أقام، ويجوز فتح الكاف وضمها، وبالفتح قرأ عاصم[2]. والفعل يَحتمل أن يكون مسندًا إلىٰ سليمان ﷺ، أو إلىٰ الهدهد، وهو أظهر.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يعني: زمانًا قريبًا.

﴿أَحَطتُ﴾ أي: أحطت علمًا بما لم تعلمْه.

﴿مِن سَبَإٍ﴾ هي[3] قبيلةٌ من العرب، وجدُّهم الذي يُعرَفون به: سبأُ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ومَن صرَفه[4] أراد الحيَّ أو الأب، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة. وقرئ بالتسكين؛ لتوالي الحركات. وعلىٰ القراءة بالتنوين يكون في قوله: ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ ضربٌ من أدوات البيان، وهو التَّسجيع[5].

﴿٢٣﴾ ﴿وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ المرأة: بلقيس بنت شُراحيل، كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها، فغَلَبت بعده علىٰ الملك. والضمير في ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ يعود علىٰ سبإٍ، وهم قومها.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عمومٌ يراد به الخصوص فيما يحتاجه الـمَلِك.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: سرير ملكها. ووقف بعضهم علىٰ ﴿عَرْشٌ﴾، ثم ابتدأ ﴿عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا﴾ علىٰ تقدير: عظيمٌ أَنْ وجدتها وقومها يسجدون للشمس. وهذا خطأ، وإنما حمَله عليه الفرارُ من وصف عرشها بالعظمة.

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٣)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٦٢) عن ابن عباس ﷺ ومجاهد وغيرهما.

(٢) وقرأ الباقون بالضم.

(٣) في ج، د: «يعني».

(٤) قرأ أبو عمرو والبزي عن ابن كثير بفتح الهمزة من غير تنوين، وروىٰ قنبل عن ابن كثير بإسكان الهمزة، وقرأ الباقون بالخفض والتنوين.

(٥) في أ، ب، هـ: «التجنيس»، وانظر الباب العاشر من المقدمة الأولىٰ.

﴿٢٥﴾ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ من كلام الهدهد، أو من كلام الله. **وقرأه الجمهور بالتشديد**[1]، و«أَنْ»: في موضع نصبٍ على البدل من ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ . أو في موضع خفض على البدل من ﴿السَّبِيلِ﴾ . أو يكون التقدير: «لا يهتدون لأن يسجدوا» فحَذف اللام، وزاد «لا».

وقرئ **بالتخفيف** على أن تكون «أَلَا» حرفَ تنبيهٍ، وأن تكون الياء للنداء[2]، فيوقف عليها بالألف على تقدير: «يا قوم» ثم يَبتدئ: «اسجدوا».

﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ **الخبءُ في اللغة**: الخفي، **فقيل**: معناه هنا: الغيب، **وقيل**: يخرج النبات من الأرض. واللفظ يعمُّ كل خفيٍّ، وبه فسره ابن عباس رضي الله عنهما[3].

﴿٢٨﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: تنحَّ إلى مكان قريب؛ لتسمع ما يقولون، وروي أنه دخل عليها من كَوَّة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكَوة[4]. **وقيل**: إن التقدير: انظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم، فهو من المقلوب، والمعنى الأول أحسن.

﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ من قوله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ [سبأ: ٣١].

﴿٢٩﴾ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ **قبلَ هذا الكلام محذوفٌ**، تقديره: فألقى الهدهدُ إليها الكتاب فقرأته، ثم جمعت[5] أهل ملكها فقالت لهم: يا أيها الملأ.

﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ **وصفته بالكرَم** لأنه من عند سليمان عليه السلام، أو لأن فيه اسم الله، أو لأنه مختوم، كما جاء في الحديث: «كرم الكتاب ختمه»[6].

---

(١) قرأ الكسائي بتخفيف اللام ويقفُ ﴿أَلَا يا﴾ ويبتدئ ﴿اسجدوا﴾ بهمزة مضمومة على الأمر، فهو في تقدير: أَلَا يا هؤلاء اسجدوا، فهو كلمتان فمن ثَمَّ فُصلت وقفًا، وقرأ الباقون بتشديد اللام و﴿يسجدوا﴾ كلمة واحدة، فلذا لم تفصل.

(٢) في ج، د: «تكون ياء النداء».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٦٨) من طريق العوفي عنه رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٤٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٧٠) عن قتادة.

(٥) في أ، ب، هـ: «فجمعت».

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٠/ ٢٣٩)، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٥٨)، والطبراني في الأوسط (٤/ ١٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، بلفظ: «كرامة الكتاب ختمه»، وهو حديث ضعيف جدًّا، في إسناده محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك متهم بالكذب. انظر: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/ ١٦)، ومجمع الزوائد (٨/ ١٨٦).

(٣٠) ﴿مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ **يَحتمل أن يكون هذا نصَّ الكتاب بدأ فيه بالعُنوان، وأن يكون من كلامها؛ أخبرتهم أن الكتاب من سليمان.**

(٣١) ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ **يَحتمل أن يكون من الانقياد؛ بمعنى: مستسلمين، أو يكون من الدخول في الإسلام.**



قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ *قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٣﴾ ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾ يحتمل أن يريد قوة الأجساد، أو قوة الملك والعُدد والعَدد[1].

﴿٣٤﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله تعالىٰ؛ تصديقًا لقولها، فيوقف علىٰ ما قبله. أو من كلام بلقيس تأكيدًا للمعنىٰ الذي أرادته، أو تعني: كذلك يفعل هؤلاء بنا.

﴿٣٥﴾ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ قالت لقومها: إني أجرِّب[2] هذا الرجل بهدية من نفائس الأموال، فإن كان ملكًا دنياويًّا: أرضاه المال، وإن كان نبيًّا لم يرضه المال، وإنما يرضيه دخولُنا في دينه، فبعثت إليه هديةً عظيمة وصفها الناس، واختصرنا وصفها؛ لعدم صحته.

(١) هذه الكلمة سقطت من أ، ج، د.

(٢) في أ، ب، هـ: «مجربة».

(٣٧) ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ إنكارٌ للهدية؛ لأن الله أغناه عنها بما أعطاه.

﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي: أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها، وأنا لست كذلك.

(٣٨) ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ خطابٌ للرسول، وقيل: للهدهد، والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ مسندٌ إلىٰ الرسول.

﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بها.

(٣٩) ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ **القائل**: سليمان ﷺ، **والملأ**: جَمْعُه من الجن والإنس. وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين؛ لأنه وُصف له بعظمةٍ، فأراد أَخْذه قبل أن يُسلموا فيمنعَ إسلامُهم من أخذ أموالهم، فـ﴿مُسْلِمِينَ﴾ علىٰ هذا: من الدخول في دين الإسلام. **وقيل**: إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه؛ ليُظهِر لهم قوَّته، فـ﴿مُسْلِمِينَ﴾ علىٰ هذا: بمعنىٰ منقادين.

(٤٠) ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ روي عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت: الكودن[1].

﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ قبل أن تقوم من مجلس الحكم، وكان يجلس من غُدْوةٍ[2] إلىٰ الظهر. **وقيل**: معناه: قبل أن تستوي من جلوسك قائمًا.

(٤١) ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هو آصَف، وكان رجلًا صالحًا من بني إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم، **وقيل**: هو الخَضِر، **وقيل**: هو جبريل، **والأول أشهر**. **وقيل**: هو سليمان، **وهذا بعيد**.

﴿آتِيكَ بِهِ﴾ **في الموضعين**: يَحتمل أن يكون: فعلًا مستقلًّا، أو اسمَ فاعل.

﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ **الطَّرف**: العين، فالمعنىٰ: قبل أن تُغمِض بصرك إذا نظرت إلىٰ شيء. **وقيل**: **الطرف**: تحريك الأجفان إذا نظرت.

---

(١) كذا في النسخ الخطية بالدال، وذكره النحاس في إعراب القرآن (٥/ ١٣٣) عن وهب، وقال: اسمه: كوذن -بالذال-، وأخرجه الطبري (١٨/ ٦٦-٦٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٨٤) عن وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي، وقال: اسمه: كوزن -بالزاي-، وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن رومان قال: اسمه كوزىٰ.

(٢) في د: «من الصبح».

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ **قبلَ هذا محذوفٌ**، تقديره: **فجاء الذي عنده علمٌ من الكتاب** بعرشها. ومعنىٰ ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾: حاصلًا عنده، وليس هذا بـ«مستقرٍّ» الذي يقدِّر النحويون تعلُّقَ المجرورات به، خلافًا لمن فهم ذلك[١].

﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: منفعةُ الشكر لنفسه.

(٤١) ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ **تنكيره**: تغيير وصفه وسَتر بعضه، **وقيل**: الزيادة فيه والنقص منه. وقصَد بذلك اختبار عقلها وفهمها.

﴿أَتَهْتَدِىٓ﴾ **يَحتمل أن يريد تهتدي** لمعرفة عرشها، أو للجواب عنه إذا سئلت، أو للإيمان.

(٤٢) ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ كان عرشها قد وصل إلىٰ سليمان ﷺ قبلها، فأَمر بتنكيره، وأن يقال لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: أمثل[٢] هذا عرشك؟ (ولم يقل لها: «أهذا عرشك؟»)[٣]؛ لئلا تَفْطَن أنه هو، فأجابت بقولها: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ جوابًا علىٰ نحو السؤال، ولم تقل: «هو هو»؛ تحرُّزًا من الكذب، أو من التَّحقيق في محل الاحتمال.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ هذا من كلام سليمان ﷺ وقومه، لما رأوها قد آمنت قالوا ذلك؛ اعترافًا بنعمة الله عليهم في أَنْ آتاهم العلم قبل بلقيس، وهداهم للإسلام قبلها.

والجملة معطوفة علىٰ كلام محذوف تقديره: قد أَسلمتْ هي وعلمتْ وَحدانيةَ الله وصحةَ النبوَّة وأوتينا نحن العلم قبلها.

(٤٣) ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **هذا يَحتمل أن يكون من كلام سليمان** ﷺ وقومه، **أو** من كلام الله تعالىٰ. **ويَحتمل أن يكون** ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ﴾: **فاعلًا، أو مفعولًا. فإن كان فاعلًا: فالمعنىٰ**: صدَّها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام حتىٰ إلىٰ هذا الوقت. **وإن كان مفعولًا: فهو** علىٰ إسقاط حرف الجر، **والمعنىٰ**: صدَّها اللهُ أو سليمانُ عمَّا كانت تعبد من دون الله، فدخلت في الإسلام.

---

(١) انظر: البحر المحيط (١٦/ ٤٤٠)، والدر المصون (٨/ ٦١٦).

(٢) في ب، ج: «مثل».

(٣) سقط من ب، هـ.

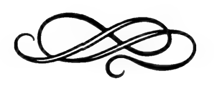
﴿٤٤﴾ ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ **الصَّرح في اللغة:** القصر، **وقيل:** صحن الدار. وروي أن سليمان ﷺ أمر قبل قدومها، فبُنِي[1] له على طريقها قصرٌ من زجاج أبيض، وأجرى الماء من تحته، وألقى فيه دوابَّ البحر من السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما رأته حسبته لجةً، **واللجة:** الماء المجتمع كالبحر، فكشفت عن ساقيها؛ لتدخله لما أُمِرت بدخوله[2].

وروي أن الجن كرهوا تزوُّج سليمان لها، فقالوا له: إن عقلها مخبولٌ، وإن رجلها كحافر الحمار، فاختبر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة، واختبر ساقيها بالصرح، فلما كشفت عن ساقيها وجدها أحسن الناس ساقًا، فتزوجها وأقرَّها على ملكها باليمن[3]، وكان يأتيها مرة في كل شهر، **وقيل:** أسكنها معه بالشام.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ لما ظنَّت أن الصرح لجة ماءٍ فكشفت[4] عن ساقيها لتدخل الماء؛ قال لها سليمان ﷺ: إنه صرحٌ. **والممرَّد:** الأملس، **وقيل:** الطويل. **والقوارير:** جمع قارورة، وهي الزجاجة.

﴿٤٦﴾ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ تعني: بكفرها فيما تقدَّم.

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ هذا ضربٌ من ضروب التجنيس.



(١) في د: «أن يبنى».

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (١١/ ٥٣٧).

(٣) ذكره الزمخشري أيضًا (١١/ ٥٣٧).

(٤) في ج، د: «وكشفت».

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٥١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٣﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٦﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٧﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٦٠﴾

﴿٤٧﴾ ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ **الفريقان**: من آمن ومن كفر، **واختصامهم**: اختلافهم وجدالهم في الدين.

﴿٤٨﴾ ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: لمَ تطلبون العذاب قبل الرحمة، أو المعصية قبل الطاعة.

﴿٤٩﴾ ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ أي: تشاءَمنا بك، وكانوا قد أصابهم القحط.

﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: السَّبب الذي يَحدث عنه خيرُكم أو شرُّكم هو عند الله، وهو قضاؤه وقدره، وذلك ردٌّ عليهم في تطيُّرهم، ونسبتِهم ما أصابهم من القحط إلىٰ صالح عليه السلام.

﴿٥٠﴾ ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني: مدينة ثمود.

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ **قيل**: إنهم كانوا يُقرِضون الدنانير والدراهم، ولفظ الفساد أعمُّ من ذلك.

(٤٩) ﴿تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ﴾ أي: احلفوا[1] به، وقيل: إنه فعل ماضٍ، وذلك ضعيف، والصحيح: أنه فعل أمرٍ، قاله بعضهم لبعض، وتعاقدوا عليه.

﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: لنقتلنَّه وأهله بالليل، وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه.

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ أي: نتبرأ من دمه إن طلبَنا به وليُّه. و ﴿مُهْلَكَ﴾ يَحتمل أن يكون: اسم مصدرٍ، أو زمانٍ، أو مكانٍ. فإن قيل: إن قولهم: ﴿مَا شَهِدْنَا مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾ يقتضي التبرِّي من دمِ أهله، دون التبري من دمِه.

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنهم أرادوا: ما شهدنا مُهْلَكه ومهلك أهله، وحذف مهلكه؛ لدلالة قولهم: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾.

والثاني: أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم؛ لقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني: فرعون وقومه.

الثالث: أنهم قالوا: ﴿مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾ خاصةً؛ ليكونوا صادقين، فإنهم[2] شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وأرادوا التَّعريض في كلامهم؛ لئلا يَكْذبوا.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ يَحتمل أن يكون قولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ مغالطةً، مع اعتقادهم أنهم كاذبون. ويَحتمل أنهم قصدوا وجهًا من التَّعريض؛ ليخرجوا به عن الكذب، وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن ﴿مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحًا وأهله معًا، ثم يقولوا: ﴿مَا شَهِدْنَا مُهْلَكَ أَهْلِهِۦ﴾، (أي: ما شهدنا مهلك أهله وحدَهم)[3]، وإنا لصادقون في ذلك،[4] يعنون: لأنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معًا، وعلىٰ ذلك حمله الزمخشري[5].

---

(١) في أ، ب، هـ: «حلفوا».

(٢) في أ، ب، هـ: «بأنهم».

(٣) سقط من أ، ب، ج، هـ.

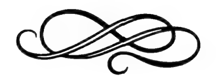
(٤) في أ، ب، ج زيادة: «بل»!

(٥) الكشاف (١١/ ٥٤٣).

﴿٥٣﴾ ﴿إِنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾ روي أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح عليه السلام اختفوا ليلًا في غارٍ قريبًا من داره؛ ليخرجوا منه[1] إلى داره بالليل، فوقعت عليهم صخرةٌ أهلكتهم، ثم هلَك قومُهم بالصَّيحة ولم يعلم بعضهم بهلاك بعض، ونجا صالح عليه السلام ومن آمن به.

﴿٥٦﴾ ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ قيل: معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية. وقيل: تبصرون بأبصاركم؛ لأنهم كانوا ينكشفون بفعل[2] ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض. وقيل: تبصرون آثار الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب.

﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ و ﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ و﴿أَمْطَرْنَا﴾ قد ذُكِر[3].



(١) في أ، ب، ج، هـ: «منها».

(٢) في ج، د: «الفعل».

(٣) انظر تفسير الآية (٨١) وما بعدها من سورة الأعراف.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦٤ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ۝٦٦﴾

۝٥٩ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يتلوَ الآياتِ المذكورةَ بعد هذا؛ لأنها براهينُ علىٰ وحدانيته وقدرته، وأن يستفتح ذلك بحمده، والسَّلام علىٰ من اصطفاه من عباده، كما تُستفتح الخطب والكتب وغيرها بذلك، تيمُّنًا بذكر الله. **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: يعني بـ﴿عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: الصحابة[1]. واللفظ يعمُّ الملائكة والأنبياء والصحابة وجميع الصالحين.

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذا علىٰ وجه الردِّ علىٰ المشركين، فدخلت ﴿خَيْرٌ﴾ التي يراد بها التفضيل؛ لتبكيتهم وتعنيفهم، مع أنه معلوم أنه لا خيرَ فيما أشركوه أصلًا، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، وبغير ذلك مما ذكره إلىٰ تمام هذه الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ علىٰ وجه التَّقرير لهم، علىٰ أنه لم يفعل ذلك كلَّه إلَّا الله وحده، فقامت الحجة عليهم بذلك، وفيها أيضًا نِعَمٌ يجب

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٩٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٠٦).

شكرها، فقامت (الحجة عليهم)[١] بذلك أيضًا. و«أم» في قوله: ﴿خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ متصلةٌ عاطفة، و«أم» في المواضع التي بعده منقطعة، بمعنىٰ: بل والهمزة.

﴿٦٠﴾ ﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يعدلون عن الحق والصواب، أو يعدلون بالله غيرَه؛ أي: يجعلون له عَديلًا ومثيلًا.

﴿٦١﴾ ﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني: الجبال.

﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في «الفرقان»[٢].

﴿٦٢﴾ ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ قيل: هو المجهود، وقيل: الذي لا حول له ولا قوَّة. واللفظ مشتقٌّ من الضَّرر؛ أي: الذي أصابه الضُّر، أو من الضَّرورة؛ أي: الذي ألجأته الضرورة إلىٰ الدعاء.

﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلفاء فيها يتوارثون[٣] سكناها.

﴿٦٣﴾ ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يعني: الهداية بالنجوم والطرقات.

﴿نُشْرًا﴾ ذُكِر في «الأعراف»[٤].

﴿٦٤﴾ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الرزق من السماء: المطر، ومن الأرض: النبات.

﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ تعجيزٌ للمشركين.

﴿٦٥﴾ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالىٰ بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة ﵂: «من زعم أن محمدًا يعلم الغيب فقد أعظم الفِرْيَةَ علىٰ الله»، ثم قرأت هذه الآية[٥].

فإن قيل: فقد كان النبي ﷺ يخبر بالغيوب، وذلك معدود في معجزاته. فالجواب: أنه ﷺ

---

(١) سقطت من أ، ب.

(٢) انظر تفسير الآية (٥٣).

(٣) في د: «تتوارثون».

(٤) انظر تفسير الآية (٥٦).

(٥) أخرجه مسلم (١٧٧).

قال: «إني لا أَعلم[1] إلَّا ما علَّمني الله»[2].

فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكُهَّان والمنجِّمين، وأشباههم، بالأمور المغيبة؟ **فالجواب**: أن إخبارهم بذلك عن ظنٍّ ضعيفٍ أو عن وهْمٍ لا عن علم، وإنما اقتضت الآية نفيَ العلم.

وقد قيل: إن الغيب في هذه الآية يراد به متىٰ تقوم الساعة؛ لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، فعلىٰ هذا: يندفع السؤال الأول والثاني؛ لأن علم الساعة انفرد به الله تعالىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولقوله ﷺ: «في خمسٍ لا يعلمهنَّ إلَّا الله»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٣] إلىٰ آخر السورة[3].

فإن قيل: كيف قال: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بالرفع علىٰ البدل، والبدل لا يصح إلَّا إذا كان الاستثناء متصلًا، ويكون ما بعد «إلَّا» من جنس ما قبلها؟ والله تعالىٰ ليس ممن في السماوات والأرض باتفاق؛ فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون إنه فوق السماوات والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون: إنه تعالىٰ ليس فيهما ولا فوقهما، ولا داخلًا فيهما، ولا خارجًا عنهما؛ فهو علىٰ هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن يكون منصوبًا؟

فالجواب: من أربعة أوجه:

الأول: أن البدل هنا جاء علىٰ لغة بني تميم في البدل وإن كان منقطعًا، كقولهم: «ما في الدار أحدٌ إلَّا حمارٌ» بالرفع، والحمار ليس من الأَحَدِين، وهذا ضعيف؛ لأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز، لا بلغة بني تميم.

---

(١) في أ، ب زيادة: «الغيب»، ولم ترد في الحديث.

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة (٢/ ٥٢٣) عن ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل في ضمن قصة، وأخرجه البيهقي بإسناده إلىٰ ابن إسحاق في دلائل النبوة (٥/ ٢٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) عن أبي هريرة ﷺ.

والثاني: أن الله في السماوات والأرض بعلْمِه، كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعني: بعلمه، فجاء البدل على هذا المعنى، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقعت فيه لفظة «في» الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله على هذا المعنى للظرفية المجازية، ولا يجوز استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين.

الجواب الثالث: أن قوله: ﴿مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ يراد به: كل موجود، فكأنه قال: «من في الوجود»، فيكون الاستثناء على هذا متصلًا، فيصح الرفع على البدل، وإنما قال: ﴿مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ جريًا على منهاج كلام العرب، فهو لفظ خاصٌّ يراد به ما هو أعم منه.

الجواب الرابع: أن يكون الاستثناء متصلًا، على أن يُتأوَّل ﴿مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ﴾ في حق الله كما يتأول قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٧] وحديث السوداء[1] وشبه ذلك[2].

---

(١) أخرجه أب داود (٣٢٨٤)، وأحمد (٧٩٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: يا رسول الله، إن علي عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: «من أنا؟» فأشارت بإصبعها إلى رسول الله وإلى السماء، أي: أنت رسول الله، فقال: «أعتقها»، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٨/ ١٦٣)، وأخرجه مسلم (٥٣٧) في ضمن حديث طويل من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، وليس فيه وصف الجارية بالسوداء.

(٢) [**التعليق** ٨٢] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ** رحمه الله: «واللهُ تعالى ليس ممَّن في السمواتِ والأرضِ باتفاقٍ ...»، إلخ: **أقولُ**: بنى المؤلِّف على قولِه: « إنَّ الله تعالى ليس ممَّن في السمواتِ والأرضِ باتفاقٍ»: أنَّ الاستثناءَ في قولِه تعالى: «إِلَّا اللهُ» منقطِع، وهو يقتضي نصبَ الاسمِ الشريف، والقراءةُ بالرفعِ، وذكَرَ عن هذا الإشكال أربعةَ أجوبة، وليس مقصودُنا في هذه التعليقاتِ التعقُّباتِ اللغويَّة، بل التعقُّباتِ العقديَّة.
والذي يُهِمُّنا هنا قولُه: «واللهُ تعالى ليس ممَّن في السمواتِ والأرضِ باتفاقٍ»؛ يريد: باتفاقِ المثبِتِينَ للعلوِّ والنافِينَ له، وهم مَن عبَّر عنهم بالمثبتينَ للجِهَةِ والنافِين؛ فإنَّهم جميعًا يقولون: إنه تعالى ليس داخِلَ العالَم: فالمُثبِتون للعلوِّ يقولون: «إنه تعالى فوقَ العالَمِ على العرش».
ونفاةُ العلوِّ يقولون: «إنه تعالى لا داخِلَ العالَمِ ولا خارِجَ العالَمِ»؛ وهم مَن عبَّر عنهم بنفاةِ الجهة؛ يقول: «والقائلون بنفيِ الجهةِ يقولون: إنه تعالى ليس فيهما، ولا فوقَهما، ولا داخلًا فيهما، ولا خارجًا عنهما».
فعلى كلا القولَيْنِ: فاللهُ ليس في السماءِ ولا في الأرضِ؛ وهذا معنى قولِه: «باتفاق».
والحقُّ: أنه تعالى فوقَ سمواتِه على عرشِه؛ وهو ما دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةِ، والعقلُ والفِطْرة، ويقابِلُ ذلك قولانِ باطلان:
=

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا يشعر من في السماوات والأرض متىٰ يبعثون؛ لأنَّ عِلْمَ الساعة مما انفرد به الله. وروي أن سبب نزول الآية أن قريشًا سألوا النبي ﷺ متىٰ الساعة(١).

﴿٦٦﴾ ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وزن ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾: تَفاعَل، ثم سُكِّنت التاء وأدغمت في الدال واجتُلبت ألف الوصل. والمعنىٰ: تتابع علمهم بالآخرة وتناهىٰ إلىٰ أن يكفروا بها، أو تناهىٰ إلىٰ أن لا يعلموا وقتها. وقرئ ﴿أَدْرَكَ﴾ بهمزة قطع(٢) علىٰ وزن: أَفْعَلَ، والمعنىٰ علىٰ هذا: يُدْرِكُ علمُهم في الآخرة، أي: يعلمون فيها الحقَّ؛ لأنهم يشاهدون حينئذٍ الحقائق. فقوله: ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ علىٰ هذا: ظرفٌ، وعلىٰ القراءة الأولىٰ: بمعنىٰ الباء.

﴿عَمُونَ﴾ جمع عَمٍ، وهو مِن عمَىٰ القلوب.



= أحدُهما: أنه تعالىٰ داخلٌ في المخلوقات؛ أي: أنَّه تعالىٰ حالٌّ فيها؛ فهو في كلِّ مكان؛ وهذا قولُ حلوليَّةِ الجهميَّة.

الثاني: أنه تعالىٰ لا داخِلَ العالَمِ ولا خارِجَهُ؛ وهو قولُ معطِّلةِ الجهميَّةِ ونفاتِهِمْ؛ وقد ذكره المؤلِّفُ عن نفاةِ الجهة.

وكلا القولين باطل، والثاني أبطل؛ فإنه مع مناقضتِهِ للسمعِ، مناقِضٌ للعقلِ أظهَرَ مناقضة؛ فإنَّ مِن الممتنِعِ أن يكونَ موجودٌ لا داخِلَ العالَمِ ولا خارجَه؛ فإنَّ ذلك مِن سَلْبِ النقيضَيْنِ الذي لا يصحُّ إلا في المعدومِ، فإذا أُضِيفَ إلىٰ ذلك: أنه موجودٌ، تضمَّن أنه موجودٌ معدومٌ؛ وهذا جمعٌ بين النقيضَيْنِ، الذي هو أحدُ الممتنِعاتِ المُتَّفَقِ عليها، والقولُ بنفيِ الجهةِ وما تفرَّع عنه هو المشهورُ مِن مذهبِ الأشاعِرة.

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ٥٥٢) والزمخشري في الكشاف (١١/ ٥٦٧) ولم أقف عليه مسندًا.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿أَدْرَكَ﴾ بهمزة قطع، وقرأ الباقون بوصل الهمزة وتشديد الدال وألف بعدها.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

﴿٧٢﴾ ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ أي: تبِعَكم، واللام زائدة، أو ضُمِّن معنىٰ «قَرُبَ»؛ فتعدَّىٰ باللام. ومعنىٰ الآية: أنهم استعجلوا العذاب بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾، فقيل لهم: عسىٰ أن يكون قرب لكم بعض العذاب الذي تستعجلون، وهو قتْلُهم يوم بدر.

﴿٧٥﴾ ﴿غَآئِبَةٖ﴾ الهاء فيه للمبالغة؛ أي: ما من شيءٍ في غاية الخفاء، إلَّا وهو عند الله في كتاب.

﴿٨٠﴾ ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ شبَّه مَن لا يسمع ولا يعقل بالموتىٰ في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء، ثم شبههم بالصُّم وبالعُمْي؛ وإن كانوا صِحاح الحواسِّ، وأكَّد عدم سماعهم بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾؛ لأن الأصمَّ إذا أدبر وبَعُد عن الداعي زاد صممه وعدم سماعه بالكلية.

﴿٨٢﴾ ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: إذا حان وقتُ عذابهم الذي تضمَّنه القولُ الأزلي من الله

في ذلك وهو قضاؤه[(١)]، والمعنى: إذا قربت الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض. وخروج الدابة من أشراط الساعة، ورُوي أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل: من الصفا[(٢)]. وأن طولها ستون ذراعًا[(٣)]. وقيل: هي الجسَّاسة التي وردت في الحديث[(٤)].

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل: تكلِّمهم ببطلان الأديان كلها إلَّا دينَ الإسلام، وقيل: تقول: «ألَا لعنة الله على الظالمين». وروي أنها تَسِمُ[(٥)] الكافر وتَخْطِمُ أنفه[(٦)] وتسوِّد وجهه، وتبيِّض

---

(١) [التعليق ٨٣] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ ﷺ: «إذا حان وقتُ عَذَابِهم ...»، إلخ: أقولُ: في تفسيرِ وقوعِ القولِ بقربِ وقتِ العذابِ نظرٌ؛ والأظهَرُ أنَّ قولَه: ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: حَقَّ القولُ عليهم، وهو حكمُ اللهِ بأنهم لا يُؤمِنون؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٧].
ولا ريبَ أنَّ ما حَقَّ عليهم مِن القولِ بأنهم لا يُؤمِنون هي كلمتُهُ تعالى القدريَّة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧]، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].
فمعنى: ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: وقَعَ عليهم مُوجَبُ كلمتِهِ تعالى السابقةِ في الحكمِ: بأنَّهم لا يُؤمِنون.
فهذه كلماتُهُ الكونيَّةُ سبقَتْ لقومٍ في الشقاوةِ، ولقومٍ بالسعادةِ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ...﴾ الآيتَيْنِ [الصافَّات: ١٧١-١٧٢].
وقولُ المؤلِّف: «القولُ الأزَليُّ مِن اللهِ»، الأزليُّ: هو الذي لا بدايةَ له؛ وهذا يجري على قولِ الأشاعرةِ: إنَّ كلامَ اللهِ قديمٌ بقِدَمِهِ سبحانه؛ لأنَّ كلامَ الله عندَهم لا تتعلَّقُ به المشيئة، ولا ريبَ: أنَّ كلماتِهِ القَدَريَّةَ صادِرةٌ عن مشيئتِهِ تعالى، وما كان بمشيئةٍ يمتنِعُ أنْ يكون أزليًّا، وكلماتُهُ تعالى التي أخبرَ أنها سبقَتْ يَحتمِلُ أن تكون عند كتابةِ المقاديرِ في أمِّ الكتابِ، والله أعلم.

(٢) انظر: الدر المنثور للسيوطي (١١/ ٤٠٣) وما بعدها.

(٣) أخرجه الثعلبي بإسناده في تفسيره (٢٠/ ٣٢٨) عن حذيفة ﷺ مرفوعًا، وفي إسناده من هو متكلم فيه ومن يروي الموضوعات.

(٤) حديث الجساسة أخرجه مسلم (٢٩٤٢) عن فاطمة بنت قيس ﷺ.

(٥) في ج، د: «تشتم».

(٦) تخطم أنف الكافر: أي: تسِمه، مِن خطَمتُ البعير، إذا كويتَه خطًّا من الأنف إلى أحد خدَّيه، وتسمى تلك السِّمة الخِطَام. النهاية لابن الأثير (٣/ ١٢٠٨).

وجه المؤمن(١).

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ **من قرأ بكسر الهمزة**(٢): **فهو** ابتداء كلام. **ومن قرأ بالفتح**: **فهو** معمول ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾؛ أي: تقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. أو مفعول من أجله تقديره: تكلمهم؛ لأن الناس لا يوقنون، ثم حذفت اللام. **ويَحتمل قوله**: ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾: (أي: لا يوقنون)(٣) بخروج الدابة، أو لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين، وهذا أظهر.



(١) أخرجه الترمذي (٣١٨٧) وحسنه، وابن ماجه (٤٠٦٦)، وأحمد (٧٩٣٧)، والحاكم (٨٤٩٤) وسكت عنه الذهبي، من حديث أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود، وعصا موسى بن عمران، ﷺ، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم أنف الكافر بالخاتم».

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.

(٣) سقطت من أ، ب، ج، هـ

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَاتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْماً أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ ﴿٨٧﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَآءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٩﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٩٠﴾ مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٩١﴾ وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنَ اَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنَ اَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٣﴾ وَأَنَ اَتْلُوَاْ الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلِ انَّمَآ أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٤﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾

﴿٨٥﴾ ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يساقون بعنف.

﴿٨٦﴾ ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «أم» استفهامية، والمعنى: إقامة الحجة عليهم، كأنه قيل[١] لهم: إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها.

﴿٨٧﴾ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ أي: حقَّ العذاب عليهم، أو قامت الحجة عليهم.

﴿فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ﴾ إنما يسكتون؛ لأن الحجة قد قامت عليهم. وهذا في بعض مواطن القيامة[٢]، وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن أُخر[٣].

﴿٨٨﴾ ﴿لِيَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ ذُكِر في «يونس»[٤].

---

(١) في د: «قال».

(٢) في هـ زيادة: «دون بعض».

(٣) هذه الكلمة لم ترد في أ، ب، هـ.

(٤) انظر تفسير الآية (٦٧).

(٨٩) ﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ ذُكِر في «**الكهف**»[1].

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ **قيل**: هم الشهداء، **وقيل**: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

﴿دَٰخِرِينَ﴾ صاغرين متذلِّلين.

(٩٠) ﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ أي: قائمة ثابتة.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ يكون مرورها في أول أحوال القيامة، ثم ينسفها الله في خلال ذلك فتكون كالعهن، ثم تصير هباء منبثًا.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ، والعامل فيه محذوف، وقيل: هو منصوب على الإغراء: أي: انظروا صنع الله.

(٩١) ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ **قيل**: إن الحسنة «لا إله إلا الله»، واللفظ عام. ومعنى: ﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: أن له بالحسنة الواحدة عشرًا.

﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ **مَن نوَّنَ** ﴿فَزَعٍ﴾: فتح الميم من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾[2]. **ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ**: بفتح الميم على البناء، أو بكسرها على الإعراب.

(٩٢) ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ **السيئة هنا**: الكفر، والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها.

(٩٣) ﴿هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ يعني: مكة.

﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حرَمًا آمنًا، لا يُقاتِلها أحدٌ، ولا تُنْتَهك حرمتها. ونسَب تحريمها هنا إلى الله؛ لأنه بقضائه وأمره، ونسبه النبي ﷺ إلى إبراهيم عليه السلام في قوله: «إن إبراهيم حرَّم مكة»[3]؛ لأن إبراهيم هو الذي أعلمَ الناس بتحريمها، فليس بين الآية والحديث تعارض، وقد جاء في حديث آخر: «إن مكة حرمها الله يوم خلق السماوات

---

(١) انظر تفسير الآية (٩٥).

(٢) قرأ نافع: ﴿فزعِ يومَئذ﴾ بإسقاط التنوين، وفتح الميم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿فزعِ يومِئذ﴾ بإسقاط التنوين، وكسر الميم، وقرأ الباقون ﴿فزعٍ يومَئذ﴾ بالتنوين، وفتح الميم.

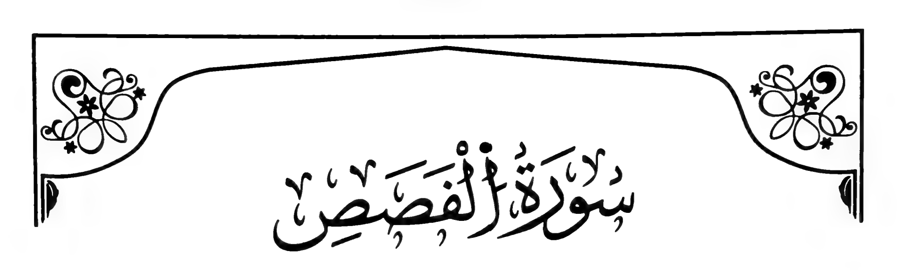
(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٠) عن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه.

والأرض»[1].

(٩٢) ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ أي: إنما عليَّ الإنذار والتبليغ.

(٩٣) ﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وعيدٌ بالعذاب الذي يضطرُّهم إلىٰ معرفة آيات الله، إما في الدنيا أو في الآخرة.

(١) أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤) عن أبي شريح العدوي ﷺ.



طَسِٓمِّٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ اُ۬لْكِتَٰبِ اِ۬لْمُبِينِۖ ﴿١﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَيٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٖ يُومِنُونَۖ ﴿٢﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَاَ فِي اِ۬لْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاٗ يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمُۥٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ اَ۬لْمُفْسِدِينَۖ ﴿٣﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى اَ۬لذِينَ اَ۪سْتُضْعِفُواْ فِي اِ۬لْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمُۥٓ أَيِمَّةٗ وَنَجْعَلَهُمُ اُ۬لْوَٰرِثِينَ ﴿٤﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي اِ۬لْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَۖ ﴿٥﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيٰٓ أُمِّ مُوسَيٰٓ أَنَ اَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اِ۬لْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ اَ۬لْمُرْسَلِينَۖ ﴿٦﴾ فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاٗ وَحَزَناًۖ اِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَۖ ﴿٧﴾ وَقَالَتِ إِمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٖ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُۖ عَسَيٰٓ أَنْ يَّنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَداٗ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَۖ ﴿٨﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَيٰ فَٰرِغاً اِن كَادَتْ لَتُبْدِے بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَيٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ اَ۬لْمُومِنِينَۖ ﴿٩﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَۖ ﴿١٠﴾ ۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ اِ۬لْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَيٰٓ أَهْلِ بَيْتٖ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَۖ ﴿١١﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَيٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اَ۬للَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَۖ ﴿١٢﴾

﴿٣﴾ ﴿عَلَاَ فِي اِ۬لْأَرْضِ﴾ أي: تكبَّر وطغا.

﴿شِيَعاٗ﴾ أي: فِرَقًا مختلفين، فجعل فرعونُ القبطَ ملوكًا وبني إسرائيل خُدَّامًا لهم، وهم الطائفة الذين استضعفهم، وأراد الله أن يَمُنَّ عليهم ويجعلهم أئمة؛ أي: ولاةً في الأرض، ويُورِثهم أرض فرعون وقومِه.

﴿٥﴾ ﴿وَهَٰمَٰنَ﴾ هو وزير فرعون.

(٧) ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ اختُلف هل كان هذا الوحي بإلهامٍ؟ أو منامٍ؟ أو كلامٍ بواسطة مَلك؟ وهذا أظهر؛ لثقتها بما أُوحِي إليها وامتثالها ما أُمرت به.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي: خفت عليه أن يذبحه فرعون؛ لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل، لما أخبره الكهان أن هلاكه علىٰ يدَيْ غلامٍ منهم.

(٨) ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقاط: اللقاء من غير قصد، رُوي أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت في البحر، وهو النيل، فأمرت أن يُساق لها، ففتحته فوجدت فيه صبيًّا فأحبَّته، وقالت لفرعون: هذا قرَّة عين لي ولك.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ اللام لام العاقبة، وتسمىٰ أيضًا لام الصَّيرورة.

(٩) ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ روي: أن فرعون همَّ بذبحه؛ إذ توسَّم[1] أنه من بني إسرائيل، فقالت امرأته: لا تقتلوه.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن هلاكهم يكون علىٰ يديه. والضمير الفاعل لفرعون وقومه.

(١٠) ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ أي: ذاهلًا لا عقل معها. وقيل: فارغًا من الصبر. وقيل: فارغًا من كل شيء إلَّا من همِّ موسىٰ. وقيل: فارغًا من وعد الله؛ أي: نسيتْ ما أُوحي إليها. وقيل: فارغًا من الحزن؛ إذ لم يَغرق، وهذا بعيد؛ لما بعده. وقرئ «فَزِعًا»[2] -بالزاي-[3]، من الفَزَع.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي: تظهر أمره، وفي الحديث: «كادت أمُّ موسىٰ أن تقول: وَا ابناهْ!»، وتخرج صائحة علىٰ وجهها»[4].

---

(١) في ج، د: «توهَّم».

(٢) في ج، د: «فازعًا».

(٣) هي قراءة فضالة بن عبيد والحسن. المحرر الوجيز (٦/ ٥٧٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٤٧) والثعلبي في تفسيره (٧/ ٢٣٨) موقوفًا علىٰ ابن عباس ﷺ، وليس فيه: «وتخرج صائحة علىٰ وجهها».

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي: رزقناها الصبر.

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: من المصدِّقين بالوعد الذي وعدها الله.

﴿١١﴾ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي: اتَّبعيه، **والقَصُّ**: طلب الأثر، فخرجت أخته تبحث عنه في خفيةٍ.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾ أي: رأته من بعيد، لم تَقرُب منه؛ لئلا يعلموا أنها أخته. **وقيل**: معنىٰ ﴿عَن جُنُبٍ﴾: عن شوقٍ إليه. وقيل: معناه: أنها نظرت إليه، كأنها لا تريده.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أنها أخته.

﴿١٢﴾ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ أي: مُنِع منها؛ بأن بغَّضها الله له. و﴿الْمَرَاضِعَ﴾ جمع مُرْضِعٍ، وهي المرأة التي تُرضِع، أو جمع مَرْضَع -بفتح الميم والضاد-، وهو موضع الرَّضاع، يعني: الثدي.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من أول مرَّة.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ القائلة: أخته تخاطب آل فرعون.

﴿١٣﴾ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ لما منعه الله من المراضع وقالت أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ الآيةَ، جاءت بأمه، فقبِلَ ثَدْيَها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه؛ فما قَبِلَ ثدي امرأة إلَّا ثديَك؟ (فقالت: إني)[1] امرأة طيبة اللبن، فذهبت به إلىٰ بيتها، وقرَّت عينُها بذلك، وعلمت أن وعد الله حقٌّ في قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾.



(١) في ج: «أنتِ».

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَاسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْماً وَعِلْماًۖ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِے اِ۬لْمُحْسِنِينَۖ ﴿١٣﴾ وَدَخَلَ اَ۬لْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٖ مِّنَ اَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَٰنِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَاسْتَغَٰثَهُ اُ۬لذِے مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى اَ۬لذِے مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ اِ۬لشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞۖ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّے ظَلَمْتُ نَفْسِے فَاغْفِرْ لِےۖ فَغَفَرَ لَهُۥٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ اَ۬لْغَفُورُ اُ۬لرَّحِيمُۖ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنَ اَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَۖ ﴿١٦﴾ فَأَصْبَحَ فِے اِ۬لْمَدِينَةِ خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا اَ۬لذِے إِسْتَنصَرَهُۥ بِالَامْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞۖ ﴿١٧﴾ فَلَمَّآ أَنَ اَرَادَ أَنْ يَّبْطِشَ بِالذِے هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِے كَمَا قَتَلْتَ نَفْساَۢ بِالَامْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِے اِ۬لَارْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ اَ۬لْمُصْلِحِينَۖ ﴿١٨﴾ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنَ اَقْصَا اَ۬لْمَدِينَةِ يَسْعَىٰۖ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ اَ۬لْمَلَأَ يَاتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجِ اِنِّے لَكَ مِنَ اَ۬لنَّٰصِحِينَۖ ﴿١٩﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفاً يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِے مِنَ اَ۬لْقَوْمِ اِ۬لظَّٰلِمِينَۖ ﴿٢٠﴾

﴿١٣﴾ **﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ذكر في «يوسف»**[١].

﴿وَاسْتَوَىٰٓ﴾ أي: كمل عقله، وذلك مع الأربعين سنة.

﴿١٤﴾ **﴿وَدَخَلَ اَ۬لْمَدِينَةَ﴾ يعني: مصر، وقيل: قريةً حولها، والأول أشهر.**

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٖ﴾ قيل: في القائلة، وقيل: بين العشاءين، وقيل: يوم عيد. وقيل: كان قد جفا فرعونَ وخاف علىٰ نفسه فدخل مختفيًا متخوِّفًا.

﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ الذي من شيعته: من بني إسرائيل، والذي من عدوِّه: من القبط.

﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضربه، والوَكْز: الدَّفع بأطراف الأصابع. وقيل: بجَمع[٢] **الكفِّ.**

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قتله، ولم يرد أن يقتله، ولكن وافقت وكْزَتُه الأجلَ، فندم وقال:

---

(١) انظر تفسير الآية (٢٢).

(٢) في ج، د، هـ: «بجميع»، والمثبت موافق لما في الكشاف (١٢/ ٢٤).

﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: إن الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له.

فإن قيل: كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافرًا؟ **فالجواب:** أنه لم يؤذَن له في قتله، ولذلك يقول يوم القيامة: «إني قتلت نفسًا لم أُؤمر بقتلها»[١].

﴿١٦﴾ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ **الظَّهير:** المُعين، والباء سببية، **والمعنىٰ:** بسبب إنعامك عليَّ لا أكونُ ظهيرًا للمجرمين، فهي معاهدة عاهد موسىٰ ﷺ عليها ربه.

وقيل: الباء باء القسم، وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ لا يصلح[٢] لجواب القسم[٣]. **وقيل:** جواب القسم محذوفٌ، تقديره: وحقِّ نعمتك لأَتوبَنَّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين. **وقيل:** الباء للتحليف؛ أي: اعصمني بحق نعمتك عليَّ فلن أكون ظهيرًا للمجرمين.

ويُحتَجُّ بهذه الآية علىٰ المنع من صحبة ولاة الجَوْر.

﴿١٧﴾ ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ في **الموضعين:** أي: يتحسَّسُ هل يطلبه أحدٌ.

﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ أي: يستغيث به، لقي موسىٰ ﷺ الإسرائيليَّ الذي قاتل القبطيَّ بالأمس يقاتل رجلًا آخر من القبط، فاستغاث بموسىٰ ﷺ لينصره كما نصره بالأمس، فعَظُمَ ذلك علىٰ موسىٰ ﷺ وقال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ وفي ﴿يَبْطِشَ﴾: لموسىٰ ﷺ، وفي ﴿قَالَ﴾: للإسرائيلي.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة ﷺ في ضمن حديث الشفاعة الطويل.

(٢) في ب، ج: «لا يصح».

(٣) قال في المحرر الوجيز (٦/ ٥٧٩): «لأن القسم لا يُتلقَّىٰ بـ(لن)، والفاء تمنع أن تُنزَّل (لن) منزلة (لا) أو (ما)، فتأمله».

والمعنىٰ: لما أراد موسىٰ أن يبطش بالقبطيِّ الذي هو عدوٌّ له وللإسرائيلي، ظنَّ الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به؛ إذ قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، فقال الإسرائيلي لموسىٰ: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؟

وقيل: الضمير في ﴿أَرَادَ﴾ للإسرائيلي، **والمعنىٰ**: فلما أراد الإسرائيليُّ أن يبطش موسىٰ بالقبطي، ولم يفعل موسىٰ ذلك؛ لندامته علىٰ قتله للآخر بالأمس= فضحه الإسرائيلي؛ فقال له: أتريد أن تقتلني؟ فاشتهر خبر قتله للآخَر إلىٰ أن وصل إلىٰ فرعون.

(١٩) ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ **قيل**: إنه مؤمنُ آلِ فرعون، **وقيل** غيره.

﴿يَسْعَىٰ﴾ أي: يسرع في مشيه؛ ليُدرِك موسىٰ عليه السلام فينصحَه.

﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون، **وقيل**: يأمر بعضهم بعضًا بقتلك، كما قتلت القبطي.



*﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝٢١ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ۝٢٢ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٢٥ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۝٢٦ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝٢٨﴾

۝٢١ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: قصَد بوجهه ناحيةَ مدين، وهي مدينة شعيب عليه السلام.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: وسَط الطريق، يعني: طريقَ مدين؛ إذ كان قد خرج فارًّا بنفسه، وكان لا يعرف الطريق، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام. وقيل: أراد: سبيلَ الهدىٰ، وهذا أظهر. ويدلُّ كلامه هذا علىٰ أنه كان عارفًا بالله قبل نبوته.

۝٢٢ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وصل إليه، وكان بئرًا.

﴿يَسْقُونَ﴾ أي: يسقون مواشيَهم.

۝٢٣ ﴿امْرَأَتَيْنِ﴾ روي: أن اسمهما: ليا وصَفُوريا[1]، وقيل: صفراء وصُفَيراء[2].

﴿تَذُودَانِ﴾ أي: تمنعان الناس عن غنمهما. وقيل: تذودان غنمهما عن الماء حتىٰ يسقيَ[3]

(١) ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (٢٤١)، وأخرجه ابن المنذر عن مجاهد كما في الدر المنثور (١١/ ٤٥٠).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٢/ ٣٦).

(٣) في أ، ب، هـ: «يسقوا».

الناس، وهذا أظهر؛ لقولهما: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ أي: كانت عادتهما أن لا يسقيا غنمَهما إلَّا بعد الناس؛ لقوة الناس وضعفهما، أو لكراهتهما التزاحمَ[1] مع الناس.

﴿يُصْدِرَ﴾ بضم الياء وكسر الدال[2]: فعل متعدٍّ، والمفعول محذوفٌ، تقديره: حتىٰ يُصدِر الرعاءُ مواشيَهم. وقرئ بفتح الياء وضم الدال، أي: ينصرفون عن الماء.

﴿شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي: لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ: هو شعيب ﷺ في قول الجمهور. وقيل: ابن أخيه. وقيل: رجل صالح ليس مِن شعيبٍ بنسب.

﴿٢٤﴾ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أدركته شفقةٌ عليهما فسقىٰ غنمهما. وروي أنه كان علىٰ فمِ البئر صخرةٌ لا يرفعها إلَّا ثلاثون رجلًا، فرفعها وحده[3].

﴿تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ أي: جلس في الظل، وروي أنه كان ظلَّ سَمُرَةٍ[4].

﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ طلب من الله ما يأكله، وكان قد اشتدَّ عليه الجوع.

﴿٢٥﴾ ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ قَبْلَ هذا الكلامِ محذوفٌ تقديره: فذهبتا إلىٰ أبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاء في السقي، فأخبرتاه بما كان من سقي الرجل لهما، فأمر إحداهما أن تدعوَه له فجاءته، واختُلف هل التي جاءته الصغرىٰ أو الكبرىٰ؟

﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ رُويَ: أنها سترت وجهها بكُمِّ دِرْعِها. والمجرور يتعلق بما قبله، وقيل: بما بعده، وهو ضعيف.

﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ أي: ذَكر له قصَّته.

﴿لَا تَخَفْ﴾ أي: قد نجوت من فرعون وقومه؛ لأن بلد مدين لم يكن مِن ملك فرعون.

---

(١) في أ، ب، هـ: «للتزاحم».

(٢) قرأ أبو عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال، وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٢٥) من طريق العوفي عنه ﷺ.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٢١٤) عن السدي، وفي المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٥): «قاله ابن مسعود ﷺ» ولم أقف عليه مسندًا.

﴿٢٦﴾ ﴿اسْتَـْجِرْهُ﴾ أي: اجعله أجيرًا لك.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَـْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ هذا الكلام حكمةٌ جامعة بليغة، وروي أن أباها قال لها: من أين عرفتِ قوته وأمانته؟ قالت: أما قوتُه: ففي رفعه الحجر من فم البئر، وأما أمانتُه: فإنه لم ينظر إليها[1].

﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾ زوَّجه التي دعته، واختُلف هل زوَّجه الكبرىٰ أو الصغرىٰ؟ واسم التي زوَّجه صَفُورة، وقيل: صفوريا.

ومِن لفظِ شعيبٍ حَسُنَ أن يقال في عقود الأنكحة: «أنكحه إياها» أكثر من أن يقال: «أنكحها إياه».

﴿عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ أي: أُزوِّجُك بِنتي علىٰ أن تخدمني ثمانية أعوام.

قال مكيٌّ: في هذه الآية خصائصُ في النكاح، منها: أنه لم يعيِّن الزوجة، ولا حدَّ أول الأمد، وجعل المهر إجارة[2].

قلت[3]: فأما التَّعيين فيَحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المراوضة، وقد قال الزمخشري: إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح، وإنما كان مواعدةً[4].

وأما ذكر أولِ الأمَد؛ فالظاهر أنه من حين العقد.

وأما النكاح بالإجارة؛ فظاهرٌ من الآية، وقد قرَّره شرعنا حسَبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل: «قد زوجتُكها علىٰ ما معك من القرآن»[5]؛ أي: علىٰ أن تعلِّمها ما عندك[6] من القرآن.

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٢٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٦٧) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﵄.

(٢) انظر: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي (٨/ ٥٥٢٢).

(٣) وقاله أيضًا ابن عطية في المحرر الوجيز (٦/ ٥٨٦).

(٤) الكشاف (١٢/ ٤٠).

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥) عن سهل بن سعد الساعدي ﵁.

(٦) في أ، ب: «معك».

وقد أجاز النكاحَ بالإجارة: الشافعي، وابن حنبل[1]، وابن حبيب؛ للآية والحديث. ومنعه مالك.

﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ جعل الأعوام الثمانية شرطًا، ووكَل العامَيْنِ إلىٰ مروءة موسىٰ عليه السلام، فوفَّىٰ له العشر. وقيل: وفَّىٰ العشر وعشرًا بعدها، وهذا ضعيف؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾ أي: الأجل المذكور.



(١) في إحدىٰ الروايتين، وهي المذهب. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢١/ ٩١).

*فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ *وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

﴿٢٩﴾ ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ **الأهل هنا: الزوجة، مشىٰ بها إلىٰ مصر.**

﴿جَذْوَةٍ﴾ أي: قطعة، ويجوز كسر الجيم وفتحها وضمها[1]. وقد ذُكِر ﴿ءَانَسَ﴾، و﴿ٱلطُّورِ﴾، و﴿تَصْطَلُونَ﴾[2].

(١) قرأ عاصم بفتح الجيم، وقرأ حمزة بضمها، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) انظر تفسير الآية (٥٢) من سورة مريم، وتفسير الآية (٩) من سورة طه، وتفسير الآية (٧) من سورة النمل.

(٣٠) ﴿شَٰطِيِ ٱلْوَادِ﴾ جانبه، و﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ صفةٌ للشاطئ، وهو جانبه اليمين. ويَحتمل أن يكون من اليُمْن؛ فيكون صفةً للوادي.

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ روي: أنها كانت عَوْسجة[1].

(٣١) ﴿جَآنٌّ﴾ ذُكِر في «النمل»[2].

(٣٢) ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ أي: أَدخلها فيه، والجيب: هو فتح الجُبَّة من حيث يُخرِج الإنسان رأسه.

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ الجناح: اليد، أو الإبط و[3]العَضُد. أمره الله لما خاف من الحية أن يضمَّه إلىٰ جنبه ليخفَّ بذلك خوفه؛ فإن من شأن الإنسان إذا فعل ذلك في وقت فزعه أن يخفَّ خوفه.

وقيل: ذلك علىٰ وجه المجاز، وأن المعنىٰ: أنه أُمِر بالعزم علىٰ ما أُمِر به؛ كقولهم: «اشدُدْ حيازِيمَك، واربطْ جأْشك».

﴿مِنَ ٱلرَّهَبِ﴾ أي: من أجل الرَّهَب؛ وهو الخوف. وفيه ثلاث لغات: فتح الراء والهاء، وفتح الراء وإسكان الهاء، وضم الراء وإسكان الهاء[4].

﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ﴾ أي: حُجَّتان، والإشارة إلىٰ العصا واليد.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ يتعلَّق بفعل محذوفٍ يقتضيه الكلام[5].

(٣٤) ﴿رِدْءًا﴾ أي: مُعِينًا، وقرئ بالهمز[6]، وبغير همز: علىٰ التسهيل من المهموز، أو يكون

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٤٢) عن قتادة.

(٢) انظر تفسير الآية (١٠).

(٣) في د: «أو».

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الراء والهاء، وروىٰ حفص عن عاصم بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء.

(٥) تقديره: مرسلًا بهما إلىٰ فرعون، أو اذهب إلىٰ فرعون. الدر المصون (٨/ ٦٧٣).

(٦) قرأ نافع بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز.

مِن: أَرْدَيتُ؛ أي: زدتُ.

(٣٥) ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ استعارةٌ في المعونة.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يحتمل أن يتعلَّق بقوله: ﴿نَجْعَلُ﴾، أو بـ ﴿لَا يَصِلُونَ﴾، أو بـ ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

(٣٨) ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ أي: اصنع الآجُرَّ؛ لبنيان الصَّرح الذي رامَ أن يصعَد منه إلىٰ السماء. ورُوي أنه أول من عمل الآجُرَّ[1]، وكان هامان وزير فرعون.

وانظر[2] ضعفَ عقولهما وعقولِ قومهما، وجهلَهم بالله تعالىٰ في كونهم طمعوا أن يصلوا إلىٰ السماء ببنيان الصَّرح. وقد روي أنه عمله وصَعِدَ عليه ورمىٰ بسهم إلىٰ السماء فرجع إليه[3] مخضوبًا[4] بدمٍ[5]، وذلك فتنةٌ له ولقومه وتهكُّمٌ بهم.

ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يعني: في دعوىٰ الرسالة، والظن هنا يَحتمل: أن يكون علىٰ بابه، أو بمعنىٰ اليقين.

(٤١) ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: كانوا يدعون الناس إلىٰ الكفر الموجِب للنار.

(٤٢) ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المبعَدِين، وقيل: قَبُحَت وجوههم، وقيل: قَبُحَ ما يفعل بهم وما يقال لهم.



---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٧٩) عن قتادة.

(٢) في ج زيادة: «كيف».

(٣) في أ، ب، هـ: «السهم».

(٤) في ج: «مخضَّبًا».

(٥) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٧٩) عن السدي.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿٤٤﴾ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾ خطابٌ لمحمد ﷺ، والمراد به: إقامة حجةٍ؛ لإخباره بحال موسىٰ عليه السلام، وهو لم يحضره. و﴿ٱلْغَرْبِىِّ﴾: المكان الذي في غرب الطور، وهو الذي كلَّم اللهُ فيه موسىٰ عليه السلام. والأمرُ المقضيُّ إلىٰ موسىٰ عليه السلام هو النبوَّة. و﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ معناه: من الحاضرين هنالك.

﴿٤٥﴾ ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ المعنىٰ: لم تحضرْ يا محمد علىٰ هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا، فكان الواجب علىٰ الناس المسارعةَ إلىٰ الإيمان بك، ولكن تطاولَ الأمر علىٰ القرون التي أنشأناها، فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم، فكفروا بك.

وقيل: المعنىٰ: لكنا أنشأنا قرونًا بعد زمان موسىٰ فتطاول عليهم العمر، وطالت الفترة فأرسلناك علىٰ فترة من الرسل.

﴿ثَاوِيًا﴾ أي: مقيمًا.

(٤٦) ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ **يعني**: تكليمَ موسىٰ ﷺ، والمراد بذلك: **إقامة حجةِ محمدٍ** ﷺ؛ **لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرًا حينئذ.**

﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً﴾ **انتصب علىٰ المصدر، أو علىٰ أنه مفعول من أجله، والتقدير**: ولكن أرسلناك رحمةً منا لك[1] و[2] رحمةً للخلق بك.

(٤٧) ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ «**لولا**» **هنا**: حرف امتناع، و«**لولا**» **الثانية**: عَرْضٌ وتحضيضٌ. **والمعنىٰ**: لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل، وإنما أرسلناهم علىٰ وجه الإعذار إليهم، وإقامة الحجة عليهم؛ لئلا يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٤٨) ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ **يعني**: القرآن ونبوة محمد ﷺ.

﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ **يعنون**: إنزال الكتاب عليه من السماء جملةً واحدة، وقَلْبَ العصا حية، وفَلْقَ البحر، وشبهَ ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما طلبوه، **والمعنىٰ**: أنهم كفروا بما أوتي موسىٰ ﷺ؛ فلو آتينا محمدًا ﷺ مثلَ ذلك لكفروا به، و﴿مِن قَبْلُ﴾ علىٰ هذا يتعلَّق بقوله: ﴿أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾. **ويَحتمل** أن يتعلَّق بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾ إن كانت الآية في بني إسرائيل، **والأول أحسن.**

﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ **يعنون**: موسىٰ وهارون، أو موسىٰ ومحمدًا ﷺ. **والضمير في** ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾ **وفي** ﴿قَالُوا۟﴾: لكفار قريش، **وقيل**: لآبائهم، **وقيل**: لليهود، **والأول أصح**؛ لأنهم المقصودون بالردِّ عليهم.

(٤٩) ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ﴾ **أمرٌ** علىٰ وجه التعجيز لهم.

﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ **الضمير** يعود علىٰ كتاب موسىٰ وكتاب محمد ﷺ.

---

(١) في أ، ب، هـ: «بك».

(٢) في د: «أو».

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ قد عَلم أنهم لا يستجيبون للإتيان بكتابٍ هو أهدىٰ منهما أبدًا، ولكنه ذكره بحرف «إِنْ» مبالغةً في إقامة الحجة عليهم، كقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٣].

﴿فَاعْلَمَ انَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ المعنىٰ: إن لم يأتوا بكتابٍ فاعلم أنَّ كفرهم عنادٌ واتباعٌ لأهوائهم، لا بحجة ولا برهان.



*وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥١﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الضمير لكفار قريش، وقيل: لليهود، والأول أظهر؛ لأن الكلام من أوله معهم. و﴿الْقَوْلَ﴾ هنا: القرآن، و ﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ﴾: أبلغناه[1] لهم؛ ليتذكروا به، أو جعلناه موصولًا بعضُه ببعض.

﴿٥٢﴾ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ يعني: مَن أسلم من اليهود، وقيل: النجاشي وقومه، وقيل: نصارىٰ نجران الذين قدموا علىٰ رسول الله ﷺ بمكة، وهم عشرون رجلًا، فآمنوا به. والضمير في ﴿قَبْلِهِ﴾ للقرآن. وقولهم: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ تعليلٌ لإيمانهم. وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ بيانٌ لأن إسلامهم قديم؛ لأنهم وَجدوا ذِكْر محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يُبعث.

﴿٥٤﴾ ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يُؤتَون أجرهم مرتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمدٍ ﷺ، ورجلٌ مملوكٌ أدَّىٰ حقَّ الله وحقَّ مواليه،

(١) في أ، ب، هـ: «بلغناه».

ورجلٌ كانت له أَمَةٌ فأعتقها وتزوَّجها»[1].

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ **يعني: صَبْرَهم على إذاية قومهم لهم لما أسلموا، أو غير ذلك من أنواع الصبر.**

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ **أي: يدفعون. ويَحتمل أن يريد بالسيئة: ما يقال لهم من الكلام القبيح، وبالحسنة: ما يجاوبون به من الكلام الحسن. أو يريد: سيئاتِ أعمالهم وحسناتها**[2]**، كقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].**

(٥٥) ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ﴾ **يعني: ساقطَ الكلام.**

﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ **هذا على وجه التبرِّي والبعدِ من القائلين للغو.**

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ **معناه هنا: المتاركة والمباعدة، لا التحية، أو كأنه سلامُ الانصراف والبُعد.**

﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ **أي: لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام.**

(٥٦) ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ **نزلت في أبي طالب؛ إذ دعاه النبي ﷺ أن يقول عند موته: «لا إله إلا الله»، فقال: لولا أن يعيِّرني بها قريش لأَقررتُ بها عينك**[3]**، ومات على الكفر، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه.**

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ **لفظٌ عام، وقيل: أراد به: العباس بن عبد المطلب ﷺ.**

(٥٧) ﴿وَقَالُواْ إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ **القائلون لذلك: قريش، وروي أن الذي قالها منهم: الحارث بن عامر بن نوفل**[4]**. و﴿الْهُدَى﴾ هو الإسلام، ومعناه: الهدى على زعمك. وقيل: إنهم قالوا: قد عَلِمْنا أنَّ الذي تقول حقٌّ، ولكن إن اتبعناك تخطَّفتنا**[5] **العرب؛ أي: أهلكونا بالقتال؛ لمخالفة دينهم.**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) في أ، ب، هـ: «وحسناتهم».

(٣) أخرجه مسلم (٢٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ٢٨٧)، والنسائي في الكبرى (١١٣٢١) عن ابن عباس ﷺ.

(٥) في ب، ج، د: «تخطفنا».

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءامِناً﴾ هذا ردٌّ عليهم فيما اعتذروا به مِن تخطُّفِ الناس لهم، والمعنىٰ: أن الحرم لا تتعرَّض له العرب بقتال، ولا يمكِّن الله أحدًا من إهلاك[1] أهله، فقد كانت العرب يُغِيرُ بعضهم علىٰ بعض، وأهل الحرم آمنون من ذلك.

﴿تُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تُجلب إليه الأرزاق مع أنه وادٍ غيرُ ذي زرع.

﴿٥٨﴾ ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ معنىٰ ﴿بَطِرَتْ﴾: طغت وسَفِهت. و ﴿مَعِيشَتَهَا﴾: نصبٌ: علىٰ التفسير، مثل: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٩]. أو علىٰ إسقاط حرف الجرِّ، تقديره: بطرت في معيشتها. أو يتضمَّن ﴿بَطِرَتْ﴾ معنىٰ: كفرت.

﴿إِلاَّ قَلِيلًا﴾ يعني: قليلًا من السُّكنىٰ، أو قليلًا من السَّاكنين، أي: لم يسكنها بعد إهلاكها إلَّا مارٌّ[2] علىٰ الطريق ساعة.

﴿٥٩﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ أُمُّ القرىٰ: مكة؛ لأنها أول ما خُلِق من الأرض، ولأن فيها بيت الله. والمعنىٰ: أن الله أقام الحجة علىٰ أهل القرىٰ؛ بأنْ بَعث محمدًا ﷺ في أم القرىٰ، فإن كفروا أهلكهم بظلمهم بعد البيان لهم، وإقامة الحجة عليهم.

﴿٦٠﴾ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ الآيةَ؛ تحقيرٌ للدنيا، وتزهيد فيها، وترغيب في الآخرة.



(١) في أ، ب: «هلاك».

(٢) في ب، ج «مارًّا».

أَفَمَنْ وَعَدْنَٰهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ * قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

﴿٦١﴾ **﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَٰهُ﴾ الآيةَ؛ إيضاحٌ لما قبلها من البَون[1] بين الدنيا والآخرة. والمراد بـ﴿مَن وَعَدْنَٰهُ﴾**: المؤمنون، وبـ﴿مَن مَّتَّعْنَٰهُ﴾: الكافرون. **وقيل**: محمد ﷺ وأبو جهل، **وقيل**: حمزة رضي الله عنه وأبو جهل، والعموم أحسن لفظًا ومعنىً.

﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب.

﴿٦٢﴾ **﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾** العامل في الظرف مضمر، وفاعل ينادي: الله تعالىٰ. ويَحتمل أن يكون

(١) في د: «الفرق».

نداؤه: بواسطة، أو بغير واسطة[1]. والمفعول به: المشركون.

﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ توبيخٌ للمشركين، ونسَبهم إلىٰ نفسه علىٰ زعمهم؛ ولذلك قال: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، فحُذف المفعول، تقديره: تزعمون أنهم شركاءُ لي، أو تزعمون أنهم شفعاء لكم.

﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ معنىٰ ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجب عليهم العذاب، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبراؤهم. والإشارة بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ إلىٰ أتباعهم من الضعفاء. **فإن قيل**: كيف الجمع بين قولهم: ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ وبين قولهم: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ فإنهم اعترفوا بإغوائهم، وتبرؤوا مع ذلك منهم؟

فالجواب: أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك، والمعنىٰ: أنا حملناهم علىٰ الشرك كما حملنا أنفسنا عليه، ولكن لم يكونوا يعبدوننا، إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها، فتبرأنا إليك من عبادتهم لنا، فتحصَّل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغووا[2] الضعفاء، وتبرؤوا من أن يكونوا هم آلهتهم، فلا تناقض في الكلام، وقد قيل في معنىٰ الآية غير ذلك مما هو تكلُّفٌ بعيد.

﴿٦٤﴾ ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾ **فيه أربعة أوجه**:

الأول: أن المعنىٰ: لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لم يعبدوا الأصنام.

والثاني: لو أنهم كانوا يهتدون لم يعذَّبوا.

---

(١) [**التعليق ٨٤**] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المُصنِّف رحمَهُ اللهُ: «ويحتمِلُ أن يَكُونَ نداؤُهُ بواسِطَةٍ أو بِغيرِ واسِطةٍ». أقولُ: فِي هَذا التردُدِ نَظَرٌ؛ والصَّوابُ أنَّه نَاداهُمْ بغيرِ واسِطَةٍ، وذَلكَ لوَجْهينِ:

١. أنَّهُ إذا كانَ بغيرِ واسطةٍ كانَ حَقيقةٍ، وإذا كانَ بواسِطَةٍ كانَ مجازًا، والأصْلُ الحَقيقةُ.

٢. أنَّ تكليمَهُ تعالَىٰ أو نداءَهُ لِمَنْ شَاءَ بِلا وَاسِطَةٍ مُمكنٌ، ليْسَ بمُمتنِعٍ؛ بِدَليلِ أنَّ اللهَ تعالَىٰ كَلَّم مُوسَىٰ بَلا واسِطَةٍ، فقَالَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ فَأكَّدَ الفعلَ بالمَصْدرِ لِلدّلالةِ عَلَىٰ الحَقيقةِ. وأيْضًا: لَو أَرَادَ أنَّهُ كلَّمَهُ بِوَاسِطَةٍ لَقيَّدَ ذَلكَ، مثْلُ: كَلَّمَهُ بأَنْ أَرسَلَ رَسُولًا. وَيُؤيِّدُ ذَلِكَ، أنَّ تكليمَ مُوسَىٰ بِوَاسِطَةٍ يُنافِي اخْتِصَاصَ مُوسَىٰ بالتَّكْليمِ، فكلُّ الرُّسلِ كَلَّمهُمُ اللهُ بِواسِطَةِ الرَّسُولِ مِنَ المَلَائكةِ. واللهُ أعْلَمُ.

(٢) في د: «أغروا».

والثالث: لو أنهم كانوا يهتدون في الآخرة لحيلةٍ يدفعون بها العذاب لفعلوها. فـ﴿لَوۡ﴾ علىٰ هذه الأقوال حرف امتناع، وجوابها محذوف.

والرابع: أن يكون ﴿لَوۡ﴾ للتمني، أي: تمنَّوا لو كانوا مهتدين.

﴿٦٥﴾ ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ﴾ أي: هل صدَّقتم المرسلين أو كذَّبتموهم؟

﴿٦٦﴾ ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ﴾ ﴿عَمِيَتۡ﴾ عبارةٌ عن حيرتهم، و﴿ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾: الأخبار، أي: أظلمت عليهم الأمور؛ فلم يعرفوا ما يقولون.

﴿فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يَسأل بعضهم بعضًا عن الأنباء؛ لأنهم قد تساووا في الحيرة والعجز عن الجواب.

﴿٦٨﴾ ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ قيل: إن سببها استغراب قريش لاختصاص محمد ﷺ بالنبوة، فالمعنىٰ: أن الله يخلق ما يشاء، ويختار لرسالته مَن يشاء مِن عباده. ولفظها[1] أعم من ذلك، والأحسن حمله علىٰ عمومه؛ أي: يختار ما يشاء من الأمور علىٰ الإطلاق، ويفعل ما يريد.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، والمعنىٰ: ما كان للعباد اختيارٌ؛ إنما الاختيار والإرادة لله وحده، فالوقف علىٰ قوله: ﴿وَيَخۡتَارُ﴾. وقيل: إن ﴿مَا﴾ مفعولةٌ بـ﴿يَخۡتَارُ﴾، ومعنىٰ ﴿ٱلۡخِيَرَةُ﴾ علىٰ هذا: الخير والمصلحة، وهذا يجري علىٰ قول المعتزلة. وذلك ضعيف؛ لرفع ﴿ٱلۡخِيَرَةُ﴾ علىٰ أنها اسم ﴿كَانَ﴾ ، ولو كانت ﴿مَا﴾ مفعولةً لكان اسم ﴿كَانَ﴾ مضمرًا يعود علىٰ ﴿مَا﴾ ، وكانت ﴿ٱلۡخِيَرَةُ﴾ منصوبة علىٰ أنها خبر ﴿كَانَ﴾ . وقد اعتذر عن هذا من قال: إن ﴿مَا﴾ مفعولةٌ؛ بأن قال: تقدير الكلام: يختار ما كان لهم الخيرة فيه، ثم حذف الجار والمجرور، وهذا ضعيف[2].

---

(١) في أ، ب: «واللفظ».

(٢) [التعليق ٨٥] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ ﷺ: «ما»: نافيةٌ، والمعنىٰ: ما كان للعبادِ اختيارٌ ...»، إلخ:

أقولُ: أصاب المؤلِّف في ترجيحِ أنَّ «ما» نافيةٌ، وفي تضعيفِ القولِ بأنها موصولةٌ. =

وقال ابن عطية: يتجه أن تكون ﴿مَا﴾ مفعولةً إذا قدَّرنا ﴿كَانَ﴾ تامةً، ويوقف على قوله: ﴿مَا كَانَ﴾؛ أي: يختار كل كائن، ويكون ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ جملةً مستأنفة[1]. وهذا بعيد جدًّا.

(٦٩) ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تخفيه قلوبهم، وعبَّر عن القلب بالصدر؛ لأنه يحتوي عليه.

(٧٠) ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ قيل: إن الحمد في الآخرة: قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧١]، و[2] قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. وفي ذكر ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ مع ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ مطابقةٌ.

(٧١) ﴿سَرْمَدًا﴾ أي: دائمًا. والمراد بهذه الآيات: إثبات الوحدانية وإبطال الشرك.

فإن قيل: كيف قال: ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾، وهلَّا قال: «يأتيكم بنهار» في مقابلة قوله: ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ﴾؟ **فالجواب**: أنه ذَكر الضياء؛ لكثرة ما فيه من المنافع والعبر.

(٧٣) ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ أي: في الليل، ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار، ففي الآية لفٌّ ونشرٌ.

(٧٥) ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجنا من كل أمة شهيدًا منهم يشهد عليهم بأعمالهم، وهو نبيُّهم؛ لأن كلَّ نبي يشهد على أمته.

﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر، وذلك إعذارٌ لهم وتوبيخ وتعجيز.



= وما أورَدَهُ على القولِ الثاني مِن جهةِ إعرابِ: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾، صحيحٌ أيضًا، وكذا ما يَرِدُ عليه مِن جهةِ المعنى، وهو أنه يَلزَمُ أن يكونَ المعنى: يَختارُ ما فيه الخِيَرَةُ للعبادِ؛ وبهذا تمسَّك بعضُ المعتزلةِ في قولهم بوجوبِ فعل الأصلَح على الله؛ كما أشار إليه المؤلِّف.

وقد اختار القولَ الأوَّلَ كثيرٌ من المفسِّرين؛ وهو الصواب، وقد رجَّحه ابنُ القيِّمِ مِن وجوهٍ؛ فانظُرها في زاد المعاد [١/ ٤٠-٤٣]، والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز (٦/ ٦٠٦)، وقال: «معناها: تعديد النعمة عليهم في اختيار الله تعالى لهم، لو قبلوا وفهموا».

(٢) في ج، د: «أو».

*إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ *تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٦﴾ ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ أي: من بني إسرائيل، وكان ابن عم موسىٰ عليه السلام، وقيل: ابن عمته، وقيل: ابن خالته.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبَّر وطغىٰ، ومن ذلك كفره بموسىٰ عليه السلام.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ **المفاتح**: هي التي يفتح بها، **وقيل**: هي الخزائن، **والأول أظهر**. **والعصبة**: جماعةُ الرجال من العشرة إلىٰ الأربعين.

و﴿تَنُوٓأُ﴾: معناه: تثقل؛ **يقال**: ناء به الحِمل: إذا أثقله. **وقيل**: معنىٰ ﴿تَنُوٓأُ﴾: تنهض بتحامل وتكلُّف، والوجه علىٰ هذا أن يقال: إن العصبة تنوء بالمفاتح، لكنه قُلِبَ؛ كما جاء قَلْبُ الكلام عن العرب كثيرًا، ولا يحتاج إلىٰ قلب علىٰ القول الأول.

﴿لَا تَفْرَحْ﴾ **الفرح هنا**: الذي يقود إلىٰ الإعجاب والطُّغيان؛ ولذلك قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾. **وقيل**: إنه السُّرور بالدنيا؛ لأنه لا يفرح بها إلَّا مَن غفَل عن الآخرة، ويدلُّ علىٰ

هذا قوله: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَيْكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

﴿٧٧﴾ ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَيكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال، وذلك بفعل الحسنات والصَّدقات.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تضيِّعْ حظَّك من دنياك، وتمتَّعْ بها مع عملك للآخرة. وقيل: معناه: لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو ما يعمل فيها من الخير، فالكلام على هذا: وعظٌ، وعلى الأول: إباحةٌ للتمتع بالدنيا؛ لئلا ينفر عن قَبول الموعظة.

﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى.

﴿٧٨﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا الجواب على وجه الردِّ عليهم، والرَّوغانِ عما ألزموه من الموعظة. والمعنى: أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له؛ بسبب علمٍ عندي استوجبته به. واختُلف في هذا العلم، فقيل: إنه علم الكيمياء، وقيل: التجارِب للأمور والمعرفة بالمكاسب، وقيل: حفظه التوراة، وهذا بعيد؛ لأنه كان كافرًا. وقيل: المعنى: إنما أوتيته على علمٍ من الله وتخصيصٍ خصَّني به، ثم جعل قوله: ﴿عِندِي﴾ كما تقول: في ظني واعتقادي.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ هذا ردٌّ عليه في اغتراره بالدنيا.

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ يعني: جمعًا للمال، أو جمعًا للخُدَّام، والأول أظهر.

﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه متصلٌ بما قبله، والضمير في ﴿ذُنُوبِهِمُ﴾ يعود على القرون المتقدمة، و﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: مَن بعدهم؛ أي: لا يُسأل المجرمون عن ذنوب مَن تقدَّمهم من الأمم الهالكة؛ لأن كل أحدٍ إنما يُسأل عن ذنوبه خاصة.

والثاني: أنه إخبارٌ عن حال المجرمين في الآخرة، وأنهم لا يُسألون عن ذنوبهم؛ لكونهم يدخلون النار من غير حساب.

والصَّحيح: أنهم يحاسبون علىٰ ذنوبهم ويُسألون عنها؛ لقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]؛ وإنما هذا السؤال المنفي: السؤال علىٰ وجه الاستخبار وطلب التعريف؛ لأنه لا يحتاج إلىٰ سؤالهم علىٰ هذا الوجه؛ لكن يُسألون علىٰ وجه التوبيخ.

وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة: فهو علىٰ معنىٰ المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه: فهو علىٰ وجه الاستخبار والتعريف؛ ومنه قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٨].

﴿٧٩﴾ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ **قيل**: في ثياب حُمْرٍ، **وقيل**: في عبيده وحاشيته، واللفظ أعم من ذلك.

﴿٨٠﴾ ﴿وَيْلَكُمْ﴾ زجرٌ للذين تمنوا مثل حال قارون.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ **الضمير عائد** علىٰ الخصال التي دلَّ عليها الكلام المتقدِّم، وهي الإيمان والعمل الصالح. **وقيل**: علىٰ الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم؛ أي: لا تصدر الكلمة إلَّا عن الصابرين. **والصبر هنا**: هو إمساك النفس عن الدنيا وزينتها.

﴿٨١﴾ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ روي أن قارون لما بغىٰ علىٰ بني إسرائيل وآذىٰ موسىٰ دعا موسىٰ ﷺ عليه، فأوحىٰ الله إليه: قد أمرت الأرض أن تُطيعك فيه وفي أتباعه، فقال موسىٰ: «يا أرض خذيهم»، فأخذتهم إلىٰ الرُّكَب، فاستغاثوا بموسىٰ فقال: «يا أرض خذيهم» حتىٰ تمَّ بهم الخسف[1].

﴿٨٢﴾ ﴿مَكَانَهُۥ﴾ أي: منزلته في المال والعزَّة.

﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ **يحتمل أن يراد به**: اليوم الذي قبل ذلك اليوم، أو ما تقدَّم من الزمان القريب.

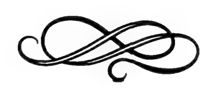
---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٦)، وابن أبي شيبة (٣٢٥٠٤)، والحاكم (٣٥٣٦) وصححه علىٰ شرطهما ووافقه الذهبي، عن ابن عباس ﷺ.

﴿وَيۡكَأَنَّ﴾ **مذهب سيبويه أنَّ «وَيْ» حرفُ تنبيه، ثم ذكرت بعدها «كأنَّ»، والمعنىٰ علىٰ** هذا: أنهم تنبَّهوا لخطئهم في قولهم: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾، ثم قالوا: «كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر»؛ أي: ما أشبه الحال بهذا.

وقال الكوفيون: «ويك» هي: «ويلك»، حذفت منها اللام؛ لكثرة الاستعمال، ثم ذكرت بعدها «أنَّ»، والمعنىٰ: ألم تعلم أن الله. **وقيل:** ﴿وَيۡكَأَنَّ﴾ كلمة واحدة معناها: ألم تعلم.

﴿٨٣﴾ ﴿عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: تكبُّرًا وطغيانًا، لا رفعة المنزلة؛ فإن إرادتها جائزةٌ.



مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٥﴾ ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾ **أي: أنزله عليك وأثبته، وقيل: معناه: أعطاك القرآن، والمعنى متقارب. وقيل: فرض عليك أحكام القرآن، فهو على حذف مضاف.**

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ **المعاد: الموضع الذي يعاد إليه: فقيل: يعني مكة، ونزلت الآية حين الهجرة، ففيها وعدٌ بالرجوع إلى مكة وفتحها. وقيل: يعني الآخرة؛ فمعناها: إعلامٌ بالحشر. وقيل: يعني الجنة.**

﴿٨٦﴾ ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَٰبُ﴾ **أي: ما كنت تطمع أن تَنال النبوَّة، ولا أن ينزل عليك الكتاب، ولكنَّ الله رحمك بذلك، أو رحم الناس بنبوَّتك. والاستثناء بمعنى: «لكن»؛ فهو منقطع. ويَحتمل أن يكون متصلًا؛ والمعنى: ما أنزل عليك الكتاب إلَّا رحمةً من ربك لك أو للناس. و ﴿رَحْمَةً﴾ على هذا: مفعول من أجله، أو حال، وعلى الأول: منصوب على الاستثناء.**

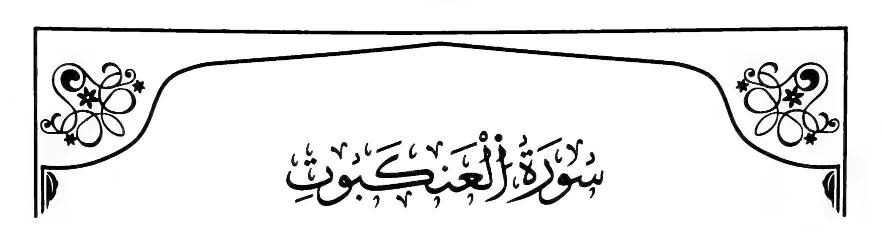
﴿٨٧﴾ ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ **يَحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله؛ فالمفعول محذوفٌ على هذا، تقديره: ادع الناسَ.**

﴿٨٨﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ **أي: لا تعبد مع الله إلهًا آخر.**

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ **الآيةَ؛ أي: إلَّا إياه، والوجه هنا عبارة عن الذات[1].**

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٢٢).



سُورَةُ العَنكَبُوتِ

أَلٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

﴿١﴾ ﴿أَلٓمٓ﴾ ذُكِر في «البقرة».

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ الآية؛ نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا بمكة مستضعفين، منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه وغيره[1]، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذِّبونهم علىٰ الإسلام، فضاقت صدورهم بذلك، فآنسهم الله بهذه الآية، ووعظهم، وأخبرهم أن ذلك اختبارٌ؛ ليوطِّنوا أنفسهم علىٰ الصَّبر علىٰ الأذىٰ، والثبوت علىٰ الإيمان، وأعلمهم تعالىٰ أن تلك

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٢) عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

سيرتُه في عباده، يُسلِّط الكفار على المؤمنين؛ ليمحِّصَهم[1] بذلك، ويظهرَ الصادق في إيمانه من الكاذب. ولفظها مع ذلك عامٌّ، فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة؛ مِن مصيبة أو مضرَّة في النفس والمال وغير ذلك.

ومعنى ﴿حَسِبَ﴾: ظنَّ، و﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ مفعولها، والهمزة للإنكار، ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: في موضع الحال من الضمير في ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾ تقديره: غيرَ مفتونين. و﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾: تعليلٌ في موضع المفعول من أجله.

﴿٣﴾ ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أي: يعلم صِدْقَهم علمًا ظاهرًا في الوجود، وقد كان عَلِمَه في الأزل. والصدق والكذب في الآية يعني بهما: صحةَ الإيمان والثبوتَ عليه، أو ضدَّ ذلك.

﴿٤﴾ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ ﴿أَمْ﴾ معادلةٌ لقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾. والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكفار الذين يعذِّبون المؤمنين. ولفظها مع ذلك عامٌّ في كل كافر وعاصٍ. ومعنى ﴿يَسْبِقُونَا﴾: يَفُوتون عقابنا ويُعجِزوننا. فمعنى الكلام: نفيُ سبقهم، كما أن معنى الآية قبلها: نفيُ ترك المؤمنين بغير فتنة.

﴿٥﴾ ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ للمؤمنين، ووعدٌ لهم بالخير في الآخرة. والرجاءُ هنا: على بابه، وقيل: هو بمعنى الخوف. و﴿أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ الموت، ومعنى ﴿لَأٰتٍ﴾: قريب الإتيان؛ فإن كل ما هو آتٍ قريب. ومعنى الآية: من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا حتى يلقى الله فيُجازيَه؛ فإن لقاء الله قريبٌ.

﴿٦﴾ ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ أي: منفعة جهاده إنما هي لنفسه؛ فإن الله لا تنفعه طاعة العباد. والجهاد هنا يَحتمل أن يراد به القتال، أو جهاد النفس.

﴿٨﴾ ﴿حُسْنًا﴾ منصوبٌ بفعل مضمر تقديره: وصَّينا الإنسان يفعلُ[2] بوالديه حسنًا. أو مصدرٌ من معنى ﴿وَصَّيْنَا﴾ أي: وصيةً حَسَنةً.

---

(١) في د: «ليمتحنهم».

(٢) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب، هـ.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآيةَ؛ نزلت في سعد بن أبي وقاص ﷺ؛ فإنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظلَّ بظلٍّ حتىٰ يكفر[١]. وقيل: نزلت في غيره ممن جرىٰ له مثل ذلك، فأمرهم الله بالثبوت علىٰ الإسلام، وأن لا يطيعوا الوالدين إذا أمروهم بالكفر. وعبَّر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغةً.

(١٠) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم، فإذا عذَّبهم الكفار رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المسلمين قالوا: إنا كنا معكم[٢]. فمعنىٰ ﴿أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾: أوذي بسبب إيمانه بالله. و﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾: تعذيبَهم. وقيل: إنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه[٣].

(١٢) ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ أي: قال الكفار للمؤمنين: اكفروا كما كفرنا، ونحمل نحن عنكم الإثم والعقاب إن كان. وروي: أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة. حكاه المهدوي[٤].

وقولهم: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ جزاءُ قولهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾، ولكنهم ذكروه علىٰ وجه الأمر؛ للمبالغة، ولما كان معناه الخبر صحَّ تكذيبهم فيه، فأخبر الله أنهم كاذبون؛ أي: لا يحملون أوزار هؤلاء، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار.



(١) أخرجه مسلم (١٧٤٨) بعد الحديث رقم (٢٤١٢) عن سعد ﷺ.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٣٦٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٧) عن مجاهد.

(٣) رواه البزار في مسنده (١/ ٢٥٨) عن عمر ﷺ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٧٦): «ورجاله ثقات»، وانظر: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/ ٤١-٤٢).

(٤) انظر: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، لأبي العباس المهدوي (٥/ ١٨١).

وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا نُوحاً اِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ اِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٣﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَا ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اِعْبُدُواْ اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمُۥٓ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ *إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً اِنَّ الذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُواْ عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ اُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي الاَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الاَخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ يُعَذِّبُ مَن يَّشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَّشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الاَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴿٢١﴾ وَالذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَلِقَآئِهِۦ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلاَّ أَن قَالُواْ اُقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجِيٰهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اَتَّخَذتُّم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَٰناً مَّوَدَّةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوِيٰكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٤﴾ *فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّيَ مُهَاجِرٌ اِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّهُۥ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوٓءَةَ وَالْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي الاَخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٢٦﴾

﴿١٣﴾ ﴿فَلَبِثَ فِيهِمُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ اِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً﴾ **الظاهر** أنه لبث هذه المدة بعد بعثه، ويَحتمل أن يكون ذلك من أول وِلادته. وروي أنه بُعث وهو ابن أربعين سنة، وأنه عُمِّر بعد الطوفان ثلاث مئةٍ وخمسين سنةً[1].

(١) أخرج ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤١)، وابن أبي شيبة (٣٤٦١٩)، عن ابن عباس ﵄ قال: «بُعث نوح وهو لأربعين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وعاش بعد الطوفان ستين عامًا حتى كثر الناس وفَشَوْا» وأخرجه الحاكم (٤٠٠٥) عن ابن عباس مرفوعًا، وسكت عنه الذهبي. وأخرج الطبري (١٨/ ٣٧٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٤٢) عون بن أبي شداد، قال: «إن الله أرسل نوحًا إلىٰ قومه وهو ابن خمسين وثلاث مئة سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاث مائة سنة»، وقال ابن كثير في تفسيره (٦/ ٢٦٨): «وهذا غريب، وقول ابن عباس ﵄ أقرب».

فإن قيل: لم قال: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ثم قال: ﴿خَمْسِينَ عَاماً﴾ ؛ فاختلف اللفظ مع اتِّفاق المعنىٰ؟ **فالجواب**: أن ذلك كراهةٌ لتكرار لفظ السنة، فإن التكرار مكروه[1] إلَّا إذا قُصِد به تفخيمٌ أو تهويلٌ.

(١٤) ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ **يحتمل أن يعود الضمير على السفينة، أو على النجاة، أو على القصة بكمالها.**

(١٦) ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ هو من الخِلْقة؛ يريد به: نَحْتَ الأصنام، فسماه خِلقةً علىٰ وجه التجوُّز، **وقيل**: هو من اختلاق الكذب.

﴿لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾ الآيَةَ؛ احتجاجٌ علىٰ الوحدانية ونفي الشركاء. **فإن قيل**: لم نكَّر الرزق أوَّلًا، ثم عرَّفه في قوله: ﴿فَابْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾؟ **فالجواب**: أنه نكَّره في قوله: ﴿لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾؛ لقصد العموم في النفي، فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم، ثم عرَّفه بعد ذلك لقصد العموم في طلب الرزق كله من الله؛ لأنه لا يُقتضَىٰ العمومُ في سياق الإثبات إلَّا مع التَّعريف؛ فكأنه قال: ابتغوا الرزق كلَّه عند الله.

(١٧) ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ الآيَةَ؛ **تحتمل أن تكون من كلام إبراهيم** عليه السلام، أو من كلام الله تعالىٰ. **ويحتمل مع ذلك أن يراد به** وعيدُ الكفار وتهديدهم، أو يراد به تسليةُ النبي ﷺ عن تكذيب قومه، بالتأسِّي بغيره من الأنبياء الذين كذَّبهم قومُهم.

(١٨) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ يقال: بدأ اللهُ الخلقَ وأبدأه بمعنىٰ واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة. **والمعنىٰ**: أولم يَرَ الكفار أن الله خلق الخلق؛ فيستدلُّون بالخِلقة الأولىٰ علىٰ الإعادة في الحشر؟

فقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ ليس بمعطوف علىٰ ﴿يُبْدِئُ﴾؛ لأن المعنىٰ فيهما مختلف؛ لأن رؤية البَدأة بالمشاهدة، بخلاف الإعادة؛ فإنها تُعْلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف علىٰ الجملة كلِّها. **وقد قيل**: إنه يريد إعادةَ النبات وإبداءَه، وعلىٰ هذا يكون ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ عطفًا علىٰ ﴿يُبْدِئُ﴾؛ لاتفاق المعنىٰ، **والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام.**

---

(١) في أ، ب، هـ: «يكره».

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: إعادةَ الخلق، وهي حشرُهم. ثم أمَرَهم بالسَّير في الأرض؛ ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها علىٰ قدرته علىٰ حشرهم، ولذلك ختَمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٢١) ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: ترجعون.

(٢٢) ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لا تَفُوتون من عذاب الله، وليس لكم مهربٌ في الأرض ولا في السماء.

(٢٣) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ يحتمل أن ييأسوا في الآخرة، أو يكون وصفًا لحالهم في الدنيا؛ لأن الكافر يائسٌ[1] من رحمة الله، والمؤمن راجٍ خائفٌ. وهذا الكلام من قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ إلىٰ هنا: يحتمل أن يكون خطابًا لمحمد ﷺ معترضًا بين قصة إبراهيم عليه السلام. ويحتمل أن يكون خطابًا لإبراهيم، وبعدَ ذلك ذكر جواب قومه له.

(٢٥) ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصبُ المودة[2] علىٰ أنها مفعولٌ من أجله، أو مفعول ثانٍ لـ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾. ورفعُها علىٰ أنها خبر ابتداء مضمر، أو خبر «إنَّ»، وتكون «ما» موصولة. ونصْبُ ﴿بَيْنِكُمْ﴾: علىٰ الظرفية، وخفضه: بالإضافة.

(٢٦) ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ تضمَّن ﴿ءَامَنَ﴾ معنىٰ: انقاد، ولذلك تعدَّىٰ باللام.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ القائل لذلك: إبراهيم عليه السلام، وقيل: لوط عليه السلام. وهاجرَا من بلادهما بأرض بابل إلىٰ الشام.

(٢٧) ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ أكثرُ الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام، وعلىٰ ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.



(١) في أ، ب، هـ: «يئس».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿مودةُ﴾ بالرفع من غير تنوين ﴿بينِكم﴾ بالخفض، وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ﴿مودةَ﴾ بالنصب من غير تنوين ﴿بينِكم﴾ بالخفض، وقرأ الباقون ﴿مودةً بينَكم﴾ بالنصب فيهما والتنوين.

وَلُوطاً اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَاتُونَ اَلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنَ اَحَدٍ مِّنَ اَلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ أَيِنَّكُمْ لَتَاتُونَ اَلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ اَلسَّبِيلَ ﴿٢٨﴾ وَتَاتُونَ فِے نَادِيكُمُ اُلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ إِيتِنَا بِعَذَابِ اِ۬للَّهِ إِن كُنتَ مِنَ اَلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ اِنصُرْنِے عَلَى اَلْقَوْمِ اِلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرِىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ اِلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا اَ۪مْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ اَلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِےٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنِ اِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا اَ۪مْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ اَلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ اِلْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ اَلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿٢٨﴾ ﴿وَتَقْطَعُونَ اَلسَّبِيلَ﴾ **قيل**: أراد قطع الطُّرق[1] للسَّلْب والقتل. **وقيل**: أراد قطع سبيل النسل، بترك النساء وإتيان الرجال.

﴿٢٩﴾ ﴿وَتَاتُونَ فِے نَادِيكُمُ اُلْمُنكَرَ﴾ **النادي**: المجلس الذي يجتمع فيه الناس. **والمنكر**: فعلهم بالرجال، وقيل: إذايتُهم للناس.

﴿٣١﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرِىٰ﴾ **الرسل هنا**: الملائكة. **والبشرىٰ**: بِشارة إبراهيم عليه السلام بالولد، وهو قوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، أو بشارته بنصر[2] لوط عليه السلام، **والأول أظهر**.

﴿أَهْلِ هَٰذِهِ اِلْقَرْيَةِ﴾ هي[3] قرية لوط.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً﴾ ليس إخبارًا بأنه فيها، وإنما قصَد نجاةَ لوط عليه السلام من العذاب الذي يصيب أهل القرية، وبراءتَه من الظلم الذي وُصِفوا به، فكأنه قال: كيف تُهلِكون أهل القرية وفيهم[4] لوط؟ وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط؟

(١) في ج، د: «الطريق».

(٢) في ج، هـ: «بنصرة».

(٣) في أ، ب، هـ: «يعني».

(٤) في أ، ب، هـ: «وفيها».

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ قد ذُكِر[1]، وكذلك ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾[2].

(٣٤) ﴿رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عذابًا.



(١) انظر تفسير الآية (٨٣) من سورة الأعراف.

(٢) انظر تفسير الآية (٧٧) من سورة هود

*﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَٰقَوْمِ اِعْبُدُواْ اُللَّهَ وَارْجُواْ اُلْيَوْمَ اَلْاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِے اِ۬لْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٣٦ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ اُلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِے دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٣٧ وَعَاداً وَثَمُوداً وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ اُلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ اِ۬لسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ فَاسْتَكْبَرُواْ فِے اِ۬لْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ۝٣٩ فَكُلّاً اَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنَ اَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنَ اَخَذَتْهُ اُلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ اِ۬لْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنَ اَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اَللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠ مَثَلُ اُلذِينَ اَتَّخَذُواْ مِن دُونِ اِ۬للَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ اِ۬لْعَنكَبُوتِ اِتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ اَلْبُيُوتِ لَبَيْتُ اُلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝٤١ إِنَّ اَللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَےْءٍ وَهُوَ اَلْعَزِيزُ اُلْحَكِيمُ ۝٤٢ وَتِلْكَ اَلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا اَلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣ خَلَقَ اَللَّهُ اُلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُومِنِينَ ۝٤٤﴾

(٣٦) ﴿وَارْجُواْ اُلْيَوْمَ اَلْاخِرَ﴾ **قيل**: الرجاء هنا: بمعنى الخوف، **وقيل**: هو على بابه.

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِے اِ۬لْأَرْضِ﴾ **يعني**: نقْصَهم المكيالَ والميزان.

(٣٧) ﴿اُلرَّجْفَةُ﴾ هي الصَّيحة.

(٣٨) ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ أي: أنَّ آثار مساكنهم باقيةٌ، تدلُّ على ما أصابهم.

﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ **قيل**: معناه: لهم بصيرةٌ في كفرهم وإعجابٌ به. **وقيل**: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادًا. **وقيل**: معنى: ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاءَ متمكِّنين من النظر والاستدلال، ولكنهم لم يفعلوا.

(٣٩) ﴿مَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ أي: لم يَفُوتوا.

(٤٠) ﴿فَمِنْهُم مَّنَ اَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً﴾ **الحاصب**: الحجارة، **والحاصب أيضًا**: الريح الشديدة. **فيَحتمل عندي** أنه أراد به المعنيين؛ لأن قوم لوط أُهلِكوا بالحجارة، وعادًا أهلكوا بالريح، وإن حملناه على المعنى الواحد نقَص ذكر الآخَر، وقد أجاز كثيرٌ من الناس استعمالَ اللفظ الواحد في معنيين، كقوله: ﴿إِنَّ اَللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى اَلنَّبِےٓءِ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ويقْوَىٰ ذلك هنا؛ لأن المقصود ذكرُ عموم أخذ أصناف الكفار.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ يعني: ثمود ومدين.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: قارون.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني: قوم نوح، وفرعونَ وقومه.

(٤١) ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ شبَّه الله الكافرين في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتًا ضعيفًا، فكما أن ما اعتمدت عليه العنكبوت من بيتها ليس بشيء؛ كذلك ما اعتمد[1] عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء؛ لأنهم لا ينفعون ولا يضرُّون.

﴿أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ أي: أضعفها.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كانوا يعلمون أن هذا مَثَلهم.

(٤٢) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ ﴿مَا﴾ موصولةٌ بمعنىٰ: «الذي»، مفعولةٌ للفعل الذي قبلها. وقيل: هي نافية، والفعل معلَّق عنها، والمعنىٰ علىٰ هذا: لستم تدعون من دون الله شيئًا له بالٌ فيصلح أن يسمَّىٰ شيئًا.

(٤٤) ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، لا علىٰ وجه العبَث واللعِب.



(١) في ب، د: «اعتمدت».

اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ **إذا كان المصلي خاشعًا في صلاته، متذكِّرًا لعظمة من وقف بين يديه: حمَله ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر: فكأنَّ الصلاة ناهيةٌ عن ذلك.**

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ **قيل فيه ثلاثة معانٍ:**

الأول: أن المعنى: إن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بذكر الله؛ لأن ذكر الله أعظم ما فيها، وكأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر؛ لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.

الثاني: أن ذكر الله على الدَّوام أكبرُ في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة؛ لأنها في بعض الأوقات دون بعض.

الثالث: أن ذكر الله أكبرُ أجرًا من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم؟»؛ قالوا: بلى، قال: «ذكر الله»[1].

(١) تقدم تخريجه.

﴿٤٦﴾ ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: لا تجادلوا كفارَ أهلِ الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلَّا بالتي هي أحسن، لا بضربٍ ولا قتال. وكان هذا قبل أن يُفرض الجهاد، ثم نُسِخ بالسيف. ومعنىٰ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: الذين ظلموكم، أو[1] صرَّحوا بإذاية نبيكم ﷺ. وقيل: معنىٰ الآية: لا تجادلوا مَن أسلم مِن أهل الكتاب فيما حدَّثوكم به من الأخبار إلَّا بالتي هي أحسن، ومعنىٰ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ علىٰ هذا: من بقي منهم علىٰ كفره، والمعنىٰ الأول أظهر.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ هذا وما بعده: يقتضي موادعةً ومسالمة، وهي منسوخة بالسيف. ويقتضي أيضًا: الإعراض عن مكالمتهم، وفي الحديث: «لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا: آمنَّا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، فإن كان باطلًا لم تصدِّقوهم، وإن كان حقًّا لم تكذِّبوهم»[2].

﴿٤٧﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: كما أنزلنا الكتاب علىٰ مَن قبلك أنزلناه عليك.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: عبد الله بن سلَام ﷺ وأمثالَه ممن أسلم من اليهود والنصارىٰ.

﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ أراد بالذين أوتوا الكتاب: أهل التوراة والإنجيل، وأراد بقوله: ﴿مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ كفار قريش. وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب: المتقدِّمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بـ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المعاصرين لمحمد ﷺ منهم، كعبد الله بن سلَام ﷺ.

---

(١) في ب، هـ: «و».

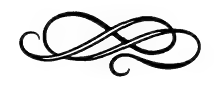
(٢) أخرجه أحمد (١٧٢٢٥) وأبو داود (٣٦٤٤)، وابن حبان (٦٢٥٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠١٦٠)، والبيهقي (١٩٢١٤)، عن أبي نملة الأنصاري ﷺ، أنه بينا هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود، فقال: يا محمد، هل تتكلم هذه الجنازة؟ قال رسول الله ﷺ: «الله أعلم»، قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقا لم تكذبوهم، وإن كان باطلا لم تصدقوهم»، وضعفه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٤/ ٨٢)، وله شاهد عند البخاري (٤٤٨٥) عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾..» الآيةَ.

(٤٨) ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ **هذا احتجاجٌ على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاء بالقرآن. فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾؟ فالجواب: أن ذلك تأكيدٌ للكلام، وتصويرٌ للمعنى المراد.**

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرَّق الشك إلى الكفار، فكانوا[1] يقولون: لعلَّه تعلم هذا الكتاب أو قرأه. **وقيل:** وجه الاحتجاج: أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ أمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفًا للصفة التي وصفه الله بها عندهم. **والمذهب الصحيح:** أن رسول الله ﷺ لم يقرأ قطُّ ولا كتب. **وقال الباجي**[2] وغيره: إنه كتب؛ لظاهر حديث الحديبيَة، **وهذا القول ضعيف.**

(٤٩) ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ﴾ الضمير للقرآن، والإضراب بـ﴿بَلْ﴾ عن كلام محذوف تقديره: ليس الأمر كما حَسِبَ المبطلون والظالمون.

(٥١) ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ **المعنى:** كيف يطلبون آيةً والقرآن أعظم الآيات، وأوضحها دلالة على صحة النبوة، فهلَّا اكتفوا به عن طلب الآيات!



(١) في ج، د: «وكانوا».

(٢) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٩٤هـ)، وله رسالة في هذه المسألة أسماها «تحقيق المذهب من أن النبي ﷺ قد كتب»، وجرت له في ذلك قصةٌ، انظرها في: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ٥٤٠)، والديباج المذهب لابن فرحون (١/ ٣٨٠).

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

﴿٥٢﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ ذُكِر معناه في «الرعد»[1]، وفي «الأنعام»[2].

﴿٥٣﴾ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير للكفار، يعني: قولهم: ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ [الأعراف: ٧٦]، وقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وشبهَ ذلك.

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ أي: لولا أن الله قدَّر لعذابهم أجلًا مسمًّىٰ لعاجلهم[3] به حين طلبوه.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ يحتمل أن يريد: القتلَ الذي أصابهم يوم بدر، أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط، أو يريد عذاب الآخرة، وهذا أظهر؛ لقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: يحيط بهم. والعامل في الظرف: محذوفٌ، أو ﴿مُحِيطَةٌ﴾.

---

(١) انظر تفسير الآية (٤٣).
(٢) انظر تفسير الآية (١٩).
(٣) في أ، ب: «لفاجأهم».

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ﴾ تحريضٌ علىٰ الهجرة من مكة؛ إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذىٰ الكفار، وترغيبٌ في غيرها من أرض الله، فحينئذ هاجروا إلىٰ أرض الحبشة، ثم إلىٰ المدينة.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ أي: نُنزلهم. وقرئ: ﴿نُثْوِيَنَّهُم﴾ بالثاء المثلثة[١] من الثَّوَاء[٢]، وهو الإقامة في المنزل.

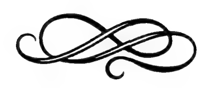
﴿٦٠﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي: كم من دابة ضعيفة لا تقدر علىٰ حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها. والقصد بالآية: تقويةٌ لقلوب المؤمنين؛ إذ خافوا الجوع والفقر في الهجرة إلىٰ بلاد الناس، أي: كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم[٣].

﴿٦١﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ في الموضعين: إقامة حجة عليهم.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يُصرَفون عن الحق.

﴿٦٣﴾ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد الله علىٰ ظهور الحجة، أو يكون المعنىٰ: إلزامَهم أن يحمَدوا الله لما اعترفوا أنه خلق السماوات والأرض.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إضرابٌ عن كلام محذوف تقديره: يجب عليهم أن يعبدوا الله لما اعترفوا به؛ ولكنهم لا يعقلون.



(١) وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالباء.
(٢) في ج، د: «الثوىٰ».
(٣) في د، هـ: «بلادكم».

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيٰهُمُۥٓ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ـامِناً وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمُۥٓ أَفَبِالْبَٰطِلِ يُومِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّنِ إِفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً اَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۖ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿٦٤﴾ ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ مصدرٌ، كالحياة.

﴿٦٥﴾ ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ الآيَةَ؛ إقامة حجةٍ عليهم بدعائهم لله حين الشدائد، ثم يشركون به في حال الرخاء.

﴿٦٦﴾ ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ أمرٌ علىٰ وجه التهديد، أو علىٰ وجه الخِذلان والتَّخلية، كما تقول لمن تنصحُه فلا يقبل نُصحك: «اعمل ما شئت».

﴿٦٧﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ـامِناً﴾ الضمير لكفار قريش، والحرم الآمن: مكة؛ لأنها كانت لا تُغير عليها العرب كما تغير علىٰ سائر البلاد، ولا يَنتهك أحدٌ حرمتَها.

﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمُۥٓ﴾ عبارةٌ عما يصيب غير أهل مكة من القتل وأخذ الأموال.

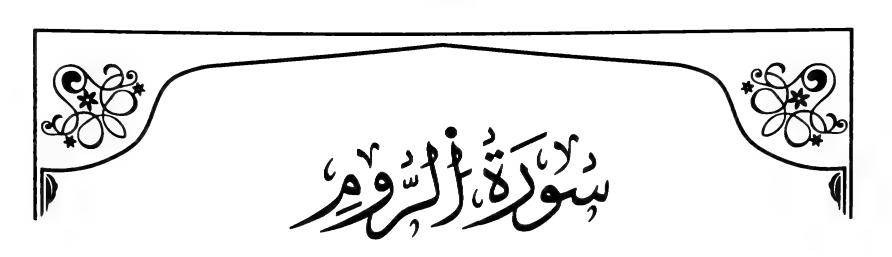
﴿٦٩﴾ ﴿وَالذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ يعني: جهاد الأنفس من الصَّبر علىٰ إذاية الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك. وقيل يعني: القتال، وذلك ضعيف؛ لأن القتال لم يكن مأمورًا به حين نزول الآية.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۖ﴾ أي: لنوفِّقَنَّهم لسُبُل[1] الخير.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المعنىٰ: إنه معهم بإعانته ونصره.



(١) في أ: «السبيل».



سُورَةُ الرُّومِ

أَلٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

﴿٢﴾ ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ أي: هَزم كسرىٰ ملكُ الفرس جيشَ ملك الروم. وسُمِّيت الروم باسم جدهم، وهو روم بن عِيصُو بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: هي الجزيرة، وهي بين الشام والعراق، وهي أدنىٰ أرض الروم إلىٰ فارس. وقيل: في أدنىٰ أرض العرب منهم، وهي أطراف الشام.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ إخبارٌ بأن الروم سيغلبون الفرس (بعد أن غلَبهم الفرس)[1].

﴿٤﴾ ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ البضع: ما بين الثلاث إلىٰ التسع.

---

(١) سقط من أ، ب.

﴿٤﴾ ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ رُوي: أن غَلْبَ الروم لفارس[1] وقع يوم بدر، **وقيل**: يوم الحديبية؛ ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش. **وقيل**: فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس؛ لأن الروم أهلُ كتاب، فهم أقرب إلى الإسلام، وكذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم؛ لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب، فهم أقرب إلى كفار قريش. وروي أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق ﷺ، فقال: إن نبينا ﷺ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيَغلبون، وراهنهم على عشر قِلاص[2] إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله ﷺ: «زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل»، فجعل القلاص مئة، والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبيُّ بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به أخذ أبو بكر القلاصَ من ذرية أبيٍّ بن خلف؛ إذ كان قد مات، وجاء بها إلى النبي ﷺ فقال له: «تصدَّق بها»[3].

﴿٥﴾ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّد، كقولك: «له عليَّ ألفُ درهم عُرفًا»؛ لأن معناه: اعترفت[4] له بها اعترافًا.

﴿٦﴾ ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا﴾ **قيل**: معناه: يعلمون ما يُدرَك بالحواسِّ دون ما يدرك بالعقول؛ فهم في ذلك مثل البهائم. **وقيل**: الظاهر: ما يُعلَم بأوائل العقول، والباطن: ما يُعلَم بالدليل والنظر. **وقيل**: هو من[5] الظُّهور بمعنى: العلوِّ في الدنيا. **وقيل**: ظاهرٌ بمعنى: زائلٌ ذاهبٌ. **والأظهر أنه أراد بالظاهر**: المعرفةَ بأمور الدنيا ومصالحها؛ لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدمَ معرفتِهم بها. **وانظر كيف نفى العلم عنهم أولًا، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة. وقال بعض أهل البيان**: إن هذا من المطابقة؛ لاجتماع النفي والإثبات. وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم؛ لقلَّة منفعته، فهو على هذا بيانٌ للنفي.

---

(١) في د: «للفرس».

(٢) القلاص: جمع قَلوص، وهي الشابة الفتيَّة من الإبل. الصحاح للجوهري.

(٣) أخرج القصة بهذا السياق أو يقاربه الطبري في تفسيره (١٨/ ٤٥١) عن عكرمة، وأخرجها مع اختلاف يسير فيها: أحمد (٢٤٩٥) والترمذي (٣١٩٣) وقال: «حسن غريب»، والنسائي في الكبرى (١١٣٢٥)، والحاكم (٣٥٤٠) وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عباس ﷺ.

(٤) في د، هـ: «أعترف».

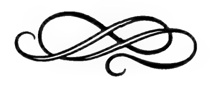
(٥) في أ، ب: «بمعنى».

(٧) ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ **يَحتمل معنيين: أحدهما: أن تكون النفس ظرفًا للفكرة في خلق السماوات والأرض؛ كأنه قال: أو لم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السماوات والأرض إلَّا بالحق.**

والثاني: أن يكون المعنىٰ: أولم يتفكروا في ذواتهم وخِلْقتهم؛ ليستدلُّوا بذلك علىٰ الخالق، ويكون قوله: ﴿مَّا خَلَقَ﴾ الآيةَ استئنافُ كلامٍ، والمعنىٰ الأول أظهر.

(٨) ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: حرثوها.

(٩) ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ معنىٰ ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: هلاك الكفار. ولفظ ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ، كما أن الحسنىٰ تأنيث الأحسن. وقرئ ﴿عَـٰقِبَةُ﴾[1]: بالرفع علىٰ أنه اسم ﴿كَانَ﴾، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ خبرها. وقرئ بنصب ﴿عَـٰقِبَةَ﴾ علىٰ أنها خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ اسمها. و﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ مفعول من أجله. ويَحتمل أن تكون ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدر: ﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾[2].



(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.
(٢) في أ، ب، هـ: «أساء».

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١١ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝١٢ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٣ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝١٦ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ۝١٨ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١٩﴾

(١٢) ﴿يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ **الإبلاس**: الكون في شرٍّ مع اليأس من الخير.

(١٤) ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ معناه: في المنازل والجزاء.

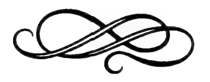
(١٥) ﴿يُحۡبَرُونَ﴾ يُنَعَّمون[1]، من الحُبور، وهو السرور والنعيم، **وقيل**: يُكرَمون.

(١٧) (١٨) ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ هذا تعليمٌ للعباد؛ أي: قولوا: «سبحان الله» حين تمسون وحين تصبحون، وعشيًّا وحين تُظهِرون؛ أي: حين تدخلون في وقت الظهيرة وهو وسَط النهار. وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: اعتراضٌ بين المعطوفات. **وقيل**: أراد بذلك الصلوات الخمس، فـ ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾ المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾: الصبح، ﴿وَعَشِيّٗا﴾: العصر، ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾: الظهر.

(١٩) ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ﴾ ذُكِر في «**آل عمران**»[2].

﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: يُنبِت فيها النبات.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ أي: كما يخرج الله النبات من الأرض، كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة.



(١) في أ، ب، هـ: «يتنعمون».

(٢) انظر تفسير الآية (٢٧).

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾

﴿١٩﴾ ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ أي: تتصرَّفون[١] في الدنيا.

﴿٢٠﴾ ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: من صنفكم وجنسكم. وقيل: أراد خِلْقَة حواء من ضِلَعِ آدم عليه السلام، وخاطب الناس بذلك؛ لأنهم ذرية آدم.

﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قيل: المودة: الجماع، والرحمة: الولد، والعموم أحسن وأبلغ.

﴿٢١﴾ ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لُغَاتكم.

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ يعني: البياض والسواد، وقيل: يعني: أصنافكم، والأول أظهر.

﴿٢٣﴾ ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذُكِر في «الرعد»[٢].

﴿٢٤﴾ ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ معناه: تثبت، أو يقوم تدبيرها[٣].

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿إِذَا﴾ الأولىٰ: شرطية، والثانية: فجائية، وهي جواب الأولىٰ. والدعوة في هذه الآية: قوله للموتىٰ: قوموا، أو النفخةُ الثانية

(١) في د: «تنصرفون».
(٢) انظر تفسير الآية (١٢).
(٣) في ج، د: «تدبرها»!

في الصور. و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يتعلَّق بقوله: ﴿تَخْرُجُونَ﴾، أو بقوله: ﴿دَعَاكُمْ﴾؛ على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعوِّ؛ كقولك: «دعوتك من الجبل» إذا كان المدعوُّ في الجبل.

﴿٢٥﴾ ﴿قَٰنِتُونَ﴾ ذكر في «البقرة»[1].

﴿٢٦﴾ ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أي: الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخِلقة الأولى، وهذا تقريبٌ لفهم السامع وتحقيقٌ للبعث؛ فإن مَن صنع صنعةً أول مرة كانت أسهلَ عليه ثانيَ مرة، ولكنَّ الأمور كلَّها متساويةٌ عند الله؛ فإن كل شيء على الله يسير[2].

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلى الذي يصفه به أهل السماوات والأرض.



(١) انظر تفسير الآية (١١٦).

(٢) [التعليق ٨٦] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ ﷺ: «هذا تقريبٌ لفهمِ السامعِ، وتحقيقٌ للبعثِ...»، إلخ:
أقولُ: يريدُ: أنَّ أفعَلَ التفضيلِ ليس على بابه؛ فلا يدل على أن الإعادة أيسرُ على اللهِ مِن البَدْءِ: «الخَلْقِ الأوَّلِ»؛ لأنَّ قدرتَهُ تعالى على الأشياءِ واحدة، والأشياءُ بالنسبةِ لقدرتِهِ سواءٌ؛ فليس شيءٌ منها أيسَرَ على اللهِ مِن شيء، وإنما ذكَرَ أفعلَ التفضيلِ تقريبًا للمخاطَبِينَ؛ لأنَّ المستقِرَّ في عقولِهم أنَّ الإعادةَ أهوَنُ مِن البدءِ؛ وهذا توجيهٌ صحيح.
وفي الآية: توجيهٌ آخَرُ صحيحٌ أيضًا؛ وهو أنَّ أفعَلَ التفضيلِ ليس على بابِهِ؛ أي: ليس المقصودُ منه المفاضَلةَ بين شيئَيْن، بل المرادُ إثباتُ الوصفِ؛ وعلى هذا: فقولُهُ تعالى: ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: هَيِّنٌ عليه، فيكونُ مِن قبيلِ الصفةِ المشبَّهة؛ والله أعلم.

ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنَ انفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتَ ايْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِے مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمُۥٓ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٧﴾ بَلِ اِتَّبَعَ اَلذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَّهْدِے مَنَ اَضَلَّ اَللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٨﴾ *فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اَللَّهِ اِلتِے فَطَرَ اَلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اِللَّهِ ذَٰلِكَ اَلدِّينُ اُلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ اُلصَّلَوٰةَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ ﴿٣٠﴾ مِنَ اَلذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً كُلُّ حِزْبِۢ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا مَسَّ اَلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً اِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ أَمَ اَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا اَلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتَ ايْدِيهِمُۥٓ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٥﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ اَنَّ اَللَّهَ يَبْسُطُ اُلرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَاَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ ﴿٣٦﴾ فَـَٔاتِ ذَا اَلْقُرْبِيٰ حَقَّهُۥ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ اَلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اَللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّباً لِّتَرْبُواْ فِےٓ أَمْوَٰلِ اِلنَّاسِ فَلاَ يَرْبُواْ عِندَ اَللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اَللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٨﴾ اَللَّهُ اُلذِے خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّنْ يَّفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَےْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَيٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾

﴿٢٧﴾ ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتَ ايْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ **هذا هو المثل المضروب، ومعناه: أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدُكم في أموالكم، ولا يستوون معكم في أحوالكم، فكذلك الله تعالىٰ لا يشاركه عبيدُه في ملكه، ولا يماثله أحد في ربوبيته، فذَكر حرف الاستفهام ومعناه التقرير علىٰ النفي، ودخل في النفي قوله:** ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمُۥٓ أَنفُسَكُمْ﴾ **أي: لستم في أموالكم سواءً مع عبيدكم، ولستم تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلَكم؛ لأن العبيد عندكم أقلُّ وأذل من ذلك.**

﴿٢٨﴾ ﴿بَلِ اِتَّبَعَ اَلذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ **الإضراب بـ﴿بَلِ﴾ عما تضمَّنه معنىٰ الآية المتقدمة، كأنه يقول: ليس لهم حجة في إشراكهم بالله؛ بل اتبعوا في ذلك أهواءهم بغير علم.**

(٢٩) ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ هو دين الإسلام. وإقامة الوجه في الموضعين من السورة: عبارةٌ عن الإقبال عليه والإخلاص فيه. وفي قوله: ﴿أَقِمْ﴾، و ﴿الْقَيِّمُ﴾ ضربٌ من ضروب التَّجنيس.

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر: كقوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]. أو مفعولٌ بفعل مضمر تقديره: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله. ومعناه: خلقة الله، والمراد به: دين الإسلام؛ لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السَّليمة، وإنما كفر مَن كفر لعارضٍ أخرجه عن أصل فطرته، كما قال ﷺ: «كلُّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه..»[١].

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ يعني بـ﴿خَلْقِ اللَّهِ﴾: الفطرة التي فطَر الناس عليها من الإيمان. ومعنى أن الله لا يبدِّلها: أنه لا يخلق الناس على غيرها، ولكن يبدِّلها شياطين الإنس والجن بعد الخِلْقة الأولى. أو يكون المعنى: أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدِّلوها؛ فالنفي على هذا حكمٌ لا خبر. وقيل: إنه على الخصوص[٢] في المؤمنين؛ أي: لا تبديل لفطرة الله في حقِّ مَن قضى الله أنه يثبت على إيمانه. وقيل: إنه نهيٌ عن تبديل خلقة الله، كخِصَاء الفحول من الحيوان، وقطع آذانها وشبهِ ذلك.

(٣٠) ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ منصوبٌ على الحال من قوله: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: هو وأمته، ولذلك جمعهم في قوله: ﴿مُنِيبِينَ﴾. وقيل: هو حال من ضمير الفاعل المستتر في: «الزموا فطرة الله». وقيل: هو حال من قوله: ﴿فَطَرَ النَّاسَ﴾ ، وهذا بعيد.

﴿وَاتَّقُوهُ﴾ وما بعده: معطوفٌ على ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾، أو على العامل في ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾، وهو «الزموا» المضمر.

(٣١) ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ المجرور بدلٌ من المجرور قبله. ومعنى ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: جعلوه فِرَقًا؛ أي: اختلفوا فيه. وقرئ: ﴿فَارَقُوا﴾ من المفارقة[٣]؛ أي: تركوه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) في ج، د: «إنه خصوصٌ».

(٣) قرأه حمزة والكسائي ﴿فَارَقُوا﴾ بالألف وتخفيف الراء، وقرأ الباقون بغير ألف مع التشديد.

والمراد بالمشركين هنا: أصناف الكفار، **وقيل**: هم المسلمون الذي تفرَّقوا فِرَقًا مختلفة، ففي لفظ ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ على هذا تجوُّزٌ بعيد، ولعلَّ قائلَ هذا القول إنما قاله في قول الله في «**الأنعام**»: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾؛ فإنه ليس هناك ذكر المشركين.

(٣٣) ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ **الآيةَ**؛ إنحاءٌ على المشركين؛ لأنهم يدعون الله في الشدائد ويشركون به في الرَّخاء.

(٣٤) ﴿لِيَكۡفُرُواْ﴾ ذكر في «**العنكبوت**»[1].

(٣٥) ﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا﴾ ﴿أَمۡ﴾ هنا منقطعةٌ بمعنى: «بل» والهمزة. **والسلطان**: الحجة، وكلامه مجازٌ، كما تقول: نطَق الكتاب بكذا، **والمعنى**: ليس لهم حجة تشهد بصحَّة شركهم.

(٣٦) ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ﴾ إنحاءٌ على مَن يفرح ويَبطَر إذا أصابه الخير، ويَقنَط إذا أصابه الشر.

وانظر كيف قال هنا ﴿إِذَآ﴾ ، **وقال في الشرِّ**: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ ؛ لأن «إذا» للقطع بوقوع الشرط، بخلاف «إنْ»؛ فإنها للشكِّ في وقوعه، ففي ذلك إشارةٌ إلى أن الخير الذي يصيب به عبادَه أكثرُ من الشرِّ.

﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ **المعنى**: أن ما يصيب الناس من المصائب فإنه بسبب ذنوبهم.

(٣٨) ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ **يعني**: صلة رحم القرابة؛ بالإحسان والمودَّة، ولو بالكلام الطيب.

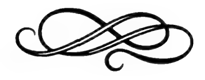
(٣٩) ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ **الآيةَ**؛ معناها كقوله: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، **أي**: ما أَعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتم من الصَّدَقات فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به. **وقيل**: **المراد**: أن يهبَ الرجلُ للرجل أو يُهدِيَ له ليعوضه أكثر مِن ذلك، فهذا وإن كان جائزًا فإنه لا ثواب فيه.

---

(١) انظر تفسير الآية (٦٦).

وقرئ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾: **بالمدِّ**[1]: بمعنى أعطيتم، **وبالقصر**: يعني: جئتم به؛ أي: فعلتموه. **وقرئ**[2]: ﴿لِّتُرْبُواْ﴾ بالتاء المضمومة، و﴿لِّيَرْبُوَاْ﴾ بالياء مفتوحةً ونصبِ الواو.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ **المضْعِف**: ذو الإضعاف من الحسنات. وفي هذه الجملة التفاتٌ؛ لخروجه من الخطاب إلى الغَيبة، وكان الأصل أن يقال: «وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون». وفيها أيضًا حذفٌ؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى «ما»، وتقديره: «المضعفون به»، أو: «فمؤتوه هم المضعفون».



---

(١) قرأ ابن كثير بقصر الهمزة، والباقون بمدها.

(٢) قرأ نافع بالتاء وضمها وإسكان الواو، وقرأ الباقون بالياء وفتحها وفتح الواو.

*ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤١﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٢﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٣﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٨﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ أَثَرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٠﴾ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ **قيل: البر**: البلاد البعيدة من البحر، **والبحر**: هو البلاد التي على ساحل البحر. **وقيل: البر**: اللسان، **والبحر**: القلب، **وهذا بعيد. والصحيح**: أن البرَّ والبحر هما المعروفان، **وظهور الفساد في البرِّ**: بالقحط والفتن وشبه ذلك، **وظهور الفساد في البحر**: بالغرق وقلة الصيد وكسَاد التجارات وشبه ذلك، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان.

﴿٤٢﴾ ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ **أي**: لا رجوع له، ولا بد من وقوعه.

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ **يتعلَّقُ** بقوله: ﴿يَأْتِيَ﴾، أو بقوله: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ **أي**: لا يردُّه الله.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ مِن الصَّدْعِ، وهو الفُرْقة؛ **أي**: يتفرقون فريقٌ في الجنة وفريق في السعير.

(٤٣) ﴿فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ أي: يُوطِّئون، وهو استعارة من تمهيد الفِراش ونحوه. والمعنىٰ: أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة.

(٤٤) ﴿لِيَجۡزِيَ﴾ متعلِّق بـ﴿يَمۡهَدُونَ﴾، أو ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾، أو بمحذوف[1].

(٤٥) ﴿مُبَشِّرَٰتٖ﴾ أي: تبشِّر بالمطر.

﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ عطفٌ علىٰ ﴿مُبَشِّرَٰتٖ﴾؛ كأنه قال: ليُبشِّرَكم وليذيقكم. ويحتمل أن يتعلَّق بمحذوف تقديره: ليُذيقكم من رحمته أرسلَها.

(٤٦) ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا﴾ انتصب ﴿حَقًّا﴾ لأنه خبر «كان»، واسمها ﴿نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. وقيل: اسمها مضمر يعود علىٰ مصدر ﴿ٱنتَقَمۡنَا﴾، أي: وكان الانتقام حقًّا، فعلىٰ هذا: يوقف علىٰ ﴿حَقًّا﴾، ويكون ﴿نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ مبتدأً، وهذا ضعيف.

(٤٧) ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ أي: تحرِّكها وتنشرها.

﴿كِسَفٗا﴾ أي: قِطَعًا، وقرئ بإسكان السين[2]، وهما بناءان للجمع. وقيل: معنىٰ الإسكان: أن السحاب قطعة واحدة.

﴿ٱلۡوَدۡقَ﴾ هو المطر.

﴿مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ **الخلالُ**: الشِّقاق التي بين بعضه وبعض؛ لأنه متخلِّلُ الأجزاء، والضمير يعود علىٰ السحاب.

(٤٩) ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ كرر للتأكيد، وليفيد سرعة تقلُّب قلوب الناس من القنوط إلىٰ الاستبشار.

﴿لَمُبۡلِسِينَ﴾ أي: قانطين، كقوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورىٰ: ٢٦].

(٥٠) ﴿فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا﴾ الضمير للنبات الذي يُنبته الله بالمطر، والمعنىٰ: لئن أرسل الله ريحًا فاصفرَّ بها النبات لكفر الناس بالقنوط والاعتراض علىٰ الله.

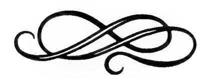
وقيل: الضمير للريح، وقيل: للسحاب، والأول أحسن في المعنىٰ.

---

(١) تقديره: ذلك، أو: فعل ذلك ليجزي. المحرر الوجيز (٧/ ٣٢).

(٢) قرأ ابن عامر بخلف عن هشام بإسكان السين، وقرأ الباقون بفتحها، وهو الوجه الثاني لهشام.

(٥١) ﴿وَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآيَةَ؛ استعارةٌ في عدم سمْع الكفار للمواعظ والبراهين، فشبه الكفار بالموتىٰ في عدم إحساسهم.



﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ۝٥٥ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٥٦ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٥٧ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾

(٥٤) ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ **الضعف الأول**: كون الإنسان من ماء مهين، وكونه ضعيفًا في حال الطفوليَّة، **والضعف الأخير**: هو الهرَم. وقرئ بفتح الضاد وضمها[1]، وهما لغتان.

(٥٥) ﴿مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه: أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلَّا ساعة، أو: ما لبثوا في الدنيا إلَّا ساعة، وذلك لاستقصارهم تلك المدةَ.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: مثلَ هذا الصرف كانوا يُصرَفون في الدنيا عن الصِّدق والتحقيق؛ حتىٰ يروا الأشياء علىٰ غير ما هي عليه.

(٥٦) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون، ردُّوا مقالة الكفار التي حلفوا عليها.

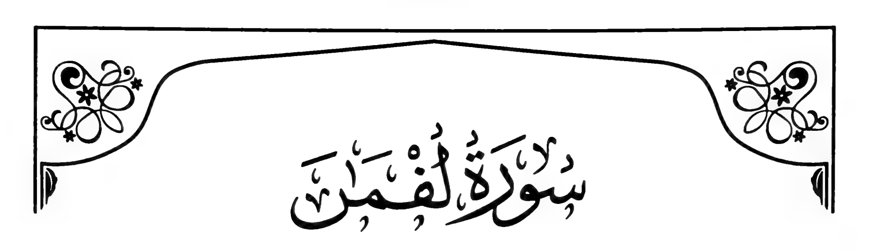
﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور علىٰ هذا يتعلق بقوله: ﴿لَبِثْتُمْ﴾. وقيل: يعني: القرآن، فعلىٰ هذا يتعلق هذا المجرور بقوله: ﴿أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره علىٰ هذا: قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله؛ أي: العلماء بكتاب الله. وقولهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ﴾ خطابٌ للكفار. وقولهم: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ تقريرٌ لهم، وهو في المعنىٰ جوابٌ لشرط مقدَّر تقديره: إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث.

(١) قرأ حمزة وشعبة وحفص في أحد الوجهين بفتح الضاد، وقرأ الباقون بضمها.

(٥٦) ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العُتبىٰ: بمعنىٰ الرضا؛ أي: لا يُرْضَون، وليست «استفعل» هنا للطلب.

(٥٩) ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني: ما وَعد من النصر علىٰ الكفار.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ من الخِفَّة؛ أي: لا تضطرب لكلامهم.



سورة لقمان

﴿الٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٤ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾

۝٢ ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ذُكر في «يونس»[1].

۝٦ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ هو الغناء، وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهنَّ حرام»، وقرأ هذه الآية[2]. وقيل: نزلت في قريشيٍّ اشترىٰ جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله ﷺ[3]، فالشراء علىٰ هذا: علىٰ حقيقته. وقيل: نزلت في

---

(١) انظر تفسير الآية (١).

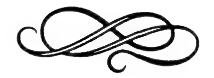
(٢) أخرجه أحمد (٢٢١٦٩)، والترمذي (١٢٨٢) وقال: «غريب»، وابن ماجه (٢١٦٨)، والبيهقي (١١٠٥٥)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٥١)، والطبري (١٨/ ٥٣٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٦)، عن أبي أمامة ﷺ، والحديث إسناده ضعيف، نقله الترمذي عن البخاري كما في سنن البيهقي، وضعفه ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٣١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٣٩)، عن ابن عباس ﷺ، وليس فيه: «تغني بهجاء رسول الله ﷺ».

النضر بن الحارث[1]، وكان قد تعلَّم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث، وشراءُ لهو الحديث: استحبابه وقوله وسماعه، فالشراء علىٰ هذا: مجاز. **وقيل:** ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: الطَّبل.، **وقيل:** الشرك، ومعنىٰ اللفظ يعم ذلك كلَّه. وظاهر الآية: أنه لهوٌ مضافٌ إلىٰ كفرٍ واستخفاف بالدين؛ لقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآيَةَ، وأن المراد شخصٌ معين؛ لوصفه بعد ذلك بجملة أوصاف.

(٩) ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ذكر في «**الرعد**»[2].

﴿أَن تَمِيدَ﴾ أي: لئلا تميد.



---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٠٥) عن ابن عباس ﷺ، وإسناده واهٍ، فيه محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي، وهما متروكان.

(٢) انظر تفسير الآية (٢).

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١١﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٣﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٦﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٧﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٨﴾

﴿١١﴾ ﴿لُقْمَانَ﴾ رجلٌ ينطق بالحكمة، واختُلف هل هو نبيٌّ أم لا؟ وفي الحديث: «لم يكن لقمان نبيًّا، ولكن كان عبدًا حسَن اليقين، أحبَّ الله فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة»[1]. وروي أنه كان ابن أخت أيوب[2] أو ابن خالته[3]. وروي أنه كان قاضي[4] بني إسرائيل[5]. واختُلف في صناعته، فقيل: نجارٌ، وقيل: خياطٌ، وقيل: راعي غنم. وكان ابنه كافرًا، فما زال يوصيه حتىٰ أسلم. وروي أن اسم ابنه ثاران[6].

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/ ٨٥)، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٤٥٠)، عن ابن عمر ﷺ مرفوعًا، وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ط. مكتبة البخاري (١/ ٣١٥) عن أبي مسلم الخولاني مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ، وفي إسنادهما نوفل بن سليمان الهنائي، ضعفه الدارقطني وغيره، وقال أبو حاتم الرازي عن الإسناد الأول: «موضوع بهذا الإسناد». انظر: لسان الميزان، لابن حجر (٨/ ٣٠٠).

(٢) نقله الثعلبي في تفسيره (٢١/ ١٩٧) عن وهب بن منبه.

(٣) قاله مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣/ ٤٣٤).

(٤) في ب: «قاضيًا في».

(٥) نقله الثعلبي في تفسيره (٢١/ ١٩٧) عن الواقدي.

(٦) ذكره السهيلي في التعريف والإعلام (٢٤٩)، وعزاه إلىٰ الطبري والقُتَبي، يعني: ابن قتيبة. ولم أقف عليه في تفسير الطبري ولا في تاريخه، وذكره ابن قتيبة في المعارف (٥٥).

(١٣) ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هذه الآية والتي بعدها اعتراضٌ في أثناء وصية لقمان لابنه؛ على وجه التأكيد لما في وصية لقمان من النهي عن الشِّرك بالله. ونزلت الآية في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمِّه؛ حسَبما ذكرنا في «**العنكبوت**»[1].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفًا على ضعف؛ لأن الحمل كلَّما عظم ازدادت الحامل به ضعفًا. وانتصاب ﴿وَهْنًا﴾ بفعل مضمر تقديره: تَهِنُ وَهْنًا.

﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي فِطَامه، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرَّضاع.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ تفسيرٌ للوصية، واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾؛ ليبيِّن ما تكابده الأم بالولد؛ مما يوجب عظيم حقِّها، ولذلك كان حقُّها أعظم من حق الأبِ.

(١٥) ﴿يَٰبُنَىَّ﴾ الآيةَ؛ رجَع إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان: يا بنيِّ.

﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: وزْنَها، والمراد بذلك: أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد؛ فعبَّر بحبة الخردل ليدلَّ على ما هو أكثر.

﴿فِى صَخْرَةٍ﴾ قيل: أراد الصخرة التي عليها الأرض، وهذا ضعيف. وإنما معنى الكلام: أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ولو[2] كانت في أخفى موضع كجوف صخرة: فإن الله يأتي بها يوم القيامة، وكذلك لو كانت في السماوات أو في الأرض.

(١٦) ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ أمرٌ بالصبر على المصائب عمومًا، وقيل: المعنى: ما يصيب مَن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر.

﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ يَحتمل أن يريد: مما أمر الله به على وجه العزم والإيجاب، أو من مكارم الأخلاق التي يَعزم عليها أهل الحزم والجِدِّ. ولفظ العزم مصدرٌ يراد به المفعول؛ أي: من معزومات الأمور.

---

(١) انظر

(٢) في أ، هـ: «لو».

﴿١٨﴾ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ **الصَّعَر في اللغة**: الميل؛ أي: لا تولِّ الناس خدَّك، وتعرض عنهم تكبُّرًا عليهم.

﴿مَرَحًا﴾ ذكر في «**الإسراء**»[1].

﴿مُخْتَالٍ﴾ من الخيلاء.

﴿١٩﴾ ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: اعتدل فيه، فلا تُسرع[2] إسراعًا يدلُّ على الطَّيش والخِفَّة، ولا تُبطئ[3] إبطاءً يدلُّ على النَّخوة والكبر.



(١) انظر تفسير الآية (٣٧).

(٢) في أ، ب زيادة: «فيه».

(٣) في ب زيادة: «فيه».

أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

﴿٢٠﴾ ﴿نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ **الظاهرة**: الصحة والمال وغير ذلك، **والباطنة**: النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها: سَتر قبيح الأعمال، **وقيل**: **الظاهرة**: نعم الدنيا، **والباطنة**: نعم العقبىٰ، واللفظ أعمُّ من ذلك كلِّه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله[1].

﴿٢١﴾ ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ **معناه**: أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلىٰ النار؟!

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ﴿يُسْلِمْ﴾ أي: يخلص، أو يستسلم وينقاد. والوجه هنا عبارة عن المقصد[2].

(١) قاله النقاش كما في المحرر الوجيز (٧/ ٥٥)، وتقدم في نظيرتها في سورة الحج، الآية رقم (٣).
(٢) في أ: «القصد».

﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ ذكر في «البقرة»(١).

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وما بعده ذكر في «العنكبوت»(٢).

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ الآيَةَ؛ إخبارٌ بكثرة كلمات الله، والمراد: اتِّساع علمه(٣).

ومعنىٰ الآية: أن شجر الأرض لو كانت أقلامًا، والبحر لو كان مِدادًا يصبُّ فيه سبعة أبحر صَبًّا دائمًا، وكُتِبت بذلك كلمات الله: لنَفِدَت الأشجار والبحار ولم تَنْفَدْ كلمات الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهيةٌ، وكلمات الله غير متناهية. فإن قيل: لِمَ لَمْ يقل: «والبحر مداد» كما قال في «الكهف»: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٤] ؟ فالجواب: أنه أغنىٰ عن ذلك قوله: ﴿يَمُدُّهُ﴾؛ لأنه من قولك: مَدَّ الدَّواةَ وأَمدَّها.

فإن قيل: لم قال: ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ ولم يقل: «من شجرٍ» باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟

فالجواب: أنه أراد تفصيل الشجر إلىٰ شجرةٍ شجرةٍ؛ حتىٰ لا يبقىٰ منها واحدة.

(١) انظر تفسير الآية (٢٥٦).

(٢) انظر تفسير الآية (٦٣).

(٣) [التعليق ٨٧] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قوله: «والمراد اتساع علمه» هذا صريح في تأويل كلمات الله بعلم الله، وهذا خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الفرق بين علم الله، وكلام الله؛ فعلم الله صفة ذاتية ثابتة للرب أزلا وأبدا، ولا تتعلق بها المشيئة، وأما الكلام فصفة فعلية تتعلق بها المشيئة، أي: إنه تعالىٰ يتكلم بما شاء إذا شاء، وكلماته سبحانه لا تحصىٰ، ولا نهاية لها، كما تدل عليه الآية المذكورة في سورة لقمان، وآية الكهف: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، والذي يبدو أن المؤلف ومن قال بقوله حملهم علىٰ هذا التأويل - الذي هو في الحقيقة تحريف - الفرارُ من إثبات التعدد في كلام الله؛ لأنه خلاف أصل الأشاعرة في كلام الله، وهو أنه معنىٰ نفسي واحد، لا تعدد فيه، وهو خلاف ما دلَّ عليه القرآن في آيتي الكهف ولقمان، كما يفيده لفظ الجمع في (كلمات)، وكما في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ بالجمع علىٰ إحدىٰ القراءتين. إذا علم ما تقدم فالصواب أن الكلمات جمع كلمة، وكلمات الله كلُّها من كلامه، ومثل هذه الآيات من أدلة أهل السنة علىٰ إثبات كلام الله، وكما دل القرآن علىٰ التعدد في كلام الله فقد دلت السنة علىٰ ذلك في أحاديث عدة؛ مثل قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق» وما أشبهه [أخرجه مسلم (٢٧٠٨) عن خولة بن حكيم ﵂]، وقوله في التسبيح الذي رغب فيه ﷺ: «ومداد كلماته» [أخرجه مسلم (٢٧٢٦) عن جويرية ﵂].

فإن قيل: لم قال: ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل: «كَلِمُ الله» بجمع الكثرة؟

فالجواب: أن هذا أبلغُ؛ لأنه إذا لم تَنفَد الكلمات مع أنها جمع قلة، فكيف ينفد الجمع الكثير.

وروي أن سبب الآية: أن اليهود قالوا: قد أوتينا التوراة وفيها العلم كلُّه، فنزلت الآية[1]؛ لتدلَّ أن ما عندهم قليلٌ من كثير، والآية علىٰ هذا مدنية.

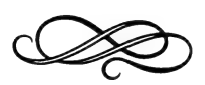
وقيل: إن سببها: أن قريشًا قالوا: إن القرآن سيَنفَدُ[2].

(٢٧) ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ بيانٌ لقدرة الله علىٰ بعث الناس، وردٌّ علىٰ من استبعد ذلك.

(٢٨) ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ أي: يُدخِل كلَّ واحدٍ منهما في الآخر؛ بما يزيد في أحدهما ويَنقص من الآخر، أو بإدخال ظلمة الليل علىٰ ضوء النهار وإدخال ضوء النهار علىٰ ظلمة الليل.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ **يعني:** يوم القيامة.

(٢٩) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ **يَحتمل أن تكون الباء سببيةً**، أو يكون المعنىٰ: ذلك شاهدٌ بأن الله هو الحق.



---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٠) عن ابن عباس ﷺ، وأخرجه الطبري أيضا عن عكرمة وعطاء بن يسار.

(٢) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠١) عن قتادة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ *يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

﴿٣١﴾ ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ **يحتمل أن يريد بذلك**: ما تحمله السفنُ مِن الطَّعام والتِّجارات، فتكون الباء: للإلصاق أو للمصاحبة. أو يريد الريح، فتكون الباء سببية.

﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مبالغةٌ في صابرٍ وشاكر.

﴿٣٢﴾ ﴿كَٱلظُّلَلِ﴾ جمع ظُلَّة، وهو ما يعلوك من فوق، وشبَّه الموج بذلك إذا ارتفع وعَظُم حتىٰ علا فوق الإنسان.

﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ **المقتصد**: المتوسِّط في الأمر، **فيحتمل أن يريد**: كافرًا متوسِّطًا في كفره لم يسرف فيه، أو مؤمنًا متوسطًا في إيمانه؛ لأن الإخلاص الذي كان عليه في البحر يزول عنه. **وقيل**: معنىٰ ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾: مؤمنٌ ثبت في البرِّ علىٰ ما عاهد اللهَ عليه في البحر.

﴿خَتَّارٍ﴾ أي: غدَّار شديد الغدر، وذلك أن جَحْدَ نعمة الله غدرٌ.

﴿٣٣﴾ ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ أي: لا يقضي[1] عنه شيئًا، **والمعنىٰ**: أنه لا ينفعه، ولا يدفع عنه مضرَّة.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ أي: ولدٌ، فكما لا يقدر الولد لوالده علىٰ شيء، كذلك لا يقدر الوالد لولده علىٰ شيء.

---

(١) في ب: «لا يغني».

﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان، وقيل: الأمل والتَّسويف.

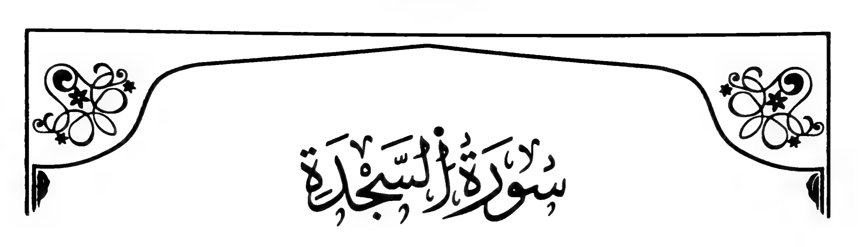
﴿٣٣﴾ ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: متى تكون الساعة[1]؛ فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: «مفاتح الغيب خمس» وتلا هذه الآية[2].

﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ يعني: من خيرٍ أو شر، أو مال أو ولد، أو غير ذلك.

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في أ، ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.



سورة السجدة

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾

(١) ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شكَّ أنه من عند الله عز وجل. ونفيُ الريب علىٰ اعتقاد أهل الحق، وعلىٰ ما هو الأمر في نفسه، لا علىٰ اعتقاد أهل الباطل.

﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يتعلَّق بـ﴿تَنزِيلُ﴾.

(٢) ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الضمير لقريش، و﴿أَمْ﴾ بمعنىٰ: «بل» والهمزة.

﴿لِتُنذِرَ﴾ يتعلَّق بما قبله، أو بمحذوف(١).

﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني: في الفترة من زمان عيسىٰ ﷺ، وقد جاء الرسلُ قبل ذلك،

---

(١) تقديره: أنزله لتنذر. المحرر الوجيز (٧/ ٦٦)

كإبراهيم عليه السلام وغيره، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولًا ينذرهم؛ ليقيم الحجة عليهم.

٣ ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر في «الأعراف»[1].

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ نفيُ الشفاعة على وجهين:

أحدها: الشفاعة للكفار، وهي معدومة على الإطلاق.

والآخر: أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلَّا بإذن الله، كقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

٤ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: واحد الأمور، وقيل: المأمور به من الطَّاعات، والأول أصحُّ.

﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: ينزل ما دبَّره[2] وقضاه من السماء إلى الأرض.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما[3]: المعنى: يُنفِذُ الله قضاءه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا، مقداره لو سِيرَ فيه السيرُ المعروف من البشر ألفُ سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض خمس مئة عام، فالألْفُ: ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء.

وقيل: إن الله يُلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر، وهو يوم من أيام الله، فإذا فرَغت ألقَى إليهم مثلَها، فالمعنى: أن الأمور تَنفُذُ عنده لهذه المدَّة، ثم تصير إليه آخِرًا؛ لأن عاقبة الأمور إليه، فالعروج على هذا: عبارةٌ عن مصير الأمور إليه.

٥ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الغيب: ما غاب عن المخلوقين، والشهادة: ما شاهدوه.

٦ ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي: أتقن جميع المخلوقات. وقرئ ﴿خَلْقَهُ﴾ -بإسكان اللام-[4] على البدل.

---

(١) انظر تفسير الآية (٥٤).

(٢) في أ، ب، هـ: «يدبره».

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٥٩٣).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بإسكان اللام، وقرأ الباقون بفتحها.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ يعني: آدم عليه السلام.

﴿٨﴾ ﴿نَسْلَهُۥ﴾ يعني: ذريَّته.

﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني: المنِيَّ، والسُّلالة: مشتقةٌ مِن سَلَّ يسُلُّ؛ فكأنَّ الماء يُسَلُّ من الإنسان. والمهين: الضعيف.

﴿٩﴾ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي: قوَّمه.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ عبارةٌ عن إيجاد الحياة فيه. وإضافةُ الرُّوح إلىٰ الله إضافةُ مِلكٍ إلىٰ مالك، وقد يراد بها الاختصاص؛ لأن الروح لا يعلم كُنْهه إلَّا الله[1].

﴿١٠﴾ ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تَلِفْنا وصرنا ترابًا. ومعنىٰ هذا الكلام المحكي عن الكفار: استبعادٌ للبعث. والعامل في ﴿إِذَا﴾: معنىٰ قولهم: ﴿إِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، تقديره: نُبعَث؟

﴿١١﴾ ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ اسمه: عزرائيل، وتحت يده ملائكة.



---

(١) [التعليق ٨٨] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ رحمه الله: «﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة:٩]، عبارةٌ عن إيجادِ الحياةِ فيه...»، إلخ:

أقولُ: يريدُ المؤلِّفُ: أنَّ النفخَ في آدمَ مِن الرُّوحِ عبارةٌ عن إيجادِ الحياةِ فيه، وهذا تأويلٌ للنَّفْخِ؛ فيَظهَرُ منه: أنه لا يُثبِتُ إضافةَ النفخِ إلىٰ اللهِ؛ لأن من مذهبه نفيَ الأفعالِ الاختياريَّة عن الله تعالىٰ.

ولا مُوجِبَ للعدولِ عن ظاهرِ القرآن؛ فاللهُ تعالىٰ أضافَ نَفْخَ الرُّوحِ في آدمَ إلىٰ نفسِهِ المقدَّسةِ في ثلاثةِ مواضع:

في سورةِ الحِجْر؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٨-٢٩].

وقال في سورةِ (ص): ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص:٧١-٧٢].

وقال في السَّجْدة: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة:٩]؛ أي: الإنسانَ الذي بدَأَهُ مِن طِينٍ، وهو آدمُ؛ كما في آيتي الحِجْرِ، و(ص).

وعليه: فالنفخُ مِن أفعالِ اللهِ تعالىٰ التي تكونُ بمشيئتِهِ سبحانه؛ فهو تعالىٰ ينفُخُ فيما شاء، ما شاء، كيف شاء، والله أعلم.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَيٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُومِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّداً وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُومِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَيٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِے كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ۞وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

﴿١٢﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ **يحتمل أن تكون «لو»** للتمني، وتأويله في حق الله كتأويل الترجِّي، وقد ذُكِر[1]، أو تكون للامتناع، وجوابها محذوفٌ تقديره: لو ترىٰ حال المجرمين في الآخرة لرأيت أمرًا مهولًا.

﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾ عبارةٌ عن الذُّلِّ والغم والندم.

﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ تقديره: يقولون: ربنا قد عَلِمْنا الحقائق.

﴿١٣﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَيٰهَا﴾ يعني: أنه لو أراد أن يَهدي جميع الخلق لفعل؛ فإنه قادرٌ علىٰ ذلك، بأن يجعل الإيمان في قلوبهم ويدفع عنهم الشيطان والشهوات، ولكن يُضلُّ من يشاء ويَهدي من يشاء.

﴿١٤﴾ ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا، والنسيان هنا: بمعنىٰ الترك.

(١) انظر المادة (٢٩٨) في اللغات.

﴿١٦﴾ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع، والمعنىٰ: يتركون مضاجعهم بالليل؛ من كثرة صلاتهم للنوافل. ومن صلىٰ العشاء والصبح في جماعةٍ فقد أخذ بحظه[١] من هذا.

﴿١٧﴾ ﴿وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ يعني: أنه لا يعلم أحدٌ مقدارَ ما يُعطيهم الله من النعيم. وقرئ ﴿أُخْفِي﴾ بإسكان الياء[٢]، علىٰ أن يكون فعلَ المتكلم، وهو الله تعالىٰ.

﴿١٨﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآيةَ؛ يعني: المؤمنين والفاسقين علىٰ العموم. وقيل: يعني: عليَّ بن أبي طالب ﷺ، وعقبة بن أبي معيط[٣].

﴿٢٠﴾ ﴿ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿ٱلَّذِي﴾ نعتٌ للعذاب، ولذلك أعاد عليه الضمير المذكَّر في قوله: ﴿بِهِۦ﴾. فإن قيل: لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير، ووصف في «سبأ» النار وأعاد عليها الضمير، فقال: ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ:٤٢]؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه خصَّ العذاب في «السجدة» بالوصف اعتناءً به، لما تكرر ذكره في قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾.

الثاني: أنه تقدَّم في «السجدة» ذكرُ النار، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير، لكنه جعل الظاهر مكان المضمر، فكما لا يوصف المضمر لم يوصف ما قام مقامه وهو النار، فوصف العذاب ولم يصف النار.

الثالث -وهو الأقوىٰ-: أنه امتنع في السجدة وصْفُ النار؛ فوصَفَ العذاب، وإنما امتنع وصفها؛ لتقدُّم ذكرها، فإنك إذا ذكرت شيئًا ثم كرَّرت ذكره لم يجز وصفه، كقولك: «رأيت رجلًا فأكرمت الرجل»، فلا يجوز وصفه؛ لئلا يُفهَم أنه غيره.

---

(١) في ب، هـ: «بحظٍّ».

(٢) قرأ حمزة بإسكان الياء، وقرأ الباقون بفتحها.

(٣) أخرجه الطبري (١٨/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٩) عن عطاء بن يسار، وأخرجه ابن أبي حاتم أيضا عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ.

(٢١) ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ **يعني**: الجوع ومصائب الدنيا، **وقيل**: القتل يوم بدر، **وقيل**: عذاب القبر، **وهذا بعيد**؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

(٢٢) ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ هذا وعيدٌ لمن ذُكِّر بآيات ربه فأعرض عنها. وكان الأصل أن يقول: «إنَّا منه منتقمون»، ولكنه وضع ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ موضع المضمر؛ ليصفهم بالإجرام. وقدَّم المجرور علىٰ ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ للمبالغة.



وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿٢٣﴾ ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ **المرية: الشَّك، والضمير لموسىٰ ﷺ؛ أي: لا تشكَّ في لقائك موسىٰ ليلة الإسراء. وقيل: المعنىٰ: لا تشك في لقاء موسىٰ للكتاب**[1] **الذي أنزل عليه، والكتاب علىٰ هذا: التوراة. وقيل: الكتاب هنا: جنس، والمعنىٰ: لقد آتينا موسىٰ الكتاب، فلا تشكَّ أنت في لقائك للكتاب**[2] **الذي أُنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب، كقوله:** ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٦].

﴿٢٥﴾ ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ **الضمير: لجميع الخلق، وقيل: لبني إسرائيل خاصة.**

﴿٢٦﴾ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ **ذكر في «طه»**[3].

﴿يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ **الضمير في** ﴿يَمْشُونَ﴾ **لأهل مكة؛ أي: يمشون في مساكن القوم المهلكين، كقوله:** ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨]. **وقيل: الضمير للمهلَكين؛ أي: أهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم، والأول أحسن؛ لأن فيه حجةً علىٰ أهل مكة.**

﴿٢٧﴾ ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ **يعني: التي لا نبات فيها من شدَّة العطش.**

---

(١) في أ، ب، هـ: «الكتابَ».

(٢) في أ، ب، هـ: «الكتابَ».

(٣) انظر تفسير الآية (١٢٨).

(٢٨) ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ أي: الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة. وقيل: يعني: فتح مكة، وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ وذلك في الآخرة[1]؛ لأن من آمن يوم فتحِ مكة نفَعه إيمانه.

(٣٠) ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ منسوخٌ بالسيف.

﴿وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: انتظر هلاكهم إنهم ينتظرون[2] هلاكك، وهذا[3] تهديدٌ لهم.



(١) في أ، ب زيادة: «وقيل: يعني: فتح مكة» وهي زيادة مقحمة لا معنىٰ لها.

(٢) في ب، د، هـ: «منتظرون».

(٣) في أ، ب، هـ: «وفي هذا».



سورة الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ۝٣ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّٰٓءِي تَظَّهَّرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝٤ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ۝٥ النَّبِيءُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ۝٦ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيئِينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ۝٧ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ۝٨﴾

۝١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ﴾ نداءٌ فيه تكريمٌ له؛ لأنه ناداه بالنبوّة، ونادىٰ سائرَ الأنبياء بأسمائهم.

﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: دُمْ علىٰ التقوىٰ، وزد منه.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: لا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة. ويعني بـ ﴿الْكَافِرِينَ﴾: المظهرين للكفر، وبـ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾: الذين يظهرون الإسلام ويُخفُون الكفر. وروي أن ﴿الْكَافِرِينَ﴾ هنا: أبيُّ بن خلف، و ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ هنا: عبد الله بن أبيٍّ ابنُ سلول[1]، والعموم أظهر.

---

(١) في الدر المنثور للسيوطي (١١/ ٧١٨): «وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج: ﴿ولا تطع الكافرين﴾ أبي بن خلف ﴿والمنافقين﴾ أبو عامر الراهب وعبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس».

﴿٤﴾ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: كان في قريش رجل يقال له: ذو القلبين؛ لشدَّة فهمه، فنزلت الآية نفيًا لذلك[١].

ويقال: إنه ابن خَطَلٍ[٢]، **وقيل:** جميل بن مَعْمر[٣].

وقيل: إنما جاء هذا اللفظ توطئةً لما بعده من النفي؛ أي: كما لم يجعل الله لرجلٍ مِن[٤] قلبين في جوفه، كذلك لم يجعل أزواجَكم أمهاتِكم ولا أدعياءَكم أبناءَكم.

﴿ٱلَّٰٓـِٔي تَظَّهَّرُونَ مِنْهُنَّ﴾ أي: تقولون للزوجة: «أنتِ عليَّ كظهر أمي»، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنىٰ التحريم، وسيأتي حكمه في «**المجادلة**». وإنما تعدَّىٰ هذا الفعل بـ«مِن» لأنه تضمَّن[٥] معنىٰ: يتباعدون[٦] منهنَّ.

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الأدعياء جمع دعيٍّ، وهو الذي يُدْعَىٰ ولدَ فلان وليس بولده. **وسببها:** أَمْرُ زيد بن حارثة رضي الله عنه، وذلك أنه كان فتًىٰ من كَلْبٍ، فسبَاه بعض العرب وباعه من خديجة رضي الله عنها، فوهبته للنبي ﷺ فتبنَّاه؛ فكان يقال له: «زيد بن محمد» حتىٰ أُنزلت هذه الآية[٧].

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم﴾ **الإشارةُ** إلىٰ نسبة الدعِيِّ إلىٰ غير أبيه، أو إلىٰ كل ما تقدَّم من المنفيَّات. وقوله: ﴿بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ تأكيدٌ لبطلان القول.

﴿٥﴾ ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ الضمير للأدعياء، أي: انسُبوهم إلىٰ آبائهم الذين وَلَدوهم.

﴿٦﴾ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ **يقتضي** أن يحبُّوه ﷺ أكثرَ مما يحبون أنفسهم، وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٧) من طريق العوفي عنه رضي الله عنه.
(٢) أخرجه عبد حميد عن سعيد بن جبير، كما في الدر المنثور (١٥/ ٤٣٣).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٢) عن السُّدي: أنها نزلت في رجل من قريش من بني جُمَحٍ، يقال له: جميل بن معمر.
(٤) لم ترد في ج، د، هـ.
(٥) في أ، ب: «يتضمن».
(٦) في هـ: «تتباعدون».
(٧) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في الدر المنثور (١١/ ٧٢٢).

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ جعل الله تعالىٰ لأزواج النبي ﷺ حرمةَ الأمهات في تحريم نكاحهن ووجوب مبرَّتهن، ولكن أوجب حجبَهنَّ عن الرجال.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ هذا نسخٌ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بأخوَّة الإسلام وبالهجرة، وقد تكلمنا عليها في «الأنفال»[1].

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يَحتمل أن يريد: القرآنَ، أو اللوح المحفوظ.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون بيانًا لأولي الأرحام، أو يتعلَّقَ بـ ﴿أَوْلَىٰ﴾؛ أي: أولو الأرحام أَولَىٰ بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوي أرحام.

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ يريد: الإحسانَ إلىٰ الأولياء الذين ليسوا بقرابة، ونفْعَهم في الحياة، والوصيةَ لهم عند الموت؛ فذلك جائزٌ، ومندوب إليه، وإن لم يكونوا قرابة، وأما الميراث فللقرابة خاصة. واختُلف: هل يعني الأولياءَ المؤمنين خاصة، أو المؤمنين والكافرين؟

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ يعني: القرآن، أو اللوح المحفوظ.

﴿٧﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع. وقيل: هو الميثاق الذي أخذه حين أَخرج بني آدم من صلب آدم عليه السلام كالذرِّ، والأول أرجح؛ لأنه هو المختص بالأنبياء.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قد دخل هؤلاء في جملة النبيين، ولكنه خصَّصهم[2] بالذكر تشريفًا لهم، وقدَّم محمدًا ﷺ تفضيلًا له.

﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ يعني: الميثاق المذكور، وإنما كرَّره: تأكيدًا، وليصفه بأنه غليظٌ؛ أي: وثيقٌ ثابت يجب الوفاء به.

﴿٨﴾ ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ اللام تحتمل أن تكون لامَ «كي»، أو لام الصَّيرورة. والصدق هنا يحتمل أن يكون: الصدقَ في الأقوال، أو الصدق في الأفعال والعزائم. ويحتمل أن يريد بـ ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: الأنبياءَ، أو غيرَهم من المؤمنين.

---

(١) انظر تفسير الآية (٧٥).

(٢) في ج، د: «خصهم».

*يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ اُذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمُۥٓ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاٗ وَجُنُوداٗ لَّمْ تَرَوْهَاۖ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنَ اَسْفَلَ مِنكُمْۖ وَإِذْ زَاغَتِ اِلَابْصَٰرُ وَبَلَغَتِ اِلْقُلُوبُ اُلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ اِلظُّنُونَاۖ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ اَبْتُلِيَ ٱلْمُومِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاٗ شَدِيداٗۖ ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ اُلْمُنَٰفِقُونَ وَالذِينَ فِے قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُوراٗۖ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُواْۖ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٞ مِّنْهُمُ اُلنَّبِيٓءَ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍۖ اِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراٗۖ ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنَ اَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ اُلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيراٗۖ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ اَلَادْبَٰرَۖ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولاٗۖ ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ اُلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ اِلْقَتْلِۖ وَإِذاٗ لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاٗۖ ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلذِے يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنَ اَرَادَ بِكُمْ سُوٓءاً اَوَ اَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةٗۖ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّاٗ وَلَا نَصِيراٗۖ ﴿١٧﴾ *قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ اُلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَاۖ وَلَا يَاتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٨﴾ اَشِحَّةً عَلَيْكُمْۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالذِے يُغْشَيٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ اَشِحَّةً عَلَى اَلْخَيْرِۖ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُومِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۖ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراٗۖ ﴿١٩﴾ يَحْسِبُونَ اَلَاحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْۖ وَإِن يَّاتِ اِلَاحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوَ اَنَّهُم بَادُونَ فِے اِلَاعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنَ اَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلاٗۖ ﴿٢٠﴾

﴿٩﴾ ﴿اُذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمُۥٓ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٞ﴾ **هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق. والجنود المذكورة:** هم قريش ومن كان معهم من الكفار، وسمَّاهم الله في هذه السورة الأحزاب، وكانوا نحو عشرة آلاف، حصَروا المدينة، وحفر رسول الله ﷺ الخندق حولها؛ ليمنعهم من دخولها.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاٗ﴾ أرسل الله عليهم ريح الصَّبا، فأطفأت نيرانهم وأكفأت[1] قدورهم، ولم يُمكنهم معها قرارٌ، فانصرفوا خائبين.

---

(١) في ب: «وأكبَّتْ».

﴿وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾ **يعني: الملائكة.**

﴿١٠﴾ ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنَ اَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ **أي:** حصَروا المدينة مِن أعلاها ومِن أسفلِها. **وقيل:** معنىٰ ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أهل نجد؛ لأن أرضهم فوق المدينة، ﴿وَمِنَ اَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أهل مكة وسائر تِهامة.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ اِلاَبْصَٰرُ﴾ **أي:** مالت عن مواضعها، وذلك عبارةٌ عن شدة الخوف.

﴿وَبَلَغَتِ اِلْقُلُوبُ اُلْحَنَاجِرَ﴾ الحناجر: جمع حَنْجَرة، وهي الحلق. وبلوغ القلب[١] إليها مجازٌ وعبارةٌ عن شدَّة الخوف. **وقيل:** بل هو حقيقة؛ لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف، فتربو ويرتفع القلب بارتفاعها إلىٰ الحنجرة.

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ اِلظُّنُونَاْ﴾ **أي:** تظنون أن الكفار يغلبونكم، وقد وعدكم الله بالنصر عليهم. **فأما المنافقون** فظنوا ظنَّ السَّوء وصرَّحوا به. **وأما المؤمنون** فربما خطَرت لبعضهم خَواطر مما لا يمكن للبشر دفعُها، ثم استبصروا ووَثِقُوا بوعد الله. وقرأ نافع ﴿اُلظُّنُونَاْ﴾ و ﴿اُلرَّسُولَاْ﴾ [الأحزاب: ٦٦]، و ﴿اُلسَّبِيلَاْ﴾ [الأحزاب: ٦٧]: بالألف في الوصل وفي الوقف[٢]. وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف، وبإثباتها في الوقف دون الوصل. **فأما إسقاطها:** فهو الأصل. **وأما إثباتها:** فلتعديل رؤوس الآي؛ لأنها كالقوافي، وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة. **وأما من أثبتها في الحالين:** فإنه أَجرىٰ الوصل مُجْرَىٰ الوقف.

﴿١١﴾ ﴿هُنَالِكَ اَبْتُلِيَ اَلْمُومِنُونَ﴾ **أي:** اختُبِروا، أو أصابهم بلاء. **والعامل في الظرف:** ﴿اَبْتُلِيَ﴾، **وقيل:** ما قبله[٣].

﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ أصل الزَّلزلة: شدة التَّحريك، وهو هنا عبارةٌ عن اضطراب القلوب.

﴿١٢﴾ ﴿وَإِذْ يَقُولُ اُلْمُنَٰفِقُونَ﴾ روي أنه يعني: مُعَتِّب بن قُشَير[٤].

---

(١) في أ، هـ: «القلوب».

(٢) قرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم بالألف في الوصل والوقف، وقرأ أبو عمرو وحمزة بغير ألف في الحالين، وقرأ الباقون بألف في الوقف دون الوصل.

(٣) وهو: ﴿وتظنون﴾. المحرر الوجيز (٧/ ٩٧)

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٨) عن يزيد بن رومان.

(١٣) ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ **قال السُّهيلي: الطائفة تقع على الواحد فما فوقه، والمراد هنا: أوس بن قيظي**[١].

﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ **يثرب**: اسم المدينة، **وقيل**: اسم البقعة التي المدينةُ في طرف منها. و﴿مَقَامَ﴾ اسم مَوْضِع من القيام؛ أي: لا قرار لكم هنا، يعنون مَوْضع القتال. **وقرئ بالضم**[٢]، وهو اسم موضعٍ من الإقامة. وقولهم: ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ أي: إلى منازلكم بالمدينة، ودعوا القتال.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ أي: يستأذنه[٣] في الانصراف. **والمستأذِن**: أوس بن قَيْظي وعشيرته، **وقيل**: بنو حارثة[٤].

﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: منكشفةٌ للعدوِّ، **وقيل**: خالية للسُّراق، فكذَّبهم الله في ذلك.

(١٤) ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: لو دُخِلت عليهم المدينةُ مِن جهاتها.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ **يريد بالفتنة**: الكفر أو قتال المسلمين.

﴿لَأَتَوْهَا﴾ **قرئ بالقصر**[٥] بمعنى: جاؤوا إليها، **وبالمدِّ** بمعنى: أعطوها من أنفسهم.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ﴾ الضمير للمدينة.

(١٨) ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ﴾ دخلت «قد» على الفعل المضارع لمعنى التَّهديد، **وقيل**: للتقليل على وجه التهكُّم.

﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ أي: الذين يعوِّقون الناسَ عن الجهاد، ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم.

---

(١) التعريف والإعلام، للسهيلي (ص: ٢٥٥)، أخرجه الطبري (١٩/ ٤٣) عن يزيد بن رومان.
(٢) روى حفص عن عاصم بضم الميم، وقرأ الباقون بفتحها.
(٣) في ب: «يستأذنوه».
(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٤٤) من طريق العوفي عن ابن عباس ﷺ، وأوس بن قيظي من بني حارثة كما في تفسير الطبري (١٩/ ٣٠).
(٥) قرأ نافع وابن كثير بالقصر، وقرأ الباقون بالمد.

﴿وَالْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد، كانوا يقولون لقرابتهم أو للمنافقين مثلهم: «هلمَّ إلىٰ الجلوس معنا بالمدينة وتركِ[١] القتال». وقد ذُكر ﴿هَلُمَّ﴾ في «الأنعام»[٢].

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ **البأس**: القتال. و﴿قَلِيلًا﴾: صفةٌ لمصدر محذوف تقديره: إلَّا إتيانًا قليلًا، أو مستثنًىٰ من فاعل ﴿يَأْتُونَ﴾ ، أي: إلَّا قليلًا منهم.

﴿١٩﴾ ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ ﴿أَشِحَّةً﴾ جمع شحيحٍ: **فقيل**: معناه: يَشحُّون بأنفسهم فلا يقاتلون. **وقيل**: يشحون بأموالهم. **وقيل**: معناه أشحة عليكم في وقت الحرب، أي: يشفقون عليكم أن تُقتَلوا[٣].

ونصْبُ ﴿أَشِحَّةً﴾: علىٰ الحال من ﴿الْقَآئِلِينَ﴾، أو ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ ، أو من الضمير في ﴿يَأْتُونَ﴾، أو نصْبٌ علىٰ الذمِّ.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: إذا اشتدَّ الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة ولاذُوا بك من شدَّة خوفهم.

﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ عبارةٌ عن شدة خوفهم.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ **السَّلْقُ بالألسنة**: عبارةٌ عن الكلام بكلام مُستكرَهٍ[٤]. **ومعنىٰ** ﴿حِدَادٍ﴾: فصحاء قادرين علىٰ الكلام؛ أي: إذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلىٰ إذايتكم بالسبِّ وتنقُّص الشريعة. **وقيل**: إذا غنمتم طلبوا من المغانم.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: يَشحُّون بفعل الخير، **وقيل**: يشحُّون بالمغانم. وانتصابه هنا علىٰ الحال من الفاعل في ﴿سَلَقُوكُم﴾.

---

(١) في د: «واتركوا».
(٢) انظر تفسير الآية (١٥٠).
(٣) في أ، ب: «يقتلوا».
(٤) في ب: «مستنكر».

﴿لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ﴾ ليس المعنىٰ أنها حبطت بعد ثبوتها، وإنما المعنىٰ: أنها لم تقبل؛ لأن الإيمان شرطٌ في قَبول الأعمال.

وقيل: إنهم نافقوا بعد أن آمنوا، فالإحباط علىٰ هذا حقيقةٌ.

﴿٢٠﴾ ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ﴾ الأحزاب هنا: هم كفار قريش ومن معهم. والمعنىٰ: أن المنافقين من شدَّة جزَعهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا عن المدينة، وهم قد انصرفوا.

﴿وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ معنىٰ ﴿يَوَدُّواْ﴾: يتمنَّوا، و ﴿بَادُونَ﴾: خارجون في البادية، و ﴿ٱلۡأَعۡرَابِ﴾: هم أهل البوادي من العرب. فمعنىٰ الآية: أنه إن أتىٰ الأحزاب إلىٰ المدينة مرةً أخرىٰ تمنَّىٰ هؤلاء المنافقون من شدَّة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب، وأن لا يكونوا في المدينة، بل غائبين عنها يسألون مَن ورد عليهم عن أنبائكم.



لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا الْمُومِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَٰناً وَتَسْلِيماً ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُومِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٢٤﴾ *وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُومِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنَ اَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَاسِرُونَ فَرِيقاً ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴿٢٧﴾

﴿٢١﴾ **﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوةٌ تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل. وقرئ ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الهمزة[(١)]، والمعنى واحد.**

﴿٢٢﴾ **﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قيل: إن هذا الوعد ما أعلمهم به رسول الله ﷺ حين أَمر بحفر الخندق؛ مِن أن الكفار ينزلون عليهم، وأنهم ينصرفون خائبين. وقيل: إنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمُ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَاتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: ٢١٢] الآيةَ، فعلموا أنهم يُبتلَون ثم يُنصرون[(٢)].**

﴿٢٣﴾ **﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعني: من قُتل شهيدًا، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: يعني: عمي أنس بن النَّضر[(٣)]، وقيل: يعني: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[(٤)]. وقضاء النحب عبارةٌ عن الموت عند ابن عباس رضي الله عنهما[(٥)] وغيره. وقيل: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: وفَّى العهدَ الذي عاهد اللهَ عليه، ويدلُّ**

---

(١) قرأ عاصم بضم الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها.

(٢) كذا في نسخة خزانة القرويين، وفي بقية النُّسخ: «ينصرفون»! والمثبت هو الأصوب والأنسب للسياق، وانظر الكشاف (١٢/ ٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٥، ٤٧٨٣)، ومسلم (١٩٠٣).

(٤) ذكره مقاتل بن سليمان كما في تفسيره (٣/ ٤٨٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٩/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٥) من طريق سعيد بن جبير عنه رضي الله عنه.

على هذا: ما ورد أن رسول الله ﷺ قال: «طلحة ممن قضى نحبه»(١) وهو لم يُقتل يومئذ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ المفعول محذوفٌ؛ أي: ينتظر أن يقضيَ نحبه: أي: ينتظر الشهادةَ في سبيل الله على قول ابن عباس رضي الله عنهما. أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصَّلاح على القول الآخر.

(٢٦) ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ **الصَّياصِي**: هي الحصون. ونزلت الآية في يهود بني قريظة، وذلك أنهم كانوا معاهِدين لرسول الله ﷺ فنقضوا عهده وصاروا مع قريش، فلما انصرف قريش عن المدينة حصَر رسول الله ﷺ بني قريظة، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه؛ فحَكم بأن يُقتَل رجالهم وتُسبَى نساؤهم وذريتهم(٢).

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني: الرجال، وقُتِل منهم يومئذ كلُّ مَن أَنبَتَ، وكانوا بين ثمان مئة والتسع مئة.

﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني: النساء والذُّرية.

(٢٧) ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ يعني: أرض بني قريظة، قسَمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين.

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ هذا وعدٌ بفتح أرضٍ لم يكن المسلمون قد وطئوها حينئذ، وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المغرب والمشرق. ويحتمل عندي أن يريد به: أرض بني قريظة؛ لأنه قال: ﴿أَوْرَثَكُمْ﴾ بالفعل الماضي، وهي التي كانوا قد أخذوها حينئذ، وأمَّا غيرها من الأَرَضين، فإنما أخذوها بعد ذلك، فلو أرادها لقال: «يورثكم»، وإنما كرَّرها بالعطف؛ ليصفها بقوله: ﴿لَّمْ تَطَئُوهَا﴾: أي: لم تدخلوها قبل ذلك.



(١) أخرجه الترمذي (٣٢٠٢) وقال: «غريب»، وابن ماجه (١٢٦، ١٢٧)، والطبري (١٩/ ٦٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٤) من حديث إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عمه موسى بن طلحة عن معاوية رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم (٣٥٥٧) من طريق إسحاق عن عمه عن عائشة رضي الله عنها، وصححه، وتعقَّبه الذهبي بقوله: «بل إسحاق بن يحيى بن طلحة متروك، قاله أحمد»، فالحديث ضعيف جدا.

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ٧٢) عن قتادة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً ﴿٣٠﴾ *وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحاً نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً ﴿٣٤﴾

﴿٢٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ **الآيةَ؛ سببها: أن أزواج** رسول الله ﷺ تغايَرْنَ حتىٰ غمَّه ذلك، **وقيل**: طلبن منه ملابسَ ونفقاتٍ كثيرة، **وكان أزواجه يومئذ تسعَ نسوة؛ خمسٌ من قريش، وهنَّ**: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وسودة بنت زمعة، وأم حَبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنهن، **وأربعٌ من غير قريش، وهنَّ**: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حييٍّ من بني إسرائيل، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويريَة بنت الحارث من بني المصطلق رضي الله عنهن[1].

﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ **أصل «تعال»: أن يقوله مَن كان في موضع مرتفِعٍ لمن في موضع منخفضٍ، ثم استُعملت بمعنىٰ: «أَقبِلْ» في جميع الأمكنة. و﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾**: من المتعة، وهي الإحسان إلىٰ المرأة إذا طلقت. **والسَّرَاح**: الطلاق. **فمعنىٰ الآية: أن الله أمر رسوله ﷺ أن يخيِّر** نساءه بين الطَّلاق والمتعة إن أردْنَ زينة الدنيا، وبين البقاء في عصمته إن أردن الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة رضي الله عنها فاختارت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرُهنَّ في ذلك، فلم يقع طلاقٌ.

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٨٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٨) عن قتادة وعكرمة والحسن.

قالت عائشة ﵂: خيَّرنا رسولُ الله ﷺ فاخترناه، ولم يعدَّ[1] ذلك طلاقًا[2].

وإذا اختارت المخيَّرة الطلاق: فمذهب مالك: أنه ثلاث. وقيل: طلقة بائنة. وقيل: طلقة رجعية[3].

ووصْفُ السَّراح بالجميل يَحتمل أن يريد أنه دون الثلاث، أو يريد أنه ثلاثٌ، وجمالُه: حسن الرَّعْي والثناء وحفظُ العهد.

﴿٢٩﴾ ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ «من» للبيان، لا للتَّبعيض؛ لأن جميعَهنَّ مُحسِناتٌ.

﴿٣٠﴾ ﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قيل: يعني: الزنا، وقيل: يعني: عصيانَ زوجهن ﷺ، أو تكليفَه ما يشقُّ عليه، وقيل: عمومٌ في المعاصي.

﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلوِّ رُتبتهنَّ[4]؛ لأن كلَّ أحد يطالَب على مقدار[5] حاله. وقرئ ﴿يُضَٰعَفْ﴾[6]: بالياء ورفع ﴿ٱلْعَذَابُ﴾، على البناء للمفعول. وبالنون ونصب ﴿ٱلْعَذَابَ﴾، على البناء للفاعل.

﴿٣١﴾ ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرئ بالياء[7]؛ حملًا على لفظ «مَن»، وبالتاء؛ حملًا على المعنى. وكذلك ﴿تَعْمَلْ﴾[8]. والقنوت هنا: بمعنى الطاعة.

﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: يضاعف[9] لهن ثواب الحسنات.

﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ يعني: في الجنة، وقيل: في الدنيا، والأوَّل هو الصحيح.

---

(١) في ج، د: «نعد».

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦٣)، ومسلم (١٤٧٧).

(٣) وهو مذهب أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٢/ ٢٨١).

(٤) في هـ: «مرتبتهنَّ».

(٥) في ج، د: «قدر».

(٦) قرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿نُضعِّفْ﴾ بالنون وتشديد العين وكسرها من غير ألف ﴿العذابَ﴾ بالنصب، وقرأ أبو عمرو ﴿يُضَعَّفْ﴾ بالياء وتشديد العين مفتوحة من غير ألف ورفع ﴿العذابُ﴾، وقرأ الباقون كذلك ولكن بتخفيف العين وألف قبلها ﴿يُضاعَفْ لها العذابُ﴾.

(٧) قراءة السبعة بالياء، وقرئ في الشاذ بالتاء، قرأ بها عمرو بن فايد والجحدري. المحرر الوجيز (٧/ ١١٣).

(٨) قرأ حمزة والكسائي: ﴿ويعملْ﴾ بالتذكير ﴿يؤتها﴾ بالياء، وقرأ الباقون بالتأنيث وبالنون.

(٩) في ب، د: «نضاعف».

(٣٢) ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ اِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ فضَّلهنَّ الله علىٰ النساء بشرط التقوىٰ، وقد حصل لهن التقوىٰ فحصل التَّفضيل علىٰ جميع النساء، إلَّا أنه قد يخرج من هذا العموم: فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم بنت عمران وآسيَة امرأة فرعون؛ لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها[١].

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ نهيٌ عن الكلام اللَّيِّن الذي يُعجِب الرجال ويُمِيلُهم إلىٰ النساء.

﴿فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: فجورٌ وميلٌ للنساء. وقيل: هو النفاق، وهذا بعيد في هذا الموضع.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ هو الصَّواب من الكلام، أو[٢] الذي ليس فيه شيء مما نهي عنه.

(٣٣) ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئ بكسر القاف[٣]، ويَحتمل وجهين: أن يكون من الوقار. أو من القرار في الموضع، ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في «ظَلْتُ». وأما القراءة بالفتح: فمن القَرار في الموضع، علىٰ لغة من يقول: قَرِرْتُ -بالكسر- أَقَرُّ -بالفتح-، والمشهور في اللغة عكس ذلك. وقيل: هي من: قارَ يَقَارُ: إذا اجتمع. ومعنىٰ القرار أرجح؛ لأن سودة ﵂ قيل لها: لم لا تحجِّين؟ فقالت: أمرنا الله أن نَقِرَّ في بيوتنا[٤].

وكانت عائشة ﵂ إذا قرأت هذه الآية تبكي علىٰ خروجها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمار ﵁: إن الله أمرك أن تَقِرِّي في بيتك[٥].

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرُّج: إظهار الزينة.

---

(١) أخرج أحمد (١٢٣٩١)، والترمذي (٣٨٧٨) وصححه، وابن حبان في صحيحه (٦٩٥١) -واللفظ له- عن أنس بن مالك ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية امرأة فرعون».

(٢) في ب، ج: «و».

(٣) قرأ نافع وعاصم بفتح القاف، وقرأ الباقون بكسرها.

(٤) أخرجه الثعلبي بإسناده في تفسيره (٢١/ ٤١٩) عن محمد بن سيرين أنه قال: نُبِّئت أن قيل لسودة..، فشيخ ابن سيرين مبهم لم يُسمَّ. وأخرج أحمد (٢٦٧٥١) عن أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: «هذه، ثم ظُهُور الحُصُرِ»، قال: فكن كلُّهن يحجُجْنَ إلَّا زينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، وكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد قول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «هذه، ثم ظُهُور الحُصُرِ»، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٩٠).

(٥) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز (٧/ ١١٧)، ولم أقف علىٰ قول عمار ﵁.

﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن، من الانكشاف والتعرُّض للنظر. وجعَلها أُولَى؛ بالنظر إلىٰ حال الإسلام. وقيل: الجاهلية الأولىٰ: ما بين آدم ونوح ﷺ، وقيل: ما بين موسىٰ وعيسىٰ ﷺ.

﴿ٱلرِّجْسَ﴾ أصله: النجس، والمراد به هنا: النقائص والعيوب.

﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ منادىٰ، أو منصوبٌ علىٰ التخصيص. وأهل بيت النبي ﷺ هم: أزواجه، وذريته، وأقاربه، كالعباس وعليٍّ، وكل من حَرُمَت عليه الصدقة. وقيل: المراد هنا: أزواجه خاصة، والبيت علىٰ هذا: المسكن، وهذا ضعيف؛ لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال: «عنكن».

وروي أن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين»[1].

﴿٣٤﴾ ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ خطابٌ لأزواج النبي ﷺ، خصَّهن به بعد دخولهن مع أهل البيت. وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة، أو التذكُّر بالقلب. و ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: هي القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: هي السنة.



(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٠١)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣١)، والبزار -كما في مجمع الزوائد ولم أقف عليه في مسنده- عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا. وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٦٤)، وأخرج مسلم (٢٤٢٤) عن عائشة ﷺ، قالت: خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مرحَّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآيةَ؛ **سببها:** أن بعض النساء قلن: ذَكَر اللهُ الرجال ولم يذكرْنا! فنزل فيها ذكر النساء[1].

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ **الإسلام:** هو الانقياد، **والإيمان:** هو التَّصديق[2].

ثم إنهما يُطلقان بثلاثة أوجه:

باختلاف المعنى، كقوله: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤].

وبالاتفاق؛ لاجتماعهما، كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥] الآيةَ.

وبالعموم، فيكون الإسلام أعمَّ؛ لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخصَّ لأنه بالقلب خاصة، وهذا هو الأظهر في هذا الموضع.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٥٧٥)، والنسائي في الكبرى (١١٣٤١)، والحاكم (٣٥٦٠) وصححه ووافقه الذهبي، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت ذلك، فأنزل الله هذه الآية.

(٢) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٤).

﴿وَالْقَٰنِتِينَ وَالْقَٰنِتَٰتِ﴾ **يَحتمل أن يكون:** بمعنىٰ العبادة، أو الطاعة.

﴿وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَٰتِ﴾ **يَحتمل أن يكون** من صدق القول، أو من صدق العزم، أو العهد.

(٣٦) ﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ﴾ **الآيةَ؛ معناها:** أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيارٌ مع الله ورسوله، بل يجب عليهم التَّسليم والانقياد لأمر الله ورسوله. والضمير في قوله: ﴿مِنَ اَمْرِهِمْ﴾ راجعٌ إلىٰ الجمع الذي يقتضيه قوله: ﴿لِمُومِنٍ وَلَا مُومِنَةٍ﴾؛ لأن معناه العموم في جميع المؤمنين والمؤمنات. وهذه الآية توطئةٌ[1] للقصة المذكورة بعدها.

وقيل: سببها: أن رسول الله ﷺ خطب امرأة ليُزَوِّجها[2] لمولاه زيد بن حارثة، فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلت الآية قالوا: رضينا يا رسول الله[3]. واختُلف هل هذه المخطوبة زينب بنت جحش أو غيرها؟ **وقد قيل:** إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[4].

(٣٧) ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلذِے أَنْعَمَ أَللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ هو زيد بن حارثة الكلبي ؓ، **وإنعام الله عليه:** بالإسلام وغيره، **وإنعام النبي** ﷺ: بالعتق. وكانت عند زيدٍ زينبُ بنت جحش وهي بنت أُميمةَ عمةِ النبي ﷺ، فشكا زيد إلىٰ رسول الله ﷺ سوءَ معاشرتها وتعاظُمَها عليه، وأراد أن يطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ أَللَّهَ﴾[5] **يعني:** فيما[6] وصفها به من سوء المعاشرة.

أو: اتق الله ولا تطلقها، فيكون نهيًا عن الطلاق علىٰ وجه التَّنزيه، كما قال ﷺ: «أبغض المباح إلىٰ الله الطلاق»[7].

---

(١) في أ، ب، هـ: «موطئة».

(٢) في أ، هـ: «فزوجها».

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١١٢)، عن ابن عباس ؓ، وفيه أن المخطوبة زينب بنت جحش ؓ.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١١٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٤) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٢٠) عن أنس ؓ.

(٦) في ب، ج: «مما».

(٧) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، من حديث محارب بن دِثار عن ابن عمر ؓ عن النبي ﷺ موصولًا، ولفظه: «أبغض الحلال..»، وأخرجه الحاكم (٢٧٩٤)، وصححه ووافقه الذهبي. ورواه أبو داود -أيضًا- مرسلًا (٢١٧٧)، وهو الراجح، وممن رجح إرساله أبو حاتم، والدارقطني، والبيهقي، والمنذري وغيرهم. انظر: البدر المنير، لابن الملقن (٨/ ٦٥-٦٨).

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه أمرٌ جائز مباح لا إثم فيه ولا عَتْب[1]، ولكنه خاف أن يُسلِّطَ الناسُ عليه ألسنتَهم وينالوا منه، فأخفاه حياءً وحشمةً وصيانة لعرضه، وذلك أنه روي أن النبي ﷺ كان حريصًا علىٰ أن يُطلِّقَ زيدٌ زينبَ ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه ولحسنها، فقال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو يخفي الحرص عليها؛ خوفًا من كلام الناس، لئلا يقولوا: تزوج امرأة ابنه؛ إذ كان قد تبنَّاه، فالذي أخفاه ﷺ: هو إرادة تزوجها، فأبدىٰ الله ذلك بأن قضىٰ له بتزوُّجها[2]. قالت عائشة ﵂: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية؛ لشدَّتِها عليه[3].

وقيل: إن الله كان قد أوحىٰ إلىٰ رسوله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ: هو ما أعلمه الله به من ذلك[4].

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ لم يُذكر أحدٌ من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة ﵁. والوَطَرُ: الحاجة، قال ابن عطية: ويراد به هنا: الجماع[5]. والأحسن أن يكون أعمَّ من ذلك، أي: لما لم يبقَ لزيد فيها حاجة زوَّجها اللهُ من نبيه ﷺ. وأسند الله تزويجها إليه تشريفًا له[6]، ولذلك كانت زينب تفتخر علىٰ نساء النبي ﷺ وتقول: «إن الله زوجني نبيَّه من فوق سبع سماوات»[7]. واستدلَّ بعضهم بقوله: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ علىٰ أن الأَولىٰ: أن يقال في كتاب الصَّداق: «أنكحه إياها» بتقديم ضمير الزوج علىٰ ضمير الزوجة كما في الآية.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ المعنىٰ: أن الله زوَّج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ؛ ليَعلم المؤمنون أنَّ تزوُّج نساءِ أدعيائهم حلالٌ لهم، فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء في الحقيقة.

---

(١) في أ، ب، هـ: «عيب».
(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١١٥) عن قتادة وابن زيد.
(٣) أخرجه مسلم (١٧٧).
(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ١١٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٥) عن علي بن الحسين.
(٥) المحرر الوجيز (٧/ ١٢٣).
(٦) في د: «لها».
(٧) أخرجه البخاري (٧٤٢٠) من حديث أنس ﵁.

(٣٨) ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ **المعنىٰ: أن تزوُّج النبي ﷺ لزينب بعد زيد حلالٌ لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك ردٌّ علىٰ من تكلَّم في ذلك من المنافقين. و﴿فَرَضَ﴾ هنا بمعنىٰ: قسم الله له.**

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ **أي: عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحله الله لهم. وقيل: إن الإشارة بذلك إلىٰ داود عليه السلام في تزوُّجه للمرأة التي جرىٰ له فيها ما جرىٰ، والعموم أحسن. ونصْبُ** ﴿سُنَّةَ﴾ : علىٰ المصدر، أو علىٰ إضمار فعل[1]، أو علىٰ الإغراء[2].

(٣٩) ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ **صفة لـ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾، وهم الأنبياء، أو رفعٌ علىٰ إضمار مبتدإ، أو نصبٌ بإضمار فعل.**

(٤٠) ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ **هذا ردٌّ علىٰ من قال في زيد بن حارثة: زيد بن محمد، فاعتَرض علىٰ النبي ﷺ تزوُّج امرأةِ زيد. وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين رضي الله عنهما؛ لأنه ﷺ ليس أبًا لهما في الحقيقة؛ لأنهما ليسا من صلبه، وإنما كانا ابنَيْ بنتِه، وأما ذكور أولاده فماتوا صغارًا؛ فليسوا من الرجال.**

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ **أي: آخرهم فلا نبيَّ بعده ﷺ. وقرئ بكسر التاء[3]: بمعنىٰ أنه ختَمهم فهو خاتِم، وبالفتح بمعنىٰ أنهم خُتِموا به، فهو كالخاتَم والطابَع لهم. فإن قيل: إن عيسىٰ عليه السلام ينزل في آخر الزمان فيكون بعده ﷺ؟**

فالجواب: أن النبوَّة أتت[4] عيسىٰ قبله ﷺ، وأيضًا فإن عيسىٰ عليه السلام يكون إذا نزل علىٰ شريعته ﷺ، فكأنه واحدٌ من أمته.



(١) تقديره: الزم، أو نحوه.
(٢) كأنه قال: فعليه سنةَ الله. المحرر الوجيز (٧/ ١٢٤).
(٣) قرأ عاصم بفتح التاء، وقرأ الباقون بكسرها.
(٤) في ج، د: «أوتيت».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾

﴿٤١﴾ ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ **شرط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به، بخلاف سائر الأعمال.** والذكر يكون بالقلب وباللسان، وهو على أنواع كثيرة، من التهليل، والتسبيح، والحمد، والتكبير، وذِكْر أسماء الله تعالى[1].

﴿٤٢﴾ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ **قيل:** إن ذلك إشارةٌ إلى صلاة الصبح والعصر. **والأظهر أنه أمرٌ بالتَّسبيح في أولِ النهار وآخِره.** **وقال ابن عطية:** أراد: في كلِّ الأوقات، فحدَّ النهار بطرَفَيْه[2].

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد الرحمن البرَّاك برقم (٢٦).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ١٢٦).

﴿٤٣﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِے يُصَلِّے عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم﴾ **هذا خطابٌ للمؤمنين، وصلاة الله عليهم:** رحمته لهم، **وصلاة الملائكة عليهم:** دعاؤهم لهم، **فاستعمل لفظ ﴿يُصَلِّے﴾ في المعنيين على اختلافهما. وقيل:** إنه على حذفٍ تقديره: «وملائكته يصلون».

﴿٤٤﴾ ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۖ﴾ **قيل: يعني:** يوم القيامة، **وقيل:** في الجنة، **وهو الأرجحُ؛** لقوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۖ﴾ [يونس: ١٠]. **ويحتمل أن يريد تسليمَ بعضهم على بعض، أو قولَ الملائكة لهم: «سلامٌ عليكم».**

﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِداً﴾ **أي:** يَشهد على أمته.

﴿٤٦﴾ ﴿وَدَاعِياً اِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ **أي:** بأمره وإرساله.

﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراًۖ﴾ **استعارةٌ** للنور الذي تضمَّنه الدين.

﴿٤٨﴾ ﴿وَدَعَ اَذِيٰهُمْۖ﴾ **يَحتمل وجهين:**

أحدهما: لا تؤذهم، **فالمصدر على هذا:** مضاف إلى المفعول، ونُسِخ من الآية على هذا التأويل ما يخصُّ الكافرين بآية السيف.

والآخر: احتملْ إذايتَهم لك، وأعرض عن أقوالهم، **فالمصدر على هذا:** مضاف للفاعل.

﴿٤٩﴾ ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُومِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ **الآيةَ؛ معناها:** سقوط العدَّة عن المطلقة قبل الدخول. **فالنكاح في الآية:** هو العقد، **والمسُّ:** هو الجماع، و﴿تَعْتَدُّونَهَاۖ﴾: من العَدد.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ **هذا يقتضي مُتعةَ المطلَّقة قبلَ الدخول، سواءٌ فُرِض لها أو لم يُفرَض لها صداقٌ، وقوله تعالى في «البقرة»:** ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥] **يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فُرض لها: يجب لها نصف الصَّداق ولا متعة لها.**

وقد اختُلف هل هذه الآية ناسخةٌ لآية البقرة أو منسوخة بها؟

ويمكن الجمع بينهما: بأن تكون آية البقرة مبيِّنةً لهذه، ومخصِّصةً لعمومها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ **في معناها قولان:**

أحدهما: أن المراد: أزواجه اللاتي في عصمته حينئذٍ، كعائشة وغيرها ﵅، وكان قد أعطاهنَّ مهورَهنَّ.

والآخَر: أن المراد: جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوَّج كل امرأة يُعطي مهرَها، وهذا أوسع من الأول.

﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السَّراريَّ بمِلك اليمين. ويعني بقوله: ﴿أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾: الغنائمَ.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ **يعني:** قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له ﷺ أعمامٌ وعماتٌ إخوةٌ لأبيه، ولم يكن لأمه ﷺ أخٌ ولا أخت، فإنما[1] يعني بخاله وخالته: عشيرةَ أمه وهم بنو زُهرة، ولذلك كانوا يقولون: نحن أخوال رسول الله ﷺ. **فمن قال:** إن المراد بقوله: ﴿أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾: مَن كان في عصمته: فهذا عطفٌ عليهن، وإباحةٌ لأن يتزوج قرابته زيادةً إلىٰ مَن كان في عصمته. **ومن قال:** إن المراد: جميع النساء، فهذا تجريدٌ منهنَّ؛ علىٰ وجه التَّشريف بعد دخول هؤلاء في العموم.

﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ تخصيصٌ تحرَّز به ممن لم يهاجر، كالطُّلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة.

﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أباح الله له ﷺ مَن وَهبت له نفسها من النساء، **واختُلف هل وقع ذلك أم لا؟**

فقال ابن عباس ﵄: لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلَّا بنكاح أو مِلك يمين، لا بهبة نفسها[2]، ويؤيد هذا: قراءةُ الجمهور: ﴿إِن وَهَبَتۡ﴾ -بكسر الهمزة[3]- أي: إن وقع ذلك.

---

(١) في ج، د: «وإنما».

(٢) أخرجه الطبري (١٩/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٤)، والبيهقي (١٣٣٥٦)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٩٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤٠٧): «ورجاله ثقات».

(٣) هي قراءة السبعة، وقرئ في الشاذ بفتحها، قرأ بها أبي بن كعب ﵁ والحسن والثقفي والشعبي. المحرر الوجيز (٧/ ١٣٢).

وقيل: قد وقع ذلك، وعلىٰ هذا قرئ: ﴿أَنْ وَهَبَتْ﴾ -بفتح الهمزة-، **واختُلف علىٰ هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها؟ فقيل**: ميمونة بنت الحارث. **وقيل**: زينب بنت خزيمة أم المساكين. **وقيل**: أم شَريك الأنصارية. **وقيل**: أم شَريك العامرية.

﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هبةُ المرأة نفسَها مزيةٌ خاصة[1] بالنبي ﷺ دون غيره. **وانظر كيف رجع مِن الغَيْبة إلىٰ الخطاب؛ ليخصَّ المخاطَب وحده.**

وقيل: إن ﴿خَالِصَةً﴾ يرجع إلىٰ كل ما تقدَّم من النساء المباحات له ﷺ؛ لأن سائر المؤمنين قُصِروا علىٰ أربعِ نسوةٍ، وأُبيح له ﷺ أكثر من ذلك.

ومذهب مالك[2]: أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد، خلافًا لأبي حنيفة. **وإعراب** ﴿خَالِصَةً﴾: مصدر، أو حال، أو صفة لـ﴿امْرَأَةً﴾.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ **يعني**: أحكامَ النكاح؛ من الصَّداق والوليِّ والاقتصار علىٰ أربع وغير ذلك.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ **يتعلَّق بالآية التي قبله**[3] أي: قد بيَّنا أحكام النكاح؛ لئلا يكون عليك حرج، أو لئلا يُظنَّ بك أنك فعلت ما لا يجوز. **وقال الزمخشري**: يتعلَّق بقوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾[4].

(٥١) ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ معنىٰ ﴿تُرْجِي﴾: تؤخِّر وتُبعِد، ومعنىٰ: ﴿تُؤْوِي﴾: تضمُّ وتقرِّب. **واختُلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء؟**

فقيل: إن ذلك في القسمة بينهنَّ؛ أي: تكثر لمن شئت، وتقِلُّ لمن شئت. **وقيل**: إنه في الطلاق؛ أي: تمسك مَن شئت وتطلِّق مَن شئت. **وقيل**: معناه: تتزوج من شئت، وتترك من شئت. **والمعنىٰ علىٰ كل قول**: توسعةٌ علىٰ النبي ﷺ، وإباحةٌ له أن يفعل ما شاء، وقد اتفق

---

(١) في أ، هـ: «خالصة».

(٢) والشافعي وأحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٢٠/ ٩٣-٩٤).

(٣) في ب، ج، د: «قبلها».

(٤) الكشاف (١٢/ ٤٦٠).

الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نسائه؛ أخذًا منه بأفضل الأخلاق مع إباحة الله له. والضمير في قوله: ﴿مِنْهُنَّ﴾ يعود: على أزواجه ﷺ خاصةً، أو على كل ما أحلَّ له، على حسَب الخلاف المتقدِّم.

﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: مَن كنت عزلته من نسائك فلا جناح عليك في ردِّه بعد عزله.

والآخر: مَن ابتغيت ومن عزلت سواءٌ في إباحة ذلك. فـ«مِنْ» للتبعيض على القول الأول، وأما على الثاني فنحو قولك: «مَن لقيك ممن لم يلقك سواءٌ».

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي: إذا عَلِمن أن هذا حكمُ الله قرَّت به أعينهن ورضين به، وزال ما كان بهنَّ من الغَيرة، فإن سبب نزول هذه الآيات ما وقع بين أزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد[1] عليهن. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خيرهنَّ رسول الله ﷺ فاخترْنَ الله ورسوله جازاهنَّ الله على ذلك، بأن حرَّم عليه غيرَهنَّ[2] من النساء؛ كرامةً لهنَّ[3].

والقول الثاني: لا يحلُّ لك النساء غير الأصناف التي سمَّيتُ، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ أي: لا يحل لك غير مَن ذُكِر حسَبما تقدَّم.

وقيل: معنى ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾: لا يحلُّ لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات المذكورات، وهذا بعيد. واختُلف في حكم هذه الآية؟

---

(١) في د: «ولا تزد».

(٢) من هنا يبدأ سقط ورقة من نسخة ب.

(٣) نسبه في المحرر الوجيز (٧/ ١٣٦) إلى عباس رضي الله عنهما وقتادة، ولم أقف عليه من قول ابن عباس، ووقفت عليه من قول قتادة والحسن، أخرجه الطبري (١٩/ ١٤٠، ١٤٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٢٨). وأخرجه البيهقي في السنن عن أنس رضي الله عنه (١٣٣٤٧) والشعبي (١٣٣٤٦).

فقيل: إنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ على القول بأن المراد به: جميع النساء. **وقيل**: إن هذه الآية ناسخةٌ لتلك على القول بأن المراد: من كان في عصمته، **وهذا هو الأظهر**؛ لما ذكرنا عن ابن عباس ﵄، ولأن التسع في حقِّه ﷺ كالأربع في حقِّ أمته.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ **معناه**: لا يحلُّ لك أن تطلِّق واحدةً منهن وتتزوج غيرها بدلًا منها. **وقيل: معناه**: ما كانت العرب تفعله من المبادلة في النساء، بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر له عن زوجته، **وهذا ضعيف**.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ في هذا دليلٌ على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوَّجها.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ **المعنى**: أن الله أباح له الإماء. **والاستثناء** في موضع رفْعٍ على البدل من ﴿ٱلنِّسَآءُ﴾ ، أو في موضع نصبٍ على الاستثناء من الضمير في ﴿حُسْنُهُنَّ﴾.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيءِ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَيْهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيءَ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً (٥٣) إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (٥٤) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً (٥٥) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيءِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً (٥٨)﴾

(٥٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيءِ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ **سبب هذه الآية** على ما رواه أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ، لما تزوج زينب بنت جحش، أَوْلم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفرٌ في طائفة من البيت، فثقل ذلك على رسول الله ﷺ، فخرج ليخرجوا بخروجه، ومرَّ على حُجَر نسائه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم، فانصرف، فخرجوا عند ذلك[١].

وقال ابن عباس ﷺ: نزلت في قوم كانوا يتحيَّنون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يُطْبَخ[٢]، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأُمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا[٣].

(١) أخرجه البخاري (٤٧٩١)، ومسلم (١٤٢٨).
(٢) في ج: «ينضج».
(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢١/ ٥١٩) بدون سند، ولم أقف عليه مسندًا.

قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس ﷺ أليق بما[1] في الآية من النهي عن الدخول حتىٰ يؤذن لهم، فلعلَّ[2] قولَ ابن عباس في النهي عن الدخول حتىٰ يؤذن لهم، والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل؛ فإن الآية تضمَّنت الحكمين.

﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ أي: غير منتظرين لوقت الطعام، والإنَىٰ: هو الوقت. وقيل: إنَىٰ الطعام: نُضْجُه وإدراكه، يقال: أَنَىٰ يَأْنِي إِنًىٰ.

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ أمرٌ بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيدٌ للنهي عن الدخول قبلها.

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ أي: انصرفوا، قال بعضهم: هذا أدبٌ أدَّب الله به الثُّقلاء[3]. وقالت عائشة ﷺ: حسْبُك من الثقلاء أن الله لم يَحْتملهم![4]

﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ معطوفٌ علىٰ ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾، أو تقديره: «ولا تدخلوها مستأنسين»[5]. ومعناه النهي عن أن يُطِيلُوا[6] الجلوس للأُنس بحديث بعضهم مع بعض، أو يستأنسوا حديثَ أهل البيت، واستئناسه: تسمُّعه وتجسُّسه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ يعني: جلوَسهم للحديث، أو دخولهم بغير إذن.

﴿فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ تقديره: يستحيي من إخراجكم؛ بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: إن إخراجكم حقٌّ لا يتركه الله.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ المتاع: الحاجة من الأثاث وغيره. وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي ﷺ، وسببها: ما رواه أنس ﷺ من قعود القوم يوم

---

(١) في أ، هـ: «لما».

(٢) في أ، ج، هـ: «فعلىٰ»!

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢١/ ٥٢٤) بإسناده عن إسماعيل بن أبي حكيم المدني القرشي.

(٤) كذا في جميع النسخ الخطية نسبة هذا القول إلىٰ عائشة ﷺ، والصواب: «ابن عائشة» كما أخرجه الثعلبي في تفسيره (٢١/ ٥٢٥). وهو عبيد الله بن محمد بن حفص القرشي التيمي، يعرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمي. انظر: تهذيب الكمال للمزي (١٩/ ١٤٧).

(٥) فيكون منصوبًا، وعلىٰ التقدير الأول يكون مجرورًا. الكشاف (١٢/ ٤٧٠).

(٦) كذا في نسخة خزانة القرويين، وفي بقية النسخ: «يطلبوا»، ولعل المثبت هو الأصوب، وهو موافق لعبارة الكشاف (١٢/ ٤٧٠).

الوليمة في بيت زينب ﵂[١]. وقيل: سببها: أنَّ عمر بن الخطاب أشار على رسول الله ﷺ بأن يَحجب نساءَه، فنزلت الآية موافقةً لقول عمر[٢].

قال بعضهم: لما نزل في أمهات المؤمنين ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعاً فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ كنَّ لا يجوز للناس كلامهن إلَّا من وراء حجاب، ولا يجوز أن يروهنَّ متنقِّباتٍ ولا غير متنقبات، خُصِصْنَ[٣] بذلك دون سائر النساء[٤].

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد: أنقىٰ من الخواطر التي تَعرِض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال.

﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ﴾ سببها: أن بعض الناس قال: لو مات رسول الله ﷺ لتزوَّجتُ عائشة، فحرَّم الله علىٰ الناس تزوُّج نسائِه بعده؛ كرامةً له ﷺ[٥].

۞ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ الآيةَ؛ لما أوجب الله الحجاب أباح لهن الظُّهور لذوي محارمهنَّ من القرابة، وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأولادهم، وأولاد الأخوات.

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ قيل: يريد: النساءَ[٦] القرابة والمتصرِّفات لهن، وقيل: يريد نساءَ جميع المؤمنات. ويقوي الأولَ: تخصيصُ النساء بالإضافة إليهن، ويقوي الثاني: أنهن كن لا يحتجبْنَ من النساء علىٰ الإطلاق.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ اختُلف فيمن أبيح لهن الظُّهورُ له من ملك اليمين؟ فقيل: الإماء دون العبيد. وقيل: الإماء والعبيد، وهذا أولىٰ بلفظ الآية، ثم اختَلف مَن ذهب إلىٰ هذا: فقال قوم: من ملكْنَه[٧] من العبيد دون من ملكه غيرُهنَّ، وهذا هو الظَّاهر من لفظ الآية.

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.
(٢) أخرجه البخاري (١٤٦)، ومسلم (٢١٧٠) عن عائشة ﵂.
(٣) في ج: «خصصهن».
(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن الفرس (٣/ ٤٣٩).
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٠)، والبيهقي (١٣٤١٨) عن ابن عباس ﵄.
(٦) في أ: «في النساء».
(٧) في ج، د، هـ «ملكَتْهُ».

وقال قوم: بل جميع العبيد، كان في ملكهن أو في ملك غيرهن[1].

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ هذه الآية تشريفٌ للنبي ﷺ. وقد ذكرنا معنىٰ صلاة الله وصلاة الملائكة في قوله: ﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ الصلاة علىٰ النبي ﷺ فرضٌ إسلاميٌّ، فالأمر به محمولٌ علىٰ الوجوب، وأقلُّه مرةٌ في العمر.

وأما حكمها في الصلاة: فمذهب الشافعي[2]: أنها فرض تبطل الصلاة بتركه. ومذهب **مالك**[3]: أنها سنة. وصفتها: ما ورد في الحديث الصحيح: «اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ[4] إبراهيم إنك حميد مجيد»[5]. وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافًا كثيرًا.

وأما السَّلام علىٰ النبي ﷺ فيحتمل أن يريد السلامَ عليه في التشهد في الصلاة، أو السلام عليه حين لقائه.

وأما السلام عليه بعد موته: فقد قال ﷺ: «من سلم عليَّ قريبًا سمعتُه، ومن سلم عليَّ بعيدًا بُلِّغته[6]؛ فإن الله حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[7].

---

(١) في ج: «أو في غير ملكهن».

(٢) وأحمد في ظاهر مذهبه.

(٣) ورواية عن أحمد. المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف (٣/ ٥٤٣، ٦٧٢).

(٤) في أ زيادة: «آل».

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦) عن كعب بن عجرة ﷺ، وأخرجه البخاري (٦٣٥٨) عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم (٤٠٥) عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

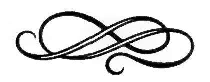
(٦) في د: «بلغني».

(٧) هذان حديثان، فقوله: «فإن الله حرم..» إلخ حديث أوس بن أوس ﷺ، أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٣)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (٩١٠)، والحاكم (١٠٢٩) وصححه علىٰ شرط البخاري ووافقه الذهبي.
وقوله: «من سلم عليَّ قريبًا..» إلخ وجدته بهذا اللفظ: «من صلَّىٰ عليَّ عند قبري سمعته..»، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٤٠)، والعُقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ١٣٦)، وقال: «لا أصل له.. وليس بمحفوظ»، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٠٣)، وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/ ١٣٥).

﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ **إذايةُ الله: هي بالإشراك به، ونسبة الصَّاحبة والولد له. وليس معنىٰ إذايتِه أنه يضرُّه الأذىٰ؛ لأنه تعالىٰ لا يضرُّه شيء ولا ينفعه شيء. وقيل: إنها علىٰ حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله، والأوَّل أرجح؛ لأنه ورد في الحديث: «يقول الله تعالىٰ: يَشتِمني ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويكذِّبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبةً وولدًا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني»[(١)]. وأما إذاية رسول الله ﷺ: فهي التعرُّض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال.**

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ[(٢)] صفية بنت حُيَيٍّ رضي الله عنها[(٣)].

﴿٥٨﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ﴾ **الآيةُ في البهتان، وهو ذِكْرُ الإنسان بما ليس فيه، وهو أشدُّ من الغِيبة، مع أن الغيبة محرمة، وهي ذِكْرُه بما فيه مما يكره.**



(١) أخرجه البخاري (٣١٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في أ، ج: «أخذ».

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ١٧٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٢) من طريق العوفي عنه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَثِيراً ﴿٦٨﴾﴾

﴿٥٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ كان نساء العرب يكشفْنَ وجوههنَّ كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعيًا إلىٰ نظر الرجال إليهن، فأمرهن الله بإدناء الجلابيب ليسترْنَ بذلك وجوههن، ويقعَ الفرقُ بين الحرائر والإماء.

والجلابيب: جمع جِلْبابٍ، وهو ثوبٌ أكبر من الخمار، **وقيل**: هو الرداء. **وصورة إدنائه عند ابن عباس** رضي الله عنهما: أن تلويَه علىٰ وجهها حتىٰ لا يظهر منها إلَّا عين واحدة تُبصِر بها[1]. **وقيل**: أن تلويه حتىٰ لا يظهر إلَّا عيناها، **وقيل**: أن تغطِّي نصف وجهها.

﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي: ذلك أقرب إلىٰ أن يُعرف الحرائر من الإماء، فإذا عُرف أن المرأة حرَّةٌ لم تُعارَض بما تعارضُ به الأَمَة. **وليس المعنىٰ**: أن تُعرف المرأة حتىٰ يُعلم من هي، إنما المراد: أن يُفرَّق بينها وبين الأمة؛ لأنه كان بالمدينة إماءٌ يُعرَفْنَ بالسُّوء، وربما تعرَّض لهن السفهاء.

﴿٦٠﴾ ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ الآيةَ؛ تضمَّنت وعيدَ هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا. **فقيل**: إنهم لم ينتهوا، ولم يُنفَذ الوعيد عليهم، ففي ذلك دليلٌ علىٰ بطلان القول

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ١٨١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٤) من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة. وقيل: إنهم انتهوا وسَتروا أمرهم، فكفَّ عنهم إنفاذ الوعيد. و﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: هم الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر. و﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: قومٌ كان فيهم ضعف إيمان، وقلة ثبات عليه. وقيل: هم الزناة؛ كقوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]-. و﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: قومٌ كانوا يُشيعون أخبار السوء ويخوِّفون[1] المسلمين. فيَحتمل أن تكون هذه الأصناف متفرقةً، أو تكون داخلةً في جملة المنافقين، ثم جرَّدها بالذكر.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: نسلِّطك عليهم، وهذا هو الوعيد.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ ذلك لأنه يَنفِيهم أو يقتلُهم، والضمير المجرور: للمدينة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يَحتمل أن يريد: إلَّا جوارًا قليلًا، أو وقتًا قليلًا، أو عددًا[2] قليلًا منهم. والإعراب يختلف بحسَب هذه الاحتمالات، فـ﴿قَلِيلًا﴾: علىٰ الاحتمال الأول: مصدر، وعلىٰ الثاني: ظرف، وعلىٰ الثالث: منصوب علىٰ الاستثناء.

﴿٦١﴾ ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصبٌ علىٰ الذم. أو بدلٌ من ﴿قَلِيلًا﴾ علىٰ الوجه الثالث. أو حالٌ من ضمير الفاعل في ﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾ تقديره: سيُنفَوْنَ ملعونين[3].

﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟﴾ أي: حيثما ظُفِر بهم أُسِروا، والأَخْذُ: الأسر.

﴿٦٢﴾ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: عادتَه. ونصْبُه علىٰ المصدر.

﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني: المنافقين من الأمم المتقدمة، وقيل: يعني: كفارَ بدر؛ لأنهم أُسروا وقُتِّلوا.

﴿٦٣﴾ ﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ إنما قال ﴿قَرِيبًا﴾ بالتذكير، والساعةُ مؤنثةٌ: علىٰ تقدير: شيئًا قريبًا، أو زمانًا قريبًا، أو لأن تأنيثها غيرُ حقيقيٍّ.

---

(١) في أ، هـ: «ويخيفون».

(٢) في أ، ج، هـ: «وعدًا»!

(٣) علىٰ تقدير: ﴿لا يجاورونك﴾ بـ«سيُنفون»، قاله في المحرر الوجيز (٧/ ١٤٩)، وانظر: البحر المحيط (١٧/ ٣٧١).

(٦٦) ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾: قولُه: ﴿يَقُولُونَ﴾، أو: ﴿لَّا يَجِدُونَ﴾، أو محذوفٌ. وتقليب وجوههم: تصريفُها في جهات النار، كما تدور البَضْعَة [1] في القدر إذا غلت من جهة إلى جهة. أو تغييرُها[2] عن أحوالها.



(١) البَضعة: القطعة من اللحم. القاموس المحيط.
(٢) في أ: «تغيُّرها».

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿٦٩﴾ ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ﴾ **هم قومٌ من بني إسرائيل، وإذايتُهم له:** ما ورد في الحديث: أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراةً، وكان موسىٰ ﷺ يستتر منهم إذا اغتسل، فقالوا: إنه آدَرُ[1]، فاغتسل موسىٰ ﷺ يومًا وحده، وجعل ثيابه علىٰ حجر، ففرَّ الحجر بثيابه، واتَّبعه موسىٰ وهو يقول: «ثوبي حجر! ثوبي حجر!»، فمرَّ في اتباعه علىٰ ملإٍ من بني إسرائيل فرأوه سليمًا مما قالوا، فذلك قوله: ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾[2]. وقيل: إذايتهم له: أنهم رموه بأنه قَتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكةً حملته حتىٰ رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثرٌ، فبرأ الله موسىٰ، وروي أنه حَيِيَ فأخبرهم ببراءة موسىٰ. **والقول الأول هو الصحيح؛ لوروده في الحديث الصحيح.**

﴿٧٠﴾ ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ **قيل: يعني: لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك.**

﴿٧٢﴾ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ **الأمانة:** هي التَّكاليف الشرعية مِن التزام الطاعات وترك المعاصي، وقيل: هي الأمانة في الأموال، وقيل: غُسل الجنابة. **والصحيح العموم في التكاليف.**

وعَرْضُها علىٰ السماوات والأرض والجبال يَحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون الله خلق لها إدراكًا، فعُرضت عليها الأمانة حقيقةً، فأشفقت منها، وامتنعت من حملها.

---

(١) الآدَر: الرجل الذي به انتفاخ في الخصية. النهاية لابن الأثير (١/ ٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩) عن أبي هريرة ﷺ.

والثاني: أن يكون (علىٰ وجه المجاز، و)[1] المراد: تعظيم شأن الأمانة، وأنها من الثِّقَل بحيث إنها لو عُرِضت علىٰ السماوات[2] والأرض والجبال، لأَبَيْنَ من حملها وأشفقن منها، فهذا ضربٌ من المجاز كقولهم: «عرضتُ الحِمْل العظيم علىٰ الدابَّة فأبت أن تحملَه»، والمراد: أنها لا تقدر علىٰ حمله.

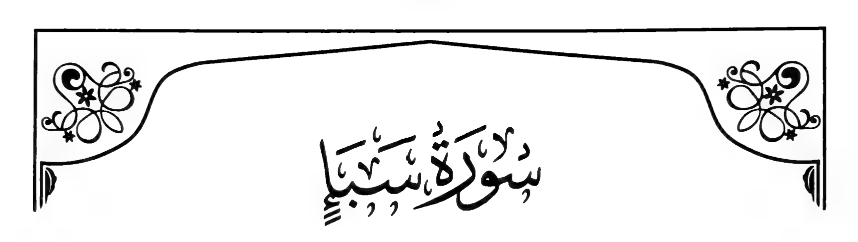
﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: التزم الإنسان القيامَ بالتكاليف مع شدَّة ذلك، وصعوبته علىٰ الأجرام التي هي أعظم منه، ولذلك وصفه الله بأنه ظلوم جهول. و﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هنا: جنس، وقيل: يعني: آدم عليه السلام، وقيل: قابيل الذي قتل أخاه.

(٧٣) ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾ اللام للصيرورة؛ فإنَّ حَمل الأمانة كان سببَ تعذيبِ المنافقين والمشركين، ورحمةً للمؤمنين.



(١) سقط من ج، د، هـ.

(٢) هنا انتهىٰ سقط الورقة من ب.



﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾

۝١ ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ **يَحتمل أن يكون الحمد الأول**: في الدنيا، **والثاني**: في الآخرة. **وعلىٰ هذا حمله الزمخشري**[1]. **ويحتمل عندي** أن يكون الحمد الأول للعموم والاستغراق، فيجمع الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرَّد منه الحمدَ في الآخرة، كقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٧]. **ثم إن الحمد في الآخرة يَحتمل أن يريد به الجنسَ، أو يريد به قولَه**: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، أو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧١].

(١) الكشاف (١٢/ ٤٩٧).

﴿٢﴾ ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: يَدخل فيها من المطر والأموات[1] وغير ذلك، ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ من النبات وغيره، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك، ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ﴾ أي: يصعد ويرتفع من الأعمال وغيرها.

﴿٣﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان ابنُ حرب[2].

﴿لَا يَعۡزُبُ﴾ أي: لا يغيب ولا يخفىٰ.

﴿وَلَآ أَصۡغَرُ﴾ معطوفٌ علىٰ ﴿مِثۡقَالُ﴾. وقال الزمخشري: هو مبتدأ؛ لأن حرف الاستثناء يمنع من العطف[3]. ولا خلاف بين القراء السبعة في رفع ﴿أَصۡغَرُ﴾ و﴿أَكۡبَرُ﴾ في هذا الموضع. وقد حكىٰ ابن عطية الخلافَ فيه عن بعض القراء السبعة[4]، وإنما الخلاف في «يونس».

﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

﴿٤﴾ ﴿لِّيَجۡزِيَ﴾ يتعلَّق بقوله: ﴿لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾، أو بقوله: ﴿لَا يَعۡزُبُ﴾، أو بمعنىٰ قوله: ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾.

﴿٥﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ﴾ مبتدأٌ، وخبره الجملة بعده. وقال ابن عطية: هو معطوفٌ علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولِ[5]. وقد ذُكِر في «الحج» معنىٰ ﴿سَعَوۡ﴾ ، و﴿مُعَٰجِزِينَ﴾[6].

﴿أَلِيمٞ﴾ بالرفع[7]: صفة لـ﴿عَذَابٞ﴾ ، وبالخفض: صفة لـ﴿رِّجۡزٍ﴾.

﴿٦﴾ ﴿وَيَرَى﴾ معطوفٌ علىٰ ﴿لِّيَجۡزِيَ﴾، أو مستأنَفٌ، وهذا أظهر.

---

(١) في أ، ب، هـ: «والأقوات»، والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٢/ ٤٩٨).
(٢) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٣/ ٥٢٣).
(٣) الكشاف (١٢/ ٥٠٤).
(٤) المحرر الوجيز (٧/ ١٥٧).
(٥) المحرر الوجيز (٧/ ١٥٧).
(٦) انظر تفسير الآية (٥١).
(٧) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالرفع، وقرأ الباقون بالخفض.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ هم الصحابة، أو من أسلم من أهل الكتاب، أو على العموم.

﴿ٱلْحَقَّ﴾ مفعول ثاني لـ﴿يَرَى﴾؛ لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم، والضمير فصلٌ.

(٧) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون: محمدًا ﷺ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معنى ﴿مُزِّقْتُمْ﴾ أي: بَلِيتم في القبور، وتقطَّعت أوصالكم، و﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: مصدر. والخلق الجديد: هو الحشر في القيامة. والعامل في ﴿إِذَا﴾: معنى ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأن معناه: تُبعثون إذا مزقتم. وقيل: العامل فيه: فعل مضمر مقدَّر قبلها[١]، وذلك ضعيف. و﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ معمولُ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾، وكسرت «إنَّ»؛ للام التي في خبرها. ومعنى الآية: أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بَليتم في الأرض، ومرادهم: استبعاد الحشر.

(٨) ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل، فحُذفت ألف الوصل وبقيت الهمزة مفتوحةً غير ممدودة.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ﴾ هذا ردٌّ عليهم، أي: أنه لم يفتر على الله كذبًا، وليس به جِنة، بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب. ويَحتمل أن يريد بالعذاب: عذابَ الآخرة، أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق، ومحاولة ظهور الباطل.

(٩) ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الضمير في ﴿يَرَوْاْ﴾ للكفار المنكرين للبعث.

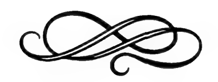
وجعَل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم؛ لأنهما محيطتان بهم.

والمعنى: ألم يروا إلى السماء والأرض فيعلموا[٢] أن الذي خلقهما قادرٌ على بعث الناس بعد موتهم؟

(١) تقديره: ينبّئكم بأنكم تُبعثون إذا مُزِّقتم. المحرر الوجيز (٧/ ١٥٨).
(٢) في أ، ب، هـ: «فيعلمون».

ويَحتمل أن يكون المعنىٰ تهديدًا لهم، ثم فسَّره بقوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: أفلم يروا إلىٰ السماء والأرض أنهما محيطتان بهم، فيعلموا[1] أنهم لا مهرب لهم من الله؟

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة إلىٰ إحاطة السماء والأرض بهم، أو إلىٰ عظمة خِلْقة السماء والأرض؛ فإن فيها آيةٌ تدلُّ علىٰ البعث.



(١) في أ، ب، ج، هـ: «فيعلمون».

*وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿١٠﴾ ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ **تقديره:** قلنا يا جبال، والجملة تفسيرٌ للفضل. ومعنىٰ ﴿أَوِّبِي﴾: سبِّحي، وأصله من التَّأويب، وهو التَّرجيع؛ لأنه كان يرجِّع التسبيحَ فترجِّعه معه. **وقيل:** هو من التأويب بمعنىٰ: السَّير بالنهار، **وقيل:** كان ينوح، فتُسْعِده[1] الجبال بصدَاها، والطير بأصواتها.

﴿وَالطَّيْرَ﴾ **بالنصب**[2]: عطفٌ علىٰ موضع: ﴿يَٰجِبَالُ﴾[3]، **وقيل:** مفعول معه، **وقيل:** عطفٌ علىٰ ﴿فَضْلًا﴾. **وقرئ بالرفع عطفًا علىٰ لفظ:** ﴿يَٰجِبَالُ﴾.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه له ليِّنًا بغير نار، كالطين والعجين، **وقيل:** لَانَ له الحديد؛ لشدَّة قوته.

﴿١١﴾ ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ هي الدُّروع الكاسية.

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ معنىٰ ﴿السَّرْدِ﴾ هنا: نَسْجُ الدروع، وتقديرها: أن لا يَعمل الحَلْقَة صغيرةً فتَضعُف، ولا كبيرةً فيُصاب لابسُها من خلالها. **وقيل:** لا تجعل المسمار رقيقًا ولا غليظًا.

---

(١) في ج: «فتساعده» والمثبت موافق لعبارة الكشاف (١٢/ ٥١٧)..

(٢) قراءة السبعة بالنصب، وقرئ في الشاذ بالرفع، قرأ بها الأعرج وجماعة من أهل المدينة. المحرر الوجيز (٧/ ١٦٢).

(٣) لأن موضع المنادىٰ المفرد نصْبٌ. المحرر الوجيز (٧/ ١٦٢).

﴿وَاعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ خطابٌ لداود عليه السلام وأهله.

(١٢) ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ بالنصب[1]: على تقدير: وسخَّرنا، وقرئ بالرفع: على الابتداء.

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ﴾ أي: كانت تسير به بالغَدَاة[2] مسيرةَ شهر، وبالعشيِّ مسيرة شهر، فكان يجلس على سريره وكان من خشب، يَحمل فيما روي أربعة آلاف فارس[3]، فترفعه الريح ثم تحمله.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت تسيل له باليمَن عين من نحاس، يَصنع منها ما أحبَّ[4]، والقِطر: النحاس. وقيل: القطر: الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك، كان يسيل له منه عيون. وقيل: المعنى: أن الله أذاب له النحاس بغير نار، كما صنع بالحديد لداود عليه السلام.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يعني: نار الآخرة، وقيل: كان معه ملَك يضربهم بسَوْطِ نارٍ[5].

(١٣) ﴿مَّحَٰرِيبَ﴾ هي القصور، وقيل: المساجد.

﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ قيل: إنها كانت على غير صور الحيوان، وقيل: على صور الحيوان، وكان ذلك جائزًا عندهم.

﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابِيَةٍ، وهي البِرْكة التي يجتمع فيها الماء.

﴿رَّاسِيَٰتٍۚ﴾ أي: ثابتات في مواضعها، لا يستطيع أحدٌ أن ينقلها لعِظَمها[6].

---

(١) روى شعبة عن عاصم بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) في أ، ب، هـ: «بالغدوة».

(٣) ذكره في المحرر الوجيز (٧/ ١٦٥)، وقال: «وروي أكثر من هذا بكثير، ولكن عدم صحته مع بُعد شبهه أوجب اختصاره»، ولم أقف على هذه الرواية مسندة أنهم أربعة آلاف، وأخرج ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٥٨) سعيد بن جبير قال: كان يوضع لسليمان عليه السلام ست مئة ألف كرسي فيجلس مما يليه مؤمنو الإنس، ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن، ثم يأمر الطير فتظلهم، ثم يأمر الريح فتحمله عليه السلام.

(٤) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٢٩) من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما، وليس فيه قوله: «كانت باليمن»، وإنما هذا من قول قتادة كما في تفسير الطبري (١٩/ ٢٢٨).

(٥) في ج: «بسوطٍ من نار».

(٦) في د: «لعظمتها».

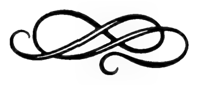
﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ﴾ حكايةُ ما قيل لآل داود. وانتصب ﴿شُكْرًاۚ﴾ علىٰ أنه مفعولٌ من أجله، أو مصدر في موضع الحال، تقديره: شاكرين، أو مصدر من المعنىٰ؛ لأن العمل شكرٌ، تقديره: اشكروا شكرًا، أو مفعول به.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ يَحتمل أن يكون: مخاطبةً لآل داود، أو مخاطبة لمحمد ﷺ.

﴿١٤﴾ ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ﴾ المنساة: هي العصا، وقرئت بالهمز وبغير همز[1]. ودابة الأرض: هي الأَرَضة، وهي السُّوسة التي تأكل الخشب وغيره. وقَصَصُ الآية: أن سليمان ﵇ دخل قُبَّة من قوارير، وقام يصلي متكئًا علىٰ عصاه، فقُبِض روحُه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك سنة، لم يَعلم أحد بموته، حتىٰ وقعت العصا فخرَّ إلىٰ الأرض. واختصرنا كثيرًا مما ذكره الناس في هذه القصة؛ لعدم صحته.

﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ مِن تبيَّن الشيءُ: إذا ظهر، وما بعدها بدلٌ من ﴿ٱلْجِنُّ﴾[2]، والمعنىٰ: ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب. وقيل: ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ بمعنىٰ: علمت، و﴿أَن﴾ وما بعدها: مفعول به علىٰ هذا، والمعنىٰ: علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وتحقَّقوا ذلك بعد التباس الأمر عليهم، أو علمت الجن أن كبارَهم لا يعلمون الغيب، وأنهم كاذبون في دعوىٰ ذلك.

﴿فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ يعني: الخدمةَ التي كانوا يخدمون سليمان ﵇، وتسخيرَه لهم في أنواع الأعمال، والمعنىٰ: لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم[3] موت سليمان.



(١) قرأ نافع وأبو عمرو بغير همز، وروىٰ ابن ذكوان عن ابن عامر بالهمزة ساكنة، وقرأ الباقون بالهمزة مفتوحة.
(٢) بدلُ اشتمال، كقولك: «تبيَّن زيدٌ جهلُه». الكشاف (١٢/ ٥٢٧).
(٣) في ج، د: «عليها».

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

﴿١٥﴾ **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ سبأ:** قبيلة من العرب، سمِّيت باسم أبيها الذي تناسلت منه، **وقيل:** باسم أمها، **وقيل:** باسم موضعها، **والأول أشهر؛** لأنه ورد في الحديث[1]. وكانت مساكنهم بين الشام واليمن.

﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهم وادٍ، وكانت الجناتُ عن يمينه وشماله. و **﴿جَنَّتَانِ﴾**: بدل من **﴿ءَايَةٌ﴾**، أو مبتدأ[2]، أو خبر مبتدإٍ محذوفٍ.

﴿كُلُوا﴾ تقديره: قيل لهم: كلوا من رزق ربكم، قالت لهم ذلك الأنبياء. وروي أنهم بُعث لهم ثلاثة عشر نبيًّا فكذَّبوهم[3].

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: كثيرةُ الأرزاق، طيبة الهواء، سليمةٌ من الهوامِّ.

---

(١) وهو حديث فَروةَ بن مُسَيكٍ الغُطَيفيِّ، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ.. -فذكر الحديثَ-، فقال رجلٌ مِن القوم: يا رسولَ الله، أخبِرنا عن سبأ، ما هو؟ أرضٌ أم امرأةٌ؟ فقال: «ليس بأرضٍ ولا امرأةٍ، ولكنه رجلٌ ولَدَ عشرةً من العرب، فتيامن سِتةٌ، وتشاءم أربعةٌ». أخرجه أحمد (٢٩/ ٥٢٨)، وأبو داود (٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢) وقال: «حسن غريب»، والحاكم (٣٥٨٦) وسكت عنه الذهبي، وله شاهدٌ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه أحمد (٢٨٩٨)، والحاكم (٣٥٨٥) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) وخبر: «عن يمين وشمال»، كذا قدَّره في المحرر الوجيز (٧/ ١٧٤)، وتعقَّبه أبو حيان في البحر المحيط (١٧/ ٤٢٠) بقوله: «ولا يظهر؛ لأنه نكرة لا مسوِّغ للابتداء بها، إلا إن اعتُقد أن ثم صفةٌ محذوفة، أي: جنتان لهم، أو عظيمتان لهم عن يمين وشمال، وعلىٰ تقدير ذلك يبقىٰ الكلامُ مُفلَتًا مما قبله».

(٣) أخرجه الطبري (١٩/ ٢٤٩) عن وهب بن منبِّه اليماني.

﴿١٦﴾ ﴿وَأَعْرَضُوا۟﴾ أي: أعرضوا عن شكر الله، أو عن طاعة الأنبياء.

﴿وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ كان لهم سدٌّ يُمسِك الماء؛ ليرتفع فتُسقىٰ به الجنات، فأرسل الله علىٰ السد الجُرْذَ، وهي دُوَيبةٌ خرَّبته فيَبِست الجنات. وقيل: لما خَرِبَ السدُّ حمَل السيلُ الجناتِ وكثيرًا من الناس.

واختُلف في معنىٰ العرم؟ فقيل: هو السد، وقيل: هو اسم ذلك الوادي بعينه، وقيل: معناه: الشديد، فكأنه صفة للسيل، مِن العَرَامة، وقيل: هو الجرذ الذي خرب السدَّ، وقيل: المطر الشديد.

﴿أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأُكل -بضم الهمزة-: المأكول. والخَمْط: شجر الأراك، وقيل: كل شجرة ذات شوك[1]. والأَثْلُ: شجرٌ يشبه الطَّرْفاءَ. والسِّدر: شجر معروف. وإعراب ﴿خَمْطٍ﴾: بدلٌ من ﴿أُكُلٍ﴾ ، أو عطف بيان. وقرئ بالإضافة[2]. و ﴿أَثْلٍ﴾ عطفٌ علىٰ ﴿أُكُلٍ﴾ لا علىٰ ﴿خَمْطٍ﴾ ؛ لأن الأثل لا أُكلَ له.

والمعنىٰ: أنهم لما هلكت الجنتان المذكورتان قبلُ أبدلهم الله منهما[3] جنتين بضدِّ وصفهما في الحُسْن والأرزاق.

﴿١٧﴾ ﴿وَهَلْ يُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ معناه: لا يُناقَش ويُجازَىٰ بمثل فعله إلَّا الكفورُ؛ لأن المؤمن قد يَسمح الله له، ويتجاوز عنه.

﴿١٨﴾ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ هذه الآية وما بعدها وصْفُ حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم. ويعني بـ﴿ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: الشام، والقرىٰ الظاهرة: قرًىٰ متصلةٌ من بلادهم إلىٰ الشام. ومعنىٰ ﴿ظَٰهِرَةً﴾: يَظهر بعضها من بعض؛ لاتصالها، وقيل: مرتفعة في الآكام، وقال ابن عطية: معناه: خارجة عن المدن، كما تقول: بظاهر المدينة أي: خارجها[4].

---

(١) في د زيادة: «هي الخمط».

(٢) قرأ أبو عمرو بالإضافة، وقرأ الباقون بالتنوين.

(٣) في ب، ج، هـ: «منها».

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ١٧٨).

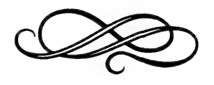
﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: قسمنا مراحل السفر، وكانت القرىٰ متصلة، فكان المسافر يَبيت في قرية ويُصبح في أخرىٰ، ولا يخاف جوعًا ولا عطشًا، ولا يحتاج إلىٰ حَمل زادٍ، ولا يخاف من أحد.

(١٩) ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ[1] ﴿بَٰعِدْ﴾ و ﴿بَعِّدْ﴾ بالتخفيف والتشديد علىٰ وجه الطَّلب. والمعنىٰ: أنهم بَطِروا النعمةَ ومَلُّوا العافية، فطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة؛ ليمشوا في المفاوز ويتزوَّدوا للأسفار[2]، فعجَّل الله إجابتهم. وقرئ ﴿بَاعَدَ﴾ بفتح العين علىٰ الخبر، والمعنىٰ: أنهم قالوا: إن الله باعَد بين قراهم، وذلك كذبٌ وجحد للنِّعم.

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ يعني: بقولهم: ﴿بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، أو بذنوبهم علىٰ الإطلاق.

﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فرَّقناهم في البلاد، حتىٰ ضُرِب المثل بفُرْقتهم، فقيل: «تفرقوا أيدي[3] سبأ». وفي الحديث: «إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل علىٰ بلادهم تفرقوا فتيامَنَ منهم ستة وتشاءَمَ أربعة»[4].

(٢٠) ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أي: وَجَد ظنَّه فيهم صادقًا، يعني: قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: ٨١]، وقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦].



(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر: ﴿بَعِّدْ﴾ بالتشديد، وقرأ الباقون من السبعة ﴿باعِدْ﴾ بالألف والتخفيف، وقرأ يعقوب الحضرمي: ﴿ربُّنا﴾ بالرفع ﴿باعَدَ﴾ بالألف وفتح العين والدال علىٰ الخبر.

(٢) في د: «لأسفارهم».

(٣) في د: «أيادي»، والمثَل ورد بالوجهين كما قال في المحرر الوجيز (٧/ ١٨٠).

(٤) تقدم تخريجه قريبًا.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿٢٢﴾ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ تعجيزٌ للمشركين وإقامةُ حجةٍ عليهم. ويعني بـ ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: آلهتَهم. ومفعول ﴿زَعَمْتُمْ﴾ محذوف، أي: زعمتم أنهم آلهة، أو زعمتم أنهم شفعاء. وروي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشًا[1].

﴿مِنْ شِرْكٍ﴾ أي: نصيب. والظَّهير: المُعين.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ المعنىٰ: لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن الله له أن يَشفع؛ فإنه لا يشفع أحدٌ إلَّا بإذنه. وقيل: المعنىٰ: لا تنفع الشفاعة إلَّا لمن أذن الله أن يُشفَع فيه. والمراد: أن الشفاعة علىٰ كل وجهٍ لا تكون إلَّا بإذن الله، ففي ذلك ردٌّ علىٰ المشركين الذين كانوا يقولون: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[يونس: ١٨].

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام؛ فإنهم[2] إذا سمعوا الوحي إلىٰ جبريل عليه السلام يَفزَعون لذلك فزَعًا عظيمًا، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟

---

(١) ذكره في المحرر الوجيز (٧/ ١٨١) ولم أقف عليه مسندًا، وفي تفسير مقاتل (٣/ ٥٣٦) وتفسير الثعلبي (١٦/ ٣٦٣) أن الآية التي نزلت بسبب الجوع الذي أصاب قريشًا هي آية الإسراء: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾، وليس آية سبأ هذه.

(٢) في أ، ب، هـ: «أنهم».

فيقولون: «قال الحقَّ»[١]. ومعنىٰ ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: زال عنها الفزع. والضمير في ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ وفي ﴿قَالُواْ﴾: للملائكة.

فإن قيل: كيف ذلك ولم يتقدَّم لهم ذكْرٌ يعود الضمير عليه؟ **فالجواب**: أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾؛ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة، ويقولون: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله»، فذِكْرُ الشفاعة يقتضي ذِكْرَ الشَّافعين، فعاد الضمير علىٰ الشفعاء الذين دلَّ عليهم لفظ الشفاعة.

فإن قيل: بم اتصل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، ولأيِّ شيءٍ وقعت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةً؟ **فالجواب**: أنه اتصل بما فُهِم من الكلام؛ مِن أنَّ ثَمَّ انتظارًا للإذن، وفزَعًا وتوقُّفًا حتىٰ يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويَقرُب هذا في المعنىٰ من قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ٣٨].

ولم يفهم بعض الناس اتصالَ هذه الآية بما قبلها، فاضطربوا فيها، حتىٰ قال بعضهم: هي في الكفار بعد الموت، ومعنىٰ ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: رأوا الحقيقة، فقيل لهم: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ فيقولون: «قال الحق»، فيُقِرُّون حين لا ينفعهم الإقرار.

والصحيح: أنها في الملائكة؛ لورود ذلك في الحديث، ولأن القصد الردُّ علىٰ الكفار الذين عبدوا الملائكة، بذِكْر شدَّة خوف الملائكة من الله وتعظيمِهم له.

﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ سؤالٌ قُصِد به: إقامةُ الحجة علىٰ المشركين.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جوابٌ عن السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، فلذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ **هذه ملاطفة وتنزُّلٌ في المجادلة إلىٰ غاية الإنصاف، كقولك**: «الله يعلم أن أحَدَنا علىٰ حق وأن الآخَر علىٰ باطل»، ولا تُعيِّن بالتصريح أحدَهما، ولكن تُنبِّه الخصمَ علىٰ النظر؛ حتىٰ يعلم من هو علىٰ الحق ومن هو علىٰ الباطل.

والمقصود من الآية: أن المؤمنين علىٰ هدًىٰ، وأن الكفار في ضلال مبين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿٢٥﴾ ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ إخبارٌ يقتضي مسالمةً نسخها السيف.

﴿٢٦﴾ ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي: يحكم، و﴿ٱلْفَتَّاحُ﴾: الحاكم.

﴿٢٧﴾ ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ إقامةُ حجة علىٰ المشركين. **والرؤية هنا رؤية قلب**، فـ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولٌ ثالث، **والمعنىٰ**: أروني بالدليل والحجة مَن هم له شركاء عندكم كيف[(١)] وجه الشِّرْكة؟ **وقيل**: هي رؤية بصر، و﴿شُرَكَآءَ﴾ حال من المفعول في ﴿أَلْحَقْتُم﴾؛ كأنه قال: أين الذين تعبدون من دونه؟ وفي قوله: ﴿أَرُونِىَ﴾ تحقيرٌ للشركاء وازدراءٌ بهم، وتعجيزٌ للمشركين. وفي قوله: ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عن الإشراك. وفي وصف الله بالعزيز الحكيم ردٌّ عليهم؛ لأن شركاءهم ليسوا كذلك.

﴿٢٨﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ **المعنىٰ**: أن الله أرسل محمدًا ﷺ إلىٰ جميع الناس، وهذه إحدىٰ الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء. **وإعراب** ﴿كَآفَّةً﴾: حالٌ من «الناس»، قُدِّمت للاهتمام، **هكذا قال ابن عطية**[(٢)].

وقال الزمخشري: ذلك خطأ؛ لأن تقدُّم حال المجرور عليه لا يجوز، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلَّا رسالةً عامة للناس[(٣)]، فـ﴿كَآفَّةً﴾ صفةٌ للمصدر المحذوف.

وقال الزجَّاج: **المعنىٰ**: أرسلناك جامعًا للناس في الإنذار والتبشير[(٤)]، فجعله حالًا من الكافِّ، والتاء علىٰ هذا: للمبالغة، كالتاء في «راوية» و«علَّامة».

﴿٣٠﴾ ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ **يعني**: يوم القيامة، أو: نزول العذاب بهم في الدنيا. وهو الذي سألوا عنه علىٰ وجه الاستخفاف فقالوا: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾.



---

(١) في د: «وكيف».
(٢) المحرر الوجيز (٧/ ١٨٦).
(٣) الكشاف (١٢/ ٥٥٦-٥٦٠).
(٤) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (٤/ ٢٥٤).

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٣١﴾ ﴿وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هي: الكتب المتقدمة، كالتوراة والإنجيل. وإنما قال الكفار هذه المقالةَ حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ. وقيل: الذي بين يديه: يوم القيامة، وهذا خطأ وعكس؛ لأن الذي بين يدي الشيء هو ما يتقدَّم عليه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جواب «لو» محذوفٌ، تقديره: لرأيت أمرًا عظيمًا.

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: يتكلَّمون ويُجيب بعضهم بعضًا.

﴿٣٢﴾ ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أي: كفرتم باختياركم، لا بأمرنا.

﴿٣٣﴾ ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ المعنىٰ: أن المستضعفين قالوا للمستكبرين: بل مَكْرُكم بنا في الليل والنهار سببُ كفرنا، فإعراب ﴿مَكْرُ﴾: مبتدأ وخبره محذوف، أو خبر ابتداء مضمر. وأضاف ﴿مَكْرُ﴾ إلىٰ ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ علىٰ وجه الاتِّساع[1].

ويحتمل أن يكون أَضافهُ إلىٰ المفعول، أو إلىٰ الفاعل علىٰ وجه المجاز، كقولهم: «نهارُه صائمٌ، وليلُه قائمٌ»، أي: يُصام فيه ويُقام. ودلَّت الإضافة علىٰ كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار.

(١) بإجرائه مُجرىٰ المفعول به، وإضافة المكر إليه. الكشاف (١٢/ ٥٦٤).

فإن قيل: لم أَثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين كفروا؟

فالجواب: أنه قد تقدَّم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك، فعَطف عليه كلامَهم الثاني، ولم يتقدَّم للذين استكبروا كلامٌ آخر فيعطفَ عليه.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها، فهو من الأضداد. والضمير يجمع[1] المستضعَفين والمستكبِرين.

(٣٤) ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾ يعني: أهل الغنىٰ والتنعُّم في الدنيا، وهم الذين يبادرون إلىٰ تكذيب الأنبياء. **والقصد بالآية**: تسلية النبي ﷺ عن تكذيب أكابر قريش له.

(٣٥) ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ **الضمير**: لقريش، أو للمترفين المتقدِّمين. قاسُوا أمر الآخرة علىٰ الدنيا، وظنُّوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذِّبهم في الآخرة.

(٣٦) ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبارٌ يتضمَّن الردَّ عليهم بأنَّ[2] بسْطَ الرزقِ وقبْضَه في الدنيا معلَّقٌ بمشيئة الله، فقد يوسِّع الله علىٰ الكافر والعاصي، ويضيِّق علىٰ المؤمن والمطيع، وبالعكس؛ فليس في الدنيا[3] دليلٌ علىٰ أمر الآخرة.



---

(١) في أ، هـ: «الجميع».

(٢) في أ، ب، هـ: «فإن».

(٣) في أ، ب، هـ: «ذلك».

﴿وَمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَلَا أَوْلَٰدُكُم بِالتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفِيٰ إِلَّا مَنَ ـامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحاً فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ اُلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي اِ۬لْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي اِ۬لْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلِ اِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ اُلرِّزْقَ لِمَن يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَےْءٖ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ اُلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ اِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ اَ۬لْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّومِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٖ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ اَ۬لنَّارِ اِ۬لتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَيٰ عَلَيْهِمُۥٓ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَّصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٞ مُّفْتَرِيٗ وَقَالَ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمُۥٓ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ اَ۬لذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِۦ ﴿٤٥﴾﴾

﴿٣٧﴾ ﴿زُلْفِيٰ﴾ مصدرٌ بمعنى القُرْب، كأنه قال: تقرِّبكم قُرْبَىٰ.

﴿إِلَّا مَنَ ـامَنَ﴾ استثناءٌ من المفعول في ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾ ، والمعنى: أن الأموال لا تقرِّب إلَّا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله. وقيل: الاستثناء منقطع، والأول أحسن.

﴿جَزَآءُ اُلضِّعْفِ﴾ يعني: تضعيفَ الحسنات إلىٰ عشر أمثالها فما فوق ذلك.

﴿٣٩﴾ ﴿يَبْسُطُ اُلرِّزْقَ﴾ الآيةَ؛ كُرِّرت هنا لاختلاف القصد، فإن القصد بالأول: ردٌّ على الكفار، والقصد هنا: ترغيبٌ للمؤمنين[1] بالإنفاق.

﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ الخَلَف قد يكون بالمال، أو بالثواب.

﴿٤١﴾ ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ براءةٌ من أن يكون لهم رضًا بعبادة المشركين لهم، وليس في ذلك نفيٌ لعبادتهم لهم.

(١) في ج: «المؤمنين».

﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ عبادتهم للجن: طاعتهم لهم في الكفر والعصيان. **وقيل:** كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيُعبَدون بعبادتها. **ويحتمل** أن يكون قومٌ قد عبدوا الجنَّ؛ لقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠١].

(٤٤) ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الآيةَ؛ معناها يَحتمل وجهين:

أحدهما: ليس عندهم كتبٌ تدلُّ علىٰ صحة أقوالهم، ولا جاءهم نذيرٌ يشهد بما قالوه، فأقوالهم باطلة؛ إذ لا حجة لهم عليها، **فالقصد علىٰ هذا:** ردٌّ عليهم.

والآخر: أنهم ليس عندهم كتب، ولا جاءهم نذير، فهم محتاجون إلىٰ من يعلِّمهم ويُنذرهم؛ فلذلك بعث الله إليهم محمدًا ﷺ، **فالقصد علىٰ هذا:** إثباتُ نبوة محمد ﷺ.

(٤٥) ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ المعشار: العُشر، **وقيل:** عشر العشر، **والأول أصح**. والضمير في ﴿بَلَغُواْ﴾: لكفار قريش، وفي ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: للكفار المتقدمين؛ أي: إن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أَعطىٰ الله المتقدمين[1] من القوة والأموال. وقيل: الضمير في ﴿بَلَغُواْ﴾: للمتقدمين، وفي ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: لقريش؛ أي: ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطىٰ الله هؤلاء من البراهين والأدلة. **والأول أصحُّ**، وهو نظير قوله: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم: ٨].

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري، يعني: عقوبةَ الكفَّار المتقدمين، وفي ذلك تهديدٌ لقريش.



(١) في ج، د: «للمتقدمين».

*قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

﴿٤٦﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ أي: بقضيةٍ واحدة؛ تقريبًا عليكم.

﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ هذا تفسير القضية الواحدة، فـ﴿أَن تَقُومُوا﴾: بدلٌ، أو عطف بيان، أو خبر ابتداء مضمر. ومعناه: أن تقوموا للنظر في أمر محمد ﷺ قيامًا خالصًا لله تعالىٰ، ليس فيه اتباعُ هوًىٰ ولا ميلٌ. وليس المراد بالقيام هنا: القيام علىٰ الرجلين؛ وإنما المراد: القيام بالأمر والجِدُّ فيه.

﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ حالٌ من الضمير في ﴿تَقُومُوا﴾، والمعنىٰ: أن تقوموا اثنين اثنين؛ للمناظرة في الأمر وطلب التَّحقيق، وتقوموا واحدًا واحدًا؛ لإحضار الذهن واستجماع الفكرة، ثم تتفكَّروا في أمر محمد ﷺ فتعلموا أنه ما به من جِنَّة؛ لأنه جاء بالحق الواضح، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدلُّ علىٰ رجاحة عقله ومتانة علمه، وأنه بلَغ في الحكمة مبلغًا عظيمًا، فيدلُّ ذلك علىٰ أنه ليس بمجنون ولا مفترٍ علىٰ الله.

﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ متصلٌ بما قبله علىٰ الأصح؛ أي: تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جِنة، وقيل: هو استئنافٌ.

﴿٤٧﴾ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه: «إن أعطيتني شيئًا فخذه»، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئًا، ولكنه يريد البراءة من عطائه، فكذلك معنىٰ هذا، فهو كقوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧، ص: ٨٦].

(٤٨) ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ **القذف**: الرمي، ويستعار للإلقاء، **فالمعنىٰ**: يلقي الحقَّ إلىٰ أنبيائه، أو يرمي الباطل بالحق فيُذهبُه.

﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ خبر ابتداء مضمر، أو بدلٌ: من الضمير في ﴿يَقْذِفُ﴾، أو من اسم ﴿إِنَّ﴾ علىٰ الموضع.

(٤٩) ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني: الإسلام.

﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ **الباطل**: الكفر، ونفي الإبداء والإعادة عبارةٌ عن أنه لا يفعل شيئًا ولا يكون له ظهورٌ، أو عبارة عن ذهابه، كقوله: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]. **وقيل**: الباطل: الشيطان.

(٥٠) ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني: قربَه تعالىٰ بعلمه وإحاطته[١].

(٥١) ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا﴾ جواب «لو» محذوفٌ، تقديره: «لرأيت أمرًا عظيمًا». ومعنىٰ ﴿فَزِعُوا﴾: أسرعوا الهروبَ[٢]، والفعل ماض بمعنىٰ الاستقبال، وكذلك ما بعده من الأفعال. ووقت **الفزَع**: البعث، **وقيل**: الموت، **وقيل**: يوم بدر.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: لا يَفُوتون الله إذا هربوا.

﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني: من الموقف إلىٰ النار إذا بُعثوا، أو من ظهر الأرض إلىٰ بطنها إذا ماتوا، أو من أرض بدر إلىٰ القَليب. **والمراد علىٰ كل قولٍ**: سرعة أخذهم.

(٥٢) ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ أي: قالوا ذلك عند أخذهم. **والضمير المجرور**: لله تعالىٰ، أو للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام.

---

(١) **[التعليق ٨٩] قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك: قولُ المؤلِّفِ ﷺ**: «﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:٥٠]؛ يعني: قُرْبَهُ تعالىٰ بعلمِهِ وإحاطتِهِ»: **أقولُ**: قولُهُ: «قُرْبَهُ بعلمِهِ وإحاطتِهِ»؛ معناه: إثباتُ القُرْبِ العامِّ؛ كالمعيَّةِ العامَّةِ المقتضيةِ للعلمِ، فيَؤُولُ المعنىٰ إلىٰ: أنه تعالىٰ قريبٌ مِن كلِّ أحدٍ، ومِن كلِّ شيءٍ، كما أنَّه مع كلِّ أحدٍ، بعلمِهِ وإحاطتِهِ. وهذا الذي ذهَبَ إليه المؤلِّفُ مِن إثباتِ القُرْبِ العامِّ الراجعِ إلىٰ العلمِ، هو المناسِبُ لمذهبِ الأشاعرةِ؛ فإنَّهم لا يُثبِتُونَ للهِ قُرْبًا خاصًّا مِن بعضِ العبادِ؛ كالملائكةِ الذين عندَهُ؛ فليس أحدٌ مِن العبادِ أقربَ إليه مِن بعضٍ؛ وذلك لقولِهم: «إنه تعالىٰ في كلِّ مكانٍ»؛ كما تقدَّم ذكرُ ذلك عنهم، وسبَقَ التعليقُ عليه عند كلام المؤلِّف علىٰ قولِهِ تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، والله أعلم.

(٢) في أ، هـ: «إلىٰ الهروب».

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ **التناوش** -بالواو-[١]: التناول، إلَّا أن التناوشَ تناولٌ سهلٌ لشيءٍ قريب. وقرئ بهمز الواو، فيحتمل أن يكون المعنىٰ واحدًا، أو يكون المهموز بمعنىٰ الطلب[٢]. ومعنىٰ الآية: استبعادُ وصولهم إلىٰ مرادهم.

والمكان البعيد: عبارةٌ عن تعذُّر مقصودهم؛ فإنهم يطلبون ما لا يكون، أو يريدون أن يتناولوا ما لا ينالون، وهو رجوعهم إلىٰ الدنيا، أو[٣] انتفاعهم بالإيمان حينئذ.

﴿٥٣﴾ ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ الضمير يعود علىٰ ما عاد عليه في قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ ﴿يَقْذِفُونَ﴾ فعل ماض في المعنىٰ، معطوف علىٰ ﴿كَفَرُواْ﴾. ومعناه: أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيَّبة فيقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار، ويقولون في الرسول ﷺ: إنه ساحر أو شاعر. **والمكان البعيد هنا**: عبارةٌ عن بطلان ظنونهم، وبُعْد أقوالهم عن الحق.

﴿٥٤﴾ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: حيل بينهم وبين دخول الجنة، **وقيل**: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ، **وقيل**: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ **يعني**: الكفارَ المتقدمين، وجعَلهم أشياعَهم؛ لاتفاقهم في مذاهبهم. و ﴿مِّن قَبْلُ﴾ **يحتمل أن يتعلق** بـ﴿فُعِلَ﴾ ، أوبـ﴿أَشْيَاعِهِم﴾ ، علىٰ حسَب معنىٰ ما قبله[٤].

﴿فِى شَكٍّ مُّرِيبِۭ﴾ هو أقوىٰ الشك وأشدُّه إظلامًا[٥].

---

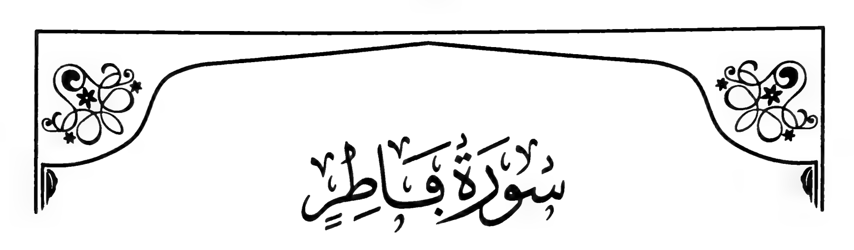
(١) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم بهمز الواو، وقرأ الباقون بالواو المحضة.

(٢) تقول: تناءَشْتُ الشيءَ: إذا طلبتَه من بعيد. المحرر الوجيز (٧/ ١٩٧-١٩٨)

(٣) في ج، د: «و».

(٤) أي: علىٰ حسب الاختلاف في وقت الفزع، هل هو يوم القيامة فيتعلَّق بـ﴿أشياعهم﴾، أو هو يوم بدر فيتعلَّق بـ﴿فُعِلَ﴾. المحرر الوجيز (٧/ ١٩٩).

(٥) في ج، د: «ظلامًا».



سُورَةُ فَاطِرٍ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

﴿١﴾ ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ أي: وسائطَ بين الله وبين الأنبياء، ومتصرِّفين في أمر الله.

﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفاتٌ لـ﴿أَجْنِحَةٍ﴾، ولم ينصرف للعَدْل والوصف. والمعنىٰ: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثةُ أجنحة، ومنهم من له أربعة.

﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قيل: يعني: حُسْن الصوت، وقيل: حسن الوجه، وقيل: حسن الخطِّ. والأظهر أنه يرجع إلىٰ أجنحة الملائكة، أو يكون علىٰ الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين.

﴿٢﴾ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ الفتح: عبارةٌ عن العطاء[1]، والإمساك: عبارةٌ عن المنع. والإرسال: الإطلاق بعد المنع. والرحمة: كل ما يَمنُّ الله به علىٰ عباده من خير الدنيا والآخرة. فمعنىٰ الآية: لا مانعَ لما أعطىٰ الله، ولا مُعطي لما منع الله.

(١) في د: «الإعطاء».

فإن قيل: لم أنَّث الضمير في قوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ وذكَّره في قوله: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ وكلاهما يعود على ﴿مَا﴾ الشرطية؟

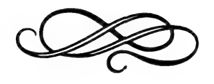
فالجواب: أنه لما فسر الأوَّل بقوله: ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ أنَّثه؛ لتأنيث الرحمة، وترك الآخر على الأصل من التذكير.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد إمساكه.

③ ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ **رفْعُ** ﴿غَيْرُ﴾[1]: على الصفة لـ﴿خَٰلِقٍ﴾ على الموضع، **وخفْضه**: صفةٌ على اللفظ. **ورزق السماء**: المطر، **ورزق الأرض**: النبات. **والمعنى**: تذكيرٌ بنعم الله، وإقامةُ حجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

④ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآيَةَ؛ تسليةٌ للنبي ﷺ عن تكذيب قومه له، كأنه يقول: إن يكذِّبوك[2] فلا تحزن لذلك؛ فإن الله سينصرك عليهم، كما كُذِّبت رسلٌ من قبلك فنصرهم الله.

⑤ ﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان، وقيل: التَّسويف.



(١) قرأ حمزة والكسائي بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع.

(٢) في أ، هـ: «كذبوك».

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾

(٨) ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ **توقيفٌ، وجوابه محذوف، تقديره: «أفمن زُيِّن له سوء عمله كمن لم يُزيَّن له؟»، ثم بنَىٰ علىٰ ذلك ما بعده. فالذي زُين له سوء عمله: هو الذي أضلَّه الله، والذي لم يُزيَّن له سوء عمله: هو الذي هداه الله.**

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ **تسليةٌ للنبي ﷺ عن حُزنه لعدم إيمانهم؛ لأن ذلك بيد الله.**

(٩) ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ **أي الحشر، والمعنىٰ: كما يُحيي الله الأرض بالنبات كذلك يحيي الموتىٰ.**

(١٠) ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ **الآيةَ؛ تحتمل ثلاثةَ معان:**

أحدها -وهو الأظهر-: من كان يريد نيلَ العزةِ فليطلبْها من عند الله؛ فإن العزة كلَّها لله.

والثاني: من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فللَّه العزة جميعًا، فالمغالِب له مغلوب.

والثالث: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلمْ أن العزة لله جميعًا.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ **قيل: يعني: لا إله إلا الله، واللفظ يعمُّ ذلك وغيرَه من الذِّكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، وتعليم العلم، فالعموم أولىٰ.**

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن ضمير الفاعل في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ لله، وضمير المفعول: للعمل الصالح، فالمعنىٰ: أن الله يرفع العملَ الصالح؛ أي: يتقبَّلُه ويُثيب عليه.

والثاني: أن ضمير الفاعل: للكلم الطيب، وضمير المفعول: للعمل الصالح، والمعنىٰ علىٰ هذا: أنه لا يُقبل عملٌ صالح إلَّا ممن له كلمٌ طيب. وهذا يصح إن قلنا: إن الكلم الطيب: «لا إله إلا الله»؛ لأنه لا يُقبل العمل إلَّا من موحِّدٍ.

والثالث: أن ضمير الفاعل: للعمل الصالح، وضمير المفعول: للكلم الطيب، والمعنىٰ علىٰ هذا: أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب، فلا يُقبل الكلمُ إلَّا ممن له عمل صالح.

روي هذا المعنىٰ عن ابن عباس ﵄[1]، واستبعده ابن عطية[2]، وقال: لم يصح عنه؛ لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبَّل من كل مسلم، قال: وقد يستقيم بأن يُتأوَّل: أنه يزيد في رفعه وحسن موقعه[3].

(١) أخرجه الطبري (١٩/ ٣٣٩) من طريق علي بن أبي طلحة عنه ﵁.

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٠٦).

(٣) [**التعليق ٩٠**] **قال الشيخ عبد الرحمن البرَّاك**: قوله: «فيه ثلاثة أقوال»، قال: «والثالث: أن ضمير الفاعل -أي: لفعل يرفع- للعمل الصالح، وضمير المفعول للكلم الطيب»، وهذا الذي شرحه المؤلف هو قول جمهور المفسرين، وهو المروي عن ابن عباس ﵄، كما ذكره المؤلف، وذكر أن موجَب هذا أن الكلم الطيب لا يُقبل إلا ممَّن له عمل صالح، ونقل الاعتراض عليه عن ابن عطية؛ وعبارة ابن عطية في هذا: «هذا قول يرده معتقد أهل الحق والسنة، ولا يصح عن ابن عباس ﵄، والحق أن العاصي التارك للفرائض إذا ذكر الله تعالىٰ وقال كلاما طيبا؛ فإنه مكتوب له متقبل منه، وله حسناته وعليه سيئاته» اهـ وما قاله ابن عطية من معتقد أهل السنة أن الله يقبل العمل الصالح من العبد صحيح، ولكن في وروده علىٰ التفسير المشهور للآية نظر؛ فالله يقبل عمل العبد وإن كان عاصيا ما اتقىٰ الشرك، واتقىٰ الله في عمله المعيَّن؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]، وذكر المؤلف القولين الآخرين؛ أحدهما: أن ضمير الفاعل يعود إلىٰ الله، فهو سبحانه الذي يرفع العمل الصالح ويقبله، والثاني: أن ضمير الفاعل يعود إلىٰ الكلم، أي: الكلم يرفع العمل الصالح، وهذان القولان ضعيفان؛ إذ مقتضاهما نصب العمل علىٰ الاشتغال، وهذا لم يُقرأ به إلا في بعض القراءات الشاذة، =

﴿يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ لا يتعدَّىٰ «مَكَر»، فتأويله: «يمكرون المكَراتِ السيئاتِ»، فتكون ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مصدرًا. أو تضمَّن[1] ﴿يَمْكُرُونَ﴾ معنىٰ: يكتسبون، فتكون ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مفعولًا. والإشارة هنا: إلىٰ مكر قريش برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة، وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يُخرجوه.

﴿وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ البَوَار: الهلاك أو[2] الكساد، ومعناه هنا: أن مكرهم يَبطُل ولا ينفعهم.

(١١) ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافًا، وقيل: ذُكرانًا وإناثًا، وهذا أظهر.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ التَّعمير: طول العمر، والنَّقص: قِصَره، والكتاب: اللوح المحفوظ. فإن قيل: إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخصٍ واحد، فكيف أعاد الضميرَ في قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ علىٰ الشخص المعمَّر؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول -وهو الصحيح-: أن المعنىٰ: ما يعمَّر من أحد ولا ينقص من عمره إلَّا في كتاب، فوَضع ﴿مِن مُّعَمَّرٍ﴾ في موضع: «من أحدٍ»، وليس المراد شخصًا واحدًا، وإنما ذلك كقولك: «لا يعاقب الله عبدًا ولا يُثيبه إلَّا بحقٍّ».

والثاني: أن المعنىٰ: لا يُزاد في عمر إنسانٍ ولا يُنقَص من عمره إلَّا في كتاب، وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانًا إن تصدَّق فعمره ستون سنة، وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر»[3]، إلَّا أن ذلك

= وبهذا يترجَّح القول الأول المرويُّ عن السلف عن ابن عباس وغيره، ويدفع عنه الاعتراض الذي أورده ابن عطية أن أجلَّ العمل الصالح الإيمانُ، كما في الصحيحين أن النبي ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله» [أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣) عن أبي هريرة ﷺ]، ومعلوم أن من لا إيمان له لا يرتفع له عمل؛ فالإيمان شرط قبول العمل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء:١٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل:٩٧]، فالإيمان بالله ورسوله أجلُّ عمل يرتفع به الكلم الطيب وغيره من كل عمل صالح.

(١) في أ، هـ: «يُضمَّن».

(٢) في د: «و».

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس ﷺ بلفظ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه».

مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين، وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعبٌ حين طُعن عمر رضي الله عنه: «لو دعا اللهَ لزاد في أجله»، فأنكر الناس ذلك عليه، فاحتجَّ بهذه الآية(١).

والثالث: أن التعمير هو: كَتْبُ ما يُستقبل من العمر، والنقص هو: كَتْبُ ما مضىٰ منه في اللوح المحفوظ، وذلك في حقِّ كل شخص(٢).

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٥١): «رواه إسحاق بن راهويه في مسنده: أخبرنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، قال: قال كعب..»، ورواه أيضًا عن عبد الرزاق معمر بن راشد كما في جامعه الملحق بالمصنف (١١/ ٢٢٤)، ورواه أيضًا الفريابي في كتاب القدر (ص: ٢٨١) عن عباس العنبري عن عبد الرزاق.

(٢) [التعليق ٩١] قال الشيخ عبد الرحمن البرّاك: قولُ المؤلِّفِ رحمه الله في الوجهِ الثاني مِن وجوهِ مرجعِ الضميرِ في قولِه: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾: إنَّ المرادَ: مَن يُعمَّرُ بسببٍ؛ كالصَّدَقةِ، أو يُنقَصُ مِن عمرِهِ؛ لعدَمِ ذلك؛ فمَن تصدَّقَ أو وصَلَ رحمَهُ، زِيدَ في عمرِهِ، بخلافِ مَن ليس كذلك، واعترَضَ رحمه الله علىٰ هذا الوجهِ: بأنه يوافِقُ قولَ المعتزِلةِ القائلِينَ بالأجلَيْنِ، وأنه خلافُ قولِ الأشاعِرةِ.
ولا شكَّ: أنَّ قولَ المعتزِلةِ بأنَّ للإنسانِ أجلَيْنِ مكتوبَيْنِ؛ أحدُهما: معلَّقٌ علىٰ سببٍ، وهذا السبَبُ غيرُ معلومٍ لله، وغيرُ مكتوبٍ.
ولا ريبَ أنَّ هذا القولَ باطلٌ.
وأهلُ السُّنَّةِ يقولونَ بما دلَّت عليه السُّنَّةُ؛ بأنَّ طُولَ العمرِ قد يكون بسببٍ مِن قِبَلِ العبدِ؛ كالبِرِّ والصلةِ؛ فمَن عُمِّرَ بهذا السببِ، فالسبَبُ والمسبَّبُ قد سبَقَ بهما علمُ اللهِ وكتابتُهُ؛ بمعنىٰ: أنَّ اللهَ قد علِمَ وكتَبَ أنَّ هذا يطولُ عمرُهُ بذلك السبب، ويَعلَمُ سبحانه أنه لو لم يكنْ منه ذلك السببُ، لكان عمرُهُ دون ذلك؛ فهما - عند أهل السُّنَّةِ - أجَلانِ:
أجَلٌ معلومٌ مكتوبٌ هو وسبَبُهُ؛ فلا يقَعُ سواهُ.
وأجَلٌ معلومٌ أنه لا يقَعُ لعدَمِ وقوعِ سببِهِ؛ فهو غيرُ مكتوب.
فعِلْمُ اللهِ شاملٌ لما كان وما يكونُ، وما لا يكونُ، لوكان كيف يكون.
وبذلك يُعلَمُ: أنه لا تغيُّرَ في علمِ اللهِ، ولا في كتابِهِ، ويمتنِعُ أن يحدُثَ ما يُوجِبُ ذلك؛ أي: التغييرَ في علمِ اللهِ وكتابِه.
وأمَّا المعتزِلةُ: فقولُهم بالأجلَيْنِ، معناه - علىٰ ما ذكَرَهُ عنهم أبو منصورٍ الماتُرِيدِيُّ في تفسيره [المسمىٰ بـ«تأويلات أهل السُّنة» (١/ ٤٩١)] - أنَّ الله تعالىٰ يَجعَلُ لكلِّ أحدٍ أجلَيْنِ، فإذا وصَلَ رَحِمَهُ، أماتَهُ في أبعَدِ الأجلَيْنِ، وإذا لم يصِلْ، جعَلَ أجلَهُ الأوَّلَ. قال أبو منصورٍ متعقِّبًا: «فهذا أمرُ مَن يَجهَلُ العواقبَ، فأمَّا مَن كان عالمًا بالعواقبِ، فلا؛ لأنَّه بُدُوٌّ ورجوعٌ عمَّا تقدَّم مِن الأمر». اهـ.
ومِن فروعِ قولِ المعتزِلة: أنَّ أفعالَ العبادِ غيرُ مخلوقةٍ لهم ولا مقدَّرةٍ، ومِن فروعِ ذلك: أنَّ المقتولَ مقطوعٌ عليه أجَلُهُ.
وأهلُ السُّنَّةِ يقولون: إنَّ المقتولَ ميِّتٌ بأجَلِهِ.

﴿١٢﴾ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ قد فسَّرنا البحرين والفرات والأجاج في «الفرقان»[1]، و﴿سَآئِغٌ﴾ في «النحل»[2]. والقصد بالآية: التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده. وقال الزمخشري: المعنى: أن الله ضرب البحرين المِلْحَ والعذب مَثَلين للمؤمن والكافر[3]، وهذا بعيد.

﴿لَحْماً طَرِيّاً﴾ يعني: الحوت.

﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الجوهر والمرجان. فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلَّا من البحر المِلْح دون العَذب؛ فكيف قال: ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ أي: من كل واحد منهما؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن ذلك تجوُّزٌ في العبارة، كما قال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣١] والرسل إنما هي من الإنس.

الثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح حيث تنصَبُّ أنهار الماء العذب، أو ينزل المطر، فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تنصبُّ[4] في البحر الملح: كان الإخراج منهما جميعًا.

الثالث: زعم قومٌ أنه قد يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب، وهذا قول يُبطله الحسُّ.

﴿مَوَاخِرَ﴾ ذُكر في «النحل»[5].

﴿١٣﴾ ﴿يُولِجُ﴾ ذُكر في «لقمان»[6].

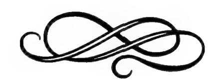
---

(١) انظر تفسير الآية (٥٣).
(٢) انظر تفسير الآية (٦٦).
(٣) الكشاف (١٢/ ٦٢٥).
(٤) في ج، د: «تصبُّ».
(٥) انظر تفسير الآية (١٤).
(٦) انظر تفسير الآية (٢٩).

﴿قِطۡمِيرٍ﴾ هو القشر الرَّقيق الأبيض الذي على نوى التمر، **والمعنى: أن الأصنام لا يملكون أقلَّ الأشياء فكيف أكثرها؟**

﴿١٤﴾ ﴿يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ أي: بإشراككم، **فالمصدر مضاف للفاعل. وكُفْر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون:** بكلام يخلقه الله عندها، **أو** بقرينةِ الحال.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مُخبِرٌ مثل مخبرٍ عالمٍ به، يعني: نفسَه تعالى في إخباره أن الأصنام يَكْفرون يوم القيامة بمَن عبدهم.



*يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿١٥﴾ ﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ خطابٌ لجميع الناس، وإنما عرَّف ﴿الْفُقَرَاءُ﴾ بالألف واللام؛ ليدلَّ علىٰ اختصاص الفقر بجنس الناس، وإن كان غيرهم فقراء، ولكن فقْرَ[1] الناس أعظم، ثم وصف نفسه بأنه الغني في مقابلة وصفهم بالفقر. ووصْفُه بأنه الحميد؛ ليدلَّ علىٰ جوده وكرمه الذي يوجب أن يَحمَده عباده. ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ ذُكر في «**سبحان**»[2].

﴿١٨﴾ ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ **الحِمل**: عبارةٌ عن الذنوب. **والمثقلة**: الثَّقيلة الحِمْل؛ أي: النفس الكثيرة الذنوب. **والمعنىٰ**: أنها لو دعت أحدًا إلىٰ أن يَحمل عنها ذنوبَها لم يَحمِلْ عنها. وحذف مفعول ﴿إِن تَدْعُ﴾؛ لدلالة المعنىٰ، وقصْدِ العموم. وهذه الآية بيانٌ وتكميل لمعنىٰ قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ **المعنىٰ**: ولو كان المدعوُّ ذا قربىٰ ممن دعاه إلىٰ حَمل ذنوبه لم يَحملْ عنه شيئًا؛ لأن كل أحدٍ يقول: نفسي نفسي.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ **المعنىٰ**: أن الإنذار لا ينفع إلَّا الذين يخشون ربهم، وليس المعنىٰ: اختصاصهم بالإنذار.

---

(١) في ج، د: «فقراء».

(٢) انظر تفسير الآية (١٥).

﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في ﴿يَخْشَوْنَ﴾؛ أي: يخشون ربهم، وهم غائبون عن عذابه، أو غائبون عن الناس، فخشيتهم حقٌّ لا رياء.

(١٩) ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ تمثيلٌ للكافر والمؤمن.

(٢٠) ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ تمثيلٌ للكفر والإيمان.

(٢١) ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ تمثيلٌ للثواب والعقاب. وقيل: ﴿الظِّلُّ﴾: الجنة، و﴿الْحَرُورُ﴾: النار. (**والحرور في اللغة**: شدة الحر بالنهار والليل، والسَّموم: بالنهار خاصة)[1].

(٢٢) ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ تمثيلٌ لمن آمن فهو كالحي، ومن لم يؤمن فهو كالميت.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ عبارةٌ عن هداية الله لمن يشاء.

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ عبارةٌ عن عدم سمع الكفار للبراهين والمواعظ، فشبَّههم بالموتىٰ في عدم إحساسهم. وقيل: المعنىٰ: أن أهل القبور -وهم الموتىٰ حقيقةً- لا يسمعون، فليس عليك أن تُسمعهم، وإنما بعثت إلىٰ الأحياء. وقد استدلت عائشة رضي الله عنها بالآية علىٰ أن الموتىٰ لا يسمعون، وأنكرت ما ورد من خطاب النبي ﷺ لقتلىٰ بدر حين جُعلوا في القَليب[2]. ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث: بأن الموتىٰ في القبور إذا رُدَّت إليهم أرواحهم سمعوا، وإن لم تردَّ إلىٰ أجسادهم لم يسمعوا.

(٢٤) ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ معناه: أن الله قد بعث إلىٰ كل أمة نبيًّا يقيم عليهم الحجة. فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فتَراتٌ وأزمنة طويلة؟ ألَا ترىٰ أن بين عيسىٰ ومحمدًا صلىٰ الله عليهما وسلم ست مئة سنة لم يبعث فيها نبيٌّ؟ فالجواب: أن دعوة عيسىٰ عليه السلام ومَن تقدَّمه من الأنبياء كانت قد بلَغتهم فقامت عليهم الحجة.

---

(١) سقط من أ، ب، هـ.

(٢) أخرج البخاري (٣٩٧٨)، ومسلم (٩٣٢) عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ذُكر عند عائشة، أن ابن عمر يرفع إلىٰ النبي ﷺ: «إن الميت يُعذَّب في قبره ببكاء أهله عليه» فقالت: وَهِلَ [أي: غلط]، إنما قال رسول الله ﷺ: «إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه، وإن أهله ليبكون عليه الآن» وذاك مثل قوله: إن رسول الله ﷺ قام علىٰ القليب يوم بدر، وفيه قتلىٰ بدر من المشركين، فقال لهم ما قال: «إنهم ليسمعون ما أقول» وقد وَهِلَ، إنما قال: «إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق» ثم قرأت: ﴿إنك لا تسمع الموتىٰ..﴾، ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ يقول: حين تبوءوا مقاعدهم من النار.

فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [السجدة: ٣]؟

فالجواب: أنهم لم يأتهم نذيرٌ معاصر لهم، فلا يعارض ذلك مَن تقدَّم قبل عصرهم، وأيضًا فإن المراد بقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أن نبوة محمد ﷺ ليست ببِدْعٍ، فلا ينبغي أن تُنكر؛ لأن الله أرسله كما أرسل مَن قبله، والمراد بقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أنهم محتاجون إلى الإنذار؛ لكونهم لم يتقدَّم مَن يُنذرهم، فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما.

(٢٥) ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآيةَ؛ تسليةٌ بالتأسي.

(٢٦) ﴿نَكِيرِ﴾ ذكر في «سبأ»[1].



(١) انظر تفسير الآية (٤٥).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ *وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾

﴿٢٧﴾ ﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا﴾ يريد: الصفرةَ والحمرة وغير ذلك من الألوان. **وقيل:** يريد الأنواع، **والأول أظهر**؛ لذكره البِيض والحُمْر والسُّود بعد ذلك. وفي الوجهين دليلٌ على أن الله تعالىٰ فاعل مختار، يخلق ما يشاء ويختار. وفيه ردٌّ علىٰ الطبائعيين؛ لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلَّا نوعٌ واحد.

﴿جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّةٍ، وهي الخِطَط والطَّرائق في الجبال.

﴿وَغَرَابِيبُ﴾ جمع غِرْبيب، وهو الشديد السواد. وقدَّم الوصف الأبلغ، وكان حقه أن يتأخَّر؛ لقصد التأكيد، ولأن[1] ذلك كثيرًا ما يأتي في كلام العرب.

(١) في أ، ب، هـ: «لأن» بدون واو.

(٢٨) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يتعلَّق بما قبله فيتمُّ الوقف عليه، والمعنىٰ: أن من الناس والدواب والأنعام مختلفًا[١] ألوانه، مثل الجبالِ المختلفِ ألوانُها، والثمرات المختلف ألوانها، وذلك كله استدلالٌ علىٰ قدرة الله وإرادته.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ يعني: العلماءَ بالله وصفاته وشرائعه علمًا يوجب لهم الخشية من عذابه، وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدُّكم له خشيةً»[٢]؛ لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفْه لم يخفْ منه؛ فلذلك خصَّ العلماءَ بالخشية.

(٢٩) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: يقرؤون القرآن، وقيل: معنىٰ ﴿يَتْلُونَ﴾: يتبعون، والأول أظهر. والخبر: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً﴾، أو محذوف.

﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تكسُد، ويعني بالتجارة: طلبَ الثواب.

(٣٠) ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ تَوْفية الأجور: هي ما يستحقُّه المطيع من الثواب، والزيادة: التَّضعيف فوق ذلك، وقيل: الزيادة: النظر إلىٰ وجه الله.

(٣١) ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذُكر في «البقرة»[٣].

(٣٢) ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، والتَّوريث: عبارةٌ عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة ﵃ وأكثر المفسرين[٤]: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ، فالظالم لنفسه: العاصي، والسابق: التقيُّ[٥]، والمقتصد: بينهما. وقال الحسن: السابق: من

(١) في أ، ج، هـ: «مختلفٌ».
(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٣٩): «لم أجده هكذا، وفي الصحيح: «أنا أعلمُكم بالله وأشدُّكم له خشية»».
(٣) انظر تفسير الآية (٤١).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٧) وما بعدها.
(٥) في ج: «المتقي».

رجحت حسناته على سيِّئاته، **والظالم لنفسه**: من رجحت سيِّئاته (على حسناته)[1]، **والمقتصد**: من استوت حسناته وسيِّئاته، وجميعهم يدخلون الجنة[2]. وروي أن رسول الله ﷺ قال: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفور له»[3]. **وقيل: الظالم**: الكافر، والمقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقي، فالضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ على هذا: يعود على العباد. **وأما على القول الأول**: فيعود على ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾، وهو أرجح وأصحُّ؛ لوروده في الحديث، وجلالة القائلين به.

فإن قيل: لم قدَّم الظالم ووسَّط المقتصد وأخَّر السابق؟

فالجواب: أنه قدَّم الظالم لنفسه رفقًا به؛ لئلا ييأس، وأخَّر السابق لئلا يُعجَب بنفسه. **وقال الزمخشري**: قدَّم الظالم لكثرة الظالمين، وأخَّر السابق لقلة السابقين[4].

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الإشارة إلى الاصطفاء.

(٣٣) ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْفَضْلُ﴾، أو خبر مبتدإ تقديره: «ثوابهم[5] جنات عدن»، أو مبتدأ تقديره: «لهم جنات عدن».

﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم، والمقتصد، والسابق، على القول بأن الآية في هذه الأمة. وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصةً. **وقال الزمخشري**: إنه يعود على السابق خاصةً[6]، وذلك على قول المعتزلة في الوعيد.

﴿أَسَاوِرَ﴾ ذُكر في «**الحج**»[7].

---

(١) زيادة من د، وهامش ب.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٢/ ١٩٩).

(٣) أخرجه البيهقي في كتاب البعث والنشور (ص: ٦٠) من حديث عمر مرفوعا، وضعَّف إسناده بانقطاعه، قال: «وروي من وجه آخر غير قوي، عن عمر موقوفًا عليه»، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (٢٢/ ٢٠٥) عن عمر رضي الله عنه أيضا مرفوعًا بإسناد ضعيف، فيه عمرو بن الحصين العقيلي، وهو متروك. انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٥٨٧).

(٤) الكشاف (١٢/ ٦٥٩).

(٥) في د: «مثواهم».

(٦) الكشاف (١٢/ ٦٥٨).

(٧) بل ذُكر في سورة الكهف في تفسير الآية (٣١).

﴿أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ قيل: هو عذاب النار، وقيل: أهوال القيامة، وقيل: الموت، وقيل: هموم الدنيا.

والصَّواب: العموم في ذلك كلِّه.

﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ هي الجنة، و﴿ٱلْمُقَامَةِ﴾: هي الإقامة في الموضع، وإنما سمِّيت الجنة دارَ المقامة؛ لأنهم يقيمون فيها، ولا يخرجون منها.

﴿نَصَبٌ﴾ النصب: تعب البدن، واللُّغوب: تعبُ النفْس اللازمُ عن تعب البدن.

﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يَفتعِلون من الصُّراخ؛ أي: يستغيثون فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾. وفي قولهم: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ اعترافٌ[1] بسوء عملهم وتندُّمٌ عليه.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ الآيةَ؛ توبيخٌ لهم وحجةٌ عليهم. وقيل إن مدة التَّذكير: ستون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: البلوغ، والأول أرجح؛ لقول رسول الله ﷺ: «من عَمَّرهُ اللهُ ستِّين فقد أَعذر إليه في العُمُر»[2].

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ يعني: النبيَّ ﷺ، وقيل: يعني: الشيب؛ لأنه نذيرٌ بالموت، والأول أظهر[3].



(١) في أ، هـ: «اعترافهم».

(٢) أخرجه أحمد (٩٣٩٤)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٨٢٢)، وابن حبان (٢٩٧٩) عن أبي هريرة ﷺ، وصححه ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٥٥) وأخرجه البخاري (٦٤١٩) عنه ﷺ بلفظ: «أعذر الله إلىٰ امرئ أخر أجله، حتىٰ بلغه ستين سنة».

(٣) في ب: «أرجح وأظهر».

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٣٨ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۝٣٩ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤١ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤٢ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٤٣ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۝٤٤ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٥ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ۝٤٦﴾

(٣٨) ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما تُضمره الصدور وتعتقده. **قال الزمخشري:** «ذات» هنا: تأنيث «ذو» بمعنىٰ صاحب؛ لأن المضمرات تصحب الصدور[1].

(٣٩) ﴿خَلَائِفَ﴾ ذكر في «**الأنعام**»[2].

﴿مَقْتًا﴾ **المقت:** احتقارك[3] الإنسان وبغضُه من أجل عيوبه أو ذنوبه.

(٤٠) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمْ﴾ الآيةَ؛ احتجاجٌ علىٰ المشركين وإبطالٌ لمذهبهم.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي: نصيبٌ.

(١) الكشاف (١٢/ ٦٦٥-٦٦٦).
(٢) انظر تفسير الآية (١٦٧).
(٣) في ج، د: «احتقار».

﴿عَلَىٰ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: علىٰ أمر جليٍّ. والضمير في ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يحتمل أن يكون للأصنام، أو للمشركين، وهذا أظهر في المعنىٰ، والأول أليق بما قبله من الضمائر.

﴿٤١﴾ ﴿أَن تَزُولَاۚ﴾ في موضع مفعول من أجله، تقديره: كراهةَ أن تزولا، أو مفعول به؛ لأنَّ ﴿يُمْسِكُ﴾ بمعنىٰ: يمنع.

﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ أي: لو فُرِض زوالهما لم يمسكْهما أحدٌ. وقيل: أراد: زوالهما يوم القيامة عند طيِّ السماء وتبديل الأرض ونسف الجبال.

﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي: من بعد ترك[1] الإمساك.

﴿٤٢﴾ ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ﴾ الضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارىٰ؛ جاءتهم الرسل فكذبوهم، والله لئن جاءنا رسول لنكونَنَّ أهدىٰ منهم.

﴿إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ﴾ يعني: اليهود والنصارىٰ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني: محمدًا ﷺ.

﴿٤٣﴾ ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ بدلٌ من ﴿نُفُورًا﴾، أو مفعولٌ من أجله.

﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾ هذا من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف[2]، كقولك: «مسجدُ الجامعِ»، و«جانبُ الغربيِّ»، والأصل أن يقال: المكرَ السيِّئَ.

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾ أي: لا يُحيط وبالُ المكرِ السيئ إلَّا بمن مكَره ودبَّره. وقال كعب لابن عباس ﷺ: إن في التوراة: «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها»، فقال ابن عباس ﷺ: أنا أجد هذا[3] في كتاب الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾[4].

---

(١) في أ، ب، هـ: «تركه».

(٢) كذا وردت العبارة في جميع النسخ الخطية، والعبارة فيها قلبٌ، ولعل صوابها: «من إضافة الموصوف إلىٰ الصفة»، كذا قال مكي في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٩٦)، فالموصوف -وهو ﴿مَكْرَ﴾- أضيف إلىٰ صفته -وهي ﴿السيئ﴾، وليس العكس.

(٣) في أ، هـ: «أجدها».

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٢٢/ ٢٢٥)، ولم أقف عليه مسندًا.

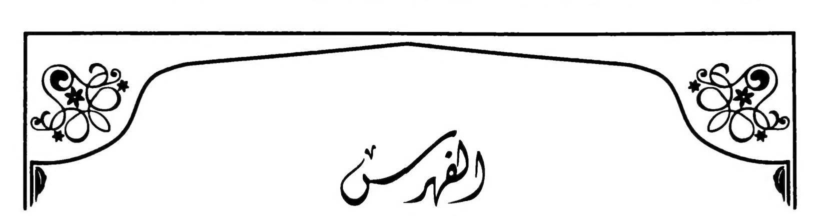
﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون إلَّا عادة الأمم المتقدِّمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

(٤٥) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾ أي: لا يَفُوته شيءٌ، ولا يصعب عليه.

(٤٦) ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ الضمير للأرض، والدابة: عمومٌ في كل ما يَدِبُّ، وقيل: أراد بني آدم خاصة.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: يوم القيامة. وباقي الآية وعدٌ ووعيد.





الفهرس


تم بحمد الله